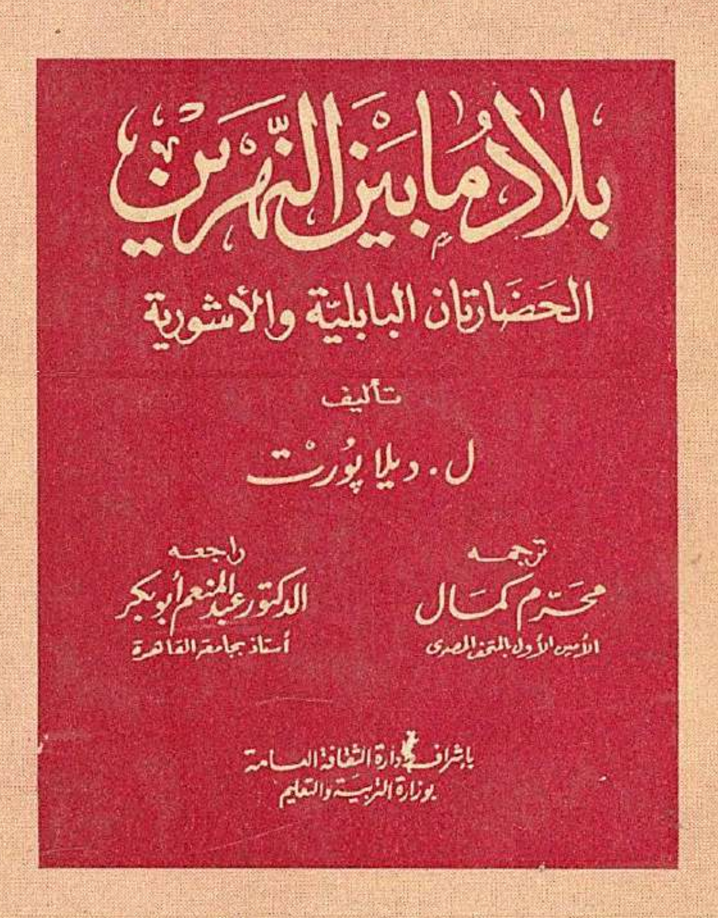
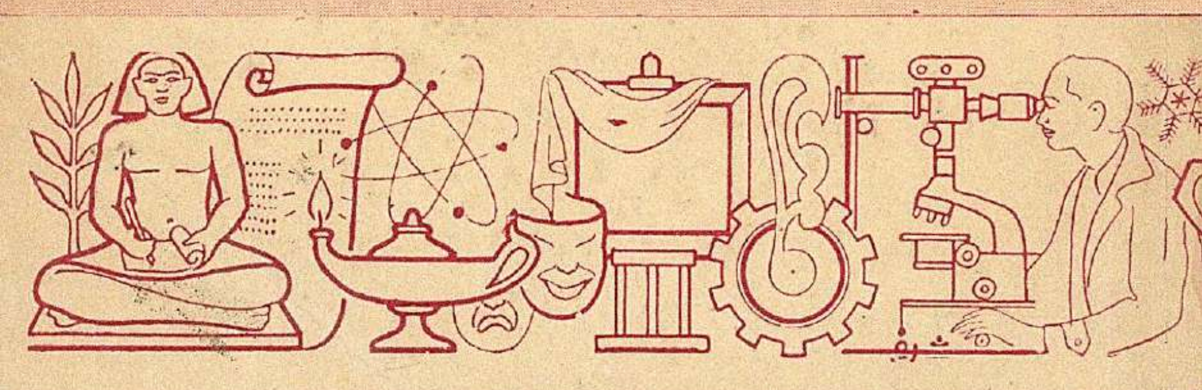
1000 كتاب





نشرته مكتبة الآداب بالجماميز

بلادُ ما بَين النهرَين

الحضارتان البابلية والآشورية

بلاد ما بين النهرين

الحضارتان البابلية والآشورية

تأليف

ل . ديلابورت

ترجمة

محرم كمال

مراجعة

د . عبد المنعم أبو بكر

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

هذه هي الترجمة العربية الكاملة للكتاب :

LA MESOPOTAMIE

تأليـف

ل • ديلابورت

الفهـــــرس

الموضـــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الكتاب الثالث : المعتقدات والحرف

مقـــدمة

ان المصادر التي نستمد منها معلوماتنا عن الحضارتين البابليــة والآشورية ـ اللتين ازدهـرتا في سهول دجلة والفـرات ، قبل العصر المسيحي ، ـ تكاد تكون مقصورة على النقوش والآثار الخاصة بهاتين الحضــارتين : ويرجع الفضل الى بوتا Botta ، قنصل فرنســا بالموصل ، في البدء بعمل حفائر منظمة بغية الكشف عن آثار امبراطورية آشور القديمة ، فهو الذي كشف في عام ١٨٤٢ م في جهــة خورساباد Khorsabad عن مدينة دور شاروكين Dour-Sharrookin التي شادها سرجون Sargon في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد . ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى استأنف الانجليزي لايارد Layard طائفة من الأعمال التي كان بوتا قد تركها فكشف عن اطلال نينوي القديمة وفيها المكتبة الهامة للملك آشور بانيبال ، Assurbanipal (القرن السابع) . وليس يدخل ضمن نطاق بحثنا سرد جميع الأبحاث التي أجريت بعد هذا البدء السـعيد والتي اشـترك فيها علماء آثار فرنسـيون وانجليز وألمان وأمريكيون (١) بيد أننا لانستطيع أن ننسى ـ فيما يتعلق ببابل ـ ذلك العمل الذي قام به ارنست دي سارزك Ernest de Sarzec فقد عين هذا الرجل وكيلا لقنصلية فرنسا بالبصرة وتسلم أعمال وظيفته في يناير من عام ١٨٧٧ م ولم يكد يمضي شهران على تعيينه حتى بدأ ينقب في أكوام الرمال التي يطلق عليها « تلو » واستمر في حفائره الناجحة حتى وافاه الأجل فحمل عنه العبء الكولونيل كروس Cros وكان من نتيجـة هذه الحفائر أن خرجت عشرات الآلاف من النصوص ، وأن برز تاريخ لاجاش Lagash ـ تلك المدينة الهــامة ـ خلال الألف الثالثة كلهـا . وعلينا أن نذكر كذلك البعثة العلمية التي أوفدتها وزارة المعارف العمومية الى بلاد فارس من عام ١٨٩٧ م حتى عـام ١٩١٢ م تحت الادارة الحازمة لمسيو جاك دي مورجان ، فقد كشف عن اطلال سوس Suse وهي عاصمة بلاد مجاورة كانت في كثير من الأحيان عدوة لبلاد بابل ، كما كشف عن طائفة من قطع فنية ونقوش مما يلقي ضوءا كبيرا على الحضارة البابلية . ويكفي أن نذكر لوح النصر الخاص بـ « نارام سن » Naram-Sin

---

(١) XLIX.

(القرن ٢٨) وقانون حمورابي Hammuorabi (القرن ٢١) وهو أهم نص خاص بالقوانين القديمة كشف عنه حتى اليوم ٠

وانه لمن الصعب أن تجد معلومات جديرة بالاعتبار عن موضـــوعنا فيما أورده كتاب الاغريق والرومان ، اذ أن المصـــادر التي استقى منها هؤلاء الكتاب لم تعد في الأغلب الأعم روايات السياح وأقاصيصهم ، ونحن اذا أردنا أن نحققها بأسانيد آشورية أو بابلية ، فاننا لا نلبث أن نجـد أغلاطا وأخطاء كثيرة : فقد شهد هيرودوت مثلا بأن أرض بلاد بابل « فائقة الخصب في انمـــاء الحبوب فهي تغل مائتين عادة في مقابل كل حبة ٠ وفي الأراضي بالغة الجودة تغل ثلاثمائة » فالمؤرخ الاغريقي قد زار بنفسه البلاد فشهادته اذن صادقة بيد أنه مما لاشك فيه ، أنهم قد أروه حقلا من حقول التجارب حيث أمكن الحصول على غلة تفوق المتوسط بكثير ، فمنذ مدة قريبة ورد ذكر نوع من الحنطة زرع في أرض جيدة بجهة مرنيـــاك Merignac (جيروند) ، فعاد بغلة مقـــدارها ٢٢٥٠ للحبة الواحدة (١). ولكن لاينبغي لنا أن نستنتج من ذلك أن مثل هذه النتيجة يمكن الحصول عليها في الأحوال العادية للزراعة ٠ وفي ســـهول الفرات السفلى ، فان محصول الغلال الذي يبلغ من ٣٠ الى ٤٠ ضعف البذور ، لم يتغير الا قليلا عما كان عليه في الزمن القديم ، اللهم الا في الألف الثالثة ، حيث زاد المحصول عن ذلك طبقا لبعض الوثائق الحسابية في اقليم لاجاش على مسافة غير بعيدة من الخليج الفارسي (٢) ٠

وحل رموز الكتابات البابلية والآشورية ــ وهي التي يطلق عليها المســمارية (أو الاسـفينية) ، لأن كل عـــلامة منهـا تشبه المســمار (الاسفين) ، ــ يرجع الى أبعد من كشوف بوتا ، فلقـد كانت المحاولات الأولى تجرى على مجموعة من احدى وأربعين علامة مشـــتقة من الكتابة البابلية ، كانت تكون العلامات المقطعية في النقوش الفارسية الأكمينية (الكيانية) (٣) ٠ وبعد بيترو ديلا فالي Pietro dellavalle الذي نقل في عام ١٦٢١ خمس علامات من أطلال برسيبوليس Persépolis ، وتبين معنى الكتابة ، أتى شاردان Chardin (١٦٧٣) ، وكمفر Kaempfer (١٧١٢) ، وكورني دي بريـن Corneille de Bruyn (١٧١٨) ببيانات أكثر أهمية ٠ وحوالي ١٧٦٥ تمكن نيبور Niebuhr من ايجاد نطق بعض كتابات كاملة ، ولاحظ أنها تتكون من مجموعات كل مجموعة

---

(١) G. HEUZÉ : Les plantes Céréales. Le Plé. p. 182.

(٢) LII p. XLVI.

(٣) LXII.

فيها ثلاثة أشكال مختلفة من الكتابة ، إذا نقشت فى سطر واحد ، فان أبسطها يكون دائما جهة اليمين وأصعبها جهة اليسار • وفى عام ١٧٩٨ توصل تايشن Tyschen الى معرفة أن كلمات نصوص النوع الأول يفصل بعضها عن بعض عـلامة على شكل المسمار المائل • وفى عام ١٨٠٢ قدر مونتر Münter ان لغة هذه الكتابة الأولى ، لابد أنها تقارب لغة الزند التى تفصل كذلك بين الكلمات • وقد حاول أن يحل رموز هذه اللغة ، ولكنه لم يوفق الا فى ثلاث علامات للحركة ، وثلاث علامات صامتة • وفى نفس العام اعتمد جروتفند Grotefend على بعض الاعتبارات الأثرية ، فى محاولته حل معميات هذه الكتابة الأولى ، وقد وجد أن الكلمة ـ التى اعتقد تايشن ومونتر أنها تتضمن اللقب الملكى ـ توجد كثيرا مكررة مرتين عند مستهل النص • وفى المرة الثانية تنتهى بنهاية رأى فيها علامة الجمع مما يعطى مجموعها معنى « ملك الملوك » • ولا شك فى أن الكلمة السابقة تتضمن الاسم نفسه للملك بحيث تكون الصيغة فلان « ملك الملوك » • والمجموعة التى تعنى ملكا ، ترد أحيانا ككلمة ثالثة بعد هذه المجموعة وفى هذه الحالة لابد أن يكون لدينا اسم الأب يسبقه لفظ معنـاه « الابن » ، اى تكون الصيغة « فلان » ملك الملوك » ، ابن « فلان » « الملك » • وفى مكان آخر يوجد بالمقارنة « فلان » « ملك الملوك ابن فلان » ، دون أن يكون هذا الأخير ملكا • ولما كان الأمر يتعلق بنقوش « برسبوليس » ، فان هذه الصيغة الثانية لابد وأنها تذكر اسم مؤسس الأسرة الأكمينية فاذا كان الأمر يتعلق بكورش Cyrus الذى كان كل من أبيه وابنـه يحمل نفس الاسم فان فلان ، وفلان يكونان شـخصا واحـدا ويكون فلان هو دارا Darius وحينئذ فان الترجمة يجب أن تكون :

اكسركسس ملك الملوك ابن دارا الملك •••

دارا ملك الملوك ابن هستاسب •••

ولكى يحل جروتفند رموز ثلاثة الأسماء الأعلام هذه ، استعان بالنطق القديم وأمكنه أن يحقق بصفة نهائية حركتين ويعين الحرف الصامت فى عشر علامات مقطعية • ولقد أكمـل عمله أحد عشر عالما من بينهم لاسن Lassen وبرنوف Burnouf وهنكس Hincks وراولنسـون Rawlinson • ولم يعرف أوبير Oppert المقطـع « لا ـ la » الا فى عام ١٨٥١ أما العلامة الرمزية التى يختفى وراءها اسم « أورمزد » الاله الوطنى فقد ظلت مستعصية على الحل حتى عام ١٨٧٤ •

أما ثانية كتابات برسبوليس فقد كانت مثار صعوبات كثيرة ولكن الرأى اتجه بحق الى أن ثلاث الأقاصيص لابد وأنها تروى نفس الشىء بثلاث لغات مختلفة ولقد لوحظ أولا وجود علامة خاصـة تسبق أسماء

الأعلام ثم بذلت محاولات لترتيب العلامات تبعا لعدد واتجاه عناصرها ·
وكانت أول محاولة جدية للترجمة هي التي قام بها عام ١٨٤٤ الدانمركي
وسترجـــارد Westergaard . · وقد كشف هنكس عن مقاطع بعض
العناصر (١٨٤٦) ودرس سولسي Saulcy (١٨٥٠) الصيغ النحوية ·
وفي عام ١٨٥٣ نشر نورس Norris نقوش بهستون Béhistoun
التي جمعها رولنسون وقد روجع فيها الحل الذي اقترحه وسترجارد ·
ولقد كان من نتائج الحفائر التي قامت بها البعثة في بلاد العجم ان كثر
عدد النصوص المكتوبة بهذه اللغة الانزية التي كان يتحدث بها سـكان
عيلام غير الساميين ·

أما الكتابة الثالثة فالفضل في معرفة الكلمات الأولى منها يعود أيضا
الى جروتفند فقد تمكن ان يفصل مجموعات العلامات التي تقابل أسـماء
كورش وهستاسب ودارا واكزركسس · ولما كان قد لاحظ مشابهة هذه
الكتابة لكتابة الآجر الذى عثر عليه في أطلال بابل ، فقد وفق الى تعيين
المجموعة التي تتضمن اسم نبوخذ نصر · وهكذا كانت الأحوال على وجه
التقريب فيما يتعلق بمحاولة حل رموز هذه اللغـة عندما أعلن بوتا عن
كشوفه · أما عن النوع الثالث من كتابة برسبوليس ، فقد أمكن فقط
الوصول الى معرفة عشرين من أسماء الأعلام المعروفة من النوعين الآخرين ·
ولقد حاول لوفنشترن Lowenstern أن يصل الى حلها فوجد لبعض
العلامات أشكالا أخرى تكتب بها ووضع أساسا لما أطلق عليه « توافق
الأصوات » أى وجود علامات مختلفة تؤدى صوتا واحـدا · وقد تمـكن
لونجبرييه Longpérier من حل رموز بروتوكول سرجون على الآثار
التي كشف عنها بوتا ورتبها الى ٦٤٢ علامة مختلفة فوجـد كمـا وجد
لوفنشترن علامات ذات صوت واحد وميز كتـابه خورزاباد عن كتابتى
برسبوليس وبابل وأكد أخيرا أن اللغة سامية · وفصل سـولسى Saulcy
جملا صغيرة في نصوص برسبوليس تطابق جملا في النص الفارسي وعين
١٢٠ حرفا ووجد نطقها · وكشف هنكس في دبلن عن أساس الحروف
المقطعية بمعنى أن بعض العلامات تسـاوى مقاطع وليس حـروفا فقط ·
ثم اهتم سولسى أخيرا بنصوص خورزاباد واقتنع بأن النص نفسه قد
كرر عدة مرات وعمل مقارنات وبفضل استخدامه لقراءاته السـابقة
للعلامات أمكنه الوصول الى ترجمة ٩٦ سطرا · واقترح رولنسـون
ـ الذى كان قد نشر اذ ذاك ترجمة لمسـلة نمرود دون تعليق ـ ترجمة
فيها اختلاف بسيط · وفى عام ١٨٥١ قرأ رولنسون وترجم نص بهستون
الذى ينتسب الى النوع الثالث من الكتابة فبين قيمة ٢٤٦ حرفا وكشف
عن مبدأ « تعدد الأصوات » أو وجود علامات لكل منهـا عدة قيم وعدة
أصوات · وفى السنة التالية تحقق هنكس من أن بعض العلامات تكون

مقاطع مركبة وكلما تعمق البحث في حل رموزها ، ازداد أمرها تعقيدا وعند ذلك رأت الجمعية الآسيوية بلندن أن تقترح على عدة علماء أن يحل كل منهم على طريقته الخاصة ومبادئه رموز نص تزيد سطوره على الثمانمائة وأرسل رولنسون وهنكس وفوكس تالبوت واوبير مخطوطاتهم فتحت في ٢٥ مايو سنة ١٨٥٧ وكانت النتيجة مرضية تماما • وقد طبعت التراجم الاربع لهذا النص الخاص بملك آشور تجلات فلاسر الاول Teglath-phalssar على أربعة أعمدة لكي يتأكد الجميع من أنه قد عثر على مفتاح الكتابة الثالثة للنصوص الاكمينية وهي كتابة الآشوريين والبابليين •

★★★

أما الأدب البابلي والآشوري فهو متنوع جدا فآلاف النصوص ، سواء أكانت أصلية أم نسخا قديمة ، المحفوظة الآن في متاحف أوربا وأمريكا تتراوح بين عصر يرجع الى ما قبل عام ٣٠٠٠ ق٠م • ويصل حتى القرن الأول ومن هذا الأدب نقوش تاريخية : حوليات وتقاويم وتكريس مبان وكتابات نذور وقوائم تاريخية • وكذلك نصوص دينية : أناشيد وصلوات ومزامير توبة•ثم نصوص سحرية : رقى وتعاويذ • ثم طوالع طبقا للأرصاد الفلكية أو لحركات الانسان والحيوان والأحشاء والزيت الذي يصب في الماء • كما يوجد من بينه الشعر : ملاحم وأساطير وقصص ••• هذا الى نصوص قانونية : لوائح وأحكام قضائية • ثم عقود من جميع الأنواع ، من بيع وشراء وسلفة وشركات تجارية وزواج وطلاق وتبن • وكذلك أمور حسابية لمحفوظات المعابد والقصور والعائلات • ثم مراسلات، سواء منها الرسمية أو الخاصة • ومجموعات لدراسة الخط والنحو واللغة • وقوائم جغرافية وجداول حسابية وفلكية وشئون طبية •

وليس الفن وعلم الآثار بأقل تمثيلا ، فهناك تماثيل كبيرة وصغيرة من الحجر أو المعدن ونقوش بارزة ومجسمة وألواح نصر وأشكال صغيرة من المعدن أو الآجر وأوان محفورة وأختام تحليها المناظر الدينية وفخار ملون ••• كل أولئك يشهد في مختلف العصور بتقدم كامل أو بالعودة الى نظريات أكثر بداءة وقدما هذا الى أن الحفائر قد كشفت عن طرق البناء وتخيط ونظام المدن ••• وبعض البيانات الواردة في نص قديم يمكن في بعض الأحيان تطبيقها اليوم مباشرة على أطلال الأثر الذي ذكر وصفه •

ومع ذلك فان الآلاف من الوثائق مختلفة الأنواع ستؤلف حتما سلسلة متصلة الحلقات على مدار الزمن • ثم ان أعمال الحفائر قد كشفت عن مجموعات تكون في كل منها وحدة لعصر ومكان معينين على صورة

خاصة بيد أنه لايمكن في الوقت الحاضر تعيين مقابل لهـا لعصر آخـر أو مكان آخر . وهكذا وصلت الينا حسـابات المعابد وبخاصـة من الألف الثالثة ، ومحفوظات عائلات من عصر الأسرة الأولى البابلية وأخرى من عصر الملوك الآكمينيين ولم يتكشف لنـا الفن الآشـوري الا من القرن التاسع حتى القرن السابع على حين أن تاريخ آشور يرجع الى ما هو أبعد من عام ٢٤٠٠ ق.م .

وأول ما تتجه اليه العناية في دراسة حضارة من الحضارات كائنة ما كانت هذه الحضارة يجب أن تنصرف أولا الى تبويب الوثائق وتقسيمها بحسب العصور : فالانقلابات الكبيرة الاجتماعية أو السياسية لاتمضي دون أن تغير من الأخلاق والعادات تغييرا يتفاوت مقداره ودون أن تترك أثرا في الفن والأدب . ويجب علينا منذ الآن أن نحدد الاطار التاريخي الذي نمت وترعرعت فيه النظم البابلية والآشورية .

وهذا الاطار ذو وجهين ان نحن نظرنا الى العلاقة الزمنية التي تربط الحوادث ببعضها البعض أو تلك العلاقة التي تربط هذه الحوادث بالزمن الخاص .

ولقد فرض نظام طبيعي على جميع الشعوب هو نظام اليوم الذي يتعاقب فيه الليل والنهار . فمهما تكن نقطة الابتداء المقررة ــ غروب الشمس أو شروقها ــ وقت الظهيرة أو منتصف الليل ــ فهو العنصر الأزلي لكل تأريخ .

أما التقسيم الثاني فينتج عن تجدد الفصـول فبعد عـدد معين من الأيام تحدث في الطبيعة الظواهر نفسها طبقا لعملية نظامية وهذا يتأتى عن انحراف سمت الشمس بالنسبة الى خط الاستواء الأرضي وينتج عن هذا : السنة الشمسية التي لم تحدد مدتها الا مؤخـرا ولا تضم عددا مضبوطا متساويا من الأيام .

وعلى ذلك فان الشعوب القديمة اضطرت الى أن تلجأ الى تقسيم ثالث للزمن واعتمدت في ذلك على مدار القمر الذي يضم كل من وجوهه الأربعة عددا صغيرا من الأيام ولكنها كذلك لا تطابق هي الأخرى عددا صحيحا .

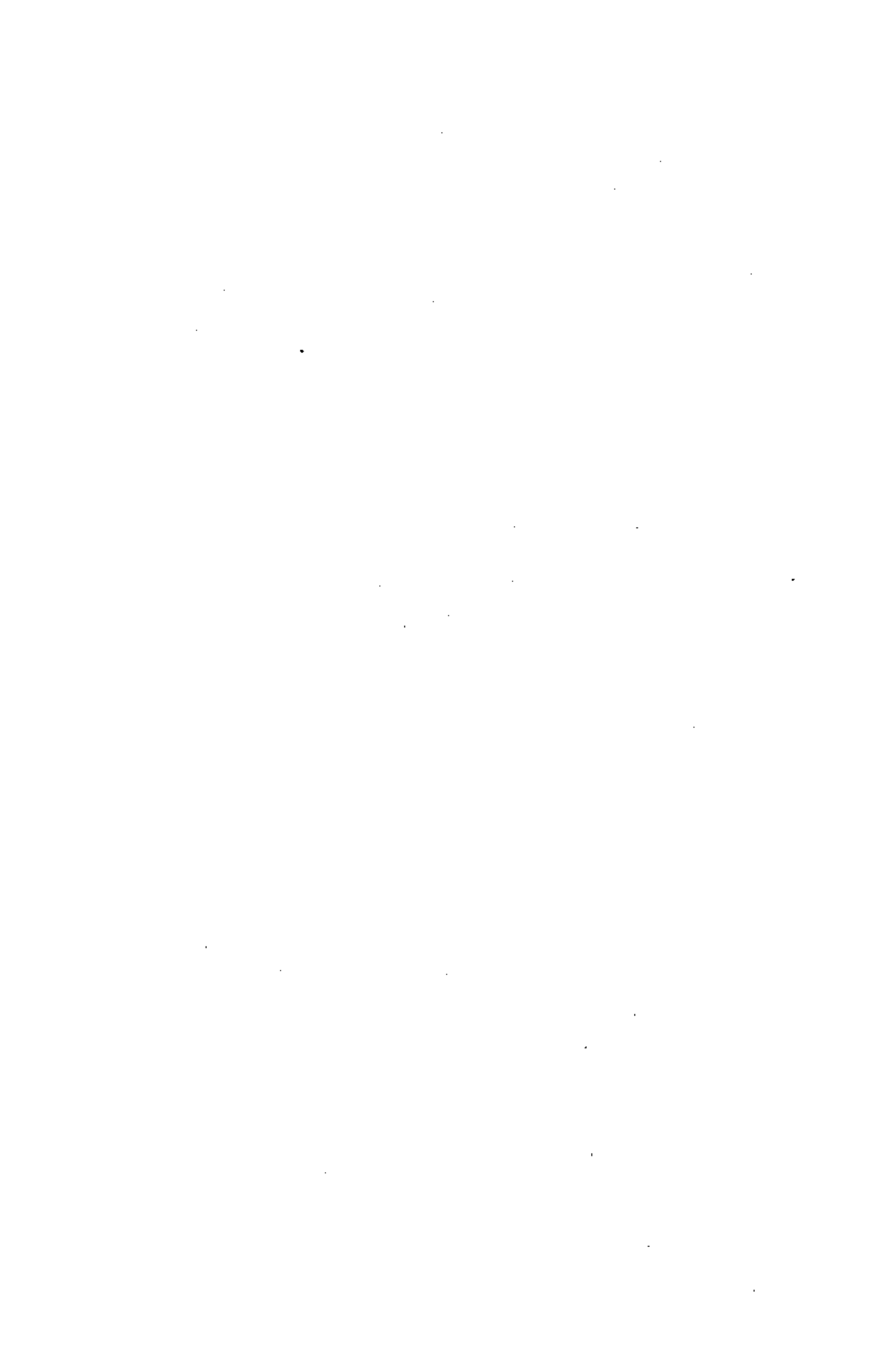
ولقد اتبع البابليون والآشوريون طريقة تجريبية ثبت (بضم الثاء وتشديد وكسر الباء) بها بدء الشهر الذي أصبح ٢٩ أو ٣٠ أو ٣١ يوما حسب بدء ظهور الهلال في السماء . ولما كان من المستحيل الوصول الى مقياس عام بين الشهر القمري ودوران الشمس فقد احتسبت السنة العادية اثني عشر شهرا واستعيد التوازن عن طريق ادخال شهر ثالث عشر من وقت لآخر .

وفى أقدم الوثائق المسماة بما قبل السرجونية ـ لأنها تسبق اعتلاء سرجون ملك أجاده (القرن ٢٩) ـ بينت سنوات كل حكم برقم بسيط على لوحات الحساب أما عادة اعطاء كل سنة اسما تبعا لحادث معين يستحق التخليد فى السنة السابقة ، فقد بدأ العمل بها منذ عصر « أجادة » واستمر حتى عهد الملوك الكاسيين الذين استعملوا طريقة الحساب لسنى الحكم التى عمل بها فى بابل فيما بعد حتى انهيار الامبراطورية ٠ أما فى أشور فقد كانت اسماء الملك وكبار الموظفين تطلق متتابعة على السنين ٠ وترجع هذه العادة الى عهد ممعن فى القدم ٠٠٠ الى القرن الرابع والعشرين على الأقل وهو عصر ثبت اتباعها فيه كما يظهر على لوحات خاصة بمستعمرة لعبدة آشور فى كابادوكيا ٠



الجزء الأول

الحضارة البابلية



الكتـــاب الأول :

الحقـائق التاريخية

الفصل الأول

البـلاد ومـواردها

اذا نحن استثنينا منطقة اريـــدو Eridou (ابـــو شـــهرين) Abou-Shahrein وهى المدينة التى تقع فى أقصى الجنوب بجزيرة فى الخليج الفارسى يفصلها عن وادى الفرات صخرة من الحجر الرملى ، فان اقليم بابل الذى عرفه الكتاب الأقدمون (اليونانيون والرومان) ينطبق تماما على ذلك السهل الذى كونه نهرا دجلة والفرات عند وصولهما الى البحر – كوناه من تراكم الرواسب التى أتت موادها من جبال ارمينيا التى تنبع منها (حيث يوجد منبعا هذين النهرين) • وحدود هذا الاقليم الطبيعية هى : فى الغرب الصحراء العربية التى يسكنها بدو يقومون بالغارات على السكان المستقرين ، وفى الشمال السهل الأعلى لبلاد ما بين النهرين حيث يوجد الآشوريون ، يفصل بين هذا الاقليم وبينهم خط يبدأ من حت Hit على الفرات ويبلغ دجلة على مسافة قليلة شمال ملتقى الأدهم l'Adhem ، وفى الشرق التحصينات الأخيرة من التلال التى تكون الحد الحالى لبلاد الفرس وفيها قبائل من أصول مختلفة • استقرت فى جميع الوديان ، ومن هنا يأتى الحجر والمعادن وخشب البناء ، وفى الجنوب الخليج الفارسى ومستنقعات لا تكاد تمتد الملاحة خارجها – وهذا السهل فى بدء العصور التاريخية لم يهبط كثيرا الى ما تحت القناة الحالية المسماة « شط – الحى » : واقليم لاجاش Lagash وهى المدينة التى توجد أطلالها (تلو) على مسافة الساعة وربع الساعة الى غرب هذه القناة وتبعد مائتى كيلو متر عن الخليج كانت تدخل ضمن المنطقة البحرية •

ونظام النهرين ليس واحدا : فدجلة بشطآنه المرتفعة الصـــلبة ذو مجرى سريع ويبدأ فيضانه فى أوائل مارس ويبلغ اشده فى الأيـام الأولى من شهر مايو وينتهى حوالى منتصف يونيه وتوجد على شـــواطئه المستنقعات • أما الفرات فمياهه أقل مرتين ويبدأ فيضانه متأخرا نحو خمسه عشر يوما ولا ينتهى قبل شهر سبتمبر • ولما كانت ضفافه أقل ارتفاعا فانه ينتشر بسهولة فى السهل ويضفى عليه فيضانا مباركا نافعا

مليئا بالخيرات • ولقد فضل السكان الأول ضفافه ليؤسسوا عليها مدنهم • ومجرى الفرات الحالى لا يصل الى أطلال معظم هذه المدن القديمة ومع أن بابل (حلة Hillé) وأور (مغير Mougheir) يقعان على مقربة من مجراه فان المدن الأخرى تقع على مسافة ما الى الغرب فى السهل • لكن ما ورد فى النصوص القديمة يثبت تحول النهر بسبب رخاوة الأرض وتداعى الشواطىء أثناء الفيضان والعلامة التى تدل فى الخط على الفرات معناها « نهر سيبار Sippar » • واذن فان سيبار (أبو حبة) كانت تقع على شواطئه واحدى سنى « سمسوايلونا Samsoo-illouna » • وهو ملك من الأسرة الأولى البابلية ـ تحيى ذكرى بناء حائط سور كيش Kish (الأحيمر) « على شاطىء الفرات » وتقع اطلال كيش على قناة تدعى « شعط النيل » التى تمر كذلك ب « نفر Niffer » • وهى أطلال نبور • ولقد كانت احدى فروع الفرات فى عهد دارا الثانى تدعى « نهر سيبار ونبور » • ولقد كانت شوروباك (فارا) Shourouppak (Fara) كذلك « على شاطىء الفرات » طبقا لما ورد باسطورة جلجامش Gilgamesh • أما لارسا (Larsa) (سنكره) (Senkereh) ، فان المعلومات نفسها تعطيها الرسائل المتبادلة بين حمورابى وسينيدينام Sinidinnam حاكم هذه المدينة • ولقد كانت فروع النهر كثيرة وكانت أوما Oumma (جوها Djoha) تقع على الفرع الذى يمر على مقربة من لاجاش ومنذ العصور التاريخية الأولى ـ عندما كانت المدينتان فى كفاح مستمر ـ حفر انتمينا (Entéména) أمير هذه المدينة الاخيرة قناة تصل بين النهرين وكان دجلة ـ الذى تحول مجراه تبعا لذلك نحو الشرق ـ يتبع فى ذلك العصر تقريبا المجرى الحالى لشط الامارة Shatt-el-Amâra .

ولقد كان الانسان الذى استقر فى هذه الجهات منذ أصبحت صالحة للسكنى صاحب حضارة عالية • فلكى يتقى الفيضان شيد مدنا على منحدرات صناعية وبنى بيوتا ومعابد من اللبن واقتنى قطعانا كبيرة من الماشية الكبيرة والصغيرة وعرف كيف يروى زراعته ويحفر القنوات ويصنع آلات الرى وكان يشكل النحاس والفضة ويصنع الأسلحة من المعادن •• ومع أن ما كان ينحته كان لايزال بدائيا غير متقن الصنع فان كتابته تشهد بتقدم كبير : فلم تعد كتابة تصويرية وانما وجدت الى جانب العلامات المشتقة من الصور علامات صوتية بحتة • ولقد وجدت فى الطبقات شديدة العمق آثار صناعة العصر الحجرى الحديث ممثلة فى قطع من الطران المشطوف المجلوب من المناطق الجبلية •

وعندما زار العالم الطبيعى أوليفييه Olivier بلاد ما بين النهرين فى مستهل القرن التاسع عشر وجد الشعير والغلال والحنطة تنمو برية

في قطعة أرض غير صالحة للزراعة تقع الى الشمال الغـــربي من « عنة » Anah على الضفة اليمنى للفرات • وهذه المنطقة هي الموطن الأصلي لهذه النباتات الثلاثة منذ أقدم الأزمنة وقد انتشرت منها وامتدت الى بلاد بابل • والشعير بوصفه الأساس الذي يقوم عليه غذاء الانسان والحيوان هو في جميع عصور التاريخ أكثر النباتات انتشارا وهو العملة السارية التي يقدرها الجميع والتي ظل اقراضها حتى نهاية الامبراطورية البابلية الحديثة أغلى من اقراض الفضة •

وكان الدخن (الذرة البيضـــاء) يزرع كذلك على أنهم فيما يبدو كانوا يجهلون الجاودار والشوفان • أما السمسم فانهم كانوا يهتمون بأمره لحاجتهم الى زيته الجيد والى شراب كانوا يســـتخرجونه منه • أما الأثل فكانوا يقدرونه من أجل صـــمغه الحلو وكذا الكروم لعنبهـا وزبيبها ونبيذها • ولقد ورد ذكر شـجر التين والرمان في النصـــوص السابقة على عصر سرجون ، واعتبر جوديا Goudéa ثمرها خليقا بأن يقدم الى الآلهة (١) • أما أشجار النخيل فهي من أهم مصادر الثروة في البلاد وهي على حد قول استرابون :« تكفي لسد جميع حاجات السكان فمنها يتخذون نوعا من الخبز ، ويستخرجون نبيذا وخلا وعسلا وفطائر ومئات أنواع النسيج ويستخدم الحدادون نواها وقودا كما أن هذا النوى نفسه كان يستعمل بعد أن يســـحق وينقع لغذاء الأبقار والثيران والخراف لتسمينها » وكانوا يزرعون في الحدائق البصل والخيار وكثيرا من النباتات الأخرى التي لم تعرف أنواعها بعد على وجه التحقيق • وقد ذكر على لوحة صغيرة من عصر اجاده Agadé (حوالى القرن ٢٨) زراعات بصـــل مساحتها ربع ونصف بل و « جان » (٢) كامل (٣٥ آر) (حوالى ⅞ فدان) (أو ٣٥٠٠ م٢ تقريبا) أما أعواد القصب الضـــخمة فقد كانت تســـتخدم في اقامة الملاجئ والسياجات وعمل الأقلام والرماد اللازم للغســـيل (٣) •

أما الحيوان الذي ثبت وجوده من النصـــوص القديمة أو الصور المنقوشة : منه المستأنس وهو الحمار والبقرة والثور والكبش والماعز والخنزير والكلب والدواجن ، ومنه غير المستأنس وهو الأســـد والبقر الوحشي والتيتل والأيل والفهد والعنز البري والوعل والصقر والثعبان والعقرب وأنواع عديدة من الأسماك وذوات القشور •

(١) LXXVI, p. 123.

(٢) XIX, t. 11 no 3070.

والعلاقة بين المقاييس القديمة ونظام المقاييس المعروف مبين في الفصل الثالث •

(٣) I, t. VII, p. 107 et suis.

ويوجد نوعان من الحيوان من فصيلة الحمار يمكن تمييزهما تماما منذ أقدم العصور ، ربما كانا الحصان والبغل ٠

ويبدو أن السكان القدامى كانت لديهم فكرة عن تربية النحل ووجود النحل في الوادي الأسفل للفرات ، اذ أنهم كانوا يجمعـــون العســـل ويتخذونه غذاء ٠ ولقد كان حيوان بلاد بابل ونباتها ينمو ويترعرع على أرض من الرواسب كونها دجلة والفرات من متخلفاتهما ٠ وكانا يزيدانها خصبا في كل عام بيفضانهما المبارك المملوء بالخيرات ٠ وكان على الانسان أن يتخذ مسكنه فوق مستوى الفيضان ولهذا صنع مرتفعات صناعية كان يقيم فوقها كوخا من القصب أو بيتا من الطمي ٠ ولقد أمدته الأرض الطميية بالمادة اللازمة لصناعة اللبن وكان يحرقه أو يكتفي بتجفيفه في الشمس كما كان يصنع منه أيضا كل الأواني الفخارية اللازمة للاستعمال في الحياة المنزلية من صحاف وأوان للشرب وقدور وجرار ٠ كما شكل منه اللوحات الصغيرة التي كان يستخدمها في تخليد ذكر الأحداث العامة أو تسجيل المعلومات الخاصة مستعملا في تسجيلها قلما من القصب ، كما كان يتخذ من الأصداف والعظم أدوات الزينة ، ولكنه لم يجد في اقليمه حجـــرا أو معدنا ، فقوائم أبواب القصر وكتـــل الديوريت أو المرمر التي كانت تنحت منها تماثيل الآلهة والملوك والأحجار الكريمة التي كانت تصنع منها الأختام المنقوشة وخشب الأرز الذي كانوا يقدرونه ويبحثون عنه لتزيين الهياكل ، والذهب والفضة والحديد والنحاس الذي كانوا يصنعون منه الأدوات المختلفة ٠٠ كل هذا كان يستورده اهل بابل من الخارج ٠

وقد دفعتهم هذه الحاجة الى أن يوثقوا صلاتهم بغيرهم من الأقوام ، فالى الجنوب تمتد المستنقعات الى شاطيء البحر ، فلم تصب الملاحة أي تقدم مطلقا ، والى الجنوب الغربي توجد الصحراء الجرداء التي تخيلها الناس مليئة بالشياطين المرعبة ، وفي الشـــمال الغربي ينفسح طريق طبيعي : فعندما يسير المرء مصعدا في مجرى الفرات فانه يبلغ ـ فيما وراء ملتقى خابور Habour ـ جبالا يكثر فيها الديوريت ٠٠ وبعد مسافة في غرب انحناءة النهر في جبال طوروس توجد مناجم الفضة التي كان يدور العمل في استغلالها منذ أقدم العصور ٠ وفي أمانوس Amanus ولبنان توجد غابات الأرز وغيرها من الأشجار التي تستخدم كاطواف تحمل عليها كتل الأحجار ، ثم تستعمل هي نفسها في البناء وكانت قوافل بابل تهبط على طول ساحل البحر الأبيض الى دلتا النيل كأنما تمهد الطريق للآشوريين ولنبوخذنصر ٠ وفي آسيا الصغرى خلال الألف الثالثة استعملت الكتابة المسمارية على لوحات الطين ، استخدمها ساميون من عبدة آشور ، وكان يبدو في فنهم حينذاك بعض الصفات المعينـــة التي تميز آثار الحيثيين

والآشوريين • وقد تسربت من هذه الطريق نفسها في اتجاه عكسي تاثيرات أجنبية دخلت بلاد بابل : ففي نحو نهايه الألف الثالثة تمكن العموريون ــ بعــد أن تسربوا ببطء ــ من أن يستولوا على السلطة ويحققوا وحــدة الامبراطورية • وبعد ذلك يأتي الحيثيون ويحطمـــون قوتهم ولــكنهم لايتمكنون من ابادة أعمالهم •

أما في الشــمال ففي نهاية الألف الثالثة أقامت بابل حاميات في المدن التي أخذ يزداد فيها سلطان آشور فأخضعتها فترة من الزمن • وفي الشرق تقع وراء نهر دجلة منطقة جبلية غنية بما فيها من أحجار ومعادن ، كانت تسكنها أقوام كان الكفاح ضدها مستمرا وان اختلفت نتائجه •• فقد تمكن واحد ممن يحملون اسم سرجون ، وآخر ممن يحملون اسم نرام سن وثالث ممن يحملون اسـم دونجي أن يفرضــوا عليهم سـلطانهم ويخضعوهم تحت نير حكمهم ولكن ذلك كان له رد فعل فقد سيطر اوان Awan ، وجوتيوم Goutioum على جنوب الســهل وأسس العيلاميون مملكة في لارسا واستقرت أسرة كاسية Kassite أكثر من خمسة قرون في بابل ثم خرج أخيرا من هذه المناطق كورش Cyrus الانزني الذي كان مقدورا له أن يحطم الامبراطورية البابلية الجديدة •

الفصل الثاني

الســـكان والأسرات

كان يقطن هذا السهل جنسان مختلفان : ففي الجنوب سـكان غير ساميين ، وفي الشمال ساميون · فمن كان أول الوافدين ؟ وهل كان عليهم أن يتخلوا عن جزء من أرضهم ؟ وليس لهذا من ذكر في التواتر ، وكل ما يشير اليه هذا التواتر لايعدو أن مدينة من الشمال ، أو مدينة من الجنوب ، أو مدينة أجنبية في بعض الأحيان ، ـ قد غزت مجموعة المدن وأصبحت تمارس سلطة غير ثابتة سرعان ما تزول وتفنى · وتشهد وثيقة تعد من أقدم الوثائق بتدخل أحد ملوك كيش ـ وهي مدينة تقع في الجزء الشمالي ـ بين أهالي أوما Oumma وأهـالي لاجـاش وهمـا من مدن المجموعة الجنوبية ·

وكان يسمى غير الساميين بالسومريين نسبة الى سومير وهو الاسم الذي أطلقه جيرانهم الساميـون على اقليمهم وفي كثير من الأحيـان في الوثائق القديمة يطلق أيضـا على هذه المنطقة المسـماه كنجي Kengi باللغة السومرية اسم بسيط وهو « كلم » Kalam « القطر » تمييزا لها عن كوركور Kourkour « الأقطار » وهو تعبير يطلق بصفة عامة على كل العالم الآهل بالسكان ولكن على الأخص على كل ما يخرج عن نطاق سومير من عالم خارجي · وقد أطلق انشاكو شانا الأول Enshakoushana على نفسه « سيد سومير وملك القطر » وبعد ذلك بما لايقل عن قرنين من الزمان اتخذ لوجالزا جيسي من أوروك Lougalzaggisi d'ourouk (القرن ٢٩) لنفسه لقب « ملك القطر » بعد ان جمع تحت سلطانه جميع مدن المنطقة ونصبته الآلهة ـ على حد قوله ـ نائبا لها في هياكل ســـومير وقد امتد سلطانه فشمل نبور ـ وهي العاصمة الدينية والمدينة التي تقع في أقصى الشمال ـ وأور Our وأوروك Ourouk ولارسا Larsa · وكانت لاجاش تكون جزءا من هذا الاقليم وقد طلب جوديا Guudea أحد أمرائها من الآلهة ان تصبح « سومير على رأس الأقطار » وحصل من اله مدينته على تأكيد بأن يسيل الزيت في سومير بغزارة عند ارساء أسس معبده وفي عصر أقدم من ذلك ورد في معاهدة الســلام التي فرضـــها اياناتوم Enantoum من لاجاش على أهالي أوما ذكر الهه كش Kesh بين آلهة

سومير التى تتقبل قسم المقهورين وتدخل مدينتا شوروباك واريدو Shourouppak & Erldou في هذه المنطقة كذلك ·

أما الساميون فكانت لهم مدن بابل Babylone ، سيبار Sippar ، كيش Kish ، اوبيس Opis ، اكشاك Akshak كوتا Koute ، آكد Akkad أو اجاده Agadé وهذه المدينة الأخيرة التى أسسها أو قام بتجديدها سرجون فى القرن التاسع والعشرين أطلق اسمها على كل الاقليم الشمالى وسمى السكان بالأكديين واصبح سرجون الاكدى « ملكا للقطر » عندما أتم اخضاع البلاد بعد أن قبر لوجازا جيسى ولكن يبدو أن ملوك أور هم أول من اتخذ فى القرن الرابع عشر لقب « ملوك سومير وأكد » وقد ظل هذا اللقب باقيا حتى فى نقوش كورش Cyrus بعد سقوط الامبرطورية البابلية الجديدة · وقد جمع الملوك العموريون الذين أسسوا أسرة بابل الأولى تحت سلطان واحد وبصفة نهائية المنطقتين وأصبح الجنس السومبرى مضمحلا متلاشيا الى حد كبير خلال كفاحه ضد عيلام : ودمرت النار لاجاش واوما وشورروباك وكيسورا واداب ، ـ فلم تقم لها قائمة واختفت اللغة السومبرية ولم تعد باقية الا فى الطقوس الدينية وأطلق اسم آكد على القطرين وأصبحت الوحدة الجغرافية تتجاوب مع الوحدة السياسية · وعندما أخذت تتكون بعد ذلك بقليل سلطة مستقلة فى منطقة الجنوب لم تدع لنفسها الصفة السومبرية وانما قالت عن نفسها انها قامت فى « قطر البحر » ·

ولا يوجد تاريخ ثابت عن المدة التى تسبق الأسرة البابلية الأولى · وأقدم تاريخ مضبوط أثبتته الأرصاد الفلكية هو تاريخ حكم اميزادوجا (١)

---

(١) كان الأب كوجلر Kugler قد حدد عام ٢٢٢٥ لبدء الأسرة الأولى البابلية وذلك كنتيجة لسلسلة من الأرصاد الخاصة بخسوف كوكب الزهرة فى عصر الملك اميزادوجا Ammizadouga وخاصة ذلك الخسوف الذى حدث فى السنة السادسة من حكمه والذى يعد من بين التواريخ التى يعتبرها معروفة وهو من أجل ذلك يرجع هذا الخسوف الى عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧١ ق·م · الا أنه عاد فغير رأيه فى كتاب « من موسى الى بولس Von Moses bis Paulus p. 497 صفحة ٤٩٧ » اذ أدخل فى حسابه بعض الاعتبارات المتعلقة باوقات جنى المحصولات طبقا لما ورد فى ألواح ترجع الى نفس العصر وعلى هذا الأساس حدد عام ١٧٩٦ ـ ٩٥ بدلا من عام ١٩٧٢ ـ ٧١ · ولقد ترتب على ذلك أن حذف من عصر الأسرة الأول ومن كل ما سبقتها من أحداث مقدار ١٧٦ سنة · ومعنى هذا أن تبدأ الأسرة الأولى عام ٢٠٤٩ · ق·م وهو تاريخ شديد القرب من عام ٢٠٥٧ الذى يحدده « فيدنر Weidner » لبدء نفس الأسرة طبقا لاعتبارات أخرى · اما الفلكى « فوذرينجام Fotheringam » الذى اورد ذكره « لانجدون Langdon » وفى كتابه (Oxford Editions of Cuneiform texts, t. II, 1923, p. 111) فانه لا يقبل الرأى الأول للأب كوجلر عن تاريخ =

Ammizadouga وهو الملك الذى يسبق آخر ملوك العموريين وأهم المصادر التى تعين على تحديد التأريخ النسبى هى أولا : نقوش ونصوص الملوك الأقدمين أنفسهم التى عثر عليها فى أطلال المدن القديمة فهى تورد أسماء وتسلسل أنساب الأمراء الذين حكموا مدنا أخرى · ونستطيع أن نستنتج منها ترتيب مدد الحكم وتوافقا زمنيا فى نشاط المراكز المختلفة · يضاف الى ذلك التواريخ الماخوذة من الالواح الصغيرة الخاصة بالحسابات والقوائم التأريخية التى حررها الكتبة الأقدمون · وطريقة تعريف كل سنة بحدث من الأحداث لها فضلها فى تزويدنا بمعلومات قيمة ولكنها لاتخلو من مضايقات للمعاصرين لأنهم اضطروا الى الالتجاء الى مجموعة اصطلاحات وأسماء خاصة بالسنوات ولما كان لكل مدينة تقويمها الخاص بها عندما لاتكون خاضعة لسيطرة مدينة أخرى فان هذه القوائم كان يجب أن تعمل وتحفظ بعناية · وقد ذكر فى ألواح صغيرة عثر عليها فى نبور كتبت فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد نظام تعاقب أقدم الأسرات وهى اذا أضفناها الى غيرها من النصوص تمدنا بحلقة تكاد تكون متصلة منذ عصر سابق على أقدم الكتابات والنصوص العتيقة · ولما كانت تواريخ الأسرة الأولى البابلية قد حددت فى التقويم العالمى فقد أصبحت سنة ٢٢٢٥ هى تلك السنة التى اسس فيها سوموابوم Soumouaboum الأسرة الأولى · وتوجد لوحة صغيرة بمتحف اللوفر ذكر فيها تأريخ أسرة حكمت فى لارسا ٢٦٢ سنة وانقرضت فى السنة التاسعة والعشرين من عصر حامورابى أى عام ٢٠٩٥ وعلى ذلك يكون بدء هذه السلسلة من الملوك يرجع الى عام ٢٣٥٧ بالضبط وهذا يسمح بتحديد تواريخ الحوادث الخاصة بأسرة معاصرة استقرت فى ايسين Isin خلال ٢٢٥ سنة تقريبا اللهم الا اذا كان هناك شك فى السنة الأخيرة فقد بدأت بين سنتى ٢٣٥٧ و ٢٣٥٢ وقد وقف العلماء مؤقتا عند أول هذين التاريخين · وقبل أسرة ايسين Isin تذكر ألواح نبور مباشرة أسرة أور الثالثة وتخصص لها ١١٧ سنة على أنه يوجد خطأ فى الملك الرابع فقد حسب لحكمه سبع سنوات على حين تثبت الوثائق المعاصرة أنه حكم سنتين بالاضافة الى ما سبق · أما الأمر فيما يتعلق بملك آخر يدعى دونجى Doungi

= ١٩٧٢ ـ ٧١ ويعلن استحالته من الوجهة الفلكية كما يرفض ايضا قبول التصحيح المقترح وفى اعتقاده أن السنة الوحيدة التى يمكن أن تتطابق مع الوقائع الواردة فى الوثيقة المسمارية للعام السادس من حكم الملك « اميزادوجا Ammizadouga » هى ١٩١٦ ـ ١٥ ومن ثم فان بدء الأسرة يقع فى عام ٢١٩٦ · واذا كان الأمر كذلك فيجب حذف ٥٦ سنة من تاريخ هذه الأسرة وما سبقها من أحداث · ولكن قبل التعجل بتعديل التاريخ المعمول به فى فرنسا يحسن الانتظار حتى يتم الاتفاق بين الفلكيين أو الى حين ظهور كشوف جديدة فى عالم الآثار الأشورية ·

فعلى العكس من ذلك ، اذ بينما حدد لحكمه ٥٨ سنة يبدو فى الوقت نفسه أن قائمة تأريخ من عصره (ناقصة للأسف)لاتفسح المجال لمثل هذا العدد الكبير من السنين • ومهما يكن من شيء ومع التحفظ الشديد فيما يتعلق بالخمس والعشرين سنة لحكم ايبى سين Ibi-Sin الملك الأخير فانه تظل لدينا حدود تقريبية لهذه الأسرة أى حوالى ٢٤٧٤ ــ ٢٣٥٨ • وقبل ملوك أور نجد أن حكما أجنبيا ل « جوتيوم » Goutioum اعترض بين أسرتين من أوروك كان أمد كل منهما قصيرا • فاذا ممرنا الى أبعد من ذلك عرضت لنا فى الحال أسرة أجادة التى حـــكم ملوكها الاثنا عشر مدة ١٩٧ سنة (حوالى ٢٨٤٥ ــ ٢٦٤٩) وقد أقام سرجون مؤسس هذه الأسرة مملكته على أنقاض قوة لوجا لزاجيسى من أوروك ملك سومير خلال ربع قرن من الزمان وقد تغلب هذا بدوره على أورو كاجينـــا Ourou Kagina من لاجاش

(١) هناك قائمة جديدة للملوك منذ بدء البشرية حتى أسرة « ايسن Isin تضمها مجموعات متحف الأشموليان ولقد نشر هذه القائمة حديثا لانجدون Oxford Langdon فى كتاب Epiticns of Cuimeiform Texts T. 11 1923.

والنص الذى تكون من تجميعات لبعض اللوحات المهشمة والتى كانت معروفة فيما سبق لم يحدد تماما مكان الأسرة الثالثة فى كيش والأسرة الثانية فى أوروك بالنسبة الى الأسرة فى حمازى والأسرة الثانية فى أرو من ناحية والأسرة فى مارى والأسرة فى اكشاك من ناحية أخرى (قارن الجدول على صفحة ٦٥) ولقد تمكن (انجناد Ungnad) معتمدا على بعض الاعتبارات الخاصة بترتيب أجزاء هذا النص ، من أن يقتنع بامكان اضافة الأسرة الثالثة فى كيش بعد الأسرة فى حمازى ، هذا مع أن الوثيقة الجديدة تضعها على العكس بعد الأسرة فى مارى وتحدد الأسرة الثانية فى أوروك بعد الأسرة فى حمازى •

وهكذا فان هذه الوثيقة قد حددت تماما تتابع الأسرات كما ذكرت أسماء معظم الملوك ومدة حكم كل منهم بل وعصر كل أسرة ، الا اننا لازلنا نجهل القاعدة التى اتبعت فى تكوين الأسرات فمثلا لم يرد ذكر بعض الأمراء ممن كان لهم شـــأن كبير مثل « مسيليم » • وهناك النصوص التى تتحدث عن الأسرة الأولى فى « أور » والتى كشف عنها حديثا فانها لا ترجع فى تاريخها الى العصور السحيقة بل من المرجح أنها كتبت حوالى عصر الملك « اورنينا » وفى الواقع ، فان النصوص المعاصرة هى فقط التى كانت تسمح باضافة أسماء بعض الامراء فى قوائم التاريخ الذين اعتبروا من بين أفراد الأسرات الاسطورية فى حين أنهم عاشوا فى عالم الحقيقة •

ولقد أبلغنى « فيدنر Weidner بقرب ظهور مؤلف عن قائمة جديدة للأسرات محفوظة فى متحف برلين وهو يعتقد أن هذه القائمة سيكون فيها الحل الجزئى لهذه المسألة •

(٢) فى أطـلال مدينـة كـيش (حيث قـام « جنسوياك H. de Genouillac » الفرنسى ببعض أعمال الحفر فى موسم شتاء ١٩١١ ــ ١٩١٢ مبعوثا من وزارة المعارف العمومية الفرنسية) عثر « لانجدون » مدير الحفائر الذى أرسلته كل من جامعتى اكسفورد وشيكاغو فى مارس سنة ١٩٢٤ على عدة آلاف من الألواح التى ترجع الى عصر بدء الأسرات محفوظة بعناية فى قدور • ومن المعروف أن بعض هذه اللوحات يرجع الى عصور أقدم من عصور كل النصوص التى نشرت حتى الآن ويظهر أنها ستمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ سومر وأكد قبل الألف الثالثة • أما « دى جنوياك » فهو يعد حاليا مؤلفه عن الألواح التى كشف عنها •

وابتداء من هذا الملك توجد وثائق معاصرة نسمح بالذهاب الى أبعد من هذا حتى نصل الى أور ــ نينا Our-Nina · وأقدم أثر منقوش يتضمن واقعة مؤكدة هو رأس دبوس حلي برسوم الحيوانات مقدم للاله نينجرسو Ningirsou حامي المدينة والكتابة التي عليه معناها ان ميسيليم Mésilim ملك كش مشيد معبد نينجرسو قد أقام « هذا » من أجل نينجرسو عندما كان لوجال‍ـشاج‍ـانجور Lougal — Shag — engour ايشاكو (١) مدينة لاجاش ·

وفي هذا العصر العتيق يكون أحد ملوك المنطقة الأكدية قد قام بعمل من أعمال السيادة على مدينة من الجنوب وبنى فيها معبدا وفي نيبور يوجد أثر نذره للاله انليل Enlil ايشاكو من كيش يدعى اوتوج Outoug وعليه كتابة أكثر امعانا في القدم ·

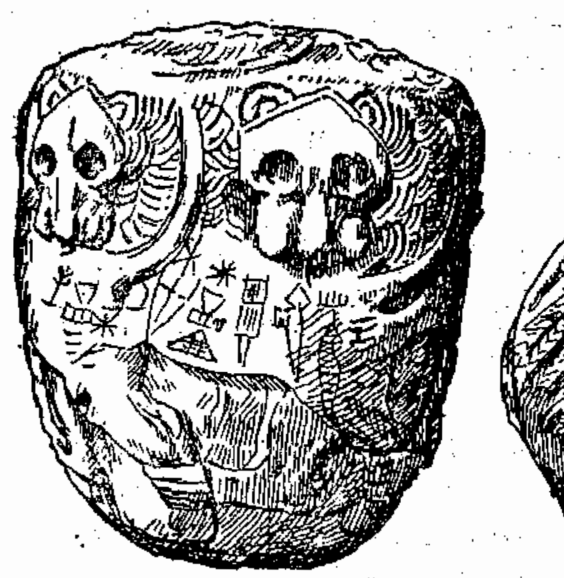
فاذا أردنا الذهاب الى أبعد من ذلك فان الوثائق المكتوبة المعاصرة تعوزنا تقريبا بحيث نضطر اضطرارا الى أن نلجأ الى روايات الخلف المتداولة · فالسومريون والاكديون (ربما وفد الأولون من الجبال الواقعة الى شرق دجلة والآخرون من سوريا) نسوا فيما يبدو المناطق التي وفدوا منها في الأصل واعتقدوا أنهم من أصل هذه البلاد نشأوا في وادي الفرات أصلا · فالعصر الأسطوري يشمل أولا ٦٢ مجموعة من السنين (٢٢٣٢٠٠ سنة) لم يكن فيها ــ طبقا لما رواه بيروس Bérose ــ رؤساء ·

---

(١) لا يعرف ما يقابل هذا اللقب في اللغات الحديثة لانه كان لقبا مدنيا ودينيا في الوقت نفسه يجمع صاحبه بين السلطتين الدينية والمدنية وربما كانت له من الاختصاصات ما كان للخليفة في الاسلام (المترجم) ·

(٢) أمدتنا وثيقتان من الوثائق المحفوظة في متحف الأشموليان نشرتا حديثا باسم كل ملك ومدة حكمه ومدينته من الملوك السابقين على الطوفان ، فالوثيقة (W. B 62, XI, 1923) تشير الى عشرة ملوك حكموا في ست مدن خلال مدة قدرها ٤٥٦٠٠٠ سنة ــ والوثيقة W. B. 144 (Editions of Cuneiform texts, II, 1924) (Oxford تذكر ثمانية ملوك فقط حكموا في مدن كان من المعروف أنها المدن الوحيدة التي أسست قبل الطوفان وهي : أريدو ، بادتيبيرا ، لاراك ، سيبار ، شوروباك · ولم تذكر هذه الوثيقة اسم الملك الذي حدث في عصره الطوفان · ولا يتعدى المجموع الاجمالي لسني حكم هؤلاء الملوك أكثر من ٢٤١٢٠٠ سنة · وهناك قائمة أخرى لم تنشر بعد أشار اليها « فيدنر Weidner » في مجموعة ألواح أشور ·

ولقد حلت مدينة بابل محل أريدو وكانت على رأس القائمة في الروايات التي أخذ عنها « بيروس Beose » ويبدو أن الوثيقة التي استخدمها تعرضت للاصلاحات والتهذيبات في عصر حمورابي · وأن الدراسات التي قام بها المحدثون للأسماء الملكية لا يستحق معظمها سوى الاهمال · فلا ينبغي مثلا اعتبار Xisoutbros كنطق محرف للاسم البابلي Atra-hâsis بل انه خطأ في الكتابة والقراءة · وهذا الاسم Xisoutbros يمثل النطق Zi Sorudda وهو الصيغة الذي اشتق منها الاسم السومري Ziousouddou





شكل (٢) كتلة نذر لمسيليم (اللوفر ، تللو)

ثم تعاقب بعد ذلك عشرة ملوك خلال عصر بلغ مداه ٤٣٢٠٠٠ سنة هم الورس ملك بابل والحكيم الباروس (أو ادابا روس أو ادابا بطل احدى الأساطير) واميلون صاحب بانتيبيبليا (سيبار ؟) الذى هناك تقارب (٢) بين اسمه وبين الكلمة السامية اميلو (بمعنى رجل) ثم امينون العامل الماهر (أومانو (٣)) ثم ميجالاروس وداؤونوس الراعى أو « داوس » فى ابدين وربما كان الاسم مشتقا من لفظة بدائية هى راوس التى تقابل اللفظة الأكدية رى عو (راعى (١)) ثم افيدورانكوس وهو انميدورانكى بالسومرية ومعنى اسمه « سيد القرارات فى جميع أنحاء السماء والأرض » وهو الذى كشف الالهان شمش وأداد عنه الحجاب وأنبـاه بالغيب • ثم امنبسينوس ملك لاراك ثم أوبارتس من لاراك وهو فى السـومرية أوبارتوتو وأخيرا ابنه كسيسثروس الملقب فى السومرية ب « زى ـ أوسودو » ، وفى البابلية « اوتا ـ نا ـ بشتيم » • أما اسمه اليونانى فهو مكون من تداخل عنصرين من اسمه البدائى اترا ـ هاسس • وقد حكم اكسيسوثروس مدى ٦٤٨٠٠ سنة • وقد قرر الآلهة فى عصره ان يهلكوا البشرية وان يغرقوها بالطوفان • والقوائم الملكية التى سلف ان أشرنا اليها تعدد تسلسل بقية الأسرات التى تعاقبت فى سومير وآكد منذ الطوفان حتى ملوك ايسين Isin .

---

(١) X, 1893, p. 243

(٢) نفسه • p. 244.

(٣) LV. p. 130,

وقد كانت عشر مدن كل في دورها عاصمة لامبراطورية صغيرة أو متسعة الأرجاء وقد ذكرت أسماء ١٢٣ ملكا قبل أسماء ملوك ايسين وقد فرض الأجانب حكمهم أربع مرات : اوان Awan وهامازى Hamazi من مدن عيلام وماري (Mari) (Ouerdi) وهى مدينة واقعة عند الفرات الأوسط ثم جوتيوم Goutioum .

وقد تتابع على حكم كيش وهي مدينة في الشمال ثلاثة وعشرون أميرا في فترة خيالية تقع في مدى أكثر من ١٨٠٠٠ سنة • وقد رفع نسر أحدهم وهو ايتانا البطل الالهى لاحدى الأساطير - الى السماء •

وقد كانت عاصمة الأسرة التالية في أوروك Ourouk في سومر وقد مجدت الأجيال التالية - كاله - الملك الثالث لوجال ماردا Lougal-marda وخليفته دوموزى Doumouzi (تموز Tammouz) إله الانبات وعشيق الالهة عشتار Ishtar وقد تولى الحكم من بعدهم جلجامش Gilgamesh الذى يمثل العظمة السومرية وهو بطل ملحمة رائعة خلد ذكره فيها عدة أمراء من أجل المنشآت التى أقامها في المدينة • وبعد عدة أسر أخرى (١) نصل الى العصر التاريخى الذى لدينا عنه وثائق مكتوبة ومعاصرة •

والواقع أنه لايمكننا أن نصل الى ما قبل مسيليم ملك كيش يأكد ذلك الأمير الذى مد سلطانه على سومر فقد كان يتدخل - عند وجود خلاف بين مدينتين متنافستين - بوصفه ملكا ويعيد بينهما السلام • وقد ذكر انتيمينا Entéména من لاجاش انه اضطر الى ممارسة السلطة المخولة له بوصفه ملكا في خلاف دب بين بلده لاجاش وبين أوما فرسم بينهما الحدود وأقام عندها لوحة تذكارا لمعاهدة السلم بينهما ولم يكن تدخله هذا - تبعا للعقائد الدينية في ذلك العصر - الا بناء على أمر الهة كيش بقصد تسجيل نص المعاهدة التى وضع تفصيلاتها الآلهة بعد ان أمر انليل الاله الأكبر لسومر آلهة لاجاش وأوما بأن يسود السلام بين البلدين وأن تثبت الحدود المشتركة بينهما •

وكان أورنينا مؤسسا لأسرة محلية في لاجاش ويظهر أن هذا الأمير لم يكن ذا ميول حربية وتشير كل النصوص الخاصة به الى أعماله السلمية : فهو يرمم الأسوار ويشيد أو يعيد بناء المعابد والعمائر العامة الأخرى ويكرس التماثيل للآلهة ويشق القنوات وقد كرس احداها

---

(١) بدلا من « ١٨ الف سنة » تقرأ : « ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف » وهو الرقم الكامل •

(٢) XIII, 1921, p. 241 et suiv XXIV b, t. I.



شكل (٣) اورنينا وعائلته (متحف اللوفر ـ تللو)

ل « انليل » اله سومير الأكبر • وقد شــــيد في حي جرسو Girsou مخزنا للغلال عثر على جزئه الأسفل • وقد أمر أن يمثل فوق ألواح منحوتة وهو يحمل سلة بها أدوات محوطا بأفراد عائلته وحاشيته • وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة واحضارها عن طريق الماء لاستعمالها أبوابا وسقوفا للمنشآت • وكان حكمه عصر يسر وتقدم لمدينة لاجاش •

وقد خلفه ابنه اكورجـــال Akourgal ولكن يظهر أن اياناتــوم Eanatoum أخذ مكانه ووجد نفسه مضطرا الى اصلاح حي جرســـو واعادة بناء حي نينا وكذا سور المدينة المقدسة • ويظهر أن ذلك كان نتيجة للأضرار التي لحقت بمدينة لاجاش في عصر أكورجال • ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأمير تخلى عن لقب ملك واسترد لقب ايشاكو •

وقد أزال اوش Oush ايشاكو اوما ـ بناء على أمر الهه المسمى شارا ـ لوحة مسيليم دون استفزاز أهل لاجاش ، وفسخ المعاهدة التى سبق ابرامها بحضور جميع آلهة سومير وغزا جويدين Gouédin وهى أراضي نينجرسو Ningirsou المقدسة • فأمر اله لاجاش ، نائبه بأن يدافع عن نفسه وانحاز انليل اله سومير الاكبر الى جانب ايانتوم ومع ذلك فان اللجاشيين لم يدخلوا الحرب فورا لأنه يظهر أن الهجوم كان غير

وقطعان الماشية والأسلاب الى أوما فأعد اياننوم العدة بعناية بقصد الانتقام متوقع وكان عبارة عن غارة خاطفة نهبت فيها القرى وحرقت واقتيد العبيد من هذه المهانة وتوجه الى معبد نينجرسو واستلقى ووجهه الى الأرض فظهر له الإله في الحلم ووعده بالنصر ومعونه اله الشمس ولما علم الاوميون بمقدمه بادروا الى الخروج لمقابلته قبل أن يقترب بقصد حماية حقوقهم كي تكون الموقعه على اراضي لاجاش • وقد كانت المعركة عنيفة والمذبحه مروعه ••• ولكي ندرك أهميتها نذكر أن عدد القتلى الذين تركوا في ساحة الوغى بلغ ٣٦٠٠ كما يقدر ذلك البلاغ الرسمي • وقد تراجع الاوميون ووصل اللاجاشيون تحت أسوار مدينتهم وحاولوا الهجوم ونجحوا فى اجتياز الأسوار فبدأت المذبحة من جديد وساد الدمار والخراب فاستسلمت أوما استسلاما واستحالت جثث جندها طعاما للطيور الكاسرة على حين جمعت جثث جنود لاجاش واحتفل بدفنها في عشرين موضعا في السهل احتفالا جنزيا • وقد شق اياننوم في حدود المقاطعتين قناة هي خط الحدود بينهما : وهي في نفس الوقت حاجز ضد أي هجوم جديد كما أعيدت اقامة لوحة مسيليم على الضفة واقيم بالقرب منها نصب تذكاري لمعاهدة السلام الجديدة وفرض على أوما أن تدفع جزية من الغلال طلبت لاجاش تقديمها فورا • وقد ثبتت المعاهدة بالقسم ووضعت تحت حماية الآلهة وأقام اللجاشيون مقاصير للصلاة تمجيدا للمعبودات التى عاونتهم كما أقاموا نصب النصر المعروف تحت اسم « شاهد العقبان » (١) ولم تكن هذه المعركة ضد اوما أول حلة لا يانتوم فقد هزم عيلام من قبل وكذلك اوروا واسر الايشاكو الذى كان على رأسها وعرضه على بوابة لاجاش لسخرية الرعاع • وقد استولى على اوروك في حملة رابعة ثم سقطت عقب ذلك اور Our وكى بابار Ki-babbar وامتد سلطانه عقب ذلك على سومر جميعا ثم هجم خارج حدود البلاد على اوروواز Ourouaz ومشيمة Mishimé واروا Aroua ونهب محتوياتها وحرقها • وقد اقلق نجاح ملك لاجاش بال زوزو Zouzou ملك اكشاك فتوجه للهجوم عليه في أراضى الاله نينجرسو ، ولكنه رد على أعقابه وطورد جيشه حتى اسوار عاصمته وأبيد • وهكذا سقط فى يد اللجاشيين قطاع كبير من الاقليم الشمالى ونادت الالهة اينانا Innana بواسطة كهنة هيكلها باياننوم ملكا على كيش •

وقد انتهزت فترة السلام التى أعقبت ذلك لشق قناة تغذى حوضا وقد بلغ الازدهار حدا دفع الى القول بأنه « في هذا العهد كان نينجرسو يحب اياننوم » ولكن يظهر ان السنوات الأخيرة من حكم هذا الأمير طرأت

(١) راجع شكل ٨ •

عليها كآبة بسبب حرب جديدة ضد عيلام وفقد إيانتوم على التوالى لقب ملك كيش ثم لقب ملك لاجاش وعاد مجرد ايشاكو وقد وصل به الأمر عندما اهدى للالهة نينا جرنا ان ناشدها « الا ياخذه ملك كيش » .

ومات دون أن يترك نسلا فخلفه آخوه اناناتوم الأول Enanatoum I وجددت أوما الصراع وقامت بهجوم عنيف وحدثت معركة غير حاسمة على أرض لاجاش وخلال حكم انتمينا Entéména حاولت آوما مرة أخرى أن تخلع النير ولكن « الايشاكو » الخاص بها طورد الى المدينة وقتل بالسلاح وولى العرش مكانه أجنبى .

ومنذ عهد اناناتوم الأول كان الكهنة يبسطون نفوذهم الى حد كبير ونقش اورهالوب Ur-Halub اسمه الى جانب اسم الملك ، كما أن دودو Doudou نفسه كرس للاله ــ الذى كان هو كاهنه الأكبر قائما لدبوس كانت نقوشه البارزة تزينها صورته وشعار المدينة ، مما يذكر بما سبق أن نحتــه اورنينــا Our-Nina وحين قدم ستمائة من العلاميين كى يجتاحوا اقليم لاجاش فى حكم ايناناتوم الثــانى نرى أن لوينــا Louénna كاهن ننمــار Ninmar الذى قــام بصــدهم لم يخبــر الأمير مباشرة بنجاحه بل نراه يوجه رسالة الى انيتارزى Enetarzi كاهن ننجرسو . وقد استولى انيتارزى هذا على العرش وخلفه الكاهن انليتارزى Enlitarzi كمــا أن ابن هذا الأخير واسمه لوجالاندا Lougalanda كان هو نفسه ايشاكو مدى بضع سـنوات وقد أساء هؤلاء المغتصبون استغلال مراكزهم واخذوا على عاتقهــم تعديل القوانين والعادات بما يتفق ومصالحهم الخاصة . وقد تبع هذا رد فعــل فخلع لوجالاندا وحل محله أوروكاجينا Ouroukagina الذى استعاد لقب ملك بعد عام أو اثنين على أكثر تقدير . وقد أصلح هذا الأمير المساوىء وتشهد نقوشه بذلك كما أن لوحات الحســابات تؤكد صحة النصوص الرسمية وتكشف مجموعة هذه الوثائق عن الحياة الحقيقية لمدينة سومرية فى بدء الألف الثالثة (١) .

وقصة اصلاحات هذا الأمير ــ وهى مكتوبة فى أسلوب أدبى رائع ــ تصف أولا حالة السكان السيئة « منذ أقدم العصور ــ منذ البداية » ... تصف الجور الذى كانوا فرائس له وكذا الظلم الذى كانوا يقاسونه . ثم يسرد الأمير اصلاحاته ويفاخر فى النهاية بأنه « وطد دعائم الحرية » فى المملكة (٢) . وكان كبار الموظفين قد بلغوا من الفساد مداه محتذين

(١) Cf. LI.

(٢) LXXVI, p. 74.

حذو الايشاكو ولقد اتبع كبار رجال الدين عادة اشراك الأمير واصحاب المناصب الكبيرة فى اقتسام ايرادات المعابد من شعير وملابس وفاكهة حتى يضمنوا لأنفسهم الامن حين يمرصون الجوز على الشعب : « كان الكهنة يقتلعون الأشجار من حدائق أم الفقير ويستولون على فاكهتها » « ولم يعد الكهنـــة يدخلون حـــدائق أم الفقير ولم يعودوا يقتلعون أشـــجارها أو يسلبون فاكهتها » « كانت ثيران الاله تستخدم فى رى الأراضى الممنوحة للايشاكو وكان الكهنة يوزعون الشعير على رجال الايشـــاكو ويحضرون ـ كجزية ـ الملابس والقماش والطيور والماعز » « أما فيما يختص بالجزية التى كان يحضرها الكهنة الى القصر فقد سحب المشرف عليها من وظيفته ٠ والى بيت الايشاكو والى حقله أعاد وضع الاله ننجرسو سيدهم كما أعاد الى بيت زوجـة الايشـــاكو والى حقل الزوجـة وضع الالهة باوو Baou سيدتهم وكذا أعاد الى بيت الأولاد وحقـــولهم وضع الاله دونشـــاجانا Dounshagane سيدهم » وقد فصـــل الموظفون الزائدون عن الحاجة أما الآخرون الذين لم تشب تصرفاتهم الرسمية شائبة فقد استبقوا فى وظائفهم فذكر منهم الناظر انيجال Eniggal « كاتب بيت الزوجة (زوجة الايشاكو) منذ السنة الثانية لحكم لوجالاندا الذى صـــار « كاتب الالهة باوو » واستمر يستمتع بثقة الأمير ٠ بل ويشهد عدد كبير من لوحات الحسابات على نشاطه فى ادارة مشروعات الدولة الكبرى ٠ ولقد حدد « اوروكاجينا » دخل رجال الدين : فمن كان يتناول عن عمل الدفن سبعة أوان من المشروبات المتخمرة و ٤٢٠ رغيفا و ١٢ (قا) من الحبوب ورداء وجديا وسريرا ٠٠٠ أصبح لايحق له أن يتناول سوى ثلاثة أوان من المشروب وثمانين رغيفـــا وجـديا وسريرا ٠٠٠ ومن كان يخصص له ٦٠ (قا) من الحبوب خفض نصيبه الى النصف ٠ وقد كان العرافون موظفين مأجورين فى المعابد ولكنهم اعتادوا أن يتناولوا أجـــورا مقابل أداء خدماتهم الا أنهم أكرهوا على العودة الى ســـابق العهد واعطـــاء استشاراتهم بالمجان ٠ وقد حظر على الأغنياء اساءة استعمال السلطة ٠

وعندما أراد أوروكا جينا أن يضع فى القانون نصا يلزم الجميع بدفع ثمن ما يريدون امتلاكه من منقول أو عقار ويمنعهم من الحصول عليها بالقوة اختار حالة مملوسة الحمار أو البيت « اذا ولد جحش جيد لأحد رعايا الملك وقال له رئيسه : « أريد شراءه » وكان يعتزم حقا شراءه فان عليه أن يقول له « ادفع نقدا » وفى حالة ما اذا كان لايريد الشراء فعلا فان الرئيس لايجوز له أن يأخذ الحمار » ٠٠٠ وعلى هذا استطاع كل شخص ان يستمتع بالحرية حسب مركزه ٠

وقد مثل أوروكاجينا نفسه في النقوش كذلك كملك بناء : فهو يخلد ذكرى اعادة تشييد عدة معابد وخاصة معبد انينو Eninnou حيث هيكل ننجرسو • وتبين بعض البطاقات ، على هيئة الزيتون المثقوب ، مدى العناية التى بذلت خلال حكم هذا الامير بقصد اخفاء الاشياء الثمينة ، الخاصة بالمعابد والآلهة وكبار الموظفين فى برج من أبراج السور وربما كان ذلك في الوقت الذى أراد فيه الأوميون رفع النير عن أنفسهم فاجتاحوا المدينة تحت قيادة « الايشاكو » الخاص بهم لوجال زاجيسى Lougalzaggisi ممزقين المعاهدة التى أملاها عليها انتمينا وأعملوا فى البلاد حرقا وسفك دماء فتحطمت ملكية لاجاش وكتب أحد الكتاب بعد فترة قصيرة مرثية عن خراب المدينة هى احدى روائع صفحات الأدب السومرى •

وتبين القوائم الملكية التى وضعت في القرن الحادى والعشرين أن لوجالزاجيسى هو الملك الوحيد في الأسرة السادسة عشرة وأنه تولى الحكم حوالى خمسة وعشرين عاما (حوالى ٢٨٧٠ ــ ٢٨٤٦) وقد ذكرت قبله الأسرة الرابعة لـ « كيش » ــ وليس اوروكاجينا الذى يظهر أن سلطته لم تمتد الى أبعد من مدينته نفسها •

وبعد انتصاره على لاجاش استولى ايشاكو أوما على عدة مدن من سومر ونادى بنفسه ملكا على البلاد وكاهنا لـ « أنو » Onou في أوروك وقد تنازل عن لقبه القديم « ايشاكو أوما » ولكنـــه احتفظ بلقب كاهن نيسابا Nisaba وسقطت نبور فى يده وأصبح الايشاكو الأكبر لأنليل الذى كرس له بعض أوان من الحجر وتمثالا • « أخضع انليل البـــلاد لسلطانه وقد فتح البلاد جميعها من الشرق الى الغرب » وحارب حتى الخليج الفارسي وأغار نحو الشمال الشرقى حتى شواطىء سوريا • وقد اهتم من ناحية أخرى بمشروعات المنافع العامة ومنهـــا مثلا مشروع رى لأراضى لارسا • والتمس من الآلهة « ان تمنحه فى كرم جندا مثل عشب الحقل فى كثرته » والا تغير حظه السعيد • وأن تبقى عليه راعيا لشعبه الى الأبد• ويظهر أن سلطانه لم يمتد الى أكد حيث كان يتزايد نفوذ سامى منافس سيوحد الاقليمين تحت صولجان واحد • ثم أسس سارجون أسرة أجاده وهو الذى تمثله أسطورة فيما بعد أنه أتى به الى العالم سرا ووضع فى سلة من القصب مدهونة بالقار على الفرات وانتشله أكى Akki متولى شئون الرى وهو الذى رباه كأنما هو ابن له • وتقول رواية أخرى انه كان فى أول الأمر بستانيا ثم ساكب مشروبات أور ــ زابابا Our-Zababa — ملك من ملوك الأسرة الرابعة فى كيش • وقد سجل انهيار لوجال زاجيسى نقش على قاعدة نصب مشيد فى معبد انليل فى نبور • وقد استولى سارجون على اوروك ، وأغلب الظن أن ذلك قد تم له عن طريق المفاجأة وهدم حوائطها

المحصنة ثم نازل بعد ذلك قوات أوروك وانتصر عليهم • وفى معركة ثانية أسر « لوجال زاجيسى » نفسه واقتاده مكبلا بالأغلال أمام انليل اله سومير الأكبر ليفوز منه بالموافقة على خلع الملك القديم والحصول على لقب الايشاكو الأكبر وبذلك أصبح سيدا على المنطقة الشمالية من سومير • وقد سحق فى حملة أخرى قوات أور وهدم أسوار هذه المدينة ثم سـقطت أراضى لاجاش كلها فى يده ولما وصل الى شاطىء الخليج الفارسى غسل أسلحته فى مياه البحر وفقـا لتقليـد دينى استمر معمولا به حتى آخـر أيام الامبراطورية البابلية • وفى طريق العودة أكمل فتح سومير بالاستيلاء على أوما وهدم أسوارها •

وقد ورد فى النص نفسه كيف أن سارجون أصبح بفضل رعاية انليل سيدا بغير منافس من البحر الأعلى (البحر الأبيض المتوسط) حتى البحر الأدنى (الخليج الفارسى) • وتقدم نقوش أحد التماثيل بعض التفاصيل عن الحالة السياسية فى شمال غرب سومير وأكد اذ تذكر ثلاث ممالك : الأولى — مارى Mari على الفرات الأوسط التى امتد سلطانها فيما مضى حتى الخليج الفارسى وتحالفت أثناء حكم اياناتوم مع كيش ضـد ملك لاجاش ، والثانية يارموتى Iarmouti الواقعة غرب انحناءة الفرات • أما الثالثة فهى ابلا Ibla على منحدرات طوروس • وقد امتد سلطان سارجون خلال هذه الأراضى حتى « غابة الأرز » وهى لبنان أو ما وراء لبنان ثم الى جبال الفضة (طوروس) وقد كان هذا هدف فتوحاته •

وقد كانت بلاده — وهى أرض كثيرة الأمطـار — لاتزود سـكانها بأخشاب البناء ولا بالأحجار أو المعادن • وكان عليهم منذ البدء أن يعملوا على استحضار ما يلزمهم منها من الخارج : اما من الجبال الواقعة شرقى دجلة التى تقطنها شعوب معادية أو من ناحية طوروس ولبنان متبعين فى ذلك الطريق الطبيعى للفرات ومنذ السنة الثالثة من حكمه — حين التمست منه مستعمرة تجار سـاميين فى جانيش (Ganish)-(Gul-tepé) فى كابادوكيا Cappadoce كان يضطهدهم نور داجان Nur-Daggen ملك بورساهاندا Boursahanda — سار نحو هذه المدينة حيث أرسل من هناك الى آكد (١) نوعين من أشجار التين والكروم والورد والنباتات الأخرى •

---

(١) XXXI b fasc. 6.

وقد بنى سرجون ـ أو هو أعاد بناء ـ اجادة أو آكد وهو الموقع الذي لم يمكن تحديده وجعل منها عاصمة لامبراطوريته . وكان بلاطه فخما : وهو يصف أحيانا في تفصيل عدد الأمراء الموجودين في حضرته كما يذكر أحيانا أخرى ان ٥٤٠٠ رجل كانوا يأكلون أمامه كل يوم .

وتذكر نقوش أثر آخر في ايكور Ekour موقعتين انتصر فيهما على عيلام وبارهسي Barahsé وقد مثل بالنحت المهزومون والأسلاب وقبائل المدن التي أخضعت . وقد انتصر كذلك على كازاللو Kazallou الواقعة عند سفح جبال عيلام . ووصلت حملة أخرى الى شيريهوم Shirihoum على شاطىء الخليج الفارسي . ووفقا لروايات العهد البابلي الجديد يقال ان سرجون حمل جيوشه بحرا حتى يذهب لفتح دلمون Dilmoun .

وقد حدثت في أخريات أيامه فتنة عامة وحين حوصر في اجادة استطاع أن يهزم أعداءه وقدم غنيمة ضخمة للالهة عشتار . وقد عاونت سوبارتو Soubartou ـ وهي الاقليم الواقع الى شمال آكد ـ الثوار فهزمت كذلك .

وهنا تذكر بابل للمرة الأولى في التاريخ اذ أنها شاركت هي الأخرى في الثورة فكان جزاؤها ان نهبت وخربت ومع ذلك فان السلام لم يستقر . ومات سارجون ولم يأخذ ابنه سوى « شر » كيش Shar-Kish shatim ملك المجموعة التي كانت ترتبط بعبادة أنو Anou والتي هي في آكد تقابل لووجال كلما Lougal Kalama في سومير .

وكان على اوروموش Ouroumoush ان يحارب في كل جبهة فقام بمعارك ضد جيوش أور وأوما وذبح ٨٠٤٠رجلا وأسر ملك أورو «ايشاكو»ها وكذلك ٥٤٦٠ محاربا . وتابع طريق النصر حتى البحر مجتاحا في ذلك الحقول ومحطما المدن ومستوليا على الرهائن . واستولى عند عودته على كازاللو وأشاع الرعب في عيلام . وكونت « أوما » مرة أخرى اتحادا مع دير Dêr ولكنه قضى عليه وقتل ٨٩٠٠ محارب وأخذ ٣٥٠٠ أسير .

وقد أسهمت هالاب Hallab ولاجاش في هذا الصراع وقد كان ايشاكوهما ووزراؤهما من بين الأسرى . وقد أخضع عيلام وهزم ابالجاماش Abalgamash ملك بارهسى Barahsé وقامت معركة كبيرة على نهر كابنيتوم Kabnitoum بين اوان Awan وسوسه وهزم أنشان Anshan وشيريهوم Shirihoum واستطاع أوروموش ان يعلن ما أعلنه أبوه من قبل من انه أخضع لأنليل البحر الأعلى والبحر الأدنى وكل المناطق الجبلية ومع ذلك ، فانه اتخذ لقب « شركيش » ولم يطلق على نفسه لقب « ملك اجاده » . ولقد أقام مبانى النصر التذكارية فى معبد نيبور Nippour ووضع تمثاله الشخصى المصنوع من الرصاص فى مواجهة تمثال الاله ، وكرس جانبا من الأسلاب له كما خصص أوقافا للقرابين .

ثم ضرب مانيشتوسو Manishtousou انشان وسيريهوم وعبر الخليج الفارسى ليهاجم اثنين وثلاثين ملكا صغيرا على الشاطىء العيلامى بقصد ضمان استغلال مناجم الفضة والمحاجر . وقد حصل فيما يجاور اجاده على مساحات واسعة من الأرض وأمر ان تنقش وثيقة الملكية على مسلة من الديوريت وقد اعترفت سوسه بسلطانه ، فكرس ايشاكوها تمثالا تمجيدا له .

ولقد مد نرام سين Naram-sin نفوذه (حوالى ٢٧٦٨ ـ ٢٧١٢) من الخليج الفارسى حتى آسيا الصغرى . ويحمل عدد من الآثار الدليل على مجده ، وتقدم الفنون الجميلة فى عهده . وقد عثر فى بيرحسين على الامبارسو Ambar-sou على مدى أربع ساعات ونصف الى شمال شرق ديار بكر على لوحة أقامها هناك . وقد مثل أحد مهرة النحاتين على لوحة أخرى حملها أحد العيلاميين الغزاة الى سوسة ... الكفاح ضد ملوك سدورى Sudouri ولولوبو Louloubou (١) .

---

(١) شكل ٤ .

وقد اله خلال حياته وتذكر النقوش على بعض القطع الأسطوانية التي تخص كبار الموظفين اسمه كانما هو « اله اجاده » • ويرجع تاريخ كثير من لوحات الحسابات الى عهده والى عهد حفيده شركاليشرى Sharkalisharri (ما بين ٢٧١١ ، ٢٦٨٨) •

وثارت أوروك وأصبح لزاما أن يصاد غزوها • وقد وصل العيلاميون الى اومـا ولكنهم ردوا على أعقابهم وكانت الحرب في الشمال الشرقى ضد جوتيوم Goutioum وفى الشمال الغربى ضد بسر Basar ويخلد اسم أحد الأعوام ذكرى أسر ملك كوتا Kouta ووضع أساسات معابد فى بابل كما يسجل آخر استمرار بناء الايكور Ekour فى نيبور الذى كان قد بدأ فى عهد الملك السابق : وقد عثر بين الخرائب على عوارض أبواب عليها كتابات وكذا على أختام للطوب • وعند موت شركا ليشرى سادت الفوضى :



شكل (٤) لوحة نرام سين (متحف اللوفر • وفد فارس) •

« من كان ملكا ؟ ومن لم يكن ملكا ؟ » ! لقد حكم أربعة ملوك خلال ثلاث سنوات ! و « دودو » الذى بقى من عصره اناء من المرمر وابنه جيميل دوركيب Gimill Dour-Kib (حوالى ٢٦٤٦ ـ ٢٦٤٩) تنتهى بها قائمة أمراء أجاده ٠



شكل (٥) تمثال جوديا (متحف اللوفر ـ تللو) ٠

وقد استردت السلطان أسرة من أوروك بها خمسة ملوك مدى ٢٦ سنة (حوالى ٢٦٤٨ ـ ٢٦٢٣) ولكن شراذم جوتيوم الذين استطاع شركا ليشرى منذ أقل من قرن أن يعيدهم نزلوا الى السهل من الجبال الشرقية وأخضعوا سومر وأكد (حوالى ٢٦٢٢ ـ ٢٤٩٨) وقد أمر أحد ملوك هذا العنصر وهو لاسيراب Lasirab أن تنقش كتابة أكديه على دبوس قتال نذرى وهو يتوسل فيها الى انينا وسين مع آلهة بلاده ٠ وبعد مائة وخمسة وعشرين عاما عندما نودى باوتو هيجال Outou-hegal ملكا على أوروك والأقاليم الأربعة وضع نفسه تحت رعاية انليل واينانا الهة أوروك وجلجامش الملك القديم الأسطورى ٠ وقد جمع قوى اوروك وكولاب Koullab ضد الأجنبى ٠ وخسر ترقان Tiriqan مالك جوتيوم المعركة وهرب الى قلعته دوبروم Doubroum ولما هجره رجاله أسر مع زوجه وأطفاله ٠ ووطدت دعائم الاستقلال من جديد ٠ ولقد حفظت لنا بعض الأسماء من ذلك العهد الذى مازال غامضا وهى أسماء ايشاكوهات لاجاش ومن بينهم جوديا Goudea الذى امتد نفوذه بعيدا الى ما وراء مدينته ٠ ويوجد بمتحف اللوفر أحد عشر تمثالا له وكذلك تمثالان صغيران وبعض قطع من لوحة وقطعتان أسطوانيتان من الآجر تخلدان ذكرى اعادة بناء المعبد الكبير فى لاجاش وكذا بعض قوالب الآجر والمسامير الطينية

والنوحات والأواني ورؤوس الدبابيس وأسد نذري وبصمات أختام • وقد أعاد بناء الانيننو Eninnou في صورة فخمة : وتصف النقوش على الاسطوانات في اسهاب الاستعدادات التي عملت من أجل هذا المشروع وتنفيذه وحفلات تدشينه • وقد وضع تمثاله الخاص الذي يمثله في صورة متواضعة مليئة بالاحترام أمام المعبود في كل معبد قام بترميمه. وقد أقام في فناء الانيننو سبع لوحات عثر على أجزاء من اثنتين منها ؛ ولدينا كذلك رأس دبوس من رخام طوروس محلاة برءوس سباع ومغطاة بطبقة من الذهب وكذا اناء مزخرف بالتنانين من نفس طراز نظيرها الذي سنراه شعارا لمردوك Mardouk اله بابل والذي سيظل يمثل في النقوش والرسومات حتى في الامبراطورية الجديدة وكذا أسد مكرس للالهة جاتو دوج Gatoum doug (١) • وحين انتهى من ترميم المعابد عنى بتثبيت المنشآت الدينية القديمة وزيادة أغلب التقدمات الخاصة بالطقوس ؛ ونقوشه تشير اشارة طفيفة الى الأحداث الحربية وهي حرب ضد انشان • وربما أله جوديا خلال حياته ولكن ليس هناك من شك في انه كان يعبد بعد موته بوقت قصير ؛ وقد أقيمت أوقاف منتظمة لتقديم القرابين لتمثاله : وتوجد لوحات حسابية تؤيد ذلك • وقد خلفه ابنه اور ننجرسو Our-Ningirsou الذي سرعان ما خلعه أور انجور Our-Engour ملك أور من مركزه كايشاكو مع بقائه كاهنا لأنو وانكي حتى حكم دونجي •

وحوالى ٢٤٧٤ بدأ في أور عهد الأسرة الثالثة التي أسسها أور ــ انجور وكانت أور قد خربت وحرق قصرها وهدمت أسوارها فأعاد الملك الجديد بناء مدينته ومعبد ننار Nannar وأصبح سيد أوروك وعين ابنه هناك كاهنا أكبر لاينانا Innana واستولى على لاجاش وخلع ايشاكوها وأحل مكانه اورابا Our Abba وشق قناة هناك • فلما أصبح ملكا على سومير وأكد أعاد بناء كثير من المعابد : معبد اله الشمس في لارسا ومعبدى انليل ونينليل Ninlil في نبور ، وشق القنوات وأصلح القوانين « وجعل العدالة تسود » • ولعل الخاتم الأسطواني لهاشهامر Hashhamer ايشاكو اشكون سين Ishkoon-sin ومولى ملك أور ــ وهو من أشهر نماذج الحفر على الأحجار الرقيقة لذلك العصر ــ هو الدليل الوحيد على كونه من اكد • وهناك من عصره تاريخ يخلد ذكرى حملة « من أدنى الأرض الى أعلى الأرض » •

وقد خلف دونجي Doungi بن اور ــ انجور Our-Engour

(١) قارن الأشكال ٥ و ١٨ و ١٩ •

اباه حوالى ٢٤٥٦ وتنقسم مدة حكمه الطويل البالغة ثمانية وخمسين عاما الى فترتين ... ويظهر أن الملك خلال الفترة الأولى اهتم فقط بالشئون السلمية فقد كانت كل سنة تشهد حادثا دينيا أو أعمالا خاصة بالمنافع العامة من اقامة معابد ومؤسسات مقدسة ووضع المعبودات في الهياكل التي أعيد ترميمها وتعيين كبار الكهنة وفقا لما يشير به المنجمون وترميم العمـــارات ...

ومع ذلك فلم يكن ليهمل أية فرصة لبسط سلطانه وتوسيعه . وحين حلت السنة الثالثة والثلاثون نراه يبدأ سلسلة من الحملات على البلاد الواقعة في الأقاليم الجبلية الى شرق سومير وأكد . وقد عثر على آثار من حكمه في أماكن كثيرة مثل نيفر Niffer ومغير Mougheir وتللو Tello بل ان قوالب من الطوب عثر عليها في سوسة تدل على أن نفوذه امتد فعلا الى هذه المدينة كما أن لوحات من تللو تنتسب الى مجموعة « زاد السفر » تبين أن الســـلطة المركزية كانت تهتم مباشرة بتفاصـــيل ادارة أبعد المدن وأنها كانت قد نظمت ادارة لحملة البريد (العدائين) هيئت لها مرابط ومحطات بغية توصيل التعليمات وضمان تنفيذها . وجاهد الملك من جهة أخرى في سبيل توثيق عرى الاتحاد بين مواليه عن طريق فرض ضرائب هي في الوقت نفسه روابط دينية . وحوالى العام الثامن والأربعين أعاد تنظيم الحديقة القريبة من معبد انليل الاله الأكبر لسومير . ولقد كانت تجمع هناك مدى ثلاثين عاما حتى الأيام الأخيرة للأسرة المستحقات الاقطاعية المفروضة على المدن وحكامها الى جانب التقدمات الاختيارية . وكان الحكام ــ حتى حين كانوا يحتفظون بلقب ايشاكو ــ ليسوا في أغلب الأحيان سوى موظفين يعينهم الملك وكان على أوما Oumma وبابل Babylone ومرد (ونة السادون قرب أفج Wannet es-sadoun prés Afadj) وأدب (بسمايا) Adab (Bismaya) وأور Our وشوروباك Shourouppak وكازاللو kazallou (بين مرد واجاده entre Marad & Agadé) ... كان عليها جميعا أن تقدم قرابين معينة كل منهـــا شـــهرا في الســـنة . وكان ايشاكو جرسو Girsou يدفع وحده حصة أربعة شهور كل عام . أما الحصة الثانية عشرة فهي التي يقدمها ايشاكو « عيد دونجي » . وأما المدن الأخرى مثل نبور في سومير وكيش في اكد وهارشي Harshi في شرق دجلة وماري Mari وابلا Ibla على الفرات من ناحية الغرب فكانت تقدم أنصبة واستحقاقات وضرائب من وقت لآخر . وقد اتسعت الأعمال الكتابية في الدواوين اتساعا ضخما وكانت قد تقدمت تقدما كبيرا في المدن في عصر لوجالانده وأوروكاجينا . فلم يعد هناك

عمل يجرى فى المخازن العمومية دون كتابة لوحة يعهد بها الى عمـــال المحفوظات الذين يسجلونها فى قوائم الحسابات الخاصة بسنة أو عدة سنوات · ولم تهمل أية فرصة من شأنها زيادة النفوذ الملكى · ففى العام الخـامس والعشرين أصبحت الأمـيرة نياليمداشـو Nialimmidashou ابنة الملك سيدة على مارهاشى Marhashi فى الاقليم الجبلى · وفى العام التاسع والثلاثين تزوج ايشباكو أنشان احدى الأميرات الملكيات ··· ولكن الصلات الطيبة لم تستمر طويلا اذ أن اقليمه اجتيح بعد سنوات أربـع ·

وقد أمر دونجى ــ كما فعل نرام سين من قبله ــ أن تقدم له فروض التمجيد الالهى فبنيت له المعابد وقدمت التقدمات لتمثاله عند ظهور الهلال الجديد وعند اكتمال القمر بل ان أحد الشهور فى بعض التقاويم المحلية كان يسمى « شهر عيد دونجى » ، وألفت الأناشيد الدينية فى تمجيده · كما أنه هو ذلك « الاله الملك » الذى استعمل اسمه كجزء من أسماء رعاياه مثل : دونجى ايلى (أى دونجى الهى) ودونجى بانى (دونجى الخالق) ودونجى أبى (دونجى والدى) ·

وقد خلفه ابنه بورسين Boursin وحكم تسع سنوات (٢٣٩٨ ــ ٢٣٩٠) وكان عليه أن يتابع الحرب ضد الشعوب فيما وراء دجلة · وقد استخدم تخريب أوربيللوم Ourbilloum فى العام الأول وشاشارو Shasharou وهوهـــونورى Houhounouri فى العام الخامس والعام السادس كمعالم فى التقويم · أما التواريخ الأخرى فتتصل بالدين · وقد أعاد ترميم جزء من معبد انليل فى اريدو Eridou كما أقام تمثالا فى أور Our ونفذ مشروعات كثيرة فى معبد اله القمر · وأما فى نيبور فقد شيد مبنى لتقدمات العسل والزبد والنبيذ لانليل « الاله الذى يمنح الحياة لأرضه » « اله الشمس لبلاده ، وقد تقبل التقدمات ــ كما كان يفعل أبوه ــ فى المعابد المكرسة له وظل فى عداد مجمع الآلهة · وقد عاد ظهوره فى القرن السابع فى موكب اله أور · وتظهر هنا أشور للمرة الأولى فى تاريخ سومر وأكد : فان زاريكو Zarikou ــ شكاناك Shakkanak اشور ــ رفع تكريسا لأجل حياة مولاه « بورسين ــ ملك اور القوى ــ ملك الأقاليم الأربعة » ·

وقد كانت عارضة باب فى أحد المعابد المقامة تمجيدا للملك الذى يحكم فى أور نفسها ، ــ تحمل تكريسا من لوجال ماجورى Lugal magouri ايشباكو أور تمجيدا لجيميل سين Gimil-sin « الهه » بن بورسين وخليفته وتبعا للنصوص المعاصرة نجد أن هذا الأمير حكم مثل أبيه تسع

سنوات (حوالى ٢٣٨٩ ـ ٢٣٨١) وقد خرب سيمانوم Simanoum في الشرق وكان عليه ان يشيد حائطا من دجلة الى الفرات قرب سيبار Sippar ، لحماية اقليمه ضد غارات العموريين • وفي السنة السادسة خربت أرض زابشالى Zabshali وقد رمم أيضا المعابد وزينها • وقد استمر العمل بنظام المركزية في عهده حتى ان كبير وزرائه « أراد ننار Arad Nannar » استطاع ان يطلق على نفسه لقب ايشاكو ست مدائن وحاكم خمس أخرى وكذا أرضين أخر وذلك في نقش على عوارض أبواب معبد اقامه في جيرسو تمجيدا للملك ، اذ ثبته في وظيفته التى كان أبوه ـ ومن قبله جده ـ يشغلانها •

وآخر ملك في هذه الأسرة هو ايبى سين Ibi-sin بن جيميل سين Gimil-sin (حوالى ٢٣٨٠ ـ ٢٣٥٨) وتشير الوثائق المعروفة كلها الى السنتين الأوليين أو السنوات الثلاث الاولى من حكمه فقد اكتسح إنشان وزوج احدى بناته من ايشاكو هذا البلد ولم يستطع الاحتفاظ بسلطانه تحت ضغط ايشبى ايرا Ishbi-ira سيد عمورى مارى على الفرات الأوسط وضغط عيلاميى « كتورناهونتى » التواقين الى رفع النير عنهم والاقامة في السهل فأسر واقتيد الى مارى ثم ظهرت مملكتان جديدتان على انقاض امبراطورية اور : احداهما في ايسين والأخرى في لارسا • فقد أنشأ ايشبى ايرا (حوالى ٢٣٥٧ ـ ٢٣٢٦) في ايسين اسرة عمورية اتخذ امراؤها لأنفسهم لقب ملوك سومير وأكد وأضفوا على أنفسهم الصفات الالهية • وقد اعتبر ثالث ملوك هذه الأسرة سيبار ضمن المدن الخاضعة لصولجانه وبسط ابنه ايشمى داجان Ishmi dagan (حوالى ٢٢٩٤ ـ ٢٢٧٥) نفوذه على نيبور واور واريدو واوروك • وخلفه أخوه ليبيت عشتر Lipit-ishtar (حوالى ٢٢٧٤ ـ ٢٢٦٤) وحل محله أور اينورتا Our-inourta (حوالى ٢٢٦٣ ـ ٢٢٣٦) الذى لقب بنفس ألقاب أسلافه وفقا لما هو مدون على قوالب طوب البناء مع أنه حدث أثناء حكمه ان جونجونوم Goungounoum خامس ملوك لارسا (٢٢٦٤ ـ ٢٢٣٨) دعم نفوذه واستولى على أور وانتهى به الأمر الى أن اتخذ لنفسه لقب ملك سومير وأكد • وقد ثبت أيناناتوم بن « ايشمى داجان » كبيرا لكهنة نانار في أور فأقام ايناناتوم ـ اعترافا بذلك ـ معبدا لببار Babbar اله لارسا ليرعى حياة جونجونوم « ملك اور » وكان الاستيلاء على اور سابقا للسنة التاسعة من حكمه (٢٢٥٦) لان الملك قد أمر في هذه السنة بوضع شارات في معبد نانار كما انه وضع في السنة التالية تمثالا نحاسيا هناك • ومع أن أهم الحوادث التى خلدت ذكراها تتعلق بنواح مدنية ودينية الا أنه سجلت له حملتان حربيتان :

اكتساح باشيمة Bashimé فى السنة الثانية وأنشان فى السنة الرابعـــة ٠

وقد خلف أبى ـ ســـاره Abi-sarî (٢٢٣٧ ـ ٢٢٢٧) جونجونوم وقد قام كذلك بشق القنوات وتزيين معابد الآلهة : فقد تلقى نانار من اور تمثالين أحدهما من الفضة والآخر من العقيق واللازورد ٠ وفى السنة التاسعة حارب قوات ايسين أثناء حكم الملك بورسين (حوالى ٢٢٣٥ ـ ٢٢١٥) الذى اتخذ لنفسه ألقاب أسلافه وادعى السيادة على نيبور وأور واريدو واوروك وايسين ٠ ويبين خاتم أسطوانى يحمل اسمه فى النص الوارد به خصائص فن النحت على الأحجار الرقيقة فى عهد الأسرة الأول البابليـــة ٠ ومع ذلك فان ســـومو ايلـــوم Soumou-iloum (٢٢٣٦ ـ ٢١٩٨) خليفة ابيساره كان قد احتفظ بلقب ملك أور كما كان يملك لاجاش ، حيث أهدى كلب نذرى من حجر الصابون (ستياتيت) تمجيـــدا له الى الالهة نين ايســـين Nin-isin (١) وقد حارب كازاللو (السنة الثالثة والسنة الحادية والعشرون) وكاايدا Ka-ida (السنة الثامنة) وكيش (السنة العاشرة) وشق القنوات وأهدى الى شمش تمثالا من الفضة (٢) ٠

تعتبر السنة التالية للسنة التى ولى فيها سوموايلوم الحكم من أهم العهود فى تاريخ الشرق :

ففى عام ٢٢٢٥ نادى سومو أبوم Soumou-aboum العمورى بنفسه ملكا على بابل ٠ وقضت الأسرة التى أنشأها على أسر ايسين، ولارسا وبسطت نفوذها على سومير وأكد وحققت نهائيا وحدة البلدين تحت صولجان واحـــد تلك الوحـــدة التى طالما حاولت أهم المدن الوصـــول اليها منذ أكثر من ألفى سنة ٠ وقد أبيد الجنس السوميرى جزئيا وامتص الجزء الباقى فى الأجناس الأخرى ولم يحتفظ باسم سومير نفسها الا فى المراسيم على حين شمل اسم أكد كل الاقليم ٠ ولم تعد بابل المدينة السياسية فحسب بل العاصمة الدينية للامبراطورية كذلك ٠

وقد هاجم ايلوشـــوما Iloushouma الأشـــورى ســـوموابوم (٢٢٢٥ ـ ٢٢١٢) ومع أن هذه المعركة معروفة فى التاريخ البابلى، الا أنه يظهر انها لم تكن حاسمة بدليل أن الملك لم يخلد ذكرى خاتمتها وقد بادر بتحصين مدينته فأحاطها بسور من اللبن ثم عمل على التوسع ففى السنة الثالثة بنى حائط كيبالبارو Kibalbarrou فى ضاحية العاصمة ٠

---

(١) راجع شكل ٢٠ ٠

(٢) cf LXXVI.

وفي السنة التاسعة ضم دلبات Dilbat (التي تبعد ٢٧ كيلو مترا) وهي مركز اقليم خصب يضمن تموين العاصمة • وقد أعترفت سيبار بسيادته عليها لان اسم الملك البابلي وارد في نص القسم • ولكنها ظلت تتمتع الى حد ما بالاستقلال : فلها ملوكها ولها تقويمها ولها تقاليدها القضائية • وقد قاومت كيش مدى ثماني سنوات فاضطر سوموابوم الى التحالف مع ملك لارسا لكي يخضعها • وفي السنة العاشرة ثبت سيادته عليها باهداء تاج الى الاله انوم Anoum ، ثم وجه جهوده نحو الشرق وهاجم كازاللو التي كان قد حاربها سومو ايلوم (عام ٢٢٢٤) واكتسحها (٢٢١٤) ثم مات بعد سنتين وخلفه سومولا ايلوم ـ Somou la-illoum (٢٢١١ ـ ٢١٧٦) فاستعادت كيش قسطا من الاستقلال •

ويشير نص لاشدوني اريم Ashdouni-éirm خصم سوموابوم الى حرب استغرقت ثماني سنوات ضد « الاقاليم الأربعة » وانه لم يبق لدى ملك كيش في العام الثامن سوى ثلاثمائة محارب ولكنه استرد السيادة ـ كما يذكر ـ في خلال أربعين يوما بعد أن حارب على مسيرة يوم ـ وهي مسافة تعادل ما بين كيش وبابل ـ وذلك بفضل معونة آلهته زابابا Zababa وعشتار Ishtar •

وفي عهد ماناما Manama (٢٢١٢) كان يؤدى اليمين باسم هذا الأمير وليس باسم سوموابوم • وتحمل بعض اللوحات تواريخ بابل المعهودة على حين تحمل لوحات أخرى التواريخ المحلية • وبعد ماناما أتى سومو ديتانا Soumou-ditana وياويوم Iawioum الذي أخذ المدينة في عهده واكتسحها سومولا ايلوم Soumou-la-iloom (٢٢٠٠) وشق سومولا ايلوم قناة شماش هيجاللو Shamash-hegallou في عامه الأول وبنى حائط بابل العظيم (٢٢٠٨) وأقام معبد اداد Adad (٢٢٠٥) وحفر في العام السابق لتخريب كيش قناة أخرى أطلق عليها اسمه وفي عام ٢١٩٥ ثار يازير ال Iazir-el الكازاللوى وانطلق نحو بابل واستدرج كيش نحو النزاع وقد استولى على المدينة الأخيرة في العام التالي فقوضت أسوارها • كما دكت حوائط كازاللو (٢١٩٣) وهزم جيشها وتمكن يازير الى أن ينجو بجلده ولم يكن في الاستطاعة القبض عليه وقتله حتى عام ٢١٨٨ • وتخلد السنوات الثانية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون من الحكم ذكرى الأحداث الدينية من تزيين عرش مردوك Mardouk بالذهب والفضة ومن تماثيل لزاربانيتوم Zarpanitoum وعشتار Ishtar . ونانا Nana • وجعل ملك بابل من نفسه سيدا على كوثا

Koutha (٢١٨٥) ورمم حوائطها ووضع فى نفس العام أقدامه فى سومير واستولى على دورزاكار Dourzakar أحد حصون نيبور · ومات بعد حكم استمر مدى ستة وثلاثين عاما تاركا لابنه زبيوم Zabioum (٢١٧٥ ـ ٢١٦٢) ملكا يضم كل اقليم أكد تحرس حدوده الجنوبية أربع قلاع وكذا اقليم دورزاكار فى سومير ·

ولم يسع زبيوم على ما يظهر فى توسيع دولته ولسنا نعرف سوى حملة حربية واحدة قام بها وجهت ضد كازاللو التى كانت قد رممت فحطم أسوارها من جديد (٢١٦٥) وقد اهتم باعادة بناء المعابد وأقام تمثالا برونزيا لنفسه فى اى ببار E-babbar فى سيبار (٢١٦٤) · وشق قناة وحصن كارشماش Karshamash · وقد رمم ابيل سن Abil sin (٢١٦١ ـ ٢١٤٤) حوائط بابل وشيد المعابد وحفر القنوات وقدم عرشا ثمينا الى شماش ·

وقد استعاد سن آدينام Sin-idinnam ملك لارسا (٢١٨١ ـ ٢١٧٦) بن وخليفة نوراداد Nour-adad (٢١٩٧ ـ ٢١٨٢) من زامبيا Zambia الملك الثاني عشر لايسين لقب ملك سومير وأكد واستغل السنوات الست التى حكم خلالها فى تشييد التحصينات وفى تامين وسائل الرى ببلاده ·

أما أخلافه سن اريبام Sin eribam (٢١٧٦ ـ ٢١٧٤) وسن ايقيشام Sin-iqisham (٢١٧٣ ـ ٢١٦٩) وتسيللى اداد Tsilli adad (٢١٦٨) فيمرون عبر صفحات التاريخ دون أن يتركوا أثرا ما وأغلب الظن ان تسيللى اداد خلع ··· خلعه موتى ابال Mouti-abal ملك كازاللو الذى هاجم بعد ذلك ادا (والد) ايموتبال Emouti-abal كودور مابوج Koudour Maboug بن سمتى شلهاك Simiti shilhak وقد مزق جيش كازاللو وقنع كودور مابوج بأن يضيف الى لقبه ك « ادا ايموتبال » لقب « ادا الغرب » وأمر بالاعتراف بابنه وارادسن Warad sin ملكا على لارسا (٢١٦٧) فى أيام زابيوم ملك بابل ·

ثم تبدأ حرب أجناس تستمر أكثر من سبعين عاما وكان الصراع من أجل سهل سومير الغنى الذى جهد العيلاميون فى تملكه · وبعد خمسة وثلاثين عاما يرى ريمسين Rim sin الملك العيلامى الثانى « للارسا » وقد حطم ايسين وقضى على استقلالها (٢١٣٢) ولكن يقوم فى طريقه ملك بابل · وفى ٢٠٩٥ يهزمه حمورابى Hammourabi ثم يسقط فى يده فى العام التالى ·

وفى عام ٢١٣١ أشهر سن موباللبت Sinmouballit (٢١٤٣ — ٢١٢٤) خليفة ابيل سن Abil sin حربا ضد جيش اورو لارسا ٠ وكانت ايسين قد فقدت ملكها وان ظلت تحتفظ بقسط من الاستقلال غير وطيد بين متنافسين لم يكن أحدهما أقوى من الآخر بحيث يستطيع الاحتفاظ بها ٠ وقد تفاخر ملك بابل بعد ذلك بسنوات ثلاث (٢١٢٨) بأنه استولى على المدينة ٠ وفى العام التالى استطاع ريمسين Rim sin « فى يوم واحد » أن يســتولى على دونوم Dounnoum « المدينة الرئيسية فى ايســين » ربما عن طريق عنصر المفاجأة وأسر محاربيها وان استنقذ المواطنين ٠ وسرعان (٢١٢٦) ما انضمت ايسين الى دولة لارسا ٠ ومات سن موباللبت عام ٢١٢٤ وقد قدر لابنه حمورابى (٢١٢٣ — ٢٠٨١) أكثر ملوك بابل تألقا والمؤسس الحقيقى لوحدة الامبراطورية ٠٠٠ قدر له لا أن يتابع سياسة أسلافه فحسب بل ان يجمع القوانين والقواعد القائمة على العرف ويعيد تنظيم ادارة العدل ويركز السلطة ٠ ولقد سار أبعد مما سار اليه دونجى ملك أور ، اذ استطاع عن طريق ثورة دينية أن يقلل من عدد الآلهة عن طريق ارغام المعبودات المتنافسة على التكتل بل وان يخلع انليل نيبور الذى استطاع أن يتمتع بالسيادة ٠ منذ أزمان لايستطاع تحديدها ارضاء لمردوك اله بابل ٠ وقد استولى بعد خمس سنوات من ولايته للعرش (٢١١٨) على اوروك وايسين ولكنه لم يقض على أسرة لارسا الا فى عام ٢٠٩٥ حين أشــهر الحرب ضد جيوش عيلام وهرب ريمسين Rim-sin الى أرض ايموتبال التى كان قد جاء منها أبوه كودور بابوج ثم أخذ فى العام التالى أسيرا ٠ ولكن الحرب لم تكن قد انتهت فان قوى اشنونانك Ashnounnak اتحدت مع قوى ايموتبال وكان لابد من حملة حربية جديدة (٢٠٩٣) لايقاع الهزيمة بهم ٠ وبعد عشرين عاما (٢٠٧٢) ٠ خلال حكم سامسو ايلونا Samsouilouna ظهر شخص ادعى انه ريمســين وأثار ايداماراز Idamaraz وايموتبال Emoutbal واوروك وايســين ، ولكنه لم يســتطع تأسيس سلطة مستديمة ٠ وقد اهتم حمورابى بمجرد وصوله للحكم بـ « اقرار العدالة » وعمل طوال عهده على جمع « قرارات الانصاف» وأمر بنقشها على الحجر ٠ والقانون الموحد الذى عثر عليه فى سوسة ليس سوى واحد من هذه



شكل (٦) الملك حمورابى امام الاله شاباس ـ

المجموعات التي نشرت بعد السنة الأربعين من حكمه · وبها أعلن الملك قواعد العرف المجددة والقوانين السومرية القديمة لتطبيقها على المجتمع الجديد الذي امتزج فيه العموريون بأهالي سومر وأكد الأقدمين · وقد سرد في مستهل « القانون الموحد » عدد معين من المدن الخاضعة لبابل التي امتد نفوذها من لاجاش واريدو بالقرب من الخليج الفارسي حتى أشور ونينوى وهما مدينتان من مدن أشور ·

وكان الجنس السومرى قد كاد يزول وينلاشى فى الجنس السامى الذى كان عنصره الأكدى قد اكتسب دما جديدا باستيطان العموريين · وكانت النقوش تكتب بالسومرية رغم أن هذه اللغة أصبحت لغة ميتة لا تفهم بدون ترجمة الا بصعوبة · ومع ذلك فقد بقيت مستعملة كلغة مقدسة فى الشئون الدينية كما استمر القضاء يستعمل النصوص التى كانت التقاليد قد وضعتها · وقد تفنن الكتبة فى أن يضعوا بين السطور تراجم وقوائم علامات وكلمات ورسوما تعبر عن الأشياء التى يقصدون ذكرها وجملا نسخت بعد ذلك وتطورت حتى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة ، بل حتى فى عهد السلوقيين Sélencides .

وقد عرف حمورابى كيف يستغل هذا الانحطاط فى سومر لدعم نفوذه فنبتت فى ذهنه فكرة تعديل هذا التراث القديم فى وضع جديد

يتفق والظروف السياسية الجديدة وهكذا فان مردوك اله بابل الذى كان فيما سلف الها من الدرجة الثانية ــ وهو ابن انكى Enki اله اريدو ــ تبوأ مركز الصدارة عن جدارة وجعل مجمع الآلهة العظام يمنحه النفوذ السامى الذى كان للاله الأعظم أنو Anou وهكذا حلت بابل العاصمة السياسية محل نيبور وأصبحت ــ بغير منافس ــ العاصمة الدينية التى يلتمسها الاشوريون فى تقاليدهم الدينية ٠

وقد جد حمورابى فى تنمية التجارة مع الغرب أى مع أقاليم البحر الأبيض المتوسط التى كانت تقصد منذ البداية ليجلب منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب العطرية التى لا وجود لها اطلاقا فى السهول المنخفضة لدجلة والفرات والتى استوطنها هؤلاء الساميون الغربيون الذين يعتبر هو وعشيرته من سلالتهم ٠ وكذلك شق القنوات داخل مملكته بقصد تيسير التبادل وزيادة الأراضى الزراعية ٠ وتدل الرسائل التى تبادلها مع حكام المدن أنه ركز فى يده الشئون الادارية وانه عنى مباشرة بادارة الشئون القضائية وبمشروعات المنافع العامة وكذلك بتنمية أملاكه الخاصة وصيانة قطعانه العديدة ٠

وقد أثبتت الحفائر انه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل تلك القواعد التى صمدت واتبعت حتى نهاية عهد الامبراطورية البابلية الجديدة رغم الثورات وعهود الاحتلال الأجنبى ٠ ويغطى مدنية عهد حمورابى القصر وتل عمران بن على والمركز ٠ وكان يوجد فى المنطقة الواقعة الى شمال المركز حى خاص بنيت بيوته باللبن المقام على أساس من الآجر وهى الطريقة التى اتبعت دائما بعد ذلك فى البناء ٠ وقد كان جزء من هذا الحى تحت مستوى الماء الحالى والجزء الآخر فوقه ٠ وتدل طبقة كثيفة من الرماد أن هذا الحى دمره حريق ربما شب وقت الغزو الحيثى ٠ وكان معبد عشتار فى أجادة محاصرا بالبيوت من كل جانب وكانت الطرق الكبيرة الموازية جميعا للطريق المقدس تتقاطع متعامدة مع طرق أخرى ، فى حين أن بيوت المدن السومرية القديمة كانت مجمعة دون ترتيب كما انه لم يكن للطرق اتجاه ثابت ٠

وقد اضطر حمورابى بعد تدمير ايسين وأسر ريم سين وحربه ضد اشنوناك وايموتبال (٢٠٩٣) الى أن يتجه نحو الغرب ويهاجم مارى (٢٠٩٠) ويهدم أسوارها ٠ وبعد سنتين حارب فى الشمال قوات توروكو Touroukkou وكاكمو Kakmou وسوبارتو Soubartou وانتصر أخيرا عام ٢٠٨٦ على جميع البلاد المعادية فى سوبارتو ٠

وقد تابع سامسو ايلونا Samsou-ilouna (٢٠٨٠ ــ ٢٠٤٣) التقاليد القويمة التي كان أبوه قد استنها فراقب ــ مثله ــ الموظفين بنشاط واهتم بالمشروعات العامة الكبيرة • وفي العـــام الثامن من عهده أظهر الكاسيون Kassites على الحدود الشرقية عداءهم • والكاسيون شعب من المحتمل جدا أن يكون من عنصر آرى كان على ما يظهر ينتسب الى الميتـــانيين Mitanniens الذين استقروا في شـــمال ميزوبوتاميا Mésopotamie فهزموا وردوا على أعقابهم ، ولكنهم ما لبثوا أن تسربوا الى داخل البلاد كفعلة وعمال وأقاموا بعد ثلاثة قرون ــ أي حوالى ١٧٦١ ــ اسرة في بابل لم تندمج مع العنصر الأصلي • وفي الجنوب كونت رواسب النهرين منطقة مســـتنقعات غطي جزء منها بالقصب وزرع الجزء الآخر الآهلون ومنهم السومرى ومنهم الأكدى كما يستدل على ذلك من أسماء ملوكهم • ويغلب على الظن أنهم لجأوا جميعا الى هذه المنطقة وقت تسرب العمرريين • وقد سميت هذه الجهة « أرض البحر » وحكمها ايلوما ايلوم Elouma-iloum وتحدى ملك بابل • وقد واجــه حملتين لم تنجحا بل يظهر بالعكس أن ملك أرض البحر أصبح منذ السنة الثلاثين من حكم سامسو ايلونا سيد نيبور حيث عثر على لوحة تحمل اسمه كما أن ملك بابل اضطر الى اصلاح خط الحصون الذى كان سومولا ايلوم Soumou la-iloum قد أقامه على حدود أكد • وقد رد سامسو ايلونا في عام ٣٦ هجمة قامت بها عصابات عمورية محاولة الاستيطان في بابل ومع ذلك فان الاتصـــال بالأقاليم الغربية كان ميسرا في أغلب الاحايين : فقد استحضر قبل ذلك بعشرة أعوام كتلة حجرية ضخمة من جبل عامورو الـكبير •

وقد ورد في مصـــدر لاحق لهذا العهد أن أبيشـــو Abéshou (٢٠٤٢ ــ ٢٠١٥) ابن وخليفة سامسو ايلونا جدد الحرب ضد ايلوما ايلوم وحول مجرى مياه دجلة ، حتى يستطيع الوصول الى عدوه ولكنه لم يســتطع القبض عليه وشــيد بالقرب من دجلة حصـــن دور ابيشـــو Daor Abéshou وبنى مدينة لوكايا Loukaia على قناة أراهتو Arahtou في ضواحي بابل • وجمل عاصمته بمعابد جديدة : كرس أحدها الى انليل نيبور وربما كان ذلك بقصد تدعيم ادعاء الملك بشأن حقوقه على العاصـــمة الدينية القديمة التي سقطت في أيدى رجال « أرض البحر » وأقام معبدا ثانيا تمجيدا لنانار على نمط معبد أور الكبير • وقد وضعت على الأقل خمسة تماثيل للملك في هياكل الآلهة كما جدد تمثال ايشاكو لاجاش القديم « انتمينا » الذى كان له كذلك هيكل في بابل • ومما يجدر بالذكر أن ابيشو اله نفسه كما فعل أسلافه من قبل

منذ الاستيلاء على نيبور ... ألم تنتقل السيادة العظمى من انليل الى ماردوك ؟ أولم يرث ملك بابل كل المزايا التي يتمتع بها فيما مضى كبير ايشاكو انليل ؟ لقد ظل النظام السياسي والاجتماعي الذى وضعه حمورابى قائما . ورغم ضياع جزء كبير من سومير والقلق القائم من جراء تهديد أرض البحر المستمر أمكن الابقاء على العلاقات الطيبة مع عيلام وسوريا وظل التبادل التجارى مزدهرا معهما .

وأخذ أميديتانا Ammiditana (٢٠١٤ ـ ١٩٧٨) في تنفيذ مشروعات عظمى متصلة بالمنافع العامة : قناة أميديتانا وقلاع واسوار وقصور في ضواحي بابل على ضفاف الاراهتو . وحارب أرض البحر واسترد نيبور وايسين التي حطم أسوارها (عام ٣٦) وبعد عامين اعتلى اميزا دوجا Ammizadouga (١٩٧٧ ـ ١٩٥٧) العرش وفي السنة التاسعة وقع في نزاع مع جيرانه وفي السنة العاشرة بنى قلعة « دور أميزادوجا » على ضفاف الفرات . وفي السنة الخامسة عشرة شق قناة . وهناك اشارات في أخريات عهده وفي عهد سامسوديتانا Samsou-ditana (١٩٥٦ ـ ١٩٢٦) تشير الى صراع حربي . واختفت الأسرة تحت ضغط الغربيين وطبقا لما جاء بمدونات بابل الجديدة نجد أن الحيثيين الذين كانوا يقطنون آسيا الصغرى وكانت لهم منذ عدة قرون علاقات بسومير وأكد ينزلون من جبالهم ويتبعون مجرى الفرات ويكتسحون بابل حيث عثر على أحد نقوشهم . وحمل ماردوك وزوجته زربانيتوم أسرى الى بلاد هانا Hana (١) ، حيث ازدهرت مملكة عمورية تأثرت تقاليدها تأثرا كبيرا بالمدنية البابلية .

ولقد باشر ملوك أرض البحر سلطة غير مستقرة ولا ثابتة على اقليم اكد مدى قرن ونصف من الزمان (١٩٢٥ ـ ١٧٦٢ تقريبا) وحين أحس الكاسيون Kassites بأنفسهم على درجة من القوة استولوا على السلطة وسمى جانداش Gandash (حوالى ١٧٦١ ـ ١٧٤٦) مؤسس الأسرة الثالثة نفسه ملك بابل وملك الأقاليم الأربعة وملك سومير وأكد . ورمم معبد مردوك الذى لم يكن الاله موجودا به . وحكم ابنه اجوم الأول Agoum I مدى ٢٢ عاما (حوالى ١٧٤٥ ـ ١٧٢٤) وخلفه ابنه كاشتلياش الأول Kashtiliesh I (١٧٢٣ ـ ١٧٠٢) وغزا ابن آخر له هو اوامبورياش Ouambouriash أرض البحر ، التى كان آخر ملوكها أيا جميل Ea-gàmil قد قاد حملة ضد عيلام . وكان من

---

(١) العاصمة ترقا Tirqa تل اشارة Ishâra بين دير الزور والصالحية .

الضرورى فيما بعد أن يغزى هذا الاقليم وقد قام بذلك أجوم وهو ابن أصغر من أولاد كاشتلياش الأول بينما كان أخوه الأكبر اوشى Oushshi يتربع على عرش بابل وكان خلفاه هذا الأخير أخوه الثانى ابيراتاش Abirattash وتاشيجوروماش Tashshigouroumash بـــن ابيراتاش وأجـــوم كاكريمه Agoumkakrimé بن تاشيجوروماش وكان من حظ أجـــوم الحسن أنه استعاد تماثيل مردوك وزربانيتوم وأعادها ثانية فى احتفال الى ال « ايزاجيل Esagil » المرمم والمزين • وكـــان الـذهب وكانت الأحجار الكريمة وأندر الأخشاب تتنافس فى تزيين الهياكل وفى صنع التماثيل والشارات • وأعيد تنظيم الكهانة ودعمت العبادة وأعفيت ممتلكات الآلهة من كل الضرائب • ومد أجوم نفوذه شرقا على بادان Padan وألمان Alman وجوتيوم واشنوناك •

وخلال قرن ونصف لا نعلم شيئا عن تاريخ بابل خلا أن ثمانية من الملوك خلف الواحد منهم الآخر على العرش وأن من بينهم كوريجالزو الأول ومليشيباك الأول Mélishipak I .

وان نحن حاولنا أن نلتقط خيط الأحداث مرة أخرى فاننا نعثر على المستندات المعاصرة بعيدا عن خرائب بابل فلقد سلطت عليها الأضواء صدفة الكشف فى مصر ، فى تل العمارنة ، عن موقع مدينة اخت آتون التى أنشأها امنوفيس الرابع والذى نقل اليها المحفوظات الدبلوماسية الخاصة بأبيه وبه • ولقد استخرجت من هناك مراسلات هذين الملكين مع أمراء سوريا وملوك الحيثيين وميتانى وآشور وبابل • وقد كتبت على لوحات طينية فى حروف مسمارية بالبابلية أو بلهجة قريبة منها جدا • ولقد كان تأثير سومر وأكد على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى قد استقر وتطور منذ حملات سرجون الأجادى منذ أربعة عشر قرنا خلت •

ومن بين كتب تل العمارنة نجد أحد عشر كتابا تخص الشئون البابلية مباشرة • ونحن نعرف منها أن العلاقات كانت قائمة بين البلدين منذ حكم تحوتمس الثالث فى مصر وكان كاراينداش الأول Karaindash I الملك السادس عشر من الأسرة الكاسية (حوالى ١٤٢٥) يتراسل مع امنوفيس الثالث • وكان خلفه الثانى كادشمان الليل الأول Kadashman Ellil 1 على خير علاقة مع البلاط المصرى وقد دخلت احـــدى اخواته الى حريم فرعون • وقد كان ذلك حين حاولت كنعان (جنوب ســـوريا) وعمور (شـــمال ســـوريا) الخاضـــعة لمصر أن ترفعا النير ، وذلك بتحريض شوبيللوليوما Shoubbiloulíouma ملك الحيثيين ، وكان قد عبر

الفرات واكتسح شمال ميتانى ثم نزل فيما بعد الى عمور وأخذ منها أسلابا ضخمة ، وعند ولاية أمنوفيس الرابع للعرش أرسل تحياته الى فرعون ولكن حين قدم عزيرو الأمير السورى ولاءه الى مصر احتل عمور واستطاع عن طريق معاهدة أن يثبت الاعتراف بسلطانه عليها ·

وكان موقف بابل من هذه الانقلابات السياسية موقف غير المكترث اذ كان كل ما يهمها سلامة الطرق التى يسلكها تجارها · وحين أصبح رعاياها ضحايا للسرقات والقتل فى كنعان القى ملك بابل المسئولية على ملك مصر : « كنعان أرضك ·· وملوكها مواليك » بل وأكثر من ذلك : حين حاولت كنعان أن ترفع النير رفض كوريجالزو الثانى أن يساعدها فى ثورتها ولكن مصر كانت من الناحيـة الأخرى تشجع آشـور ضـد بابل وشكا بورنابورياش الثانى Bournabouriash II (حوالى ١٣٧٥) من أن أمنوفيس الرابع استقبل سفارة من الأشوريين كان يدعى انهم رعاياه هو · وقد ذكر نفس الملك فرعون ان أبويهما كانا يتبادلان الهدايا المتعددة وهو نفسه كان قد تلقى ٢ « مينة » (١) من الذهب وكتب « ارسل لى ذهبا كثيرا ··· بقدر ما كان يرسله أبوك » ووعد أن يرد بدلا منه كل ما يطلبه العاهل المصرى من منتجات بلاده · والواقع أنه فى نفس اليوم الذى اعترض فيه ضد قطاع الطرق فى كنعان نراه يؤيد دعواه بهدية هامة هى : ثلاث مينات من اللازورد وخمسة خيول مقطورة وخمس عربات ·

وكان كارا انداش الأول Kara-indash 1 (حوالى ١٤٢٥) قد عقد اتفاقية مع اشوررم نيشيشو Ashour-rim-nishêshou ، الأشــورى بشــأن حدودهما المشــتركة · وقام بورنابورياش واشور او بالليت باتفــاق مثل ذلك · وتزوج بورنابورياش فيما بعد من موبلليت شرووا Mouballit-Sheroûa ابنة أشور أو بالليت · وقد ذبح ابن بورنابورياش حفيد أشور أوبالليت ··· ذبحه حزب الكاسيين وربما كان ذلك بسبب علاقاته بأشور ووضع مكانه المدعو نازيبوجاش Nazibougash .

وغزا ملك أشور بلاد بابل ووضــع حفيدا آخر له هو كوريجالزو الثالث على عرشها (١٣٥٧ ـ ١٣٣٥) وقاد كوريجالزو حملة موفقة ضد عيلام ووجه جيوشه المنتصرة نحو سوسه وهناك استولى ـ كرمز للنصر ـ على لوحة من العقيق كان قد كرسها من قبل ذلك أحد الايشاكوات الى الالهة ننى Ninni من أجل بقاء دونجى ملك أور ونقلها معه وقدمها الى لنليل نيبور · وكان هورباتيلا Hourpatila ملك عيلام قد أرسل

---

(١) الوزنة = ٦٠ مينة والمينة = ٦٠ شاقل ووزن المينـة الذهبيـة يتراوح بين ٤٠٠ و ٨٠٠ جم ـ (المترجم) ·

اليه تحديا قائلا « أقبل ! لندخل في معركة ... أنت وأنا ! » وحالف الحظ البابلي اذ استطاع أن يقبض بيده على خصمه ويأسره . وقد استطاع كوريجالزو بعد موت جده أشور أو باللّيت أن يهاجم اشور ولكنه هزم عند سوجاجي Sougâgi على الزلزلات Zalzallat ... هزمه « الليل نيراري » Ellil Nirari الذى اضطره الى أن يوافق على تعديل في الحدود . وهزم ابنه نازي ماروتاش Nazi Marouttash (حوالى ١٣٣٤ ـ ١٣٠٩) عند كار عشتار Kâr-ishtar واضطر الى أن يتنازل عن اقليم واقع الى شرق دجـــلة . وقد خلف كادشــــمان تورجـــو Kadashman-tourgou (حوالى ١٣٠٨ ـ ١٢٩٢) ـ كما فعل أبوه من قبل ـ نقوشا عديدة في نيبور . وعند وفاته كتب الملك الحيثي حاتوسيل Hattousil يقـــول انه سينقض التحـــالف مع بابل ما لم يعلن كادشمان الليل الصغير ملكا (١٢٩١ ـ ١٢٨٦) فاعترض كبير الوزراء « اتي مردوك بالاتو » Itti-mardouk-balâtou قائلا : « ان نغمة خطابك ليست نغمة خطاب حليف بل سيد » وظلت العلائق بين البلدين مقطوعة حتى بلغ الأمير سن الرشد . وكان الحيثيون اذ ذاك قد فقدوا كنعان التي استردها سيتي الأول من مورسيل Moursil بن شـــوبيلوليوما وان كانوا قد ظلوا يحتفظون بعمور التي كان على رعمسيس الثاني أن يأخذها في معركة قادش . وكانت نتيجة المعركة حلفا دفاعيا هجوميا بين الحيثيين ومصر . وقد نقش النص البابلي على لوحة من الفضة عثر على نسخة منه بين أطلال حاتي مصحوبة بالنسخة الأصلية للخطاب الذى يطلعنا على معلومات خاصة بعلاقات حاتوسيل بكادشمان الليل . وبينما كانت عمور تحت نفوذ الحيثيين نرى أن بعض التجار البابليين الذين يتقدمون في قوافلهم نحو عمـــور وأوجاريت Ougarit وهي مدينة فينيقية يتكل بهم . فطلب كادشمان الليل من حاتوسيل ان ينفذ العقوبة في المعتدين . وقد اتهم أمير عمورى كذلك بإثارة الفتنة في بابل فدعا حاتوسيل مراسله ان يحقق الأمر بنفسه . وكان على المتهم أن يثبت براءته عن طريق قسم يؤديه أمام الآلهة بحضرة السفير البابلي . وقد حرص حاتوسيل على أن تظل علاقاته ودية والح على ملك بابل أن يهاجم العدو المشترك الذى لم يذكر اسمه لسوء الحظ . وقد دفعت شهرة بابل في العلوم الأمراء الأجانب الى استدعاء الأطباء والسحرة الذين يطردون الأرواح الشريرة والكتاب الى بلاطهم . وقد طلب موتاللو Moutallou شقيق حاتوسيل وســـلفه خدمات طبيب وساحر ولكنهما لم يرجعا الى بلدهما والتمس « كادشمان الليل » عودتهما وكان الرد أن الساحر قد مات وان الاوامر ستصدر للطبيب بالعودة .

وقد خلف كادشمان الليل الثاني ابنه كودور الليل Koudour Ellil (حوالى ١٢٨٥ ـ ١٢٧٧) ثم حفيده شاجاراكتي شورياش Shagarakti Shouriash (حوالى ١٢٧٦ ـ ١٢٦٤) وابن حفيده الأكبر كاشتلياش الثالث (حوالى ١٢٦٣ ـ ١٢٥٦) وقد هزم الأخير ـ هزمه ملك اشور توكولتى اينورتا الأول Toukoulti Inourta 1 الذى أسره وأحضره مكبلا بالأغلال الى حضرة الاله أشـــور • وقد دكت حوائط بابل وقتل البابليون عنها بالسيف وحملت كنوز الايزاجيل Esagil وغنائم المدينة الى أشور • وحتى مورودوك نفسه حمل أسيرا • ومات ملك أشور خلال الثورة • فانتهزت بابل الفرصة محاولة الافادة منها باستعادة قسط من استقلالها وتبع ملكان الواحد منهما الآخر هناك خلال ثلاث سنوات هما الليـــل نادين شـــوم Ellil-nadin-shoum وكادشمان هاربي الثـــانى Kadashman Harbe II وهـــاجم الأول « كيـــدين هوتروتاش Kidin-houtroutash » ، ملك عيلام الذى كان قد انتهز فرصـــة نجاح الأشوريين فاكتسح دير Der ونيبور واضطره الى التراجع وراء حدوده • واستطاع أداد شوم أوتسور Adad Shoum outsour (حوالى ١٢٤٦ ـ ١٢١٧) الـــذى خـــلف أداد شـــوم اديـــن Adad-shoum-iddin (حوالى ١٢٥٢ ـ ١٢٤٧) استرداد تمثال مردوك من ملك أشور وربما كذلك ختم شـــاجاراكتى شـــورياش الذى سيجده فيما بعد سناخريب Sennachérib ضمن كنوز بابل • وحين تمكن الأشوريون الذين ثاروا ضـــد ملكهم الذى ذهب الى بابل من طرد أشـــور شـــوم ليشـــير Ashour-shoum-lishir الوصى على المملكة والتمســـوا تســـليم ملكهم رفض ذلك أداد شوم أوتسور ، بل انه هاجم الملك الجديد وهزمه وذبحه فى معركة ثم طارد العدو الى أسوار أشور وحاصر المدينة ولكنه فشل فى اخضـــاعها •

وانتقل عرش بابل من الأب الى الابن عن طريق ميليشيباك الثانى Mèli-shipak II (حوالى ١٢١٦ ـ ١٢٠٢) ثم مردوك أبال ادين الأول Mardouk-apal-iddin I (حوالى ١٢٠١ ـ ١١٨٩) ثم زابابا شوم ادين Zababa-shoum-iddin وقد هوجم الأخير ••• هاجمه أشور دان الأول Ishour-dân I الأشورى الذى استولى على زابان Zaban وايريا Irria وآكارسالو Akarsallou وحمل معه غنائم وافرة • وفى نفس العام غزا شوتروك ناهونتى Shoutrouk-nahountè ، ملـــك عيـــلام بلاد بابل وهزم وذبح « زبابا شوم أدين » واستطاع هو وابنه أن يكتســـحا سيبار ومائة مدينة وقرية أخرى • وحمل معه الى بلاده عددا من الآثار التى عثر عليها فى خرائب سوسه : هى لوحات (شواهد) من سرجون

ونارام سن ومسلة مانيشتوسو Manishtousou وقانون حمورابي و « الكودورات » Koudourrous الكاسية ... الخ وحكم الليل نادين اهي Ellil-nadin-achi الملك السادس والثلاثون وآخر ملوك الأسرة الكاسية مدى ثلاث سنوات (١١٨٧ ـ ١١٨٥) .

وقد شغلت الأسرة الكاسية عرش بابل مدى ٥٧٦ عاما وأدخلوا استعمال الحصان ولم يكن كثير الانتشار في السهل من قبل . وقد غيروا طريقة حساب السنين ومنذ عصرهم نجد أن كل سنة لم تعد تسمي بصيغة معقدة تنتسب بها الى حادث معاصر معين بل ترتب بالنسبة لحكم كل ملك وهي عادة ظل معمولا بها حتى سقوط الامبراطوريه البابلية . ولم تعد السلطة الملكية قوية قوة تكفي لتأمين حماية الممتلكات الخاصة فالتمس عون الدين وهكذا أصبح الناس لا يكتفون بحجج الملكية بل اقيمت أحجار عليها رموز دينية على الأملاك الكبيرة التي كان الملك يمنحها للأمراء والرعايا الذين يرغب في مكافأتهم عن خدماتهم . كما سجل علي هذه الأحجار تاريخ الملكية وكذا اللعنات على من يغير أو يحرك الأثر المنقوش عليه .

ومن المحتمل أن يكون شوتروك ناهوتي ـ بعد سقوط زبابا شوم أدين ـ قد أعلن نفسه ملكا لبابل . ولكن القوائم الملكية تذكر اسم ايلليل نادين أهي الكاسي كما تذكر من بعده الأسرة الرابعة المسماة أسرة باشيه Pashé التى ظل ملوكها الأحد عشر علي العرش مدى ١٣٢½ سنة . وقد رفع اينورتا نادين شوهي Inourta-nadin-shoumi ثاني ملوك هذه الأسرة النير العيلامي كما اضطر ثالثهم نابوخودوروسر الأول Nabouchodorosor 1 (حوالي ١١٤٠) أن يعاود الصراع . وقد هزمه في بادىء الأمر ملك عيلام فى دورابيل سن Dour-apil-sin ولكنه استطاع أن يسترد كل أراضيه بل سار الى أبعد من هذا فتابع الحرب الي ما وراء حدوده . وفتح لوللومو Loulloumou فى الاقليم الجبلي الواقع شرق بابل وقام بغارة نحو الغرب اتخذ لنفسه علي أثرها لقب « فاتح عمور » .

وقد حاول أشور ريش ايشى Ashour-rise-ishi ملك اشور القيام بغزوة ولكن نابو خودوروسر رده وحاصر قلعة زانكى Zanki الواقعة على الحدود الا أنه اضطر الى الانسحاب وحرق العدو عقاره ثم عاود الهجوم ولكنه هزم واستولى على معسكره وأسر القائد الأعلى وسقطت اربعون عربة من عرباته فى أيدى الأشوريين . وقد احتل ايلليل نادين ابلي Ellil-nadin-apli (حوالي ١١٢٠) بن نابو خودوروسور ،

كل بلاد بابل ، لأنه أهدى أرضا واقعة في منطقة ادينا Edina الى أرض البحر ٠

وقد اشتبك تجلات فالاسار الأول Tèglath-phalsar I الأشورى مرتين مع ملك بابل ففى المعركة الأولى ـ ومن المحتمل أن خصمه في الصراع الأول كان ماردوك نادين أهى (حوالى ١١١٠) ـ أخذ البابلى معه في الأسر تماثيل أداد Adad وشالا Shala من معبودات ايكاللاتا Ekallaté ، التى سيعثر عليها فيما بعد سناخريب فى هيكل من هياكل بابل عام ٦٨٩ ٠ أما فى المعركة الثانية فقد استولى الأشورى على بابل ودوز كوريجالزو وسيبار وأوبيس ولكنه لم يستقر بها ٠ وقد أنهى أشوربل كالا ، Ashour-bàl-kala بن تجلات فالاسار هذا الصراع الذى استمر مستمرا دون توقف خلال ثلاثة قرون تقريبا بين البلدين وكان على أطيب صلة مع مردوك شابيك زر مائيم Mardouk-shapik-zêr-maim خليفة ماردوك نادين اهى ٠ وتبع ذلك عهد ازدهار فى بابل : فأعيد بناء أسوارها ووسع معبد ماردوك ٠

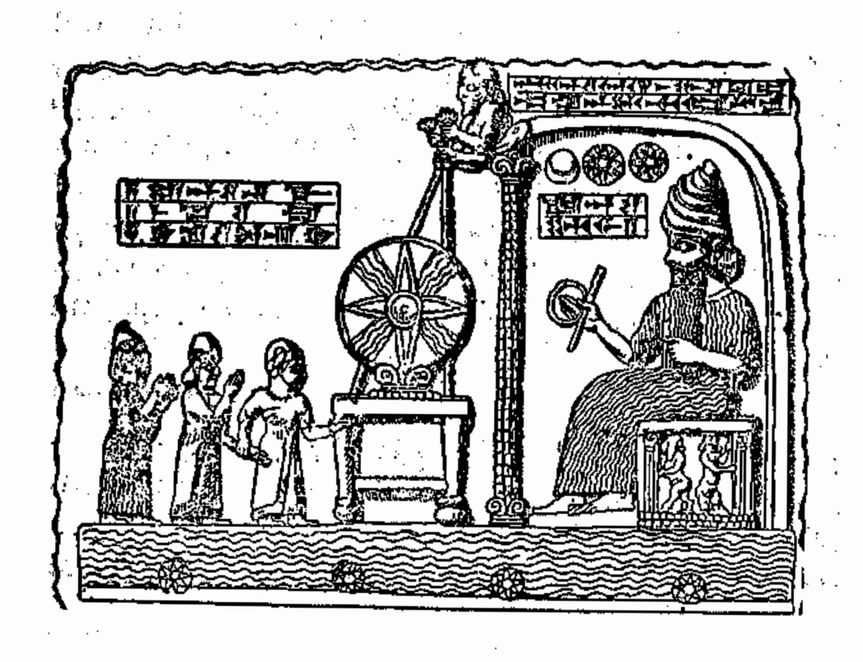
وقد أسدلت الستار على عهد ماردوك شابيك زرمائيم ثورة قام بها رعاياه وزوج الأرامى أداد أبال اديـــن Adad-apal-iddin الذى اعتلى العرش ابنته من ملك أشور ٠ وساد السلام ـ أو قل التهادن ـ خلال فترة تزيد على نصف قرن ٠ وقد كانت سومير وأكد خلال هذه الفترة فريسة لسوتيين Soutéens وهم اراميون شبه رحل حطوا على ضفة الفرات اليمنى واتخذوها مركزا للاغارة على المدن ومعابدها وسلب ما بها فخربوا مثلا هيكل شاماش فى سيبار ولم تقم فيه الشعائر الدينية الا فى عهد شيماش شيباك Shimmash shipak (١٠٥٢ ـ ١٠٣٥) الذى جاء من أرض البحر وأسس الأسرة الخامسة ومات بحد السيف بعد حكم دام ثمـــانى عشرة ســنة ولم يعمر أيا موكين شــومى Ea-moukin-shoumi المغتصب سوى بضعة شهور ٠ ولا نرى خلال السنوات الثلاث التى حكم خلالها كاشو نادين اهى Kashshou-nadin-ahé سوى الحروب الأهلية والخارجية والمجاعة ٠ أما فى سيبار فلم يعد من المستطاع اقامة الشــعائر الدينية لشـــماش كمـــا اختفت المؤسسات وأهمل العمل بالقـــوانين ٠

وقد دامت الأسرة التالية ، وهى الأسرة السادسة ، عشرين عاما وثلاثة شهور (حوالى ١٠٣١ ـ ١٠١٢) اعتلى العرش خلالها ثلاثة ملوك وكانت عهد خراب وبؤس وعواصف وفيضانات ٠ وقد كون العيلامى ماربيتى أبال أو تســـور Mâr-biti-apal-outsour بمفرده الأسرة السابعة وظل على العرش ست سنوات (١٠١١ ـ ١٠٠٦) ٠

وأنشأ نابوموكين أبلي Nabou-moukin-apli (حوالي ١٠٠٥ ـ ٩٧٠) الأسرة الثامنة ولدينا صورة منه على كودورو • وجمعت خلال حكمه مجموعة من التنبؤات وظلت محتفظا بها • وقد أخذت القبائل الآرامية فيما وراء الفرات تتحرك وتســـبب المتاعب لبابل حتى ان نابو Nabou في العام السابع لم يستطع الحضــور من بورسيبا Borsippa الى بابل لمناسبة احتفالات رأس السنة • كما أن البابليين قد اضطروا أكثر من مرة خلال حكمه بل ولعدة سنوات متتالية الى العدول عن هذه الحفلات الدينية التى كانت لها عندهم أهمية كبيرة •

أما شاماش موداماق (حوالى ٩١٠) Shamash-moudammaq الخليفة الثالث لنابوموكين أبلى فقد هزمه أداد نيرارى الأشورى وفقد فرسانه وعرباته وقتله نبوشوم أوكين Nabou-shoum Oukin واستولى على السلطة •

وغزا أداد نيرارى بلاد بابل واستولى على عدة مدن وعلى غنيمة ضخمة • وبعد فترة عقد الأميران صلحا وحددا أراضى مملكتيهما وتبادلا بناتهما عن طريق الزواج •



شكل (٧) لوحة نابو ابلا ادين (المتحف البريطانى)

وقد خشى « نابو أبلا أدين Nabou-apla-iddin » بن « نبـو شـــوم أوكين » أن يسمه عليه أشور ناتسير أبلا الثانى Ashour-nâtsir-apla II أسواق سوريا (التجارية) فتحالف مع أراميى سوهى Souhi (٨٧٩) تحت ملتقى نهرى هابور . Habour وأرسل لهم جندا ولكن أخاه تسابدانو Tsabdanou والقائد بل أبلا أدين Bél-apla-iddin وثلاثة آلاف رجل وقعوا فى قبضة العدو واضطر ملك بابل الى أن يعقد الصلح مع أشور ولم يكن يسعه منذ ذلك الوقت الا أن يكرس جهوده لاصلاح خرائب بلاده . وتشير احدى اللوحات الحجرية الى الأعمال التى قام بها فى معبد شاماش والى اعادة العبادة فى العام الحادي والثلاثين من حكمه وقد ظهر في الصورة يقوده كاهن ومصحوبا بالالهة أيا Aïa الى حيث يجلس الاله في هيكله (١) .

واهدى مردوك زاكير شوم Mardouk-zakir-shoum بن وخليفة نابو أبلا أدين الى ماردوك أسطوانة من اللازورد بها صورة محفورة وقد مثل الاله على هذا الـ « كونوكو » Kounoukkou واقفا ومعه التنين المقدس (٢) .

وفى عام ٨٥٢ طلب وساطة سالمنصر الثالث Salmansar III ملك أشور ضد أخيه مردوك بل أوشاتيه Mardouk-Bél-oushâté الذى ثار وأعلن نفسه ملكا مستقلا على الأقاليم الشرقية فاكتسح سالمنصر الأراضى التى يحتلها « مردوك بل أوشاتيه » ثم قبض عليه فى العام التالى وأمر بقتله . وأعلن ملك بابل خضوعه التام كما أن الأشورى أدى فروضه كملك الى الآلهة فى معابدهم فى كوثا Koutha وبورسيبا وبابل وقدم لهم هدايا ثمينة ثم نزل الى كلديا واستولى على قلعة Bagâni الواقعة على الحدود وتقبل خضوع أدينى Adini رئيسها وجاكين Jakin ملك أراضى البحر . وقد أمر أن تمثل هذه الموقعة بنقوش على برونز بلاوات Balawat يحضر له فيها الكلدانيون الجزية : أوان وثيران وساريات « صوار » للخيام .

ولكن بابل لم تكن لتستطيع السكوت طويلا على هذا الخضـــوع فاعتزم شامشى أداد الخامس shamshi-adad V بن سالمنصر القيـــام بحملة ضد ماردوك بالاتسو اقبى Mardouk-balatsou-iqbi الذى شكل اتحادا من الكلدانيين والأراميين والعيلاميين ومحاربين من نامرى Namri

---

(١) شكل ٧ .

(٢) شكل ١٣ .

وقد قامت المعركة الكبرى في دور بابســوكال Dour-papsoukal واستولى الاشوريون على غنائم ضخمة ومن المحتمل أن يكون العرش قد ظل شاغرا فترة من الزمن بعد وفاة مردوك بلاتسي اقبي واستوطن بعض الاراميين أراضي بابل وبورسيبا الزراعية ولكن اربا مردوك Erba-mardouk من سلالة مردوك زاكير شوم قتلهم بحد السيف وأعاد الحقول والبساتين الى أصحابها الشرعيين وأصبح ملكا وان لم يستطع أن « يأخذ بيد بعل » Bêl الا في العام الثاني من حكمه . وهناك ملك آخر هو « باوو أهيه أدين Baou-ahê-iddin » اقتاده أداد نيراري الثالث Adad-nirari III الى أشور واستولى على كنوزه . وتم الاستيلاء على البلد كله ونفيت الآلهة وتقبلت آلهة كوتا وبورسيبا وبابل قرابين الملك الأشوري الذي نزل حتى كلديا التي دفع له أمراؤها الجزية .

والى هنا ينتهي التاريخ المتوافق من الناحية الزمنية . ونحن لا نعرف شيئا عن نهاية الأسرة الثامنة كما لا نعرف شيئا كذلك عن بداية الأسرة التاسعة مدى ستين عاما تقريبا ؛ ولقد كانت السلطة المركزية ضعيفة في بابل وكان شاماش ريش أوتسور Shamash-rêsh-outsour حاكم ماري Mari وسوهي Souhi على الفرات الأوسط يتصرف باسم ملك أشور كما لو كان مليكا مستقلا .

وفي عام ٧٤٨ بدأ عهد الملك نابو ناسار (نابو ناتسير) Nabonasser (Nabou-natsir) (٧٤٨ ــ ٧٣٤) وهو تاريخ يعتبر نقطة البدء لقانون بطلميوس . وفي العام الثالث من عهده (٧٤٥) أعلن القائد الأشوري بولو Poulou ــ مثير احدى الفتن العسكرية ــ نفسه ملكا على أشور تحت اسم تجلات فالاسار الثالث Téglath-phalasar III وافتتح آخر فترة للتوسع ، تلك الفترة التي ضمنت السلطان على بابل خلال مدة تربو على قرن من الزمان ولكنها انتهت في عام ٦١٢ بانهيار نينوى وخراب أشور نهائيا . ولم يضيع وقته هباء اذ أنه غزا بابل واضطر نابوناسار ــ حين ثارت عليه بورسيبا وسيبار ــ الى الاعتراف بسيادته وخضعت له أهم المدن ونزل حتى نيبور وأعلن نفسه ملكا على سومر وأكد .

ثم قتل نابو نادين زر Nabou nadin Zêr (ابن نوباناسار) بعد أن تولى الحكم مدى عامين .. قتله نابو شوم أوكين Nabou-shoum-oukin الذي دام حكمه شهرا واثنى عشر يوما وانتهت به الأسرة التاسعة .

★★★

وتضم الأسرة العاشرة أسماء ١٩ ملكا من أصول مختلفة اعتلوا العرش فيما بين عامي ٧٣٢ و ٦١٢ في العهد الذي كانت فيه بابل تكاد تكون كلها خاضعة لأشور . وقد نفى نابو أوكين زر Nabou-oukin-zêr

(٧٣٢ ـ ٧٣٠) نفاه تجلات فالاسر Tèglath Phalsar الذى أصبح ملكا تحت اسم بولو Poulou (٧٢٩ ـ ٧٢٧) وتلاه سالمنصر الخامس وأطلق على نفسه اسم أولولاى Ouloulaï فى بابل (٧٢٧ ـ ٧٢٢) وعند موته عـين مروداخ بالدان الثـانى (٧٢١ ـ ٧١٠) Mérodach Baladan II ـ وهو الملك الكلدانى لبيت ياكين Bît Jakîn فى أرض البحر الذى ذكر أنه من سلالة اربا مردوك Erba Mardouk أحد ملوك الأسرة الثامنة ـ عين حاكما فى بابل وادعى الحكم كملك ٠ فتقدم سرجون الثانى الأشورى نحو أكد وقامت الحرب بينه وبين مروداخ بالادان الذى عاونه هومبانيجاش Houmbanigash ملك عيلام تحت أسوار دير Dêr ولكنه هزم ٠ وهكذا ظل مروداخ بالادان يحكم دون منازع مدى اثنى عشر عاما فى الوقت الذى كان فيه الملك الأشورى مشغولا بالحروب فى سوريا وأورارتو Ourartou ومع ذلك فلم يكن هذا عهد ازدهار بالنسبة لسكان أكد لأن أرضهم كانت قد قسمت بين الأجناد الكلدانيين والأراميين ٠ ولذا فانه لما عاد سرجون عام ٧١٠ بعد أن تغلب على المصريين والأورارتيين ليهاجم مروداخ بالادان هرب الأخير الى الجنوب واصطحب معه أشراف بابل وسيبار ونيبور كرهائن ٠ وعم السرور العاصمة لرحيل الطاغية ونظمت الأعياد تمجيدا للأشورى الذى نودى به « محررا » ٠

وفى يوم رأس السنة (٧٠٩) « أخذ سرجون بيـد بعل Bêl » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل (٧٠٩ ـ ٧٠٥) وتقهقر مروداخ بالادان شيئا فشيئا الى ناحية بيت ياكين تحت ضغط عدوه وهناك أطلق الفيضان أمام مطارديه ولكن الأشورى احتال حتى استطاع أن يجد ممرا فهرب مروداخ بالادان الى عيلام على حين سحق البوكوديون Pouqoudéens والسوتيون Soutêens الذين كانوا قدموا لمعاونته ٠ واجتيحت بيت ياكين وأنقذت الرهائن البابلية وأعيدت لهم حرياتهم ٠ وأبعد سـكان المدينة الى مكان آخر وحل محلهم سجناء أسرى كان قد قبض عليهم فى كوماجين Commagène وأصلح سارجون المدن ومعابدها : أور وأوروك وأريدو ولارسا وكيش (١) ووسـع بابل وشـيد رصيفا غطاه بالأسفلت فيما بين بوابة عشتار والفرات ٠ وكانت زاوية من هذا الرصيف بها برج دائرى عثر عليه فى شمال غرب القلعة وكان الحائطان المحيطان بها ـ وقد بناهما سرجون كذلك ـ يعاد اصلاحهما من وقت لآخر ٠

وتذكر رواية يونانية أن سرجون أمر بعرش بابل الى أحد أبنائه ولما مات ميتة غير طبيعية عام ٧٠٥ كان سنناخريب الذى خلفه فى أشور

(١) I. t. x, p. 83 et suiv.

في صراع مع أرمينيا ولم يستطع التدخل في الشئون الأكدية · وطبقا لما جاء بقائمة ملكية نجد أن عبدا استطاع أن يستحوذ على السلطة ويحتفظ بها مدى شهر · وعاد مروداخ بالادان بمســـاعدة هليوشو Halloushou ملك عيلام وحكم بضعة شهور وهزمه سناخريب تحت أسوار كيش ودخل العاصمة في غير عناء ثم اجتاح كلديا جميعا وأبعد ٢٠٨٠٠٠ من سكانها الى مكان آخر وعين « بعل ابني Bêl-ibni » (٧٠٢ ــ ٧٠٠) الأمير البابلي الذي ربي في بلاط أشور ·· واليا ــ وبعد ثلاث سنوات تحالف مع مروداخ بالادان ودفع الأخير ــ الذي كان قد عاد الى المستنقعات في أرض البحر ــ الكلداني موشزيب ماردوك Moushézib-Mardouk الى أن يقوم بثورة وخلع بعل ابني ··· خلعه سناخريب ووضع ابنه أشورنادين شومي مكانه (٧٠٠ ــ ٦٩٤) وانسحب موشزيب ماردوك الى المستنقعات وبعد أن حاول مروداخ بالادان المقامة حمل آلهته وقومه بحرا وبحث عن مكان يلجأ اليه في ناجيتي Nagiti على شاطيء عيلام وعول ملك أشور على مطاردته عبر البحر فبنى أسطولا وعبر الخليج الفارسي وهاجم الكلدانيين في المكان الذي لجأوا اليه ··· فانقض ملك عيلام ــ الذي اغتصب واعتدى على أرضه ــ على بابل واجتاح سيبار وأخذ « أشور نادين شومي » أســيرا وأحــل محله الكلداني « نرجال شــزيب » Nergal-shêzib (٦٩٤ ــ ٦٩٣) واتجه الأخير جنوبا ليعوق مرور الجيش الأشوري عند عودته من ناجيتي وقامت معركة كبيرة أسر فيها نرجال شزيب وحمل الى أشور · وكان سناخريب يعتزم ان ينتهز فرصة القلاقل في عيلام ليغزو هذه البلاد ولكن منعه من ذلك حلول الشتاء (عام ٦٩٣) · واستولى موشزيب مردوك (٦٩٣ ــ ٦٨٩) على السلطة في بابل واغتصب كنوز « الايزاجيل » بقصد ارسال هدايا قيمة الى ملك علام « هومبان مينانو Houmban-menanou » وعقد حلفا معه · وانتظر الكلدانيون والآراميون والبابليون والفرس والبوكوريون والجمبوليون ··· انتظروا الأشوريين في هالولة Haloulé شرق دجلة وأعلن سناخريب انه انتصر وان لم يستطع ان يجني ثمار نجاحه على الفور ··· وبعد عامين (٦٨٩) عقب موت « هومبان مينانو » ملك عيلام استولى على بابل وأحال حصونها الى أنقاض وحطم معابدها وقصورها وبيوتها وأبعد أهليها الى مكان آخر وحمل الاله موردوك أسيرا وحول الاقليم الى مستنقع ضخم « كي لا يستطيع امرؤ في المستقبل أن يتعرف على تربة هذه المدينة ولا على معابد الآلهة : لقد حطمتها بالماء حتى أحلتها الى شبه مستنقعات » ·

وترك ابنه اسارحادون Asarhaddon (٦٨١ ــ ٦٦٩) ــ الذي شغل الى أقصى حد بحروبه في الغرب ــ ترك الى قواده مهمة رد العيلاميين

الذى كانوا قد تقدموا حتى وصلوا الى سيبار وكذا محاربة « نابوزركينيش ليشير » Nabou-zêr-Kênish-lishir بن مروداخ بلادان الذى استولى على أور ، وهرب ذلك الأمير الى عيلام حيث قتل . وخضع أخوه « ناعيد مردوك Nâ'id-mardouk واعترف به كمولى فى أرض البحر . وأعيد بناء بابل وأصلحت المدن . وجدد بناء المعابد كما وطدت دعائم العبادة من جديد .

وفى عام ٦٦٨ اختار اسار حادون ابنه أشور بانيبال Ashourbanipal ليخلفه فى أشور ومنح حكم بابل الى ابن آخر هو « شاماش شوم أوكين » Shamash-shoum-okin (٦٦٨ ـ ٦٤٨) ودخل موردوك من جديد الى الايزاجيل فى شهر أيار (مايو) من عام ٦٦٨ وأمسك بيده شاماش شوم أوكين فى احتفالات عيد رأس سنة ٦٦٧ . واستمر أشور بانيبال يقبض مباشرة على ناصية الأمور فى الأقاليم الجنوبية ويعين الحكام الأشوريين هناك . ولم يهمل تقديم الفروض اللازمة نحو كبار الآلهة فى كوتا وبورسيبا وبابل . وشغل الوالى أولا بالأمور السلمية وحين أحس بقوة تسمح له برفع النير كون عصبة ضد أشور قوامها « هومبانيجاش الثانى » ملك عيلام وكذا العرب والأراميون والكلدانيون وحرم على أخيه أن يقدم القرابين فى المدن البابلية ... وبعد انتصار رائع فى أراهسامنه Arahsamnah (٦٥٠) حاصر أشور بانيبال بابل وبورسيبا وكوتا وسيبار وأعاد فتح كلديا بسرعة . وقاومت بابل حتى أيار من عام ٦٤٨ ثم اضطرت للتسليم بسبب المجاعة والمرض أكثر منه بسبب السلاح فحرقت وأسيلت دماء أهليها ومات « شاماش شوم أوكين » فى قصره الذى يحترق وحل مكانه « كاندالانو » Kandalanou . وكان لخلفائه سلطان غير ثابت على بعض المدن نذكر منها نيبور وأور وأوروك .

وفى عام ٦٢٥ كان السيثيون (السكيثيون) Scythes يهددون الامبراطورية . ونادى نابوبو لاسار Nabopolassar بنفسه ملكا وأسس الأسرة الحادية عشرة المعروفة بالأسرة « البابلية الجديدة » ولم يكن سلطانه يمتد فى أول الأمر الا على بابل وبورسيبا ولكنه عرف كيف ينتفع من وراء ضعف أشور السريع لتوسيع بلاده فتحالف مع سياكسار Cyaxare ملك الميديين وزوج بنت هذا الأمير من ابنه نبوخودوروسور وحين دخل الميديون الى ميزوبوتاميا وحاصروا نينوى ساهم البابليون فى الحملة وبعد مقاومة استغرقت ثلاث سنوات أخذت المدينة (٦١٢) واختفت الامبراطورية الأشورية .

وكانت مصر كذلك قد حطمت نير نينوى فمنذ عام (٦٠٨) احتلت فلسطين وسوريا ووصل « نيخاو » حتى الفرات والآن ... بعد أن ظلت

بابل تحارب آشور مدى قرون بقصد حماية تجارتها ... فهل تستطيع ليقاوم تقدم المصريين ، وفي ٦٠٤ هزمهم في قرقميش وطاردهم منتصرا . وحين وصل الى بلوزيوم علم بوفاة أبيه ووجد نفسه مضطرا الى العودة الى بابل ليخلفه .

ولقد كان نابوبالاسار بناء عظيما . وقد تابع نبوخودوروسور الثانى (٦٠٤ - ٥٦١) اصلاح وتزيين المدن . والى عصره ترجع أهم الآثار التى كشف عنها فى بابل وهى : سور خارجى للمدينة من اللبن المرسوم . وقصر يمكن أن نتلمس فيه تأثير الفنين الحيثى والأشورى وخاصة بوابة عشتار وهى أهم الأطلال قاطبة . ولقد أعاد بنـاء الايزاجيل ورصف الطريق المقدس وأنشأ الحدائق المعلقة وهى احدى العجائب السبع فى العالم القديم .

ولقد اعترف الجانب الأكبر من سوريا بسلطان نبوخودوروسر عام ٦٠٤ وسرعان ما توقفت مملكة يهوذا عن دفع الجزية ، ورغم تبكيت النبى « ارميا » نراها تثور على مولاها . وأخذت أورشليم عام ٥٩٦ وأبعد جانب من سكانها الى جهة أخرى وحاولت مصر أن تستعيد نفوذها على سوريا وانضمت اليها يهوذا Juda وكذا صور وصيدا . وفى ٥٨٧ استقر نبوخودوروسور فى ربلة Ribla على الأورونت وأرسل من هناك قوة لحصار أورشليم للمرة الثانية وحاول أبريس الفرعون عبثا أن يذهب لمعاونة حليفه واستسلمت المدينة فى العالم التالى وحمل معظم أهليها كأسرى . وأحضر الملك صدقيا Sédécias الى ربلة بعد ما أسر وهو يحاول الهرب وذبح أولاده أمام عينيه ثم حرم من بصره وأثقل بالأغلال واقتيد الى بابل . أما صور فقد تابعت المقاومة مدة أطول بلغت ١٣ سنة - على حد رواية جوسيفوس - (٥٨٥ - ٥٧٣) .

وقد ساهم نبوخودوروسر فى الصراع كحليف للميديين ضد ليديا . وقد حدث كسوف شمسى فى الثامن والعشرين من مايو عام ٥٨٥ أثناء معركة ضخمة ضد سياكسار عند اليات Alyatte على شواطىء هاليس Halys واعتبر هذا الحدث (هذه الظاهرة) انذارا للطرفين واتفق على السلم واشترك الملك البابلى فى عقد المعاهد التى تثبت هاليس كحد بين الميديين والليديين .

وفى العام السابع والثلاثين من حكمه (٥٥٨) - طبقا لقطعة من حولياته - قاد نبوخودوروسر الثانى حملة ضد أمازيس ملك مصر ويظهر أنه انتصر على المصريين واليونان المستأجرين المرتزقة وربما وصل حتى أن تحتمل قبضة فرعون على الشاطىء السورى ؟ لقد أرسل نبوخودورسور

الدلتا • وقد خلف نقوشا صخرية في سوريا : في وادى بريسا Brissa وعند نهر الكلب •

أما ابنه « افيل مروداخ » (أويل مردوك) (Evil-Merodach (Awil-Mardouk) فلم يدن يردعه قانون أو عرف • وفي أقل من ثلاث سنوات من ولايته قتلته العصبة الكهنوتية وأحلت مكانه نريجليسار (نرجال شار أوتسور Nérglissar Nergal-shar-outsour (٥٥٩ ـ ٥٥٦) وهو « الرابماج rab-mag » الذى حضر حصار أورشليم والذى كان قد تزوج من احدى بنات نبوخودوروسر • ومات نريجليسار دون أن يعيد تنظيم القوى الحربية في بلاده • وقد أصلح معابد بابل وبورسيبا وبنى لنفسه قصرا بالمدينة الأخيرة • وخلع ابنه « لاباشي مردوك Labashi Mardouk الطفل بعد أن استقر فوق العرش تسعة شهور واعتلاه مكانه « نابونيد (نابوناعيد) (Nabonide (nabou-nâ'id » (٥٥٥ ـ ٥٣٩) ابن كاهنة سن Sin في هاران Harran (١) الذى كان متأثرا بالتقاليد والذى شغل تماما بالآثار واصلاح العبادة حتى سمى « بالملك المبكرستاني » (قيم المعبد) ـ وكونت امبراطوريته من بابل وميزوبوتاميا وسوريا حتى غزة • ولكن قوة أخرى كانت تنشأ في عيلام ففى ٥٥٠ ثار كيروش ملك انزان ـ وهو مولى « لأستياج Astyage » الميدى ـ وخلع مولاه وهاجم ليديا حيث كانت شهرة كريسوس Crèsus قد جلبت الى عاصمته سارديس Sardes أكثر اليونانيين ثقافة • وقد استولى بعد موقعة بتريوم Ptérium في كابادوكيا (٥٤٧) على هذه المدينة وأنهى دولة ليديا (٥٤٦) ثم اتجه نحو بابل التى كانت تعضد كريسوس بالاتفاق مع مصر •

وكانت العصبة الكهنوتية والشعب قد ابتعدوا جميعا عن الملك فلم يجرؤ أن يأتى الى المدينة بينما لم يكن في الاستطاعة الاحتفال بعيد رأس السنة دون حضوره • وفي حماسة الأسرى وبدعوى ضمان سلامة الآلهة ، جمع كل تماثيلهم تقريبا في معابد العاصمة • وكانت شئون الدولة وقيادة الجيش في يد ابنه « بالثازار » (بعل شسار أوتسور) Balthazar (Bêl-shar-outsour) وانحاز « كوبارو (جوبرياس) Koubarou (Gobryas) » البابلى حاكم جوتى Gouti (ما بين الزاب Zâb والدياله Diyala) الى ملك انزان Anzan وأمده بالمتطوعين • وهزم بالثازار في أوبيس Opis ثم لم شمل جيشه فهزم مرة أخرى • وفى

(١) I, t. XI, p. 170.

الرابع عشر من تموز عام ٥٣٩ فتحت سيبار بواباتها وهرب نابونيد ٠ وفى السادس عشر دخل جوبرياس الى بابل ٠ وفى الثالث من مرهيشفان Marheshvan التالى استقبل كيروش هناك استقبال المحرر وكسب شعبيته عن طريق اصلاح شامل للعبادة ٠ ومات نابونيد فى منفاه فى كرمانيـــا Carmanie .

وحرص ملك آنزان على المحافظة على تقاليد الأقوام الذين أخضعهم فظلت السجلات الخاصة فى بابل تكتب بنفس العبارات التى كانت تتم بهـــا من قبل ٠ وحين مات قمبيز Cambyse (٥٢٩ ـ ٥٢٢) خليفة كيروش حاول مطالبان بالعرش أن يرفعا النير ، ولكن دارايوس Darius الميدى ، بن هستاسب Hystaspe ـ وهو أمير من بيت كيروش ـ تولى قيادة الجيش وحاصر بابل ودعم سلطانه هناك ٠

وفى نهاية حكمه وعند بداية حكم اكسزركسيس Xerxès (٤٨٦ ـ ٤٦٥) ظهـور مغتصبون فجرد اكسزركسيس المدينة ونهبهـا وحـطم الايزاجيل ٠ وفى ٣٣١ بعد هزيمة دارايوس الثالث أختار الاسكندر بابل عاصمة له فى آسيا واعتزم اعادة بناء معبد مردوك ٠

وهناك لوحة من السنة السادسة من حكمه تسجل ايصالا بدفع عشر مينات (١) من الفضة أجرا لرفع الأنقاض ٠ وقد بنى اليونان لأنفسهم مسرحا من اللبن به أعمدة حجرية ٠ وقد أثرت تقاليدهم على عادات البابليين الذين كان لهم حق التسمى بأسماء يونانية تبعا لامتياز ملكى ٠

وفى ٢٧٠ أصلح انتيوخس سوتر Antiochus Soter المعابد فى بابل وبورسيبا وأوروك ٠

وفى القرن الثـــانى كانت الصـــنوات تقـــدم الى آنو ومردوك Anou & Mardouk كمعبود واحـدتحت اسم« أنا ـ بعل » Ana-Bêl وبدأت الأسر تشيد مساكنها من مواد المدن القديمة : وهكذا أقام « أداد نادين اهى Adad-nadin-ahê » قصرا فى موقع لاجاش بناه من طوب جوديا Goudéa وقد ظلت الشعائر الدينية تقام فى بابل حتى عام ٢٧ ق٠م٠

---

(١) انظر هامش ١ ، ص ٥١ ٠

المينة تساوى نحو ٣٠٠ ريال وتحتوى على ٦٠ شاقلا ـ (المترجم) ٠

ملخص تاريخي لتاريخ بابل

تاريخ أسطوري

الخليقة			
الفوضى	٢٢٣٠٠٠٠	سنة	
عشرة ملوك قبل الطوفان	٤٣٢٠٠٠	سنة	— ٤٥٦٠٠٠ عن W.B. 62
الطوفان (١)			
الأسرة الأولى فى كيش (فى أكد)	أكثر من ١٨٠٠٠	»	ايتانا
الأسرة الأولى فى أوروك (فى سومير)	» » ٢١٧١	»	دوموزى
» » » أور (فى سومير)	١٧١	»	جلجامش
أسرة أوان (فى عيلام)	٣٥٦	»	
الأسرة الثانية فى كيش	٣٧٩٢	»	
أسرة حامازى (فى عيلام)	٧	»	
الأسرة الثالثة فى كيش	—	»	
الأسرة الثانية فى أور	١٠٨	»	
أسرة اداد (فى سومير)	٩٠	»	
أسرة مارى (على الفرات الأوسط)	أكثر من ٣٠	»	
الأسرة الثانية فى أوروك	—	»	
أسرة اكشاك (فى أكد)	٩٩	»	

(١) مدة الأسرات السابقة على الطوفان هى ٤٥٦٠٠٠ سنة طبقا للوثيقة W. B 62 و ٢٤١٢٠٠ سنة طبقا للوثيقة W. B. 444 التى تذكر أيضا الأرقام الآتية :

الأسرة الأولى فى كيش : ٢٤٥١٠ سنة وثلاثة شهور وثلاثة أيام ونصف

الأسرة الأولى فى أوروك : ٢٣١٠ سنة

الأسرة الثانية فى كيش : ٣١٩٥ »

الأسرة الثانية فى أوروك : ٤٢٠ سنة

» فى مارى : ١٣٦ »

» الثانية فى كيش : ١٠٠ »

» الرابعة فى كيش : ٤٩١ » وهو رقم يبدو أن من الواجب تصحيحه إلى ٩٧¾ سنة .

» الخامسة فى أوروك : ٧ سنوات

وكما سبق شرحه فى الملاحظة الخاصة بصفحتى ٢١ و ٢٢ فان الأسرة الثالثة فى كيش والثانية فى أوروك يجب وضع كل منهما مكان الأخرى .

الأسرة الرابعة فى كيش	١٠٦ سنوات	أوروكاجينا فى لاجاش
« الثالثة فى أوروك	٢٥	لوجال زاجيسى
أسرة أجاده (فى أكد)	حوالى ٢٨٤٥ ـ ٢٦٤٩	سرجون ونرام سن
الأسرة الرابعة فى أوروك	« ٢٦٤٨ ـ ٢٦٢٣	
أسرة جوتيوم (شرق دجلة)	« ٢٦٢٢ ـ ٢٤٩٨	
الأسرة الخامسة فى أوروك	« ٢٤٩٧ ـ ٢٤٧٥	جوديا فى لاجاش
الأسرة الثالثة فى أور	« ٢٤٧٤ ـ ٢٣٥٨	دونجى
أسرة ايسين	« ٢٣٥٧ ـ ٢١٣٢	
أسرة لارسا	« ٢٣٥٧ ـ ٢٠٩٥	
الأسرة الأولى فى بابل (عمورية)	٢٢٢٥ ـ ١٩٢٦	حمورابى
الأسرة الثانية (أرض البحر) فى بابل	١٩٢٥ ـ ١٧٦١	
الأسرة الثالثة (الكاسية)	١٧٦٠ ـ ١١٨٥	
الأسرة الرابعة	١١٨٤ ـ ١٠٥٣	
الأسرة الخامسة	١٠٥٢ ـ ١٠٣٢	
الأسرة السادسة	١٠٣١ ـ ١٠١٢	
الأسرة السابعة (عيلامية)	١٠١١ ـ ١٠٠٦	
الأسرة الثامنة	١٠٠٥ ـ ٧٦٢	
الأسرة التاسعة	٧٦١ ـ ٧٣٣	
الأسرة العاشرة (الإحتلال الأشورى)	٧٣٢ ـ ٦٢٦	
الأسرة الحادية عشرة (البابلية الجديدة)	٦٢٥ ـ ٥٣٩	نبوخودوروسور الثانى
الأسرة الثانية عشرة	٥٣٩ ـ ٣٣١	

التنظيم

الفصـل الأول
الدولة والعائلة

أولا ـ الدولة

قبل أن يتولى العرش حمورابى المؤسس الحقيقى للوحدة البابلية ، كانت سومر وأكد أحيانا متحدتين تحت صولجان واحد وفى أغلب الأحيان دفع الى انفصالهما تنافس الأمراء فى مدن لكل منها ذاتيتها الخاصة بها .

وكانت المدينة تكون فى المجتمع ـ بالاضافة الى الأراضى التابعة لها سواء أكانت متسعة أم ضيقة ـ خلية لها حياتها الخاصة ويعتبر تأسيسها عملا دينيا لا يستطاع القيام به الا بناء على أوامر الآلهة العظام لأن المدينة هى قبل كل شىء مركز للعبادة . وعلى هذا كان لاسم المدينة أحيانا واسم الاله الذى تنازل فرضى أن يستقر فيها مدلول واحد : فنرى مثلا نيبور مركزا لـ « انليل » سيد سومر كلها . كما نرى فى جهات أخرى أن الاله المعبود تتضح سيادته بطريقة أخرى . ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لـ « لاجاش » مثلا التى كان الهها « اينورتا » يسمى دائما « ننجرسو » سيد جرسو وهو اسم الحى الذى يقع فيه معبده . ومعنى كلمة بابل « بوابة الله » وعندما أنشأ ملوك الأسرة البابلية الأولى مدنا جـديدة أعطوها أسماء تشـمل اسم الاله : فـ « كارشماش » Kar-shamash معناها « قلعة الاله شماش » و « نور اداد » Nour-Adad معناها « نور الاله اداد » وعلى أية حال ، فان السلطة المركزية توطدت وقل الالتجاء الى الدين وظهر اتجاه يرمى الى احلال اسم الملك نفسه ـ وهو قد أله فى أغلب الأحيان ـ مكان اسم الاله .. وقد أمر حمورابى بشق « قناة حمورابى » واقام اميديتانا Ammiditana واميزادوجا Ammizadouga « حائط اميديتانا » و « حائط اميزادوجا » .

وفى عهد الأسرة الثالثة لم يتردد كوريجالزو فى تسمية مدينة جديدة باسم « دور كوريجالزو » Dour Kourigalzou .

كان الاله يعتبر سيد المدينة الحقيقي · ويروى اياناتوم Eanatoum في نقوش « لوحة العقبان » ان « الملك » ظهر له في الحلم كما ان انتيمينا أحد خلفائه يسمي ننجرسو « ملكه الذي يحبه » ويتحدث أوروكاجينا Ourou Kagina صراحة عن « رعايا الملك » مشيرا الى العهد الذى كان يحكم فيه الايشاكوات مدينة لاجاش كما نذر أورنينسون Our-Ninsou الى ننجرسو صحفة اسمها « الا فليطل الملك فى عمرى » وتكثر الاشارات الى ملكية ننجرسو في نقوش جوديا Goudéa بصفة خاصة اذ أنه عندما انتهى من اعادة تشييد المعبد جاء بنذور الى الاله ووجه اليه الدعاء التالى : « أى ملكى أى نينجرسو ! لقد شيدت معبدك واني لسعيد ان أدخلك فيه » وقد استهل حمورابى قوانينه بأن ذكر أن أنو وايلليل خصوا ماردوك بملك أبدى في بابل ·

وكان الاله يسكن المدينة مع زوجه وأولاده وخدمه وسدنته كما كان المعبد مسكنه أغنى المساكن · وقد استحضر أورنينا Our-Nina بنفقات طائلة أخشابا من الجبال لتزيين الهياكل كما عدد جوديا ـ مبديا اعترافه بالجميل ـ أنـواع العطور المجلوبة من الغابات وكذا الأحجار والمعـادن الثمينة التي جمعها لاعادة بناء « اى نينو » E-ninnou ومبينا كيفيـة تشغيلها بمعرفة فنانين أتى بهم من عيلام ·

وكان للآلهة املاك خاصة وصوامع للغلال واسطبلات وعبيد · وحارب أياناتوم Eanatoum ضد أوما Oumma ليسترد منهـا « الجـويدان » Le Gouédin « الأرض العزيزة » الخاصة ب « نينجرسو » ·

وفى عهد أوروكاجينا اســـترد الآلهة ملكيـة الممتلكات التى كان لوجالاندا Lougalanda قد سمح بأن تمنح لعائلته ولصديقه · ولدينا الدليـل على ذلك لا فى النقوش فحسب بل كذلك فى لوحات المحاسبة الخاصة بهذه الفترة واننا نستطيع في عهد اور أن نتتبع مدى ثلاثين عاما عمليات تسليم المواشى التى كانت تتم فى فناء معبد انليل الوطني وهى المواشى التى كانت تقدمها المدن وكبار دافعى الضرائب · وبعد ذلك بمدة طويلة أهدى الملك الكاسى « نازى ماروتاش Nazimarouttash » أملاكا عقارية ضخمة الى الاله ماردوك الذى أصبح « سيد الحقل » ·

ولم يكن الاله يدير شخصيا شئون المملكة أو المدينة بل كان يختار وكيلا : ملكا أو ايشاكو ـ كانت تعهد اليه رعاية شئون شعبه وكان انتمينا Entémena اللاحاشى الايشاكو الأكبر ل « نينجرسو » كما كان لوجال زاجيسى Lougalzaggisi الأوروكى الذى يمتد سلطانه على

جميع أنحاء سومير ايشاكو انليل الاله الوطني • وكان الأمير يؤدى في نفس الوقت الاعمال الكهنوتية فهو الكاهن الاكبر لاله البلد أو المدينة • وشاهدنا على ذلك جوديا ولوجال زاجيسي : اذ يقرر ثانيهما أن « الآلهة قد عينته في هياكل سومير ايشاكو على الأقاليم ، كما عينته في أوروك كبيرا للكهنة » وكان الأمير بوصفه المشرف على الادارة المدنية والدينية لا يلبث ان يؤله نفسه وأقدم شاهد على ذلك اسم العلم المسجل على مسلة مانيشتوسو Manishtousou وهو : « شاروكين ايلي » Sharrou-Kîn-ili ومعناه « سارجون هو الهي » وقد سمي نارام سن Narâm-Sin — هو لا يزال على قيد الحياة — اله اجاده • كما وضع دونجي Doungi وأخلافه قبل أسمائهم المخصص الالهي وكانت لهم معابدهم وتماثيلهم وكان حمورابي — الذى تسمى أحد معاصريه باسم حمورابي ايلو Hammourabi-îlou « حمورابي هو اله » — قد أطلق على نفسه لقب « اله الملوك » • أما الكاسيون الذين قد قاموا بتعديلات كثيرة في التقاليد فيما يتصل بكثير من النواحي الأخرى فانهم لم يستخفوا كذلك بهذه التشريعات الالهية •

وفي العهد السابق للسرجونية كانت توجد الى جانب الأمير زوجة لها أملاك واسعة تديرها بنفسها : فكان لها قصرها الخاص كما كانت تشترك في تصريف شئون الدولة • وكان لأولاد الأمير بيتهم وما الى ذلك من خدم وسقاة وحائكات ونساجات وطاه ونجار وخمار (بفتح الخاء وتشديد وفتح الميم) وموسيقى وزراع ومزينون وغيرهم •

ويظهر أن أهم موظف كان ناظر القصر فهو في الوقت نفسه « منظم مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعية وأمين خزانة الملك وناظر السراى ومسجل عقود الجميع » (١) • وتشير اللوحات الى وجود غيره من ال « نوباندا » (نظار) : نوباندا الاله ونوباندا الأولاد • وطبقات مختلفة من الكهنة ووكلاء أعمال وقضاة وأمناء مخازن الغلال وكتاب وملاحظون وغيرهم من الموظفين الذين لم يتضح جليا نوع الأعمال التي كانت توكل اليهم • وكانت النساء كاهنات أو حائكات أو مخصصة لهن أعمال أخرى • وكان هناك من بين العمال والصناع النجار والعطار والدباغ والسباك والمثال وقاطع الأحجار الكريمة والبناء والحفار والبستاني •••

كل هذا يعاود الظهور في عصر أور ولكن بيت الملك الذى كان يمتد سلطانه الى ما وراء حدود سومير كان يتطلب هيئة للخدمة أهم مما يحتاج

---

(١) LIH, p. XXV, p 34.

اليها ايشاكو مدينة واحدة • وكان النوباندا فى هذه الحالة يكرس نفسه فقط لكل ما يعتبر سخرة : « وسواء أكان الامر يخص الحرب أم هو يتصل بزراعة الحقول أم شق القنوات أم بناء الحوائط والقصور والمعابد ، فانه موجود فى كل مكان » (١) • وكان يوجد الى جانب الملك كبير الوزراء وهو ايشاكو أو حاكم عدة مدن (٢) وكان هناك كذلك وزراء آخرون يعاونهم جند وعمال للبريد (سعاة) يجوبون البلاد حاملين أوامر الملك الى أبعد مدن الامبراطورية ••• ويظهر أن جميع موظفى هذا العصر كانوا رجالا أحرارا أو عبيدا •

وعلينا أن نصل الى عصر حمورابى ، حتى نتبين تقسيما آخر لطبقات المجتمع دون أن يتسنى لنا تحديد تاريخ هذا التقسيم (٣) •

ويميز القانون البابلى فى الدولة بين الرجل الحر والموشكينو Moushkinou والعبيد • والموشكينو – ويلاحظ أن هذه الكلمة والكلمة الفرنسية مسكان Mesquin من أصل واحد – تطلق على المواطن من طبقة متواضعة يقع ترتيبه فى المجتمع بين الطبقتين الأخريين وهو يستطيع أن يتملك عبيدا كما يستطيع أن يطلق زوجة مقابل اعطائها ثلث مينة من الفضة وذلك فى الوقت الذى يلزم الرجل الحر فى مثل هذه المناسبة بدفع مينة كاملة • هذا من جهة ومن جهة أخرى فان القوانين الخاصة بالعمليات الجراحية وكذلك الحوادث تراعى بدقة مركزه الاجتماعى عندما تقدر الأتعاب والعقوبات على التوالى • فاذا فقأ أحد المعتدين عين موشكينو أو كسر أحد أعضاء جسمه ، فانه يحكم له بتعويض قدره مينة فضية فاذا كان المجنى عليه رجلا حرا فانه يحكم على الجانى بمقتضى قانون « العين بالعين والسن بالسن » أما اذا كان عبدا فانه يحكم له فقط بنصف قيمته التجارية • واذا حطم أحد أسنانه أعطى ثلث مينة واذا ضربه أحد على رأسه فانه يأخذ تعويضا قدره عشرة شواقل على حين تقدر مينة واحدة للرجل الحر فى مثل هذه الحالة • أما اذا قتل دون عمد أثناء مشاجرة فان أسرته تعطى ثلث مينة فقط وليس نصف مينة كما هو الحال بالنسبة لابن الرجل الحر •

واذا أجهضت ابنته بسبب الضرب يلزم الجانى بدفع خمسة شواقل • وفى حالة وفاتها من جراء الحادث يدفع نصف مينة • أما اذا

---

(١) LVI, p. 38.

(٢) LXXVLL, p. 213.

(٣) تفرق مرثية سابقة لعهد أور بين المواطن البسيط والموظف والرجل الحر ولكن لا يستدل من ذلك أنهم كانوا يكونون ثلاث طبقات مختلفة فى المجتمع • It, XVII, p. 45.

كان والدها رجلا حرا ، فان التعويض يبلغ فى الحالة الأولى عشرة شواقل ، واما فى الحالة الثانية فيطبق قانون « العين بالعين والسن بالسن » . أما ان كانت ابنة عبد فان التعويض يكون شاقلين أو ثلث مينة على التوالى فى الحالتين المشار اليهما .

وفى حالة اجراء عملية جراحية : اذا كان الرجل الحر يدفع عشرة شواقل فان السيد يدفع عن عبده شاقلين فقط كما حددت الأتعاب التى يدفعها الموشكينو فى هذه الحالة بخمسة شواقل .

وعلى ذلك فانه مما لا شـــك فيه أن مركز الموشكينو فى الهيئة الاجتماعية هو دون مقام الاميلو Amélou أى الرجل الحر .

ولكن مما يثير العجب أنه لم ترد فى القانون أية اشارة عن الرجل الحر فيما يتصـــل بالسرقة وهرب العبيد وزواج الفتاة الحرة من أحـــد العبيد ... ذلك فى الوقت الذى فرق فيه القانون ما بين ما يخص المعبد أو القصر من ناحية وبين ما يخص الموشكينو من ناحية أخرى .

وكان العبد ملكا لسيده : سواء أكان مولودا فى بيته أم مشترى أم كان أسير حرب .

وقد اشترى مانيشتوسو Manishtousou خمسة رجال وثلاث نساء بعشرين شاقل للرأس . كما اشترى فتاة بثلاثة عشر شاقلا ونصف شاقل .

وفى عهد أور قدر ثمن أسرة كاملة بنصف مينة وثمن طفلة بثلاثة شواقل ونصف شاقل وكان من حق العبد أن يعارض فى الثمن الذى حدد لبيعه فتحال القضية الى القضاة كما كان له أن يقسم اليمين فيما يخصه من شئون على الأقل . وقد قررت خادمة أحد الأطباء اتهمت بسرقة رداء المدعو بازى Bezi أن هذا الرداء أعطاها اياه أحد عبيد الرجل المذكور ويدعى لوجال دوردوج Lougaldourdoug فلما نظرت القضية فى معبد ننمار Ninmar قرر لوجال دوردوج بل وأقسم انه لا دخل له فى هذه السرقة فحكم على الخادمة بأن تنزل الى مرتبة الاماء فى خدمة بازى .

ويصبح بيع العبد نهائيا اذا حلف المشترى أنه اشتراه فعلا بحضور شهود ، ودفع الثمن المحدد . ويستطيع الأب أو الأم أن يبيعا طفلهما كعبد . كما أن السيد كان له الحق فى عتق عبده (١) . ومن أمثلة ذلك فى عهد ايلليل بانى Ellil-bâni ملك ايسين (٢٢٠١ — ٢١٧٨) أن

(١) XIX nos 748, 838, 733, 746, 830, 832, 751, 752.

« بيدور ليبور Pidour-libour » وزوجه « نيم أوتومو Nim-Outoumou » قد عتقا امرأة بقيت رغم ذلك فى خدمتهما ، دون أن يكون لولديهما وابنتهما أية حقوق عليها (١) •

وكانت تقام ، فى مثل هذه الحالة ، حفلة يطهر العبد خلالها على جبهته • وكانت توجد علامات مميزة للرق • وكان قانون حمورابى يقضى بقطع يد الجراح ، الذى يسم العبد عبدا ، وبدون علم السيد بعلامة عدم امكان بيعه •

وفى القرن الثالث — قبل الميلاد — كان اسم الملك (السيد) فى أوروك (٢) يكتب على يد العبد اليمنى ، فاذا تغير السيد أضيف اسم السيد الجديد الى جانب المالك القديم •

ولا يستطيع الرجل أن يبيع المحظية التى رزق منها بنسل ولكن يمكنه فقط أن يرهنها ، شأنها فى ذلك شأن الزوجة والابن ، وكان لا يجوز فى عهد الأسرة الأولى أن تزيد مدة عبودية الزوجة أو الابن أكثر من ثلاث سنوات ، الا أن هذا الحظر قد اختفى فيما بعد من القانون : من ذلك أنه حدث فى العهد البابلى الجديد أن بقى ابن عشر سنوات متوالية فى خدمة كاهنتين ، سدادا لدين على أبيه ، وقد حدد حمورابى قيمة العبد التجارية بعشرين شاقلا ، وهى قيمة توازى التعويض المقرر من وفاة تنتج عن هياج ثور ، أو اساءة معاملة رجل لعبد أعطى له بصفة رهن •

وكانت حياة رجل حر ، لا تقدر — فى مثل هذه الظروف — بغير ثلاثين شاقلا • وتبعا للسن والنوع (ذكر أو أنثى) ، — والمهارة فى العمل • وكان بعض العبيد لا يباعون بأكثر من أربعة الى ستة شواقل ، على حين يبلغ البعض الآخر أرقاما مرتفعة ، تتراوح بين ٥١ و ٥٧ شاقلا • أى حوالى مين (٣) فضى تقريبا •

وكانت الفتاة الحرة تستطيع أن تتزوج من عبد ، وكان الأولاد يولدون أحرارا تبعا لحالة أمهم ، كما كان نصف متاع الأسرة فقط من حق سيد أبيهم • واذا كان رجل حر اتخذ احدى الاماء كمحظية ، فانها وأولادها يتحررون عند وفاته بحكم القانون ولكن الأولاد لا يرثونه الا اذا كان هناك عقد تبن •

---

(١) I. t. XIV.

(٢) IXXII t. II, nos. 6 & 25.

(٣) المين هو الميثة انظر هامش (١) صفحة ٥١ و ٦٤ •

وكان في استطاعة العبد أن يدخر ، وأن يشترى حريته نقدا ٠ كما كان يستطيع ــ فى حالة عدم وجود الثمن لديه ــ أن يستدين المبلغ اللازم لهذا الغرض : وكان معبد مردوك فى بابل يقبل اعطاءه سلفة تخصم أقساطها من كسبه ٠ وكذلك كان التحرير ، أو شراء الحرية نهائيا ، غير قابل لأية معارضة ٠

وكان محظورا على الناس مساعدة عبد على الهروب أو ايواؤه وكان يحكم على المخالف بالاعدام ، وكان يمنح من يضبط الآبق (الهارب) ويعيده الى سيده مكافأة قدرها شاقلان ، وفقا لقانون حمورابى ٠ وينص هذا القانون على ما يأتي : « اذا آوى شخص فى بيته عبدا آبقا وضبط هذا العبد تحت سقفه فان عمله هذا يستوجب الحكم عليه بالاعدام » ٠

وكان هناك قانون سومرى (١) ، أقدم من القانون المشار اليه ، ينص على عقوبات أخف مما ذكر : « اذا هربت خادمة أو عبد من سيدهما الى خارج المدينة ، فان صاحب البيت الذى يسمح باقامة أيهما فى بيته ، خلال شهر ــ يدان ويلزم بتقديم رأس برأس (معاملة المثل) فاذا لم يكن له عبد ، فانه يدفع ٢٥ شاقلا من الفضة » ٠

ثانيــا ـ الجيش

منذ أقدم العصور ومدن الفرات الأدنى فى صراع ، كى تستطيع الواحدة منها أن تمد نفوذها على الأخرى : ولقد كان الجيش واحدا من أهم نظم المجتمع ٠

وتبين « لوحة العقبان » (٢) ــ التى أقامها الملك « ايا ناتوم » فى أراضى لاجاش عقب نصره على رجال أوما ــ فى المناظر المحفورة على وجهها التاريخى ، كيف كان تكوين الجيش السومرى فى هذا العهد البعيد ، والصورة التى كانت عليها معداته ٠

كان الملك يسير الى الحرب على رأس جنده وهو يتدثر حول حقويه بقماش من الكاوناكيس Kaunakès وكان يغطى كتفه اليسرى قماش أكثر نعومة أو جلد ماعز ٠ وتحمى رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها من الخلف ما يستر العنق ٠ أما تلك التى يرتديها رجال الحرب فهى

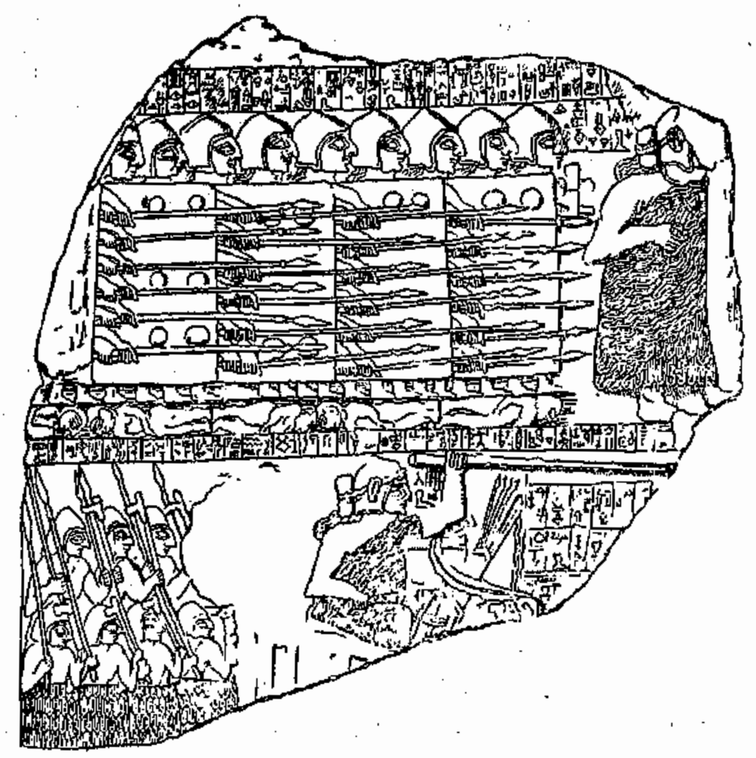
---

(١) I. t. XVII, p. 37.

(٢) LXX ; pl. 3 et suiv. votr gf. 8.

سوية ملساء وأما التى يرتديها الملك ، فقد قلد عليها الفنان شكل الشعر المجمر الكثيف ، يثبت فى مكانه بواسطة شريط كما مثلت عليها الأذنان واضحتين • وسواء أكان يحارب راجلا ، أم راكبا عربته ، فان سلاح الأمير كان حربة وأداة مقوسة مكونة من عصى ونصال ، زبطت الى بعضها بواسطة سيور أو حلقات •

وكان المحاربون يكونون سلاحين : سلاح الصدام وهو الذى ينزل رجاله المعركة فى انتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون فى طوابير كل منها من سبعة من المحاربين ، يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل أما الباقون فمزودون بالحراب ، يمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا • أما أولئك الذين يهاجمون ، لمطاردة العدو خلف الملك وهو راكب على عربته (سلاح المطاردة) فمسلحون بحربة وفاس •



(شكل ٨) قطعة من لوحة العقبان (متحف اللوفر : تللو)

ويحتفل الأمير بعد النصر بذبح ثور • ويتقدم الجند لاعدام الأسرى ووضع جثثهم فى كومات على حين يحتفظ الملك لنفسه بحق فقء عين الحاكم المهزوم • وهناك سلاح آخر ، مثل على وجه اللوحه التى تحمل بعض المناظر الأسطورية : وهو دبوس القتال الذى يمكن تتبع استعماله

منذ عصر أقدم عن طريق نقش من تللو (١) Tello ، وكذا عن طريق الدبوس النذرى المزين بالسباع والذى نذره ميسليم الى الاله ننجرسو ٠

وترينا لوحة النصر ل « نارام سن » (٢) عتاد الملك ومحاربيه فى عصر اجداده ويمثل المنظر مطاردة العدو فى اقليم جبلى ويرى فيه الأمير متدثرا بملحفة قصيرة ، ينزل طرفها حتى ركبته ، ويلبس نعلا فى قدميه ، وعلى رأسه خوذة يتدلى منها ما يغطى العنق مزينة بقرون ترمز للمعبود ويمسك فى يسراه بقوس مزدوج التقويس ويضم ذراعه الى صدره بلطة سلاحها ضيق جدا وفى يمناه سهم طويل به ريش وينتهى بطرف حاد ٠ ويمثل الفرقة طابوران من المحاربين ، يحميهما الكشافة الذين يحمل واحد منهم حربة والآخر قوسا أبسط من قوس الملك ٠ وعلى رأس كل طابور قائد ملتح ، لفت ملحفته على هيئة النقبه (جونلة) وهى أقصر من ملابس رجاله ٠ وهو يلبس خوذة كما يلبسون ٠ وقد سلح أحد القائدين بحربة وبلطة ذات نصل محدب من ذلك النوع الذى كثيرا ما نشاهده مرسوما على أسطوانات الأسرة الأولى البابلية وتزينه رأس أسد ، ويحمل الآخر بلطة ، أما عامة الجند فيحملون الى جانب البلطة حربة أو لواء ، وأما عتاد العدو فيشبه عتاد رجال اجداده ٠

وتحمل لوحة من ذلك العهد الدليل على صناعة الخوذات من الجلد ، وكانت تستعمل فيه جلود الثيران أو الجداء أو الصوف ، كما أن غيرها كان يصنع من البرونز المكفت بالفضة ، أما البلطات فكانت من برونز النحاس وكذا رءوس الحراب ، وأما فى صناعة الجعاب فكان يستعمل الجلد والصوف (٣) ٠

وفى معبد لاجاش حيث بلاط الاله صورة صادقة لبلاط الأمير : نرى جوديا يتقدم بملازم أول وثان يتخذان مركزا ، يلى مباشرة مركز الشخصين الالهيين المنوط بهما العدالة والتقدمات (٤) ٠

وفى عصر أور كان « النوباندا » Noubanda يقودون الجند وكانوا ــ أكثر من ذلك ــ مسئولين عن ادارة السخرة فى المشروعات العامة ٠ وهناك فئة من الناس ملزمة بالخدمة العسكرية هم « الاوكوش » Oukoush الذين كانت لهم قيادتهم الخاصة ورؤساء خاصون بهم ٠

---

(١) LXX, pl. 1.

(٢) راجع الشكل ٤ صفحة ٣٦ ٠ XVIII t. I. p. 144.

(٣) II, 1913

(٤) LXXVI, p. 183.

وينظم قانـون حمورابى الامتيازات ويحدد بعض الواجبـات المقررة عـلى نـوعين من المـــواطنين يستدعيان ليسـاهما فى



(شكل ٩) اسلحة سومرية
(متحف اللوفر : حفائر تللو) ٠

الحملات الملكية : « الريدوم » Rédoum ـ او قائد العبيد (وهى كلمة سامية تقابل الكلمة السومرية « أوكوش ») و « البايروم Baîro um » (السماك) ٠ وليس من الســهل أن نقدم ترجمة صـادقة لهذين الاصطلاحين ، لأنه ليس لدينا موظفون يشغلون وظائف مماثلة : فالأول كان مكلفا بجمع المجندين لوظائف الجيش كما يظهر أن الآخر كان عمله متصلا بالبوليس ٠ وكان كل منهما حين يستدعى الى خدمة الملك يلزم بأداء عمله شخصيا ولم يكن فى مقدوره أن يتهرب من هذا الالتزام وكان القانون ينص على تعريضه للاعدام ان هو أحل محله أحد المأجورين ٠ والواقع أنه طرأ على الأمر بعض التيسير فالرجل كان يسـتطيع شراء الاعفاء بدفع ضريبة سنوية تسمى مال الايلكو ilkou ٠ والايلكو هو « خدمة الملك » وفى معناها الواسع أملاك الدولة تمنح على صورة معاش مدى الحياة للريدوم والبايروم وهو عبارة عن حديقة أو بيت أو حقل أو ٠٠٠ حتى مواش ٠٠٠

ويبين لنا خطابان أحدهما أمر من سامسـوايلونا والآخر اعـلان (اخطار) بابـلاغ الأمر الأول ٠٠٠ يبينان كيف تنفـذ منـح هـذه الممتلكات (١) ٠

فان رجلا يدعى « ابنى اداد » Ibni-adad وهو صاحب امتياز أرض مساحتها ١٨ جان (gan) من الأرض (أكثر من ٦ هكتارات) عبارة عن حقول وبساتين فى ناحية سيبار ترك أملاكه هذه كى يحصل على امتياز أكثر جدوى ٠ فأمر الملك بمنح الأملاك الأولى الى رجل آخر هو العيلامى « والى Wali » وسجل ذلك على لوحة وأرسلت لوحة « ابنى اداد » الى القصر ٠ وتسلم ماردوك ناتسير Mardouk Natsir كبير موظفى سيبار الكتاب الملكى ، وفتحه وعرف مضمونه ، ثم وضعه فى غلافه ، وحوله الى مديرى الأملاك مشفوعا باخطار ذكر فيه الأوامر الملكية مفصلة ٠

---

(١) XXIV, p. 156.

وأملاك الايلكو لا يستطاع التصرف فيها بالحجز أو البيع : فان من يشتريها يفقد ماله كما تحطم لوحته ولا يستطيع الحائز عليها أن يقدمها لزوجه أو ابنته ، وهذا يسمح لنا أن نعتقد في امكان نقل حيازتها الى الابن بشرط أدائه للالتزامات المفروضة · وكان من المحظور كذلك أن تستعمل رهنا لدين ·

وحين كان الريدوم والبايروم متغيبين لأسباب مصلحية كان يعهد بادارة هذه الأملاك الى ابنيهما ··· فاذا كان أبناؤهما صغارا فالى الزوجة مع منحها ثلث الايراد مقابل اشرافها على شيء · وكان يجب أكثر من ذلك ، أن يحتفظ بالعين في حالة جيدة وأن تزرع · فان تعمد صاحب الامتياز اهمالها أو احتلها آخر مدى ثلاث سنوات ، فان أي ادعاء لاعادة تملكها لا قيمة له ويصبح المنتفع بوضع اليد منتفعا شرعيا · أما ان هجرت العين لفترة أقصر فلا ينقل حق الامتياز ·

وكانت للريدوم امتيازات ذاتية وامتيازات خاصة بأملاكه : فكان مستقلا تماما عن نفوذ الحاكم وكان الأخير يتعرض لعقوبة الاعدام ان هو : « استولى على أملاك ريدوم أو سبب لها خسارة أو أعارها بأجر أو سلمها عن طريق المحاكم ليد رجل أكثر نفوذا ، أو أخذ منه ما سبق أن منحه الملك اياه » ·

واذا قبض على الريدوم والبايروم في الحرب ودفع الفدية عنهما وكيل أعمال فعليهما سداد الدين شخصيا اذا كانت ثروتهما المنقولة تسمح بذلك · أما الأملاك الثابتة فلا تمس فان لم يكن في استطاعتهما دفع المبلغ المفروض فان معبد مدينتهما يدفع عنهما ، فان لم يكن يملك الموارد الكافية فان الدين تتكفل به الدولة · وهناك قرار من حمورابى يبين كيف كان هذا النص القانوني يطبق · وكان الأمر يخص رجلا من لارسا : وأما من ناحية « ايمانينوم Imaninoum » الذي أسره العدو فيعطى عشرة مين من الفضة من معبد سن الى وكيل أعماله كفدية » (١) ·

وفي العصر البابلي الجديد كان يضطر بعض دافعي الضرائب الى دفع جزية حرب ، وأن يساهموا ماليا في تكاليف الجنود : فكان على أحدهم أن يدفع سبعين شاقلا في السنة الخامسة لدارا وأن يدفع آخر أجر رجل مدى عامين أو يتولى تكاليف خيال (بتشديد وفتح الياء) · ولابد أن الجيش البابلي في هذا العصر كان منظما كما كان الجيش الأشوري في آخر أيام الامبراطورية السرجونية ·

---

(١) XXVIII, t .II no 32.

ثالثا ـ العائلة

تأسست الأسرة ـ بدعائمها القوية في سومير وأكد ـ منذ أقدم العصور على أساس التزاوج من امرأة واحدة · فلم يكن للرجل ـ كقاعدة أساسية ـ أكثر من زوجة شرعية واحدة وان سمح له القانون والتقاليد أن تكون له محظية أو أكثر ·

ويستند الزواج في جوهره على وثيقة مكتوبة هي حجة صادرة من طرف واحد ملزمة يحدد الزوج بموجبها ـ أمام شهود ـ حقوق وواجبات الزوجة وكذا المبلغ الذي يدفعه في حالة الطلاق والعقوبة التي قد تنزل بالمرأة الخائنة ، وعلى وجه العموم يحدد فيها كافة شرائط العقد ·

وكان يجب على الرجل قبل تحرير هذا العقد · وتمهيدا له ، أن يتفق مع أهل الزوجة التي يزمع التزوج منها · وتقضي قوانين « نيسابا وحاني(١) Nisaaba & Hani » ـ المعمول بها في جزء من سومير على الأقل قبل قيام الامبراطورية البابلية ـ ان على من يغتصب فتاة أن يطلب الى أهلها الزواج بها أما اذا اغتصبها بعد أن يكون أهلها قد رفضوا تزويجها منه فان تصرفه هذا يعتبر جريمة تستوجب الحكم عليه بالاعدام ·

وجرت العادة في عهد حمورابي أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه · وعندما يتم بين العائلتين الاتفاق على الزيجة يشرع في اعداد الخطبة · ومن المظاهر الخارجية لهذا الاحتفال أن ترسل الى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث كما يقدم الشاب أو والده « تيرهاتو Tirhatou » موضوعة على صحفة الى والد العروس · وكان هذا التيرهاتو عبارة عن مبلغ من المال ينزل الى شاقل واحد أحيانا في عهد الأسرة الأولى ويصل أحيانا الى عشرين شـاقلا بل الى نصف مين · وقد ذكرت هدايا الخطبة في نص من عهد جوديا Goudéa وهي من آثار عهد كان الزواج يعقد فيه عن طريق شراء المرأة : وبعد أن أعاد الايشاكو بناء معبد الالهة باوو Baou ضاعف في المستقبل هدايا الأعراس ـ تلك الهدايا التي كان يجب

---

(١) XXVIII. t. I no 28.

تجديدها فى كل عيد من أعياد رأس السنة : من أبقار وخراف وحملان وسلال بلح وزبد وجمار نخيل وتين وفطائر ودواجن وأسماك وخشب أثل ٠

وفى عهد أور أخرج من حظيرة معبد انليل لمناسبة خطبة أحد أمراء البيت المالك خمس بقرات مسمنة وثلاثون من الخراف وخمسة من الكباش ٠ كما أن هدية أحد النظار كانت عبارة عن خمسة من الخراف وثلاث من النعاج وعنزتين (١) ٠

ولم يكن التيرهاتو اجباريا بصفة قاطعة ، فقد كانت هناك أحيانا خطبة بغير تيرهاتو ٠ كما أنه لم يكن يعنى ارتباطا نهائيا وكان يترك لوالد الفتاة اذا سحب الشاب وعده بالزواج منها ٠ أما اذا كان الوالد هو الذى عدل عن وعده بتزويج ابنته فانه يرده كاملا ٠ ولم تخل التقاليد الخاصة بتقديم التيرهاتو من ايجاد ظروف تؤدى الى المقاضاة :

فاذا اغتصب رجل فتاة مخطوبة تقيم فى بيت أبيها استوجب عمله هذا الحكم عليه بالاعدام ٠ ومن ناحية أخرى فانها اذا كانت تقيم مع عائلة خطيبها ، وكانت لها علاقات غير شريفة بحميها دون أن يكون خطيبها قد عاشرها فانه يجب عليها أن تسترد حريتها وأن تعود الى بيت أبيها ومعها — علاوة على مهرها — تعويض قدره نصف مين من الفضة ٠ أما اذا كان خطيبها قد عاشرها فانه لا يمكنها الادعاء بأنها سليمة النية وعلى ذلك كان يعاقب المذنبان فكانت الخطيبة تلقى فى الماء ٠

ويزود الأب ابنته — وفى حالة وفاته يتولى ذلك اخوتها — بـ « شريقتو » Shériqtou أو بائنة ٠ ويسلم هذا المتاع الى الزوج عند بدء اقامتها معه ويبقى ملكا للزوجة حتى وفاتها وينتقل لأولادها من بعدها أو يرد الى بيت أبيها ان لم تكن قد رزقت بعقب ٠ وقد يحدث أن يكون كل من الزوجين قد استدان قبل الزواج وفى هذه الحالة يختلف موقف أحدهما القانونى عن موقف الآخر : فالرجل غير ملزم البتة بأن يسدد الالتزامات السابقة للزوجة بينما نرى الزوجة مضطرة — لكى تصبح فى مأمن من مداينى زوجها — الى أن تنص فى لوحتها على عدم جواز الحجز على ممتلكاتها لمصلحتهم ٠ أما فيما يختص بالديون خلال الزيجة فان الزوجين مسئولان عنها بالتضامن وكثيرا ما يذكر اسماهما معا — ولدينا

---

(١) LVI, nos 331, 370.

مثل من أيام ملوك أور (١) ـ عند عقد السلفة • كما أن الزوج لا يستطيع أن يتصرف في الملكية المشاركة دون رضاء زوجته •

وكان معروفا أن للمرأة المتزوجة أهلية قضائية معينة فهى تستطيع أن تكون شاهدة ، ولقد كانت الحال كذلك منذ عهد ما قبل السرجونية ، إذ نجد امرأة تشهد في بيع بيت (٢) وكان من حقها أن يكون لها أملاك خاصة وأن تتصرف فيها دون موافقة زوجها كما كانت تبيع عبيدها ولم يكن القانون يقف في وجهها الا في حالة الجارية (الأمة) التى منحتها لزوجها كمحظية فانجبت منه أطفالا •

وعندما يكون الزوج غائبا ـ في فترات الخدمة العسكرية مثلا ـ وليس له ابن يكون قد بلغ سن الرشد فان الزوجة تتولى ادارة شئون ثروته وتستولى شخصيا على ثلث ايراده • وقد حدث في مناسبة من هذا النوع ان طالبت زوجة برد عبد كان زوجها قد أعطاه بصفة رهن فحكم لها القضاء بما أرادت بعد أن تبين أن الخدمات التى أديت تعدل تماما قيمة الدين (٣) •

ولقد كان حمورابى يمنح المرأة المتزوجة ـ « متى كانت تحسن رعاية بيتها وليست موضع لوم » ـ حق الالتجاء الى القاضى ليمنحها حق استعادة بائنتها وهجر بيت الزوجية والعودة للمعيشة تحت سقف أبيها وذلك ان هى شكت طول غيبة زوجها واهماله اياها • ولكنها تعرض نفسها في الوقت نفسه ـ ان لم تكن خالية من اللوم ـ الى أن يصدر ضدها حكم يقضى بالقائها في الماء •

وللزوج على زوجه حقوق معينة فهو يستطيع أن ينزلها الى مرتبة الرق عند الدائن وظل معمولا بهذه العادة الممعنة في القدم حتى عهد الامبراطورية الجديدة في أيام نابونيد Nabonide • ويحدد قانون حمورابى هذا الرق بفترة أقصاها ثلاث سنوات يجب أن تطلق حرية المرأة بعدها • كما يجوز للزوج أن يبيع زوجته الخائنة عقابا لها وتحت ظروف خاصة لا نستطيع أن نحددها تماما •

ويستطيع الزوج ـ ان لم يأت الزواج بثمرته الطبيعية : الذرية ـ ان يسلك أحد سبيلين : اما أن يأخذ زوجة من مرتبة ثانوية أو يطلق زوجته فيرد التيرهاتو ويدفع قدرا من المال يبلغ مينة أو ثلث مينة مما

---

(١) I, t. XIII.

(٢) XXXV. no 31.

(٣) I — t, XII.

يتناسب ومركزه الاجتماعي • ومن الحالات الفردية لوثائق الطلاق التي وصلت الى أيدينا نجد أن هذا القانون قلما طبق لأنه كانت توجد دائما اتفاقات ومن ذلك أن العرف حدد بعد عهد حمورابي ثمن الطلاق بنصف مينة • ومن حق الزوج الذي اعتزم أخذ زوجة من مرتبة ثانوية أن يدخلها بيت الزوجية ولكن لا يجوز له أن يجعلها مساوية لزوجته بل عليه أن يحدد في اللوحة الموقف الحقيقي وذلك من باب الحيطة وتنفيذا للقانون الذي ينص على بطلان كل زواج لم يحدد الرجل في الوثيقة الخاصة به واجبات المرأة •

وقد حدث أثناء حكم سن موبالليت Sin-Mouballit والد حمورابي ان قرر رجل ان على زوجته الثانية أن « تغسل قدمي الزوجة الأولى وتحمل لها مقعدها الى معبد الاله مردوك » (١) وعلى أية حال ، فان لها في حالة الطلاق كافة الحقوق الشرعية للزوجة •

وسواء أكانت الزوجة والدة أم لم تكن فانها تستطيع أن تمنح زوجها محظية تختار من بين امائها (جواريها) أو تشتري وكانت هذه المحظية تحرر متى ولدت له طفلا • ولكن سيدتها تظل باستمرار محتفظة بحق ردها الى مرتبة الاماء ان هي حاولت منافستها • بل ان لها حق بيعها ان لم تكن قد أصبحت اما • ولم يعد يسمح للزوج الذي منحته زوجته محظية رزق منها بذرية أن يدخل امرأة أخرى في بيت الزوجية •

واذا أصيبت الزوجة بمرض مزمن أو بعاهة يمنعانها من أداء واجباتها فان ذلك ليس من الأمور التي تبيح للزوج تطليقها وقد يستطيع الرجل في مثل هذه الحالة أن يتزوج شرعيا من امرأة أخرى ولكن يظل للزوجة الأولى حق البقاء في بيته على أن يضمن لها سبل حياة محترمة تبعا لمركزه الاجتماعي • وان هي فضلت الانسحاب فانه يحق لها ان تعود الى بيت أبيها وأن تأخذ معها بائنتها كاملة غير منقوصة • وقد كان التشريع السومري القديم يقضي بأن تلقى في الماء الزوجة التي ترفض ممارسة واجبات الزوجية • أما حمورابي فقد فرق بين مختلف الحالات : فاذا لم تكن الزوجة على دراية تامة بشئون بيتها فانه يطبق عليها هذا القانون حرفيا • وبالعكس ان كانت تستطيع أن تثبت أن زوجها هجرها فانه يسمح لها بأن ترجع الى منزل أبويها وأن تأخذ معها بائنتها • أما ان ساءت سيرة المرأة وأصبحت لا تكترث برعاية شئون بيتها واهملت أمور زوجها فانه يستطيع في هذه الحالة أن يختار بين أمرين : اما أن

---

(١) XLIII, No, XIX.

يطلقها أمام المحكمة ، وفي هذه الحالة تطرد دون أن تأخذ أى تعويض ، أو يقرر أمام القاضي أنه لا يرغب فى تطليقها وعندئذ يستطيع استبقاءها كجارية . ومن حق الزوج فى كلتا الحالتين أن يعقد زيجة جديدة .

ويجوز من جهة أخرى للزوج أن يطلق المرأة سواء أكانت زوجة شرعية أم محظية ، دون ان تكون قد قارفت اثما وليس من شك أن هذا تهديد مباشر لمبدأ الزواج من امرأة واحدة . وفي هذه الحالة تنسحب المرأة ومعها بائنتها ويمنحها القاضي حق الانتفاع ببعض ممتلكات زوجها كما يحكم بضم أولادها اليها ، وعندما يبلغون سن الرشد تتسلم حصة مساوية لحصة أحد الأولاد وتصبح حرة فى أن تتزوج مرة أخرى . وكان هناك قانون سومرى قديم يمنحها نصف مين من الفضة .

وان زنت المرأة فانه من الممكن أن يحكم عليهـا بالاعـدام ان هى امسكت فى حالة تلبس . وكان الشريكان فى الاثم يوثقان معا ويلقى بهما فى الماء « الا اذا رأى الزوج أن يبقى المرأة على قيد الحياة ورأى الملك أن يبقى على خادمه » أما فى غير حالة التلبس فان المرأة تستطيع ابراء (تبرئة) نفسها عن طريق القسم . وأما اذا كان الأمر لا يتعدى حدود الشائعات عن سوء سيرها وسلوكها فانها تمر بامتحان عسير وبتجربة قاسية تاركة للنهر — الاله أمر تبرئتها . وانه لمن الواضح أن الأمر يمس الزنا أكثر مما يمس تعدد الأزواج فيما يتصل بالعقوبات التى كان قد أصدرها أوروكاجينا من قبل حين قرر : « أن المرأة فيما مضى ، كان يمكن أن يكون لها رجلان (دون أن ينالها عقاب) أما المرأة اليوم (ففى هده الحالة) يلقى بها فى ... » .

وقد يحدث أن يؤخذ الزوج أسيرا ، ولا يجوز للمرأة فى هذه الحالة ان تكون لها علاقة برجل آخر اذا كانت موارد البيت كافية وهى ان فعلت فانها تعرض نفسها للمحاكمة ولأن يلقى بها فى الماء . أما اذا كان « لا يوجد شيء يؤكل » فان المرأة تستطيع أن تتزوج من جديد وعليها اذا عاد زوجها الاول بعد ذلك أن تعـــود اليه ، تاركة أولاد الفراش الثانى لأبيهم . أما المرأة المهجورة فغير ملزمة بالعودة الى بيت الزوجية بل عليها — ان كانت قد تزوجت للمرة الثانية — أن تظل مع زوجها الجديد . وقد تعرض القانون أيضا لحالة المرأة التى تحرض على قتل زوجها بقصـد الزواج من غيره وقدر لها عقوبة الشنق . ومن حق الرجل أثناء الزواج أن يقدم لزوجته هبة كى يضمن لها بعد وفاته موارد عيش أوفر مما كانت تحصل عليه من بائنتها ومن حصتها المساوية لحصة أحد الأولاد

وهو المقرر لها بمقتضى القانون . وليس لها من هذه الهبة المسماة « نودونو » Noudounnou أكثر من حق الانتفاع كما أنها لا تستطيع التصرف فيها بالبيع « فهى لأولادها من بعدها » واذا اختار رجل حر جارية زوجة له او محظية فان أمومتها الأولى تحررها . وابنة الرجل الحر التى تتزوج من عبد لا تصبح أمة . وليس فى مقدور سيد العبد أن يطالب بثمرة هذه الزيجة من أولاد بل ـ أكثر من ذلك ـ ترد بائنتها اليها كاملة عقب وفاة زوجها ان كان أبوها قد أعطاها بائنة . كما أن لها الحق فى نصف ملك المشاركة الذى اقتنى خلال الحياة الزوجية لمصلحة ذرية الزوج على حين يصبح النصف الثانى ملكا لسيد العبد .

هكذا حددت الأحوال الشخصية للأزواج بمقتضى قانون حمورابى . وتسمح لنا وثائق من مصـــادر مختلفة مكتوبة قبل وبعد اصدار هذه التشريعات هى عبارة عن لوحات زواج وطلاق وعقود هبة ... تسمح لنا هذه الوثائق أن نصل الى تقاليد ترجع الى عهود سابقة تختلف قدما ، وأن نتعرف على التقاليد المستحدثة التى لم يعمل بها فى الواقع وفقا لنصوص القانون .

هذا وتحدد بعض نصوص قانون حمورابى كذلك مركز الأولاد فى العائلة فالولد يولد حرا اذا كانت أمه من طبقة الأحرار ، ومحررا اذا كانت أمه الجارية (الأمة) محظية رجل حر ، وعبدا اذا كان أبواه من طبقة العبيد . أما اذا كان أبوه أو أمه يرتزقان من الدعارة فان الطفل ينشأ عند من يتبناه ولا يمكن استرداده . ويجب أن يجهل الولد نسبه . فاذا عرفه وأراد أن يترك من تولاه طفلا برعايته ، واللحاق بأبيه وأمه ، فان القانون يقضى بأن تقلع عيناه .

شاع التبنى ـ وهدفه الابقاء على العائلة باعطاء طفل لمن ليس له أولاد ويئس من أن يرزق بنسل ـ على نطاق واسع فى بابل رغم وجود مخرج قانونى لفسخ الزيجات غير المثمرة . وقد تجاوزوا هذا الهدف حتى انه حدث مثلا أن والد خمسة أطفال ـ وهى حالة شاذة على أية حال ـ تبنى طفلا سادسا وكانوا فى الواقع يفرقون فى المعاملة من ناحية التبنى بين الطفل الذى لا يمت للعائلة بصلة النسب وبين أطفال المحظية . ومن ذلك أن أطفال المحظية لا يتمتعون بحكم مولدهم بكافة حقوق أطفال الزوجة ، فهم ليسوا أولادا شرعيين ويظلون دائما فى مرتبة أدنى من مرتبة هؤلاء حتى ان هم اكتسبوا شرعية بمقتضى عقد حر يصدره الأب أو الزوجان أو حتى الزوجة وحدها فى بعض المناسبات . ويتم التبنى بموجب كتابة عقد أو وثيقة مصدق عليها من طرف واحد . ويحرر العقد بين المتبنى

وبين الذين كانوا قد قاموا بتربية الطفل المتبنى • أما اذا كان الأمر خاصا بأولاد المحظية أو اذا كان المتبنى قد اكتسب حقوقا على الطفل بأن تولى ــ بموافقة ذويه ــ الانفاق عليه أو تعليمه حرفة فان التبنى يتم بوثيقة يحررها طرف واحد • واذا لم يكن المتبنى قد رزق أطفالا بعد فانه يراعى عند تحرير اللوحة احتمال حدوث ذلك فينص فيها على أن الطفل المتبنى سيعتبر كالأخ الأكبر للأطفال الذين قد يرزقهم • اما اذا كان له أولاد فانه عندما يحرر الوثيقة الخاصة بشرعية أولاد المحظية يضـــمنها نصيا يحظر على باقى الأولاد المعارضة فى حقوق المتبنى المكتسبة • وقد تعرض القانون لحالة الرجل الذى تولى تربية طفل ثم اعتزم طرده بعد أن أصبحت له عائلة فمنح الولد الذى تنكر له المتبنى لهذا السبب بثلث نصيب ولد فى ثروة الرجل المنقولة ولكنه أنكر عليه أى حق فى الثروة الثابتة • وكان الطفل المتبنى اذا تنكر للرجل الذى تبناه يوسم على جبهته بعلامة العبودية ويوثق بالأغلال ويباع وتكسر لوحة تبنيه • واذا كان ابن عاهر أو عاهرة فان لسانه يقطع •

ويستطيع الرجل الذى اعترف بحقه فى أن يعطى زوجته أو محظيته كجارية الى دائنـه أن يتصرف على نفس الوجه فى أولاده ذكورا واناثا بنفس الظروف ، مهما تكن سنهم ومهما تكن حالتهم : أى أنه يستطيع طبقا لقانون حمورابى أن يعطيهم كرهن لمدة أقصاها ثلاث سنوات وقد تضاعف حق الرجل فى هذا الشأن على مر الأيام فيما لو سمحنا لأنفسنا أن نحكم على ذلك من المثل الوحيد المعروف من العهد البابلى الجديد (١) : لقد ظل المدعو ايناتسيل بابى رابى **Ina-tsil-Bâbi-rabi** يعمل عبدا مدى عشر سنوات مقابل دين على أبيه قدره ٤٢ شاقلا من الفضة ، وكان عليه أن ينتظر أمدا طويلا حتى يسترد حريته لو لم يسعفه موت أبيه بتصفية الدين حين ورثه • كان المذكور خبازا فاضطر الى الخدمة بصفته رهنـا عند السـاجيتوم **Sagittoum** اهاتا **Ahata** وقدر أجره حسب القانون بستة « قا » من الشعير يوميا أى « جور » واحدا فى الشهر • وحدث أن توفيت السيدة أهاتا بعد أربع سنوات وحل محلها فى وظيفتها بنات اينا ايساجيل **Bânat-ina-Esagil** وحول اليها الدين والرهن واستمر « اينا تسيل بابى رابى » يعمل فى خدمتها بنفس الأجر مدة ست سنوات • فلما توفى أهوشونو **Ahoushounou** والد الشاب فى السنة العاشرة من عبودية ابنه عمل الشاب حسابه وأعطى ٢٠ « جور » من الشعير لسيدته تصفية للدين ، والتجا فى عام ٥٥٨ الى محكمة أوروك

---

(١) I. t. XII.

مطالبا بتحريره فصفى القضاة الحساب على أساس أن الدين الأصلى وقدره ٤٢ شاقلا من الفضة قد بلغ بالفوائد البسيطة محسوبة على أساس ٢٠٪ ـ وهو السعر القانونى للفائدة ـ ثلاثة أضعاف قيمته الأصلية فى مدى عشر سنوات فبلغ مينين وستة شواقل ، وأن الخدمات التى أديت محسوبة على أساس ستة « قا » من الشعير يوميا والعشرين « جور » التى أعطاها تساوى ١٤٠ « جور » من الشعير وهى قيمة مساوية لمينين وستة شواقل · ولما تبينوا ذلك أمروا بكتابة لوحة ختمت بأختامهم تقضى بالغاء الدين وتحرير الرهن (أى العبد) ·

وينظم حمورابى عملية تقسيم التركة عند وفاة الأقارب واعادة الأملاك التى تركها المتوفى الذى لم يرزق أولادا أو لم يكن فى استطاعته تحديد وريث قانونى وكان لرب العائلة فى هذا العصر ـ وفقا لما ورد فى صحوك شخصية ـ حق التصرف أثناء حياته فى جزء من أمواله لمصلحة أجنبى كهبة بصفة نهائية · وكان يكفى فى ذلك أن يحرر عقدا رسميا بنقل الملكية أمام شهود فتصبح الهبة المعطاة بهذه الطريقة غير قابلة للطعن أمام المحاكم · وقد رفضت جميع المعارضات التى قدمها الأولاد فى هذا الاجراء · وكان يوضع دائما نص فى العقد يسقط ما قد يثار من معارضة مستقبلة وكثيرا ما عنى أبوهم بأن يحضرهم بصفة شهود أثناء تحرير العقد · وكان من حق الزوجة أيضا أن تتقبل « نودونو » Noudounnou من زوجها طبقا لما جاء فى احدى اللوحات · ولكن هذا التبرع كان يحرمها من أى نصيب فى الميراث · وهكذا كانت الحال بالنسبة لكل ولد ـ كان والده قد نقل اليه وهو لا يزال على قيد الحياة ـ ملكية جزء من أمواله · كما كان الأمر كذلك بالنسبة لبناته المتزوجات أو الكاهنات أو النساء العموميات اللواتى كان قد أعطاهن بائنة ·

وهكذا فان الولد الذى كان يرغب فى تكوين أسرة مستقلة عن عائلة أبيه يستطيع طبقا للقوانين السومرية فى نيسابا وهالى أن يحصل على نصيبه على الا يكون له بعد ذلك أى حق فى الميراث ·

وعند وفاة رب العائلة كان يوضع جانبا « تيرهاتو » للذكور الأطفال ثم تقسم الثروة المكونة من البيت والأرض والمزروعات والعبيد والأثاث والحيوانات طبقا للقواعد التالية : حصة واحدة للأم وذلك ما لم تكن قد منحت « نودونو » ، وحصة لكل من الأولاد الذكور وحق الانتفاع من

حصة لكل بنت لم تعط « شرقتو » على أن تبقى الرقبة (١) لاخوتها • وحق الانتفاع أيضا على حصة للبنت التى وهبت للخدمة عند الاله • وملكية ثلث حصة للبنت التى انتظمت فى خدمة الاله مردوك فى بابل • وكانت تحجز بائنة تقدر حسب ثروة العائلة لمصلحة بنت المحظية التى لم تتزوج بعد • أما فيما يختص بأولاد المحظية الذكور فانه لا يحق لهم ـ رغم تحريرهم وعدم امكان مطالبتهم بان يكونوا عبيدا ـ أن يكون لهم نصيب فى التركة متى كان الأب لم يعطهم وهو على قيد الحياة لوحة تبن • أما اذا كان الأب قد رأى أن يدخلوا فى عداد الورثة ففى هذه الحالة يعطون حصصا ولكن من حق أولاد الزوجة اختيار أنصبتهم •

واذا كان رب العـــائلة تزوج مرتين فان حقوق أولاد الفراشين (الزوجتين) فى تركة الأب متساوية • وعلى أولاد الابن الذى مات قبل والده أن يقتسموا فيما بينهم النصيب الذى سيؤول الى والدهم واذا كان ليس للابن أولاد فان الميراث يؤول الى اخوته ، وفى حالة عدم وجود اخوة الى عمومته • ولم يكن حق التبرع على وجه يمس أنصبة الأولاد أمرا مشروعا قبل زمن حمورابى فحسب بل كان يمكن كذلك حرمانهم من الميراث حرمانا كاملا • وينص أحد قوانين نيسابا وهالى « اذا قال أب أو أم لأحد أولادهم « انك لم تعد ابنا لنا » فعليه أن يخرج من المدينة » وظلت الحال كذلك فى عهد سنمو بالليت Sin-mouballit ولكن عند صدور القانون الجديد أصبح الأمر يتطلب الالتجاء الى القضاء ووجوب اثبات جريمة ارتكبها الولد تكفى خطورتها لحرمانه من حقوقه •

ويطبق نفس النظام الخاص بتركة الزوج على تركة المرأة المتزوجة وهو الابقاء على الثروة فى العائلة فهى اذا لم يكن لها أولاد لا تستطيع التصرف فى ممتلكاتها التى تؤول عند وفاتها الى بيت أبيها فيما عدا قيمة التيرهاتو التى دفعها زوجها وقت الخطبة والتى يعيدها اليه حموه أو يخصمها الزوج بنفسه من البائنـة واذا ترملت الأم وكانت قد منحت « نودونو » أو نصيب ولد فانها تظل فى بيت زوجها وتتمتع بممتلكاته ولكنها لا تستطيع بيعها مقابل فضة • وهذه الممتلكات حق لأولادها من بعدها أما اذا كانت على خلاف مع أولادها فانها تستصدر من القاضى تصريحا بالانسحاب تاركة ما آل اليها عن زوجها وآخذة معهـا بائنتها

---

(١) الرقبة : لفظة فقهية تعنى جميع خصائص حق الملكية التى يحرزها صاحب عين لغيره حق المنفعة أو الاستعمال أو السكنى •

(راجع ـ خليل شيبوب : المعجم القانونى (١٩٤٩) ، ص ٥٢٥) ـ (المترجم) •

نقط ، وبعد وفاتها تقسم تركتها بين أولادها حصصا متساوية ويحصل كل منهم على نصيبه ما لم يكن قد حصل من قبل على تبرع خاص · واذا كانت المرأة قد تزوجت مرتين فان الزوج الثاني يستبعد ثم تقسم التركة بين أولاد الزيجتين (الفراشين) حصصا متساوية ·

وكانت التركة تقسم بالطريق الودي أو عن طريق المحاكم · كما كان من المستحسن أن تحرر لكل من المتقاسمين لوحة يستطيع أن يثبت بها ملكية نصيبه ، ولدينا من أمثلة ذلك اللوحات الثلاث المحررة لثلاثة اخوة في السنة الثالثة عشرة من حكم سنمو بالليت ·

واذا كان المتوفي من ذوي المراكز المرموقة فان الأمر كان يستدعي أن يثبت أن الأملاك التي تركها خالية من كافة الموانع وهو نص ضروري في حالة سبق حصوله من الملك على أملاك لا تنقل ملكيتها الى العائلة كأملاك الـ « ايلكو » التي كانت تخصص لرجال الجيش ·

ولقد وجدت في لوحات العصر البابلي الجديد لوحة واحدة خاصة بزواج حدث عن طريق الشراء · ففي السنة الثالثة عشرة من حكم نابو خودونوسور الثاني تحدث داجيل ايلي Dâgil-ili الى حما Hamma ابنة نرجال ادين Nergal-iddin قائلا « أعطني اختك لاتوباشيني لتصبح زوجة لي » وتمت الصفقة وسلم داجيل ايلي الى حما في مقابل أختها مينا ونصف مين من الفضة وعبدا اشتراه بنصف مين ، ونص كذلك على أنه اذا اتخذ الزوج زوجة أخرى ، فانه ملزم بدفع نصف مين كثمن للطلاق (١) · ويظهر أن هذا الحادث أثر من التراث الأشوري وليس دليلا على وجود عادة الزواج عن طريق الشراء عند البابليين لأن المرأة كانت تحصل من أبيها على بائنة حتى في عهود الملوك الأكمينيين ، وهاك مثلا من عهد الملك دارا عن زواج ، كان الزوجان فيه من دم أجنبي فانه في السنة الحادية عشرة من عهد الأمير المذكور طلب باتمو أوستو Patmou-oustou يد أخته تاهيما أوشاكتوم Tahima-oushaktoum من سامان نابير Saman-napir فحصلت الفتاة لبيتها على سرير أكادي وبعض المقاعد ودست من النحاس وعدة أشياء أخرى ، وفي عهد نابو خودونوسور الثاني (٢) وهبت السيدة سيليم عشتار Silim-ishtar جميع أموالها الى ابنتها شانا شيشو Shanashîshou وذكرت في العقد كيف أنها كانت قد سبقت فرتبت بمناسبة زواج ابنتها بائنة ، وسردت تفاصيلها على الوجه التالي : خمسة مينات من الفضة وعبدان وبعض الأثاث وسميت

(١) XXX, p. 187.
(٢) CXIV, Dar 301, NBK, 283.

هذه البائنة « نودونو » وهو اسم كان يطلق فى عصر حمورابى على الهبة التى يمنحها الزوج الى زوجته ، كما أن الـ « شريقتو » أصبح الآن ما يعطيه الزوج كهبة · وهذا التعديل فى المعنى بين الاصطلاحين المتداولين فى اللغة البابلية جدير بأن يسترعى الانتباه · فان النودونو كان يتضمن أموالا منقولة وأموالا ثابتة منهـا الأراضى والفضـة والعبيد والأدوات المختلفة (١) وكثيرا ما كان الحمو يؤجل تسليمه لصهره مما كان يؤدى الى نزاع قضائى · وقد صدر قانون (٢) فى القرن السابع يلزمه بأن يسلم ما وعد به بما يتفق وموارده : « لا يجب أن يقوم نزاع بين (الحمو) وصهره » وكانت خير وسيلة لوضع الأمور فى نصابها أن يحدد باقى البائنة بموجب عقد ويحدد رهن لضمان سداده · وهكذا فعل Aplâ بن « بعل أهى ادين Bêl-ahê-iddin » فى السنة الحادية عشرة من عهد نبوخذنصر (٣) : « ان باقى نودونو حما Hamma ابنة أبلا زوجة بلاتسو Balatsou عبارة عن أربع مينات من الفضة لها أن تتسلمها من أبيها أبلا · وجميع أمواله الكائنة بالمدينة والأرياف مهما يكن مقدارها تعتبر رهنا لـ « حما » ولا يمكن أن يعطى حق التصرف فيها أى دائن الى أن تحصل حما على أربع مينات من الفضة وهى باقى النودونو المستحق لها » ·

وقد ظل القانون الخاص باعادة أموال الزوجة ـ التى توفيت دون أن تنجب ـ الى عائلتها · · · ظل دون تعديل منذ حمورابى وكانت الأرملة التى لم تأت بذرية ، تسترد بائنتها وتأخذ معها كل ما خصها به زوجها كتابة واذا كانت قد تزوجت بغير بائنة ولم يعطها زوجها شيئا فانها تلجأ الى المحكمة ويقدر القاضى ثروة المتوفى ويحدد للمرأة جزءا من التركة · ·

وللمرأة المتزوجـة أن تتصرف شـخصيا فى أموالهـا سـواء اشـترك زوجهـا أو لم يشـترك فقد تزوجت « اينا ايساجيل باناتا Ina-Esagil-banâta » من « أوبالليستو جولا Oubailistou-goula » فى العام السادس من حكم نابونيد وأعطيت بائنة هى مين من الفضة وبعض الأثاث وثلاثة من العبيد ، وبعد خمس سنوات أقرضت « ايتى بعل أبنو Itti-bêl-abnou » وهو عبد من عبيد حميها قرضا قدره عشرون شاقلا · وقد كان زوجها بنفسه كاتب العقد ·

ويظهر أن حوادث الطلاق كانت كثيرة ومرجعها الوحيد مزاج الزوج · وعلى الأقل فان لوحات الزواج كثيرا ما كانت تتوقعه فتحدد ثمنه · من ذلك مثلا أن « شماش نادين شوم Shamash-nâdîn-shoum » رغب فى

(١) CIX Nos 19, 24, 92, 99, 100, 121.

(٢) XCV, p. 72.

(٣) CXIV, NBK. 91.

السنة الرابعة من حكم كيروش أن يتزوج من نادا Nâdâ ابنة نابو زقيب Nabou-zagib • وحين تم الاتفاق على ذلك تعهد بتنفيذ ما يلى مصحوبا بالقسم : « فى اليوم الذى يقدم فيه شماش نادين شوم ، على تطليق نادا ويتزوج من امرأة أخرى يدفع الى نوبوزقيب ستة مينات » • وتوجد فى وثائق أخرى نصوص ترمى فى هذه الأحوال الى تحديد معاش للزوجة والأولاد • ويظهر أن تحرير مثل هذا العقد كان يستلزم حضور شانجو Shangou (مدير المعبد) حتى يعتبر صحيحا •

وعندما لا يكون للزوجة ولد ذكر وانما ابنة فمن حقها أن تتصرف فى ملكية أموالها لمصلحة هذه الفتاة • وهذا ما فعلته السيدة « سيليم عشتار » فى العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخودونوسور الثانى فقد احتفظت بحق الانتفاع على أموالها وحددت الموقف فى وضوح تام : ومنذئذاك أصبحت لا تستطيع التصرف فى الرقبة وتحويلها الى شخص آخر وعند وفاتها تكون كل أموالها ملكا لابنتها « جولا قاعيشات Goula-qa'ishat » ولكن بتحفظ واحد يقضى بأنه ليس من حق هذه الأخيرة التصرف فى هذه الأموال دون موافقة زوجها •

ويقتضى كذلك تحرير أو تبنى عبد اشتراك الشانجو : ففى السنة التاسعة من حكم كيروش أعلنت السيدة حبتا Hibtâ سيدة العبد بازوزو Bazouzou أمام شانجو سيبار أنها اعتزمت الاعتراف بهذا العبد ولدا لها بشرط أن يورد لها ـ وفقا لنصوص اللوحة ـ ما يكفل معيشتها وما تتطلبه من طعام ودهون وكساء ، وقد حدد مدير المعبد بنفسه كميات المأكولات اليومية والتوابل والأقمشة وباقى الأثاوات التى يكون مجموعها الالتزامات المقررة على المتبنى •

ولم يكن القانون يسمح بأن يتزوج الرجل أكثر من امرأة فى وقت واحد لأنه لا يستطيع أن يعدل بينهما فان تزوج اثنتين ـ حتى ولو كانتا أختين ـ فان احداهما تكون فى مرتبة تقل عن مرتبة الثانية • وقد راعى القانون كذلك احتمال زواج ثان لامرأة وقع زوجها الأول أسيرا فى يد العدو •

وقد ظل حق الزوجة الأم التى ترغب بعد ترملها فى البقاء فى بيت زوجها محفوظا لها فى عهد الملوك الأكمينيين كما كانت الحال فى عهد الأسرة الأولى ـ من ذلك أنه حدث فى عهد قمبيز أن أقسمت « أوموتابات Oummou-tabat » أرملة شماش أوبالليت Shamash-ouballit أمام بعل أوباليت Bêl-ouballit كاهن سيبار أنها لا تريد أن تتزوج

من جديد وانها ترغب فى أن تعيش مع أولادها الثلاثة وتتولى تربيتهم حتى بلوغهم سن الرشد (١) • أما الأرملة التى كانت تفضل أن تنسحب من بيت أولادها وأن تتزوج مرة ثانية فانها تأخذ معها بائنتها وكل ما أعطاها اياه زوجها كتابة وعند وفاتها تقسم هذه البائنة حصصا متساوية بين أولادها • وهذه البنود (الشروط) هى نفس النصوص الواردة فى المادة ١٧٣ من قانون حمورابى • ويحدد القانون كذلك بدقة مركز البنات ولكننا نجهل ماهية هذه الظروف • وكذلك يحدد تركة الأب الذي تزوج مرتين ورزق أولادا من الفراشين فقد نص حمورابى فى المادة ١٦٧ من القانون على أن الأولاد لا يأخذون أنصبتهم تبعا لأمهاتهم بل يؤول الى كل منهم نصيب مساو فى الأموال المنقولة لبيت أبيهم • ولكن الحال لم تعد كذلك فى القرن السابع فقد أصبح لأولاد الزوجة الأولى الحق فى ثلثى ثروة الوالد المنقولة جميعا على حين أصبح نصيب أولاد الزوجة الثانية مقصورا على الثلث فقط •

والقانون الذى نظم بدقة أحوال البنات اللائى يتزوجن لم يهمل أحوال البنات اللواتى ظللن بغير زواج : العذارى اللائى كرسن للآلهة أو العاهرت ، وقد كانت لهاته النساء فى عهد حمورابى حقوق شرعية فى أموال آبائهن ، ويستطيع الأب أن يمنح ابنته بائنة اما بنقل ملكيتها اليها أو بالاكتفاء باعطائها حق الانتفاع ، وهى فى الحالة الأولى تستطيع أن تتصرف فى هذه الأموال « وفق هواها » دون أن يكون لاخوتها حق محاسبتها على تصرفها ، أما فى الحالة الثانية فان الاخوة يتولون عند وفاة الوالد ادارة الأموال الثابتة ويوردون لها الريع من شعير وزيت وصوف بقدر نصيبها ، واذا حدث ما يدعو الى الشكوى من ادارتهم فانها تختار مستأجرا ولكنها لا تستطيع أن تتصرف فى الملكية لأن الرقبة لاخوتها ، واذا لم يقدم الأب بائنة لابنته العذراء التى ترهبت أو لابنته العاهر فان الواحدة منهما ترث الانتفاع فى حصة ولد على حين لا تحصل خادمة العبد (كادشتو) Kadishtou أو العذراء (زيرماشيتو Zèr-mashitou) فى نفس الموقف على أكثر من حق الانتفاع فى ثلث حصة • وقد حصلت كاهنة مردوك فى بابل على ثلث حصة ولكنها متمتعة بحق الملكية المطلق على هذه الحصة : ومع ذلك فانها محرومة من حق الاشراف شخصيا على أراضيها رغم أنه من حقها أن تتصرف فى ملكيتها أو أن توصى بها الى من تشاء •

---

(١) CXIV. Nbn ; 243, 496, Cyr 183 : NBK 283., Cyr. 339 ; Camb. 113, 273.

وكانت الكاهنات والعذارى اللائى كرسن الى المعبودات يستطعن أن يتزوجن شرعا ولكن لم يكن فى المستطاع لهن دائما التخلص من نذرهن ، واننا لنراهن كطرف متعاقد فى كثير من عقود مدينة سيبار حيث كان قد أنشىء محفل كبير فى ظل معبد شاماش • كما أنه كثيرا ما عقدت فيما بينهن اتفاقات : مثال ذلك : حدث فى عهد حمورابى (١) أن اشترت الكاهنة « ريباتوم Ribatoum » « سار » من أرض مبنية كانت مملوكة للكاهنة ايا انيل رشيتيم Aïa-inil-rishêtim بثمن قدره ثلث مينا من الفضة •

وقد ظهرت العاهرات فى سومير منذ أبعد العهود • ونحن نعرف أن تلك التى أنقذت « انكيدو Enkidou » الشخصية الأسطورية من حياة الهمجية التى كان يحياها كانت احدى فتيات الهوى •

ولقد إتخذت عبادة الفاجرة عشتار المكانة الأولى فى مدينة أوروك التى كانت مكرسة فيما مضى للاله الأعظم انو Anou وكان يوجد بها ثلاثة أنواع من العاهرات المقدسات : الكزريت Kizrête والسانهات Sanhate والحريمات Harimate « اللاتى من أجـــلهن أبقيت عشتار على الرجل وسلمته الى أيديهن » وكان يقال عنهن :

« لا تتزوج من حريماتو لا يحصى عدد أزواجها
لأنها فى مصابك لن تسندك
وستفترى عليك فى قضيتك
ليس الاحترام أو الخضوع من خصائصها
انها ولا شك تقوض البيت ـ أخرجها منه
تلك المرأة التى تطيل النظر فى أثر كل رجل غريب
ان كل بيت تدخله ينهار ولا يفلح من يتزوجها » •

ولم يكن يسمح فى عهد الأسرة الأولى للعاهرات أو المخنثين من رواد القصر بتنشئة أولادهم بل كان يعهد بهم الى من يتبناهم فاذا حاول أحدهم البحث عن أبويه الحقيقيين وأراد أن يعيش معهما فان القاضى يحكم عليه بالموت • وفى الألف الأولى كانت ترى فى بابل ـ حسب ما جاء فى كتاب باروخ Baruch (٢) ـ « نساء متمنطقات بحبال جالسات فى الطرقات يحرقن نوى الزيتون لآلهتهن وكانت الواحـــدة منهن عنـــدما يقـــع عليها

(١) LXXI, No. 67.
(٢) Baruch, VI. 42-43.

الاختيار تنال باللوم جارتها التى لم ينلها التوفيق » . ويزعم هيرودوت واسترابون انه كان على كل امرأة أن تفرط فى نفسها مرة الى رجل غريب عنها ... كان الرجال يمرون أمام النساء ويلقون بقطعة من العملة أية كانت قيمتها فى حجر المرأة التى يقع الاختيار عليها ولم يكن ليجوز لها أن تمتنع بل كان عليها أن تتبعه ...

« ومهما تبد هذه العادة وحشــية فى نظرنا ـ وقد أصبحت من مقتضيات العبادة ـ فانه كان لها فى بادىء الأمر على الأقل هدف أسمى من مجرد ارضاء شهوة جنســية : انها كانت تضحيات حقيقية تقدم بها المرأة الى الآلهة أولى ثمار جسدها بأن تستسلم الى رجل غريب قبل أن تعطى نفسها لزوجها . وهذه التضحية شأنها شأن أية تضحية من نوع آخر قد تكون أليمة ومع ذلك فان الرضى بها كان محتوما ... « ولكن » ـ كما يضيف هيرودوت ـ « عندما تؤدى المرأة واجبها نحو الآلهة لا يصبح من الميسور اغراؤها بأى مبلغ يعرض عليها » (١) .

وتكشف لنا عقود من عهد نبوخودونوســور الثانى (٢) أن ذرية اجيبى Egibi أشــد أثرياء البابليين كانوا يربحون من دعارة جواريهم وهكذا اشــترك نابوأهى ادين Nabou-ahê-iddin مع المدعــو كالبــا Kalbâ وسلم اليه خادماته على أن يكون نصيبه من الكسب ثــلاثة اربــاعة .

ولقد كان هدف المشرع البابلى فى جميع العهود حين يضع القواعد الخاصة بالمواريث وتقسيم الأموال حفظ كيان الأسرة : وقد حددت حقوق الفرد على وجه يضمن الابقاء على الرابطة العائلية أطول مدة ممكنة . ومع ذلك لم تكن هناك ألقــاب عائلية . الا أننا نجد حوالى القرن السابع فى الوثائق الخاصة اسم أحد الأسلاف ينتسب اليه جميع أفراد ذريته : اجيبى Egibi وموراشو Mourashou . وكــان الواحــد من طبقــة الأحرار يعرف قبل هذا العصر باسمه واسم أبيه « فلان بن فلان » أما العبيد فكانوا يعرفون باسم واحد فقط « فلان » . وكانت هذه الأسماء عند قدمــاء السومريين وكذلك عند الأكاديين صيغا ورعة تمجد المعبــود أو تضــع صاحبها تحت حمايته . ونجد فى العهد قبل السرجونى اسماء اورنينــا Our-Nina أى « خادم الالهه نينا » وننشوبور امامو Ninshoubour amamou اى « الالهة ننشــوبور أمى » وسيبب لاجاش كيــاج Sib-lagash-kiag اى « أن راعى لاجاش مخلص » . وفى العنصر السامى

(١) LXVII b., p. 250.

(٢) CXIV NBK. 409, 679.

من عصر أجادة نستطيع أن نذكر نارام سن « المحبوب من سن » وفى عهد الامبراطورية الجـديدة نبوخـودونوسر أى « نابو احم الـكودورو » Koudourrcu • ولدينا من عهد نابونيد (١) دليل على الطريقة التى كانت تتبع أحيانا فى تسمية الطفل حيث نجد أنه بناء على شهادة المدعو راموا Rmboua التى أمن عليهـا نادين شـوم Nadin-shoum أطلقت المرأة الجارية لوبالات Louballat اسم تدانـو Taddanou على الطفل الذى أتت به الى العالم ، ومع ذلك فقد كان هناك أطفال بلغوا من العمر ثلاثة شهور أو أربعة لم تطلق عليهم أسماء بعد • كما أن بعض الأشخاص فى نفس العصر قد غيروا أسـمائهم خـلال حياتهم • من ذلك أن الملك بعد أن رفع ابنته الى مرتبة كبيرة كاهنات معبد نانا Nanna فى أور منحها اسما جديدا هو : بعل شالتى نانا Bêl-shalti-Nana .

ولقد فرض الملوك البابليون والاكمينيون أسماء جديدة على الأجانب الذين يعينون فى خدمتهم • ولقد أدخل السـلوقيون استعمال الأسماء اليونـانية التى انتشرت فى المجتمع الراقى دون أن يؤدى ذلك الى أن تتوارى الأسماء البابلية كلية على أية حال (٢) ، ويظهر أن هذه التغييرات لم تكن بدعة : لأنه حدث خلال الأسرة الأولى أثناء حكم ملوك أور بل فى العهد السابق للسرجونية (٣) أن رجالا بالغين حملوا أسماء مركبة تركيبا مزجيا من اسم الملك الحاكم مما كان يؤدى فى حالة قصر مدة حكم الملك الى ابدال الاسم باسم آخر • بل وأكثر من ذلك نرى خلال حكم لوجالاندا أن موظفا كبيرا يحمل اسم نينا أما لوجالاندا Ninâ-ama-lougalanda أى « الالهة نينا هى أم لوجالاندا » • وهو اسم كان قد أطلق فى السنة السابقة على تمثال للأمير •

---

(١) CXIV Nbn. 343.

(٢) It. IX, p. 152.

(٣) XXII, p. 15 et suiv.

الفصـــل الثـانى

التشريـــع

ان أهم اكتشاف يتصـــل بالتشريع البابلى هو العثور على « قانون حمورابى » ··· ويطـلق هذا الاسـم على كتـله من الديوريت ارتفـاعها ٢٫٢٥ مترا ومحيطها ١٫٩٠ مترا عند القاعدة · وقد عثر عليها مكسورة الى ثلاث قطع بين خرائب سوسة فى ديسمبر ١٩٠١ ويناير ١٩٠٢· ويزينها نقش بارز (١) يمثل اله الشمس شماس · رب الحق يملى على الأمير البابلى « مراسيم العدالة » التى نقشت نصوصها على محيط الكتلة الحجرية · وفى الحالة الراهنة للأثر الذى أقيم فيما بين العام الأربعين والعام الثالث والاربعين من حكم حمورابى (حوالى ٢٠٨٣ ق·م) نسـتطيع أن نطالع مائتين وخمسين مادة من القانون فى ستة وأربعين عمودا تتضمن على وجه التقريب ٣٦٠٠ سطر من النصــوص · وقد محيت فى العصور القديمة خمسة أعمدة أخرى على الواجهة وأغلب الظن أن ذلك تم بناء على أمر الملك العيلامى شوتروك ناهونتى الذى ربما كان يهدف الى أن ينقش شىء باسمه هنـاك كما يحدث بالنسبة للأسـلاب الأخرى فى الحروب · ولكن هذه الفجوة تعرضها بعض الأجزاء من نسخ قديمة محفورة على لوحات الطين وهى من الآثــار الأشورية للعصر السرجونى أو تسد فراغها بعض المواد المتصلة بالقرض ذى الفائدة وعقود التوكيلات التى عثر عليها فى خرائب نيبور ·

وهو ليس قانونـا بالمعنى الذى اعتدنـا أن نسـبغه على الكلمة أى مجموعـة من القوانين التى تتضمن نظاما كاملا للتشريع ··· وانما هو مجموعة من القرارات الملكية ، ومن الدساتير الخاصة بعدة موضـوعات يستحسن أن تقـارن بالعقود المحررة فى نفس العصر حتى نسـتطيع الوصول الى فكرة أكثر دقة عن الفقه الجارى اذ ذاك ·

ويمكننا أن نلاحظ أن هناك ترتيبا معينا فى تتابع مواد القانون :

الطلسمة « السحر » والرقى « السحر الأسود » (١ ــ ٢)

---

(١) قارن شكل (٦) صفحة ٤٦ ·

إهانة الشهود وحملهم على تزوير شهادتهم (٣ ـ ٤)
ابطال الأحكام بواسطة من يصدرها (٥)
مختلف أنواع السرقة (٦ ـ ٢٥)
أحوال والتزامات الموظفين (٢٦ ـ ٤١) •
الزراعة (٤٢ ـ ٦٥) •
ثم ـ بعد الفجوة ـ
القروض بفائدة (أ ـ ح) ثم عقود التوكيل (١٠٠ ـ ١٠٧) •
الحانات « بيع المشروبات » (١٠٨ ـ ١١١) •
الديون واجراءات المقاضاة الخاصة بها (١١٢ ـ ١٢١) •
عقود الايداع (١٢٢ ـ ١٢٧) •
الأسرة (١٢٨ ـ ١٩١) •
الضرب والجروح (١٩٢ ـ ٢٣٤) •
الأطباء والمعماريون والبحارة (٢١٥ ـ ٢٤٠) •
الحيوانات والعبيد والأملاك الزراعية (٢٤١ ـ ٢٥٢) •

ولم يكن قانون حمورابى أقدم تشريع ظهر فى سهول الفرات : وهو ـ ان كان قد أصدر قوانين جديدة ـ فانما كان فى أغلب الأمر ينادى بأمور كانت اجبارية منذ أمد طويل •

ألم يشر « أوروكاجينا » الى النظم الجديدة التى وافقت عليها سلطته الملكية حين فاخر هذا الملك المصلح القديم بأنه منح الاستغلال والاساءة الى الغير فى مدينته « لاجاش » وأنقذ رعاياه من اللصوصية والقتل ومن ايذاء القوى للضعيف ؟ ولقد جعل أورانجور « العدالة تسود » • وفى عهد سومولا ايلو الأمير الثانى للأسرة البابلية الأولى طبق « قانون الملك » •

وعلى ذلك فقد كانت هناك أحكام قانونية فى بعض المسائل ، أما حين لم يكن هناك شيء من ذلك فان العدالة كانت تطبق وفقـا للعرف المحلى • ولقد كان الأمر كذلك فى حالة ترمل من عهد حـكم حمورابى نفسه فان قضاة بابل أصدروا حكمهم بأن « قانون أهالى (سكان) سيبار هو الذى سيسرى على المتخاصمين » •

ومع أنه لامرية فى أنه كان يوجـــد مشرعـــون منذ العصر قبل السرجونى الا أننا لا نعرف أسماءهم أو مدنهم وان كنا نعرف جانبـا من

الانتاج السومرى (الاجراءات السومرية) عن طريق مجاميع متأخرة : ففى مجموعة أنا اتيشو Ana-ittishou يمكننا أن نقرأ مواد قانونية نستطيع أن نترسم تطبيقها فى عقود وأحكام قضائية قبل عهد حمورابى : فاذا قال ابن لأبيه « لست بأبى » فللأخير أن يسمه ويقيده ويبيعه وان قالت زوجة لزوجها « لست بزوجى » فانه يلقى بها الى النهر ... وأكثر من ذلك نرى أن ما نشر أخيرا من أجزاء وقطــع غير مؤرخــة للقوانـين السومرية يشجعنا على الأمل فى العثور على مستندات أكثر كمالا ... وبعض هذه القطع من نيبور (١) والبعض الآخر من مصدر مجهول وتكون جانبــا من المجموعة المعروفــة بـ « قوانين (الالهة) نيسابــا و (الاله) حانى » (٢) .

أما فيما يخص التشريع اللاحق لعصر حمورابى فاننا نعرف القليــل كذلك . فهناك جانب من نص فى المتحف البريطانى يحوى إما أحــكاما قضــائية أو مقتطفات من قــانون . ويمكن مقارنة المواد المختلفة بحالات عديدة لنظائر لها عثر عليها فى لوحات من العهد البابلى الجديد .

وفى العهد ما قبل السرجونى نجد فى لاجاش ذكرا لقــاض يدعى أورانينى Our-enin ولقد كان جيميل ايليشو Gimil-ilishou فى عهد « نارام سن » قاضيا كذلك وهو الذى حفر على خاتمه الأسطوانى مشهدين للصراع بين البطل جلجامش والأسد والثور . ولقد كان القضاة كثيرين فى عهد أور فهناك بطاقة على سلة لوحات تذكر أربعة منهم فى العام الأول لـ « جيميل سن » Gimil-sin وكانوا يعقدون جلســاتهم فى الواقع فى مكان خاص وكان عددهم يبلغ الأربعة أحيانا وأحيانــا أخرى ثلاثة وطورا اثنين وتارة واحدا بمفرده وقد أصدر الحكم يوما فى مطالبة خاصة ببقرة أحد القضاة وعمدة المدينة . ولدينا حكم آخر أصدره الوزير الأعظم الذى كان المدعى قد رفع دعواه أمامه. ولكن الوزير الأعظم هذا واسمه أراد ناnar Arad-nannar كان فى نفس الوقت إيشاكو لاجاش وربما كان يمارس عمله فى المحكمة بوصفه هذا لأن أحكاما كثيرة لا نجد ذكرا فيها لقاض بل نجــد اســم الايشاكو الذى اعتاد على أية حال أن يتدخل شخصيا لابطال الأحكام. وكان يوجد فى نفس العصر « مكان حلف اليمين باسم الملك » (٣) حيث يطلب الى المدعى والمدعى عليه والشهود أن يحلفوا اليمين على صحة ما يقدمون من اقرارات .

---

(١) I. t. VXII, p. 35.

(٢) XXVIII. t. I, No 28.

(٣) XIX Nos. 810, 733, 748, 832. 920, 746, 932, 744; 963; 928; 1010, 960.

وفى الأسرة الأولى كانت المحاكم الابتدائية تصدر الأحكام وكان الاستئناف ضد أحكامها يرفع الى الملك ولكنه كان محرما على القاضى — لأى سبب من الأسباب — أن يغير حكما أصدره وكانت عقوبته العزل ان هو أقدم على ذلك · ويقرر حمورابى « ان حكم قاض فى قضية وأصدر حكما وحرر لوحة ثم الغى هذا الحكم فانه يحاكم على الغاء الحكم الذى نطق به وعليه أن يدفع ١٢ ضعفا لما سبق أن حكم به ثم يطرد من منصبه القضائى ولا يعود اليه مرة أخرى بل ولا يجلس فيما بعد مع قاض فى آية قضية » ·

وكانت العدالة الملكية تظل الامبراطورية جميعا وكان المتخاصمون يدعون شخصيا للحضور الى بابل للمرافعة فى قضاياهم وأحيانا آخرى كانت تخول سلطة البت الى مندوب يفض النزاع محليا · وكانت المحاكم الابتدائية على نوعين : كهنوتية ومدنية ويظهر أن كل معبد كان من حقه أن يصبح مكانا لتقرير العدالة وكان فى استطاعة كهنته أن يصدروا الأحكام · وكان الكهنة والكاهنات — تبعا للقضايا — يجلسون عند بوابة المكان المقدس أو فى قاعة خاصة · وكان عددهم يبلغ الستة أحيانا فى القضية الواحدة ولم يكن القضاة الجالسون فى المحاكم المدنية بأقل من ذلك عددا · وكانوا غالبا — ان لم يكن دائما — رجالا محترفين ذلك لأنهم كانوا يحملون لقب « قاض » حتى وهم خارج دائرة أعمالهم — مثال ذلك أنهم كانوا كذلك حين يكونون مجرد شهود عاديين عند تحرير عقد ·

وكان المتبع أن تدون الأحكام القضائية وكان العقد يحرره كاتب فى صيغة دقيقة مختصرة تسير على نمط واحد فى المدينة الواحدة وان اختلفت فى مدينة عنها فى أخرى · وكانت تذكر بها العناصر الخاصة لكل قضية وكذا قائمة بالشهود كما يضيف اسمه عادة · وكان يذكر التاريخ كذلك وكانت الوثيقة تصبح رسمية بمجرد وضع الأختام · وكانت النسخة الأصلية توضع غالبا فى غلاف تكتب عليه تفصيلات الوثيقة وكان هو وحده أحيانا الذى يوضع عليه طابع الأختام الاسطوانية وكانت تعد نسخة لمن قد يرى له مصلحة فى المستقبل لتقديمها · كما كانت توضع أخرى فى سلة المحفوظات وأغلب الظن أن لوحات أور من هذه المجموعة الأخيرة حيث جمعت أحكام عديدة من أنواع مختلفة ·

وكان عدد القضاة الجالسين فى عصر الامبراطورية الجديدة — كما كانت الحال فى العصور السابقة — يبلغ ثلاثة أو أربعة وكان يوجد كذلك قاض واحد أحيانا · وكانت القضية تبدأ بشكوى يقدمها المدعى شخصيا أو عن طريق الغير · وكانت أدلته تفحص ثم يستدعى المدعى عليه ليدلى

بحججه ثم ينطق بالحكم . وحين يتعذر تقديم لوحة كان يقبل ـ كدليل ـ يمين الكاتب الذي حررها أو أحد الشهود : وقد حدث في عصر قمبيز أن باع أخوان جاريتين الى بابلي فاتى رجل ثالث كان شاهدا من شهود البيع ليحلف اليمين أن الثمن دفع فعلا . وعلى أية حال ، فان بعض المشاكل كان يفض خارج المحاكم . فقد حدث نزاع بين امرأة تزوجت للمرة الثانية وبين ابنها بشأن بعض العبيد . وقد أنهى الأخير النزاع بأن أعاد اليها عبيده الذين كان يمتلكهم كما عرض عليها أن يدفع ٤ مينات تعويضا عن عبد كان قد مات في بيته . وكان يعين أحيانا محكمون كالعضو الاكبر في العائلة على سبيل المثال .

ومنذ أقدم العصور حتى آخر أيام الامبراطورية كان يكون شيوخ المدينة محكمة لا نستطيع أن نحدد مدى اختصاصها . ولقد كانت تختارهم في فترات معينة ـ أو تؤيد تعيينهم على الأقل ـ السلطة الملكية ، وكانوا يختارون أحيانا من بين النساء ـ ولا سيما من بين كاهنات المعابد . وفي عهد الأسرة الأولى عارض « أبيل ايليشو Apil-ilishou » في حقوق بالاشماش Pala-shamash على ممتلكات معينة هي : بيت وقارب وعبيد وفضة وقد أيد شيوخ المدينة الذين عرضت القضية عليهم حق بالاشماش .

وكان الشهود في المحاكم مقسمين الى فئتين : فكان بعضهم يكون نوعا من المحلفين هم في أغلب الأمر نفس الأشخاص رجالا أو نساء الذين نجد أسماءهم تتردد في الأحكام . وهم يمثلون جمهرة الناس الذين تنفذ أحكام العقوبات بحضورهم كالجلد مثلا أو عزل قاض عدل حكما سبق أن أصدره . وأما البعض الآخر فكانوا يشهدون بمعلوماتهم عن القضية ويؤيدون شهادتهم بحلف اليمين . وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منذ عصر أور . ولقد نص قانون حمورابي على حالة شاهد الاثبات الذي لا يستطيع اثبات أقواله ففي الحالات الخطيرة التي يترتب عليها الحكم بالاعدام كان الشاهد نفسه عرضة لأن يلقى نفس المصير . وأما في الشئون المالية فانه يدفع المصاريف . وقد عالج القانون كذلك أمر اختفاء شيء من بيت صاحبه الشرعي والعثور عليه عند آخر حصل عليه من طرف ثالث . وكان على كل أن يستدعي شهوده الى المحكمة : « يمحص القاضي أقوالهم وأقوال الشهود الذين تم الشراء أمامهم ثم يدلي الشهود الذين عرفوا السلعة المفقودة بمعلوماتهم في حضرة الاله . أما البائع فيعامل كلص . ويستعيد المالك سلعته كما يستعيد الشاري ماله الذي دفعه من بيت البائع » وكان هناك افتراضان آخران في مثل هذه الحالة تحب مواجهتهما اذا ما غاب أحد الطرفين عند الاتيان بالبينة . وقد كان ذلك هدف المواد التالية : ان الشاري

أو البائع الذى لم يحضر شهودا يعتبر سيىء النية وقد يحكم عليه بالإعدام ٠ ويستطيع القاضى على كل حال أن يسمح بالتـأجيل ان كان الشهود على سفر أو لم يكونوا يسكنون (يقيمون) فى جهة قريبة ولكن مدى التأجيل لا يجوز أن يتعدى ستة الشهور ٠

وكان الشهود ضروريين عند تحرير عقود غير رسـمية لما قد تثيره مستقبلا من خصام أو نزاع ٠ فهم فى أغلب الأمر أفراد لهم مصلحة فى معرفة موضوع العقد فشارى العبد أو البيت يطلب مساهمة أولاد البائع حتى يجتنب المضايقات عند تقسيم التركة ٠ وكان أى شراء من أشخاص معينين يتطلب تحرير لوحة وحضور طرف ثالث والا كان المشترى يجازف بأن يعد لصـا يستحق عقوبة الموت : وهكذا كان الأمر بالنسـبة لشراء الاغنام والثور والعبد من ابن أو عبد الغير ٠ وقانون حمورابى صريح واضـح فى هذه النـاحية ٠ وكان إيداع الاشياء الثمينة يتم كذلك أمام الشهود والا فان القاضى لا يتدخل اذا ما حدث نزاع ٠

واذا لم يكن فى الاستطاعة فض قضية مدنية بالطريق الودى فان أحد الطرفين يقدم شكوى فان لم يحضر الطرف الاخر أمام المحكمة من تلقاء نفسه فانه يعلن بضرورة الحضور وكان الاتفاق يتم فى أغلب الأحيان بين المتنازعين على عرض الأمر على قضاة يقررون فيه ما يرون ٠ ولعل هذا هو السبب فى أنه عند تحرير اللوحات كان يعتبر الطرف الخاسر عادة كأنما هو المدعى أو الشاكى أما الذى يحكم لصالحه فيعتبر مدعى عليه ٠ ويصغى القاضى لأقوال الطرفين ثم يفحص المستندات المقدمة ويستمع الى شهادة الشهود ٠ وفى حالة عدم وجود مستندات مكتوبة أو لم تكن فحواها تسمح بحل للمشكلة فان القاضى يطلب الى هذا الطرف أو ذاك أداء اليمين كما يطلب ذلك أحيانا من الشهود ٠ وكانت اليمين تؤدى باسم الآلهة طبقا لعادة ترجع الى عهد ما قبل السرجونية بل فى الغالب الى عصور سابقة له ٠ ومنذ عهد أور حتى أيام الأكمينيين كان يحلف باسم الملك أيضا ٠ ولم يؤثر هذا على أية صورة على مظهره الدينى اذ أن الملك نفسه كان مؤلها ؛ وأما فى عهد الأسرة الأولى فان أسـماء الآلهة وأسـماء الملوك الحاكـمين ارتبطت ببعضها فى أغلب الأحيـان فى الصيغة التقليدية ٠ وكان حلف اليمين يتم عادة فى المعبد ـ حتى وان كانت القضية منظورة أمام المحكمة المدنية ـ بحضور رموز دينية معينة ٠ وكانت هناك حالات تؤخذ فيها هذه الرموز الى خارج حرمها المقدس : وقد حدث ذلك مثلا فى نزاع على أرض مبنية كان المدعى عليه ملزما بأن يثبت حقوقه فى المكان موضوع النزاع أو « يمسح واجهة » بيته تبعا للاصطلاح المعروف ٠

وكان الشاكي الذى أصيب في أملاكه الخاصة أو نهبه أحد المغتصبين مثلا يؤيد باليمين الضرر الذى لحق به حتى يحصل على تعويض من المجموعة الاجتماعية التى أصابته الأضرار على أرضها • وفى حالة ايداع المحصولات كان المودع يحلف بقصد استرداد محصوله ان كان المودع لديه ينازع فى مجموع الكمية • وكان « المعداوى » الذى تغرق احدى المراكب قارب التعدية الخاص به يحلف كذلك حتى يحصل على تعويض مناسب ــ وكان الرجل فى حالة النزاع المدنى أو الجنائى يستطيع أن يستنقذ نفسه بتأييد اقراره بحلف اليمين وقد كان ذلك مركز الرجل الذى يقبض على عبد آبق حين يموت الأخير قبل أن يعاد الى مولاه أو الزوجة التى يتهمها زوجها بالزنا مع أنه لم يقبض عليها فى حالة تلبس أو الرجل الذى جرح أو قتل ــ عن غير عمد ــ خصمه فى العراك •

وكان حلف اليمين يلعب دورا آخر كذلك بعد النطق بالحكم فالطرفان المتنازعان كانا يتعهدان أمام الآلهة باحترام الحكم كأمر نهائى غير قابل للتعديل وقد أضيفت فقرة خاصة فى هذه المناسبة حتى لا ينظر فى النزاع من جديد وحتى لا تقام دعوى جديدة وكان يوضع أحيانا شرط ينص على عقوبة أو تعويض على من يخالف ذلك •

أما البابليون الجدد فغالبا ما إستبدلوا اليمين بلعنات تصب على من يغير القرار الذى صدر : « ألا فليكتب عليه مردوك وزربانيتوم الخراب » كما جاء فى عقد من عهد نبوخودورسور : ولدينا من عهد كيروش الأنزنى ان من يحاول تغيير هذا القرار ••• ألا فيلعنه أنو وايلليل وايا ••• الا فليضع نابو كاتب الايساجيل حدا لمستقبله ، (حرفيا : يضع نهاية لمستقبله) •

وكانت أحكام القضاة تتناول كل شيء وفى الغالب لم يكن يرد أى ذكر لأسباب النزاع فى لوحة الحكم ولذا فاننا نراها تتناول مثلا شراء عقار عارض فيه أبناء البائع ولم تؤد معارضتهم الى نتيجة • وفى عهد « سن مو بالليت » نجد أنه بعد أن باع رجل وابناه بيتا يحاول أحد الولدين أن يتراجع فى الصفقة وقد حكم عليه أن يوسم على الجبهة • وقد أدت الايرادات المتنوعة ــ وخاصة تلك التى كانت مقررة قانونا لبعض الوظائف المقدسة ــ الى رفع قضايا من وقت لآخر • وكان القضاة يحددون أنصبة الشاكين المستحقة لهم أو هم يرفضون الشكوى لأنها لا تقوم على أساس • وكان تقسيم الميراث كذلك سببا لتدخل المحاكم ••• ففى العام الثالث والثلاثين من حكم حمورابى لم يستطع أخوان أن يصلا الى اتفاق بشأن تقسيم أملاك والدهما المتوفى فتولى المدعـو ندنات سن Nidnat-sin

تقسيمها « تقسيما عادلا » ولم يكن في الاستطاعة تصفية الشركة دون تدخل المحاكم بل انه كانت تحدث فيها خلال قيامها بعض المشاكل التي لا تحل بغير الطريقة المذكورة ، ففى السنة الرابعة والثلاثين من حكم حمورابى رفع اريبام سن Eribam-sin دعوى ضد الاخوين تسللى عشتار Tsilli-ishtar وأويل ايلى Awil-ili بخصوص بيت وممتلكات أخرى اقتنوها . وذكر المدعى أنهـــا كانت قـــد اشـــتريت بمـــال شركة بينهمـــا وبينه وقد أثبت المدعى عليهما عدم صحة ذلك وانهما دفعا ثمنا من مال أرسلته الى تسللى عشتار امه وهكذا كسبا قضيتهما .

وقد تناول القانون حالة رجل هجر زوجه وذهب الى مدينة أخرى وعند عودته فيما بعد ود لو يتابع الحياة الزوجية ، ولكن القانون أنكر عليه هذا الحق . واذا كانت زوجته تزوجت مرة أخرى فانها تبقى مع زوجهـا الجديد . وهناك حكم صادر في سيبار في السنة التاسعة لحمورابى هو تطبيق عملى للعرف القديم الذى بنى عليه هذا النص القانونى : فان المدعو سن ناتسير Sin-natcir الذى هجر زوجته مدى عشرين عاما وعندما توفيت عاد ليطالب بميراث أوصت به لابنتهـــا هولاتوم Houlatoum التى كان من الواضح أنها أمة . وقد اجتمع « رابينو سيبار » و « كار سيبار » وقررا أن « سن ناتسير » قد ترك زوجه « ليتابع حظه وأنه لم يكن يحبها » وقد أنزلا « به اللوم ورفضا أن يجيباه الى طلبه » . وكذلك ادعت « أمات شماس Amat-Shamash انها الابنة المتبناه لشـــماس جاميــل Shamash-Gâmil وزوجه أومى اراهتوم Oummi-arahtoum ولم تكن لديها لوحة كما لم يستطع شهودها أن يأتوا بأدلة مقنعة فطلب القضاة الى أومى اراهتوم المدعى عليها حلف اليمين ، ورفضوا دعوى المدعية . وكذلك نـــازع بابليتـــوم Babilitoum كلا من اريش ساجيـــل Erish-Sagil وأوبار نابيوم Oubar-Nabioum ومردوك ناتســـير Mardouk-natcir بقصد الاســـتيلاء على نصيبه من ميراث فمنحه اياه القاضى .

ولم تكن كل محكمة مختصة بالنظر فى كل القضايا ، اذ حدث أنه فى العام الثامن والعشرين من حكم حمورابى رفض قضاة بابل قبول قضية لأن المدعى كان قاطنا فى سيبار وتبعا لذلك لم يكن له الحق فى أن يتقدم بشـــكواه أمامهم .

وفى عدد من الحالات حدد قانون حمورابى العقود التى يســتطيع القضاة توقيعها وكان من الممكن أن يصدر حكم الاعدام على من عمل سحرا لآخر ولا يستطيع اثبـات التهمة عليه وكذا على شاهد الاثبات المزور فى

قضية جنائية وعلى سـارق كنوز المعبد أو القصر وعلى من يخفي أشـياء مسروقة وعلى اللص الذي لم يسـتطع أن يعيد المنقولات ذات القيمة التي اغتصبها ويدفع التعويض القانوني وعلى بائـع الأشياء المسروقـة ومخفيها وعلى كل من اشترى أو أخذ وديعة دون لوحة أو شهود من يد قاصر أو عبد وعلى من ادعى دون بينه ملكية شيء مسروق • وكان الموت عقوبة من يمنح فرصة الهرب الى عبد أو ايواء عبد آبق أو قبول خدماته ، اذ أنها جميعا تعتبر سرقة• وكان هناك قانون سومري قديم يعاقب المرء بقانون « الرأس بالرأس » فان لم يكن يملك عدا نغرامة ٢٥ شاقلا من الفضة ان كان قد آوى عبدا آبقا مدى شهر • وكانت عقوبة الموت تنفذ على قاطع الطريق أو الجندي المتمرد حتى وان كان قد أحل آخر مكانه • وكان الضابط الذي أباح الابدال يلقى نفس العقوبة وكانت تنصب كذلك على المحافظ أو الحاكم الذي ينتقص من امتيـازات الضباط وعلى تاجرة المشروبـات التي تؤوي الثوار وعلى الرجل الذي يغتصب فتـاة وعلى من يحتال على جراح بقصد وسم عبد بعلامة امتناع البيع • وهكذا ــ طبقا للقوانين السومرية الخاصة (بالالهة) نيسابا والاله حاني نجد أن مغتصب الفتاة الذي رفض تزويجه منها يجب أن يعدم • وفي جميع هذه الأحوال لا يوضح القانون نوع الميتة التي توقع على المجرم • وهو في بعض الأحيـان أكثر صراحـة ولقد كان الموت غرقا ينفذ في مستأجرة الحانة التي تبيع مشروبات أعلى من السعر القـانوني وترفض الثمن شعيرا أو تطلب سعرا أعلى بالفضـة وكذا على الزوجة التي سجن زوجها وذهبت لتعيش مع رجل آخر رغم وجود موارد كافية ، وعلى ربة الدار سيئة التدبير والمتسـكعة التي بددت مال زوجها وأرادت أن تهجره • ولقد كان ذلك كذلك في القانون السومري القديم بالنسبة للزوجة التي تحاول الطلاق • وكانت نفس العقوبة توقع كذلك على الزانية وشريكها في الاثم • وعلى الحما وكنته (*) اللذين يرتكبان زنا المحارم فـكان الواحد منهما يقيد الى الآخر ثم يلقيـان في الماء • وكانت عقوبة الحرق وتوقع على الأم والابن المتهمين اللذين تثبت عليهما هذه الجريمة كذلك ، وعلى الكاهنـة التي تفتح حانة أو تذهب اليها لتتعاطى شرابا ، وعلى الرجل الذي يستغل فرصة حدوث حريق للسلب • وكان الخازوق عقاب الزوجة المتهمة في أمر قتل زوجها بقصد التزوج من آخر•

وأخيرا ، فان عقوبة الموت تطبق عملا بمبدأ القصاص (العين بالعين والسن بالسن) وذلك فقط حين يصيب الضرر رجلا من ذوي الحيثية • فاذا مات رجـل حر مرهون بسبب دين في بيت الدائن من أثر الضرب أو سوء المعاملة ، فان ابن الدائن يحكم عليه بالموت • واذا أجهضت فتاة

(*) الكنة (بفتح الكاف وتشديد وفتح النون) : امرأة الابن أو الأخ •

حرة فماتت نتيجة ضربات فان ابنة الضارب تموت · واذا انهار بيت لم يعن ببنائه فمات بسبب ذلك صاحبه وابنه فان عقوبة الموت توقع على المعمارى وابنه · ويمكن أن ينفذ الموت بطريقة غير مباشرة بسبب التجربة القاسية المقررة فى مادتين من مواد القانون : لحالات أولئك الذين يعتقدون أنهم كانوا ضحية سحر عمل ضدهم ولحالة الزوجة المتهمة بالزنا دون أن تمسك فى حالة تلبس ·

وكانت المحكمة تأمر بقطع لسان الطفل الذى هجره أبواه للدعارة ان هو أنكر أبويه اللذين تبنياه · وبقلع عينيه ان هو هجر بيتهما ليعود الى بيت أبيه أو أمه · وكان قطع اليد عقاب الابن الذى يضرب أباه ، أو الجراح غير الماهر الذى يفقأ عين المريض - ان كان من طبقة الأحرار وهو يفتح الغشاء بالمشرط ، أو الذى يسم عبدا بعلامة عدم امكان البيع دون علم سيده من تلقاء نفسه · أو المزارع الذى يسرق الغلال أو المزروعات ·

وكان قطع الثدى عقوبة المرضع التى ترضع طفلا آخر فيموت الأول نتيجة اهمالها وذلك اذا كان الارضاع دون اذن من أبوى الرضيع ، أما العبد الذى ينازع فى حقوق مولاه عليه فعقوبته قطع الأذن : وهناك قانون سومرى ينص على بيع المذنب فى هذه الحالة الأخيرة :

وكل من ضرب شخصا من مرتبة أعلى من مرتبته على يافوخه فانه يمكن جلده علنا بسوط من جلد الثور ستين جلدة · وكان النفى عقوبة الأب الذى يتصل بابنته اتصالا جنسيا ·

وكانت هناك تدرجات فى التعويضات عن الأضرار تتراوح بين ثلاثة أمثال وثلاثين ضعفا من قيمة الشىء المطلوب استرداده · وكانت ثلاثة الأمثال تدفع عن المبالغ التى يأخذها الكاتب من وكيل الأعمال · وخمسة الأمثال للعميل غير الأمين مما احتفظ به لشخصه أو للشىء المسروق الذى باعه اللص ان مات صاحبه قبل أن تقتص له العدالة واستطاع الشارى أن يثبت حسن نيته · وستة أمثال للمال الذى يدعيه بغير حق صاحب عمل على موظف عنده · وعشرة أمثال للشىء المسروق من موشكينو أو الحيوانات التى يبيعها الراعى خلسة ، واثنا عشر ضعفا لقيمة الشىء المتنازع عليه ان ألغى القاضى حكما سبق أن أصدره · وثلاثون ضعفا لقيمة الشىء الذى يسرق من معبد أو القصر ·

وكانت المحكمة تقدر قيمة الأضرار التى يسببها قطاع الطرق · وكانت المدينة وحاكم المقاطعة التى حدث بها النهب يعتبران مسئولين ·

وكانت المحكمة تعاقب المزارع المهمل بأن يدفع ما يعادل المثل من الانتاج في الضياع المجاورة •

وكانت المحكمة تطبق التعويضات المختلفة التي يحددها القانون في حالات الحوادث التي تسببها الحيوانات أو الجروح المتعمدة حين لا يكون من تحل به رجلا حرا ومن ثم فان « قانون القصاص » (العين بالعين والسن بالسن) يكون غير معمول به •

الفصل الثالث

النظام الاقتصادى

١ ـ الملكية العقارية

كانت الملكية العقارية فى سومير وآكاد منذ أبعد العهود فى أيدى أفراد أو هيئات اجتماعية وتشهد بذلك عقود البيع الخاصة بالعهد قبل السرجونى ٠ وكانت للمعابد حقولها ورياضها وكان لزوجة الايشساكو ولأولاده أراضيهم الخاصة ٠ ولم يكن بيت الفقير دائما فى منعة من جشع الغنى بل كثيرا ما كان الكاهن ينهب بستان أمه ٠ والظاهر أنه منذ ذلك العهد كان يكافىء خدمة الأوفياء بمنح من الأرض اما بصفة دائمة أو بحق الانتفاع فقط ٠

ويثبت العقد الذى اشترى الملك « مانيشتوسو » بمقتضاه ضياعا متعددة قيام ملكية مشتركة جنبا الى جنب مع الملكية الخاصة وقد جاء فيه ذكر مزرعة حددتها قناتان وكذا قبيلة وفرد من الناس ٠ وقد بلغت مساحة احدى قطع الأراضى أكثر من ١٣٥٠ هكتارا على حين تبلغ الأخرى بالكاد ٣٦ هكتارا ٠

وقد ميز قانون حمورابى ما بين الأملاك الخاصة وممتلكات الايلكو ٠ وكان الملك يتنازل عن الأخيرة كمكافأة عن خدمات عامة وهى لا يمكن أن يتناولها البيع أو الحجز أو الرهن أو نقل الملكية على اية صورة الا للوريث الذكر بشرط أداء الالتزامات المقررة وكان التصرف فى الأملاك الخاصة نفسها خاضعا لقيود فى مصلحة العائلة ٠ ومن حيث المبدأ لا يمكن بيعها سوى أداء لدين ٠ وكان للمرأة المتزوجة حق الانتفاع على بائنتها أما الرقبة فلأولادها أو لاخوتها ان لم يكن لها أولاد ٠ أما الكاهنة أو العاهر فكانت

لهما حقوق أوسع اذا كان الأب قد نص في لوحة احداهما على حرية التصرف · وربما كان لكل عائلة حق الشـفعة على الأملاك التي اضطرت من قبل الى بيعها ·



(شكل ١٠)
كودورو (متحف اللوفر · وفد فارس) ·

وكانت بعض المدن تمتلك في العهد الكاسي أمـلاكا عقارية ضخمة كما كان الأمر كذلك بين القبـائل التي استقرت في سومير القـديمة قرب شواطىء الخليج الفارسي وذلك عقب الاضطرابـات التي حدثت في بلاد بابل كأثر للغزو الحيثي · وقد اعتاد الملوك أن يشتروا ضياعـا من هذه المدن أوالقبائـل لمنح مكافـآت عن خدمات تم أداؤهـا للدولة أو لاظهار الشكر للآلهةأو بقصد تخصيص اقطاعيات لأولادهم وهم لـم يكتفوا بتحرير مسـتند الملكية المعتاد على لوحاتالطينفقط بل أرادوا أن يضعوا كذلك الأراضي التي منحت حديثا في حفل علني تحت رعاية الآلهة · ولقد حفروا على كتلة بيضية أو لوحة من الحجر أو الآجر رموزا دينية وعقد المنحة ثم لعنات على كل من يعـارض أمرهم · وهذه المستندات المسماه كودورو Koudourrous (أحجار الحدود) التي كان يفترض فيها أصلا أن توضع على الأملاك نفسها لتستبقي الحماية الالهية عليها أطلق عليها البابليون كذلك اسم نارو Narû (لوحات) ويظهر أنها كانت توضع في المعابد (١) ·

وكان للقبائل التي حلت في جنوب بلاد بابل رؤساء ومديرون · وقد استقرت كل منها في أراض تختلف رقعتها ضيقا واتسـاعا وهناك قامت مدنهم وقراهم ·

(١) Cf. XVIII, XC, XLIV, XLVIII ; fig. 10 et 11.





(شكل ١١)

كودورو (متحف اللوفر • وفد فارس)

وكانت هذه القبائل تمتلك جزءا من الأراضى كما كانت الحال بالنسبة لكل مدينة ولكل قرية ولبعض العائلات • وكانت هذه الأراضى كلها مقسمة الى قطع يستغلها الأفراد وهى قطع لم تختلط ببعضها وان تشابكت ، لأنه رغم الثورات والغزوات ظلوا يدركون كيف يمسحون الأراضى ويعينون حدودها كما كان يفعل أسلافهم منذ ألف أو خمسمائة عام • وحين انتقلت المقاطعة من القبيلة الى يد الملك أصبحت ملكا خاصا • ولما كان الرئيس قد وافق باسم المجموعة على البيع ولما كان الثمن قد دفع للمالك وكان الجيران قد دفعت لهم ـ ان كان لهم فيها حق ما ـ فان هذه المقاطعة أصبحت لا يجوز ردها الى القبيلة أو البائعين أو الورثة مهما تكن الأسباب • وقد عنى بالنص على هذه الشروط •

وكانت الاقطاعية التى كونها الملك تمنح بصفة نهائية وتورث ـ وليس بصفة مؤقتة ـ كما كانت الحال بالنسبة لأملاك الايلكو فى العهد السابق • وقد ظل المنتفع بالهبة خاضعا للالتزامات والضرائب المفروضة على الاقطاعية ما لم يحصل على لوحة اعفاء وهو أمر كان كثير الحدوث •

وكانت الأرض البور من حق أول من يشغلها وتصبح ملكا لمن يصلحها • وقد منح الملك مليشيباك Mélishipak ابنته هونوبات نانای Hounnoubat-Nanaï ضيعة على حافة أرض البحر • وقد اهتم بأن يقرر أنه صاحبها الشرعى ، لأنه أصلحها وأنشأ فيها مشروع رى وخزانا وجعل الأرض صالحة للزراعة كما أنشأ ثلاث قرى (١) •

وكانت الملكية العقارية فى الواقع خاضعة لحقوق الارتفاق لمصلحة الجيران وخاصة فيما يتصل برى الأراضى وكان للحاكم حق المرعى

---

(١) XVIII, t. x. p. 87.

وباكورة المحصول والهشيم واستدعاء الرجال والحيوانات والعجلات لأعمال السخرة وصيانة القنوات والمخاضات والطرقات • وقد ورد بيان تفصيلي عن مدى الالتزامات الخاصة بالمنافع العامة في قرارات الاعفاء التي يصدرها الملك من هذه الالتزامات • من ذلك أننا نقرأ على كودورو مليشيباك لصالح ابنته أن « صغار الماشية وكبارها والضرائب والسخرة وتنظيف (تطهير) الترع والقنوات والعمل في الخزانات وجمع العمال للترع وتجهيز العجلات وأعمال الحرث وقطع وحصد الهشيم والأعشاب والخراج الملكي مهما يكن ••• لقد ختم لوحة اعفاء القرى وسلمها اياها » وقد وضع الملك الصيغة تحت رعاية الآلهة حتى يدعم ارادته مستمطرا سخطهم على كل من يرغب في أن « يأخذ من هذه القرى ماشية صغيرة أو كبيرة أو يخضع سكانها لالتزامات أو سخرة أو أى خراج ملكي مهما يكن ومهما تبلغ ضآلته » •

وحين أقطع «ماليشباك» نفسه ابنه « مردوك ابال ادين – Mardouk apal-iddin » اقطاعية لم يكن أقل وضوحا في ذكر الالتزامات التي أعفاه منها (١) « أن اعفاءه يسري على الصورة التالية : لا تؤخذ ضريبة على باكورة ثمار أرضه ولا العشور ولا يستدعى رجال اقطاعيته ضمن الفرق التي تشكل في مدن ناحية نينا أجادة Ninâ-Agadé للسخرة أو للعمل أو للتوقي من الفيضان أو لصيانة وتدعيم الجسور للقنوات الملكية أو حماية مدن بيت سكاميدو ودامق اداد Bit-Sikkamidou ; Damig-Adad وهم ليسوا ملزمين بأن يسخروا للعمل في سد القناة الملكية ولاقامة الجسور ولاغلاق أو تطهير قاع القناة ولا يستطيع أى حاكم له « بيت بير شادورابو » Bît-pir-shadourabou أن يخرج من اقطاعيته مزارعا من أراضيه أجنبيا كان أو مواطنا • ولا يجوز الاستيلاء عن طريق أمر ملكي أو أمر من الحاكم أو أمر انسان كائنا من يكون على أخشاب أو حشائش أو هشيم أو شعير أو اى محصول آخر أو عجلات أو كدنها أو حمار أو رجل • كما لا يجوز سحب ماء من ترعة الري عند عدم وجود ماء كاف في القناة الموصلة بين راتي انزانيم Rati-Anzanim وقناة الاقاليم الملكي • كما لا يجوز أخذ مياه من جدول خزانه أو تقسيم الري الى قسمين ومد أملاك أخرى بمياه منه بقصد الري أو الزراعة ولا يجوز قطع الحشائش من أرضه كما لا يجوز أن تساق حيوانات الملك أو الحاكم اليها أو جمع حشائشها للعلف وليسوا ملزمين بتعبيد طريق أو كوبرى سواء أكان ذلك للملك أم للحاكم أو بتنفيذ أية

(١) XVIII t II, p. 99.

سخرة جديدة يفرضها ملك أو حاكم في المستقبل أو أية سخرة زالت أريد العود اليها » ٠

والأرض الفيضية التي تكون سهول دجلة والفرات خصبة بطبيعتها ما دامت هناك عناية بعمليتي الصرف والري فيها ولقد أدرك ذلك اقدم سكانها وقلما نجد ايشاكو من لاجاش مثلا منذ عهد الملك المسن « أورنينا » لا يفاخر بأنه شق قنوات وبذل الكثير من العناية في سبيل الري ٠ وقد استلزم شق هذه القنوات قيام أعمال « لابد أنها تتطلب سلسلة من المعلومات والمناهج القائمة على الفن الهندسي ما لم نفرض أن اقامتها قد تمت على مراحل متتابعة كانوا يتلمسونها بتحسينات مستمرة خلال التنفيذ الذي لابد أنه تطلب زمنا طويلا حتى عن طريق العمال العديدين الذين كانوا لا يتناولون أجرا كالسجناء الذين كان يكتفي بالكاد بتغذيتهم٠ وعلى ذلك فنحن مضطرون الى أن نعتقد أنه كانت هناك دراسات تمهيدية ثم مشروعات مبدئية ثم خطة نهائية تتطلب استعمال أجهزة للقياس والتسوية وعمليات حسابية تسجل نتائج المقاسات التي تمت على الأرض ومقدار العمل المطلوب تنفيذه » (١) ٠ وقد وصلت الى أيدينا بعض التخطيطات للقنوات والنهيرات من عصر ما قبل السرجونية ومنها مثلا قطعة من لوحة مثلث عليها قناة حومادمشا Hoummadimsha التي شقت بأمر من أياناتوم والتي ألحق بها خزان تزيد سعته على الألف هكتولتر ٠ وقد دعم انتمينا ابن أخ أياناتوم هذا الخزان وأكمل قناة أخرى تصل النهرين كما دعمه كذلك فيما بعد بزمن وجيز الملك أوركاجينا الذي أصلح قناة جرسو القديمة المعروفة باسم « ننجرسو — أمير — في — نيبور » وقد فصلت احدى اللوحات أعمال السخرة : وكان العمل المفروض على الحفارين المحترفين أهم بكثير من عمل العمال العاديين ٠ وكان طول هذه القناة ٢٨٠ مترا وقد تم تنفيذها وفقا لخطة موضوعة ٠ وأما جوديا فلم يشر الا عرضا الى مشروعاته الأخرى لأنه كان مهتما كل الاهتمام بالأعمال الدينية وباعادة بناء المعابد ٠ ومع ذلك فقد شق القناة المسماة « ننجرسو أوشو مجال Ningirsou-Oushoumgal » وهو حدث محلي خلد في اسم لاحدى سني حكمه ولابد أنه اضطر الى ابقاء القنوات التي كانت موجودة قبل عصره في حالة صالحة للملاحة ذلك لأن نقل مواد البناء من أخشاب وأحجار ومعادن كان يتم عن طريق الماء وتطلب انزالها الى البر اقامة رصيف بالقرب من احدى بوابات المدينة وقد عهد في بلاط الهة ننجرسو بصيانة القنوات والجداول وأدوات الري الى مزارع الأرض المقدسة ٠

---

(١) LXIX, p. 428.

وقد شق « أورانجور » ملك اور قناة الحدود المسماة نانا جوجال Nanna-gougal و « ساوى حوضها بأمواه البحر » وهناك لوحة من ذلك العهد تحتوى على أجور النساء اللواتى استخدمن فى عمل سد من القصب عند رأس القناة . وقد قام سن ايدينام Sin-idinnam من لارساب ب « حفر دجلة النهر العريض وزود مدينته وبلاده بمياه طيبة وفيرة دون انقطاع » .

وبعد أن حقق حمورابى وحدة الامبراطورية بدأ فى القيام بمشروعات هامة فشق نهر حمورابى Nar-Hammourabi « ثروة الشعب التى تجلب ماء وفيرا لسومير وأكاد وتحول ضفافها الى حقول منزرعة وتهيل أكواما من الغلة وتزود شعب سومير وأكاد بماء دائم الجريان » ولم يندثر نهر حمورابى كلية فقد كان يبدأ من الفرات أسفل كيش فى مستوى بورسيبا ويجرى فى اتجاه أوما تاركا إياها الى يساره وبعد أن يصل الى لارسا يتجه نحو الخليج الفارسى . وتبين لنا الأوامر الملكية كيف كانت السلطة المركزية تنظم وتستخدم السخرة فنرى الملك يأمر يوما « سن ادينام » حاكم لارسا ب « استدعاء من كانت فى حوزته حقول على ضفاف قناة دامانوم Damanoum بقصد تطهيرها وأنه يجب الانتهاء من تطهير قناة دامانوم عند نهاية الشهر » وفى مناسبة أخرى نراه يأمر نفس الموظف بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى تصل حتى أوروك والتى لم تكن قد أصلحت حتى هذه المدينة .

وتثبت الاعفاءات التى منحها مليشيباك قيام السخرة بقصد الصيانة وأعمال السدود فى عهد الأسرة الثالثة . وتبين رسائل موجهه الى الملك كودور ايلليل Koudour-Ellil كيف أن الموظفين المنوط بهم الاشراف على عمليات المياه كانوا يؤدون واجباتهم فى القرن الرابع عشر : فقد أبلغ أحد المفتشين عن وال سد احدى القنوات على وجه سمح فيه برى اقطاعيتين الا أنه حرم عشرين اقطاعية أخرى من الماء حتى جفت تماما فضاعت غلتها . وقد دافع الوالى عن نفسه مدعيا أنه لم يهمل حقلا واحدا .

وفى العهد البابلى الجديد وصل نبوخودوروسور الثانى ما بين دجلة والفرات عن طريق الحائط الميدى الذى كان ضفة لقناة وأنهى عند بابل الحوائط التى تسند ضفاف الأراهتو Arahtou التى بداها أبوه .

ولقد كانت القنوات الكبيرة وهى المشروعات الوطنية التى أنشئت أصلا بقصد اصلاح الأرض وتزويدها بالمصارف ، كانت فى الوقت نفسه ممرات مائية رائعة ولكنها كانت تتطلب مجهودا كبيرا لصيانتها خاصة

لأن الأرض كانت رخوة والضفاف هشة جدا · وكانت مياه الفرات تصل الى خط عرض بابل محملة بالرمل والطين وهي في الوقت الحاضر تحوى كيلو جراما في المتر المكعب في الأوقات العادية أما في موسم الفيضان فقد يبلغ ما تحويه ٢٥ كيلو جراما (١)· أما القنوات الأقل أهمية والجداول فكانت تحمل الماء الى أطراف الحقول والمراعي ومن هناك كانت تسحب عن طريق أدوات رافعة تديرها ثيران أو بواسطة دلاء ورافعة وذلك منذ عهد ما قبل السرجونية · وقد مثلت هذه الأداة في منظر للحياة الزراعية على خاتم أسطواني وهي تستعمل حتى اليوم ليس في الشرق فحسب بل في بعض أقاليم فرنسا نذكر منها وادي اللوار بين انجيه ونانت ، وقد نص حمورابي على عقاب من يسرق مثل هذه الأدوات فكان اللص يدفع للمسروق منه خمسة شواقل مقابل الأداة التي يديرها الثور وثلاثة شواقل فقط لأداة الدلو · وفي العام الأول من حكم دارا الثاني تم اتفاق بين بعض أهالي نيبور مؤداه أن ري ضيعة معينة يتطلب أربعة حيوانات ·

ولم يكن ارتفاع الماء يزيد على أربعة أمتار وقت انخفاض المياه في الشتاء · وفي هذا الفصل من السنة تروى الحقول ثلاث مرات الآن بمعدل ٢٠٠ متر مكعب لكل هكتار · وقد نص قانون حمورابي على عقوبة من يتسبب في حدوث أضرار تلحق بحقل آخر بسبب اهمال مزارع في صيانة جدوله : فان هو أهمل تقويته ونجم عن ذلك صدع فعليه أن يعوضه عن المحصول الذي أتلف فان عجز عن ذلك يباع هو وكل ما يملك مقابل مبلغ يقسم بين من لحقهم الضرر · وأما من أهمل اعادة السد بعد أن يكون قد فتحه لري حقله فانه مسئول كذلك عن الفيضان الذي يغمر الأراضي المجاورة ، وعليه أن يدفع تعويضا يتفق ومتوسط غلة هذه الأرض · وأما اذا كان الأمر يتعلق بأغراس فان الثمن يحدد ب « جور » من الشعير عن كل « جان » من الأرض أي ٣٪ هكتو لتر عن كل هكتار تقريبا ·

ولم تكن المراعي في حاجة الى عناية أكثر من سقيها وقطع كلئها وكانت تطلق الحمير والثيران والأغنام لترعى هناك · وكان الرعاة يتقاضون عادة أجرا سنويا عبارة عن ٨ جور من الشعير (٢٠٠ر٢٠ هكتولتر) في عهد حمورابي · وان ضاعت من راع احدى المواشي كان عليه أن يأتي بغيرها على حسابه وكان لزاما عليه أن يزيد من القطيع طبقا لاتفاقات مع المالك فان هو غير عامدا من حالة القطيع فباع لمصلحته احدى المواشي فانه يعرض نفسه الى أن يدفع تعويضا قد يبلغ عشرة أمثال قيمة ما سرق

(١) Génie Civi, 10 mars 1906.

أما ان كان قد حل بحظيرته ضرر ما فعليه أن يعوضه على حسابه ما لم يستطع أن يبرىء نفسه بحلف اليمين عند حصول الكارثة ان كان ذلك لظروف قاهرة خارجة عن ارادته • وكانت الحظيرة كباقى المبانى الريفية مبنية من القصب • وتقدم المناظر الخاصة بالمراعى والمنقوشة على الأختام الاسطوانية أمثلة عديدة على ذلك •

وكانت تحرث حقول الحبوب بمحاريث تجرها ثيران • وقد ظهر على احدى الأسطوانات القديمة جدا منظر للحرث يمسك فيه الحارث بذيل المحراث بكلتا يديه • وظهر بالمنظر رجال مزودون بالعصى والسياط يدفعون بها الحيوانات وكان هناك نوع من المحاريث أكثر اتقانا وبها مذرة• وقد حدد ايجار ثيران الحراثة فى عصر حمورابى بأربعة « جور » من الشعير (أكثر من ٥ هكتو لتر) فى السنة • وقد نص القانون على ما قد يحدث للماشية من حوادث أو بسبب خطأ صادر عنها كما حدد التعويضات • وفى العصر ما قبل السرجونى من الممكن تقدير نسبة المحصول للبذر وانتاج الهكتار بالتقريب من بيانات فى لوحات الايشاكو لوجالاندا • فكان محصول الهكتار يبلغ حوالى ٢٢ هكتو لترا من الشعير هى ثمرة بذر ٢٤ لترا أى بنسبة تزيد قليلا عن ٥٠ : ١ •

وفى عصر أور كان المزارعون ورعاة الماشية والأبقار يستأجرون سنويا وكانوا يتسلمون أجرهم شعيرا أو صوفا وأحيانا فضة أو حيوانات وكانت هناك نظم للزراعة ; ففيما يختص بالمستأجرين من كاهن أقسم أحد الأشخاص اليمين مؤكدا أنهم زرعوا الحقل بـ « عبيد وثيران » وأنهم تناولوا أجرهم وأنهم قدموا حساباتهم بانتظام •

وطبقا لقانون حمورابى كان على الرجل الذى أخذ قطعة أرض ولم يستنبتها شعيرا أن يدفع للمالك ما يعادل غلة الزارع المجاورة • أما ان لم يكن قد زرعها اطلاقا فعليه أن يصلحها ويبذرها ويسلم المحصول كله • واذا كان قد تعاقد لمدى ثلاث سنوات على زراعة قطعة أرض لم تكن قد استصلحت بعد ولم يحافظ على ارتباطه ، فان عليه فى السنة الرابعة أن يبذرها ويقدم للمالك « جور » واحدا لكل « جان » (حوالى ١٦ر٧هكتو لتر تقريبا للهكتار)• وفى حالة اتلاف زوبعة للمحصول الذى تم جمعه فانه : اذا كان المالك قد تم الدفع له فان الخسارة جميعا تقع على رأس المزارع • أما اذا كان هناك اتفاق زراعة مشاركة بنسبة النصف أو الثلث ولم يكن النصيب قد دفع بعد فان ما بقى من المحصول يقسم وفقا للاتفاق • وقد حمى القانون صغار المزارعين الذين كانت مواردهم لا تكفى لشراء ما يلزم للبدء فى الاستغلال فاذا كان هناك تفاهم بينه وبين جار له للبذر ، فان المالك

لا يستطيع أن يمسه حتى زمن الحصاد واذ ذاك يأخذ المستحق له ٠ أما الزارع الذى استدان بفائدة ولم يستطع أن يجنى محصولا لظروف خارجة عن ارادته كحدوث عاصفة مثلا أو نقص الماء فى القنوات فانه ليس ملزما بدفع أية فائدة عن تلك السنة ٠ ويجوز من جهة أخرى رهن حقل مقابل سلفة ٠

وكان يعهد فى نفس العصر بزراعة مزرعة أحيانا الى رجل يؤجر خصيصا لهذا الغرض بأجر سنوى قدره ٨ جور من الشعير وهو نفس الأجر الذى يدفع الى الراعى ٠ وكان المالك يقدم ما يلزم للزراعة من ماشية ٠ واذا قبض على المستأجر متلبسا بسرقة حنطة أو نباتات فانه يحكم عليه بقطع اليدين ٠ وان هو أهمل شئون الحقل أو قام بتأجير المواشى الى الغير أو سرق البذور ، فانه يلزم بدفع ٦٠ جور من الشعير عن كل ١٠٠ جان من الأرض (حوالى ٤ر٣٠ هكتو لتر لكل هكتار) وان لم يكن فى استطاعته أن يدفع ذلك فانه يظل مرتبطا الى الأرض « بين الماشية » ٠

وفى عهد الأمراء الأكمينيين ــ كما فى عهد الأسرة الأولى ــ كان يتم التعاقد على الأراضى لمدة ثلاث سنوات مما يجعلنا نفترض احتفاظهم بدورة المحاصيل مدى ثلاث سنوات وكان الايجار يدفع بعضه فضة والبعض الآخر عينا : نبيذا أو دقيقا أو حيوانات ٠ وكان يدفع تعويض للمستأجر ان هو أخرج من مزرعته قبل انتهاء أجل عقده ٠

وحين يأتى موسم الحصاد كان يقطع المحصول ثم يوطأ بأقدام الحيوانات ٠ وقد حدد حمورابى أجر الثور الدارس فى اليوم ب ٢٠ « قا » من الشعير (١٧ لترا) وأجر الحمار بـ ١٠ « قا » أما أجر العجل أو الجحش فـ ١ « قا » فقط ٠ وكان أجر عربة الثور مع سائقها ١٨٠ « قا » يوميا أما أجرة العربة وحدها ف ٤٠ « قا » وكان العامل الزراعى ــ كما هى الحال اليوم فى فرنسا ــ يتسلم أجورا مختلفة تبعا للفصول المختلفة هى : ٦ قمحات من الفضة خلال الشهور الخمسة الأولى وخمس قمحات خلال الشهور السبعة الباقية ٠

وكانت البساتين تكون نوعا ثالثا من الأملاك العقارية بعد المراعى والأراضى المنزرعة ٠ ولما كانت أقل اتساعا من حقول الحبوب فانها كانت تقاس بدقة أكثر منذ عهد ما قبل السرجونية ٠ وكانت تزرع بها الخضر وخاصة البصل وكذلك الأشجار ٠ ولقد كان الأمر كذلك فى عهد أجادة ، حيث ورد ذكر زراعات للبصل فى مساحة بلغت ١ جان (٢٨ر٣٥ آر) ٠

وقد حدد حمورابى نصيب المالك بثلثى محصول البساتين فى حالة الاثمار الكامل فان أدى اهمال البستانى الى نقص الانتاج ، فهو يلزم بدفع ما يتناسب والغلة العادية · وكانت مدة عقد ايجار الحقل الذى يحول الى بستان خمس سنوات : كانت الأربع الأولى منها للزراعة والسنة الخامسة لاقتسام المحصول · وطبقا لتقليد سومرى قديم كان من حق المالك أن يقسم البستان الى قسمين متساويين تاركا الأرض التي لم تزرع بعد ضمن حصة المزارع · واذا كان المستأجر لم يقم بأى اصلاح ، فعليه أن يدفع على أساس الغلة الطبيعية كل سنة كما يحكم عليه بأن يجعل الأرض قابلة للزراعة · وان هو تسلم أرضا بكرا فعليه كذلك أن يعدها ولكنه يقدم فقط « جور » واحدا من الشعير لكل « جان » من الأرض فى كل سنة من الايجارة (عقد الايجار) · وكان التعويض عند قطع شجرة من البستان دون علم المالك ٣٠ شاقلا من الفضة كما كانت الحال فى القرون السابقة · وكان فى الامكان تقديم محصول زراعة النخيل مقدما من أجل تصفية دين ولكن الدائن لم يكن ملزما بتحمل هذه المجازفة · وكان البستان ــ شأنه فى ذلك شأن كل ملك عقارى ــ يقبل كرهن وقد ظل الأمر كذلك حتى نهاية الامبراطورية البابلية الجديدة ·

وكانت تقدر قيمة الأملاك المبنية تبعا للمساحة التى تشغلها وكانت تقاس بدقــة فى المدن وكانت هذه الأخيرة (أى المدن) ــ على الأقــل فى منشئها ــ أمكنة مخصصة فقط للعبــادة أو المأوى وأسواقــا فى الوقت نفســه · وكان أغلب الأهــالى يعيشون فى الريف فى أكواخ من الطمى والقصب وأحيانا فى خيام وربما كانوا يفعلون كما يفعل العرب اليوم فى هذه الجهات فيحفرون كهوفا محاطة بالحصير والقصب اتقاء لغائلة الحر ·

وكانت أقدم المنازل التى كشف عنها بين خرائب شوروباك مكونة من غرف صغيرة وتحيط بفناء مستطيل وهو طراز نجده كثيرا فيما بعد على الرسوم التخطيطية للمعماريين وكذا فى المنشآت الخاصة بالامبراطورية الجديدة وكانت تبنى من اللبن ، وكان السقف يقوم على دعائم من كتل خشبية أما الأبواب والمتاريس فلم تكن جزءا من العين (المؤجرة) · نظرا لندرة الخشب واعتبارها من المواد ذات القيمة التى يستطاع رهنها على حدة ولا تباع عندما يباع البيت كما يمكن أن تكون ملكا للمســتأجر · وكان الكثير من البيوت خاليا منها · وكان البيت البابلى عادة مكونا من طابق واحد وقلما كان من طابقين وكان للعقار أحيانا حق المرور على ملك مجاور ولكنه كان فى أغلب الأمر ينفتح على الشارع مباشرة ·

وفى لاجاش فى عهد ما قبــل السرجونيــة بيعت بيوت تراوحت مساحتها ما بين ⅔ ، ١⅓ سار (٢٣٫٥٢ الى ٥٢٫٢٩ مترا مربعا) وكان

متوسط الثمن في عهد حمورابي ١٥ شاقلا للسار وربما ارتفع الى ٧١ شاقلا أو هبط الى شاقلين أو ثلاثة شواقل . وكانت قيمة أرض البناء في المدينة تبلغ في المتوسط ٢٢٥ ضعفا لقيمة الأرض المنزرعة حبوبا ولكنها كانت في الأرياف أرخص من ذلك . وقد قدرت بعض الصوامع بثمن لا يعدو $\frac{1}{6}$ شاقل للسار وهو يعادل ضعفين ونصفا لقيمة الأرض .

وقد حدد قانون حمورابي أتعاب المعماري بشاقلين للسار كما حمله مسئولية أخطاء البناء فكان عليه أن يعيد على حسابه بناء الحائط الذي ينهار وأن يأتي بأثاث بدلا من الأثاث الذي يحطم أو بعبد بدلا من العبد الذي يموت وأن يدفع حياته مقابل حياة المالك الذي يموت تحت الأنقاض .

وكان من الممكن رهن العين المبنية(١) وكان الدائن في العهد البابلي الجديد يسكنها بنفسه وأحيانا أخرى يترك للمدين استعمالها . وفي عهد نبوخودوروسر الثاني (٢) رهن المدعو « شابيك زر » Shapik-zér بيته الى شولا Shoula الذي أتى ليعيش فيه وكان ايجار البيت يعادل فائدة قيمة السلفة ولكن شولا حين احتاج الى المال بدوره طلب من نرجال أوبالليت Nergal-ouballit ٢ مينا و ١٤ شاقلا وحول اليه بيت [illegible] ـفة رهن ولما كان يعتزم استمرار السكن فيه فانه كان ايجارا يعادل فائدة المبلغ المقترض .

٢ ـ الصناعة وتعليمها

منذ أبعد العهود كان هناك تنظيم أولي على الأقل في شئون بعض الحرف . ففي عهد دونجي كانت عملية النسيج تتم تحت رقابة رؤساء عمال يعينهم الملك . وقد نظم قانون حمورابي وحدد أجور العمال المعينين بالمياومة بأربع أو خمس قمحات من الفضة (من ١٦ سنتيجراما الى ٢٠) ، كما حدد كذلك اتعاب المعماري والمبيض دون أن يغفل تحديد مسئوليتهم المدنية عن كل خطأ في التنفيذ . وقانون حمورابي المشار اليه دليل كذلك على وجود نظم لتعليم الصناعة عند نهاية الألف الثالثة وكان يجوز للرجل أن يأخذ في بيته صبيا لتربيته وتعليمه حرفته فاذا ما استطاع أن يجعل منه صانعا جيدا فانه لا يجوز لوالديه الشرعيين أن يطالبا برده ما داما كانا قد قبلا الانفصال عنه ، أما اذا لم يكن الصبي قد تعلم شيئا فانه يستطيع أن يعود الى بيت أبيه .

---

(١) Ch. 39.

(٢) CXIV Nbk. 123.

وفى العهد البابلى الجديد وكذلك فى عهد الملوك الفرس كان السيد يعهد بعبده الى آخر حتى يتعلم مهنة على يديه وكان معنى ذلك فقدان فائدة رأس مال قدره مينـا ولكن رأس المال هذا قد تزيد قيمته وعلى ذلك فان السيد كان يحتاط لما قد ينجم عن حدوث الأمر الأول • فكان معلم الصبى يدفع تعويضا ان هو أهمل تعليم الصبى حرفته على الوجه المرضى • ونظرا لانه من جهـة أخرى قد أفاد من عمل الصبى ، فانه لا يستحق أجرا على تعليمه وأقصى ما كان يحدث أن تقدم له هدية رمزا للرضى •

وفى السنة السابعة من حكم كيروش نجد عبدا خبازا كان عنده عبد آخر كصبى مدى تسعة شهور وكان عليه أن يستبقيه ستة شهور أخرى ولكن أن لم يكن قد دربه تدريبا كافيا عند نهاية المدة ، فانه ملزم بدفع ٦ « قا » من الشعير عن كل يوم من أيام المدة كلها •

وفى العام التالى عهد «اتى ماردوك بالاتو Itti-Mardouk-balatou» بعبد الى « حاشداى Hashdai » عبد قمبيز الأمير الملكى ليتعلم حرفة الحجار فان لم تكن النتيجة مرضية فان حاشداى يدفع ½ مينا من الفضة الى اتى ماردوك بالاتو • وفى نفس العام عهد زوجان بأحد عبيدهما ليتعلم الخدمة مدى ست سنوات على أن يعطى معلمه هدية هى لباس قيمته أربعة شواقل ان هو نجح فى تعليمه أما ان فشل فى ذلك فانه يدفع ٣ « قا » من الشعير عن كل يوم من أيام السنوات الست •

ولم تكن النتيجة دائما رائعة وكان المعـلم يجد نفسه ملزما بدفـع التعويض المتفق عليه ، وكان يفعل ذلك عن طيب خاطر مادام قد انتفع بقدر كاف من خدمات صبيه •

وفى العشرين من تشريت فى السنة الثامنة من حكم كيروش كان نوبتـا Noubta قد عهد الى بل اتير Bél-étir » بتعليم اتكال اناماردوك Etkel-ana Mardouk النسـيج مدى خمس سـنوات وكان الصبى يأتى فى كل يوم ب « قا » من الشعير والملبس • وقد تعهد النساج أن يدفع فى حالـة عدم كفاية التعليم تعويضـا قدره ٦ « قا » عن كل يوم وقد أضيف الى هذا الاتفاق غرامة قدرها عشرون شـاقلا من الفضة على من يفسخه • وفى الثلاثين من آب (أغسطس) من السنة الثامنة أى بعد عشرة شهور من انتهاء السنوات الخمس كان العبد ما يزال مع النساج فدفع هذا خمسة شواقل الى نوبتا •

٣ ـ التجـــارة

كانت الأنهر والقنوات السبل الطبيعية للمواصـــلات بين مختلف مناطق سومر وأكاد منذ عهود ما قبل السرجونية بل ان معظم مدنها كانت منتشرة على طول ضـــفاف الفرات · ولقد نقل الملك العجوز « أورنينا » الأخشاب اللازمة لتشييد معابد لجش عن طريق الماء ، كما أن « مانشتوسو Manishtousou » قد استعمل نفس السبيل لنقل مسلة الديوريت التى نقش عليها قائمة بما اقتناه من ممتلكات ، ولقد استجلب « جوديا » كذلك الأخشاب والأحجار والمعادن الثمينة عن طريق الأنهر أيضا · وتحمل بعض الأسطوانات العتيقة صور قوارب واننا لنلاحظ أن حمولة بعضها فى عصر أور تبلغ سعة ٩٠ « جورا » من الشعير · وكانت تستعمل لكل أنواع المشحونات من ركاب وحيوانات وحبوب وزيت ودقيق وخشب ومختلف المواد · ولم تكن السفرة من لاجاش الى سوسه تستغرق أقل من شهرين عن طريق القناة · وقد حدد قانون حمورابى الايجار اليومى للقارب سعة ٦٠ جورا بمقدار ١/٦ شـــاقل ، أما ايجار القـــارب السريع فقمحتان ونصف قمحة · وكذا حدد أجرا سنويا للمراكبى قدره ستون جورا كمـــا قدر ترميم القارب حمولة ٦٠ جورا بشاقلين وحدد المسئولية فى حالة فقدان المركب وحمولتها · ولم تقل حركة الملاحـــة النهريـــة فى العصر البـــابلى الجديد : ففى عهد نابونيد دفع شاقل وربع شاقل من الفضة لقاء استئجار مركب لنقل ثلاثة ثيران وأربعة وثلاثين رأسا من الماشية الصغيرة قدمها الأمير الملكى لشماش وللآلهة الآخرين فى ســـيبار · وهذا وقد ارتفعت التعريفة المعتادة لاستئجار القوارب منذ عهد حمورابى وبلغت فى المتوسط شاقلا فى اليوم وكان القارب يباع بسعر يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ شاقلا ·

وليست لدينا معلومات عن انشاء وصيانة الطرق البرية فى بابل · ولقد كانت هناك قوافل بين العاصمة والمدن الرئيسية فى عهـــد أجاده · كما أن رسلا عديدين فى أيام ملوك أور كانوا يرتحلون حتى عيلام بقصد توصيل أوامر الأمير وأغلب الظن أنهم كانوا يســـــلكون الطرق المحاذية للأنهر والقنوات أو الدروب التى تخترق السهل ؛ومما يجدر ذكره من جهة أخرى ان الحاجة التى اضطرت سكان بابل منذ أمد بعيد الى استيراد عدد من المواد الأولية من الخارج لعدم وجودها فى البلاد قد حملتهم على تنمية التجارة الخارجية وخاصـــة مع عيـــلام فى الشرق ومع آســـيا الصغرى وشواطىء البحر الأبيض فى الشمال الغربى · وقد مارسوا هذه التجارة عن طريق عقود العمولة أو تعيين وكلاء ، فـــاذا كان الأمر يتعلق بانهاء صفقة أو بيع بيت أو حقل أو شراء عبد أو تحصيل دين أو استئجار مركب

أو استعارة شعير أو استئجار مزرعة أو حيوان ، فان صاحب الشأن كان ـ حين لا يستطيع الحضور بنفسه ـ يختار وكيلا ويحدد له كتابة مهمته ويخوله سلطة تحرير العقد وتثبيته بقسم .

أما فيما يختص بالتجارة مع المدن البعيدة أو البلاد الأجنبية ، فان رجل الأعمال كان يكون نوعا من شركا المساهمة وكان يعهد بمبلغ من المال لاستثماره تجاريا أو يسلم بضائعه ليبيعها الى مرتحل تجارى يضع تحت تصرفه مواهبه وتجاربه ومهارته .

وقد حدث أن لازم حكم حمورابى توسع هائل فى التجارة مع الشمال والغرب نتيجة للتوسع السياسى لبابل المتحدة وكانت العاصمة الجديدة المركز الحقيقى لتجارة الشرق وذلك بفضـــل مركزها الجغرافى بين آسيا العليا والدنيـــا حيث يتقـــارب النهران . ولقد كرس المشرع كذلك مواد عديدة من قانونه لأعمال كبار التجار ونظم العلاقـــات بين صاحب العمل والمستخدم ولكن لم تصل الينا لسوء الحظ المواد الأولى التى تنص على كيفية انشاء الشركة .

وكان الأمر يتطلب ـ كى تصبح الاتفاقية صحيحة ـ أن يكون هناك صك مكتوب يعين الواجبات المفروضة على الوكيل . ويحدد بالدقة المال أو البضاعة المودعة تحت تصرفه ثم السلفة الممنوحة بغير مقابل للرحلة . وكان على المستخدم أن يمسك حسابـــا دقيقا عن عمليـــاته ويسجل كل ما حصل عليه من أرباح . كما كان عليه عند عودته أن يقدم كل رأس المال الى موكله مقابل ايصال بذلك ثم يأخذ من الأرباح النصيب الذى كان قد اتفق عليه قبل الرحيـــل ، أما ان كان قد قام بصفقات غير مربحة نتيجة اهمال أو سوء تصرف فعليه تعويض ذلك باعادة المبلغ الذى كان قد عهد اليه به مضاعفا . ومع ذلك فما عليه اذا استطاع أن يبرر أسباب الخسارة الا أن يعيد فقط المال الذى عهد اليه به كما أنه يعفى من دفع أى شىء اذا كان المال قد ضاع بسبب سوء الأمن فى الطرق أو لأسباب قهرية أخرى ويشترط أن يؤيد ذلك بالقسم . ولم يكن ليقبل النظر فى نزاع بين موكل ومستخدمه الا على أساس أدلة مكتوبة . واذا ارتكب المرتحل خطأ فى عمل الحسابات فى غير صالحه أو ان هو لم يحصل على ايصال عن مبلغ منصرف فانه لا يستطيع استرداد هذا المبلغ فى هذه الحالة . وعند عدم وجود مستند مكتوب ، فان الشخص الذى يقوم ضده الادعاء يستدعى الآخر فى المعبد فى حضرة الشهود . وكان يحكم على المرتحل الذى يثبت عليه أنه مدين بدفع ثلاثة أمثال المبلغ للدائن . أما ان كان رجل الأعمال هو المخطىء فانه يدفع للمرتحل ستة أمثال المبلغ الذى احتجزه بدون وجه حق .

ولقد كان الأمن مضطربا فعلا فى طرق القوافل الأمر الذى دعا ملوك بابل فى القرن الخامس عشر الى الشكوى من التحرشات وجرائم القتل التى يذهب تجارهم ضحية لها فى مناطق سوريا الخاضعة للنفوذ المصرى ٠

وفى القرون الأخيرة من الملكية البابلية كان رجل الأعمال يرتبط فى أغلب الأحيان بالأجانب وخاصة بالأراميين الذين انتشرت لغتهم فى ميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ٠ وكان على المرتحل التجارى أن ينهى أعماله خلال المدة المحددة فى عقد الاستخدام وكان عليه كذلك أن يعود على الأقل بما يساوى المبلغ الذى تسلمه لأنه كان يتحمل الخسائر وحده على حين كان يقسم الربح بالتساوى ــ ان كان هناك ربح ٠

ولقد كان عقد الشركة معروفا فى الحضارة السوميرواكادية حتى قبل قيام عقد مساهمة الشركة بين التاجر والمرتحل الذى يأخذ المال أو التجارة لاستثمارها ، كان معروفا فى أول الأمر فى صورة ارتباط بين شخصين أو أكثر بقصد شراء وزراعة حقل ولكن الشروط الخاصة بالعملية لم تكن مبينة ٠

وان علينا أن ننتظر حتى قيام الأسرة الأولى البابلية لكى نصل الى معلومات أتم فان الشركاء لم يكن يتحتم عليهم أن يكون أساس اشتراكهم رأس مال نقدى بل كثيرا ما كان هدفهم استعارة المبلغ اللازم لتنفيذ مشروعاتهم مع تعهدهم متضامنين بالسداد ٠ وفى حالة حل الشركة كانت الأرباح والخسائر تقسم تبعا للأنصبة المتفق عليها وقت انشائها ، وتكون التصفية عامة أو كما كان يقال « ابتداء من قش التبن الى الذهب » وكان اعلان ذلك يتم أمام السلطة القضائية ، فان حدث وقام نزاع بين الشركاء أرسلوا الى المعبد ، حيث كان المدعى عليه يلزم بالقسم لتبرئة نفسه من الاتهامات الملقاة عليه ٠ وعلى كل حال ، فانه كان لزاما على المستحوذ على ممتلكات الشركة أن يعلن ويقسم أنه لم يخف شيئا منها ٠

وهاك نموذجا من عقد شركة بين شخصين لأغراض تجارية بصفة عامة (١) « كون اريب سن Erib-Sin ونور شماش Nour-Shamash شركة وأتيا الى معبد شماش وقررا مشروعهما ٠ فهما يشتركان معا على الشيوع فى الفضة والتجارة والعبيد والاماء فى الخارج والداخل ومشروعهما واضح : فضة مقابل فضة ، عبد وأمة ، وبضائع فى الخارج أو الداخل من الفم الى الفائدة ، سوف لا يتنازع الأخ مع الأخ ، لقد أقسما

---

(١) XCV, p. 288.

ب « شماش » و « ايا » و « مردوك » و « الملك حمورابى » فى حضرة ١٧ شـاهدا ٠

وكانت الصيغة في العهد البابلي الجديد تحرر أحيانـا فى صورة عامة ٠ فنحن نقرأ مثلا في حكم نابونيد « أتي مردوك بالاتو ، وشـابك زر يحددان مينا من الفضة كرأس مال للشركة وتكون ثمرة العملية لهما معا » وكان آخرون يذكرون أن كل العمليات التي يقومون بها « في المدينة أو فى الريف » خاصة بالشركة واننـا لنرى نفس « أتي مردوك بالاتو » المذكور ــ وهو من كبار رجال الأعمال ــ يعقد اتفاقا مع « مردوك شابك زر » ــ وربما كان نفس شابك زر المذكور اسمه في العقد السابق ــ على أن يستثمرا معا خمسة مينات من الفضة وبعض الطيب ٠ ويعهد كل منهما تنفيذ المشروع الى واحد من عبيدهما على أن تقتسم الأرباح الناجمة بين الشريكين المتعاقدين ، أما العبدان فان طعام وملبس كل منهما يكون على حسـاب الشركة لا على حسـاب سيده (١) وفي العام التالى نجد اتفاقا مماثلا : فقد تقرر أن توضـع مينا من الفضة تحت تصرف عبد « مردوك شابك زر » وأما « أتى مردوك بالاتو » فانه يقدم هو الآخر من ناحيتـه واحدا من خدمه ليستثمر هذا المبلغ ٠

وكان عقـد الشركة يحرر أحيـانا لمدة قصـيرة ويمتد أحيانا أخرى لسنوات عديدة تسوى خلالها الحسابات من وقت لآخر بصفة مؤقتـة ٠ وحين يأتى التاريخ النهائى لتسوية الحساب فان ذلك كان يتم ــ كما كانت الحال من قبل ــ أمام المحاكم كما كان يلجأ الى القسم لتأييد ما جاء فى الاقرارات الخاصة بتسوية الحساب ٠

وفي عام ٦١٧ ق٠م ٠ وهي السنة الثامنة لحكم نابوبولاسار أسس « نـابوكين ابلو » وابنـه « نـابوبلشونو » عقـد شركة مع « شولا » و « موشزيب بعل » وبعد ٣١ سنة ، أى فى العام الثامن عشر لحكم نبوخذ نصر الثانى (٥٨٦) قررا أن يفضـاها فسنووا حساباتهم أمام المحكمة واقتسموا ١٥ شاقلا من الفضة كان قد دفعها « نابوكين أبلو » وابنه ولم يكن هناك مجال لمناقشة الموضوع أو المطالبة بأى حق فقد حلت الشركة وسلك كل شريك طريقه ٠٠٠ تمت تسويـة الحساب وكسرت اللوحات القديمة بقصد الحيلولة دون قيام أيما نزاع مستقبلا ، ولقد استشهد بالآلهة على صحة التصفية وحمل كل من الشركاء السـابقين معه عند انسحابه الدليل الكتابى على ذلك ٠

---

(١) CXIV, NBN. 199, 472, 653.

٤ ـ البيـــع

كان البيع استبدالا للشيء المملوك بمال أو ـ في النـــادر جدا ـ بشعير • وكان يجب أن يحوى العقد الذى يثبته ثلاثة عناصر أساسية هى بيان الشيء المبيع وأسماء الطرفين والثمن الذى يدفع أو ايصال الدفع الذى يتم فورا •

وترجع بعض عقود البيع الى فترة العصر التاريخي وكانت قد حررت في المدينة القديمة شوروباك قبل عهد « أورينا » ملك لجش (١) وفيها نجد أرضا تقدر بشاقلين ونصف شاقل من الفضة لل « جان » كما نجد تقديرا لمنشآت ملحقة بحقل بخمسة أو عشرة شواقل من الفضة أو ـ حتى بعشرة شواقل من النحاس ومثل هذه الوثائق لا تعطى ـ أسوة بنظائرها من عصر لاحق ـ فكرة دقيقة تماما عن حقيقة قيمة الشيء المبيع لأنه يجب أن يراعى نوع العبيد وحالة المنازع وموقع الأراضى وحتى رغبة المشترين الشخصية • وتقدم لنا لوحة حجرية ـ من العصر العتيق كذلك ـ قائمة بقطع من الأراضى اشتريت نقدا بالفضة في ناحية أوروك • ولقد وجدت معظم الأرقام الواردة بها مشوهة ولكن يتبين منها أن قيمة ال « جان » لا تقل عن ستة شواقل (٢) • وفي لجش ـ خلال حكم انهجال أحد أسلاف أورنينــا ـ نجد « لوجال كيجــالا » الكاهن الأكبر في ننجرسو يشترى أملاكا متعددة تتراوح مســاحتها ما بين ٤٨ و ٩٠٠ هكتار (١١٨½ ، ٢٢٢٠ فدانا) ـ ان نحن قدرنا أن المساحة السطحية هى نفس نظيرتها في العهـــود التالية ـ • ولقـــد دفع الثمن نحاسا وشعيرا وقمحـــا وبعض المحصولات الزراعية الأخرى •

وقد بيعت أمة في عهد « انتمينا » بعشرة شواقل من الفضة و ١٢٠ « قا » من الشعير • وبيعت أخرى مع ابنها بعشرين شاقلا من الفضة و ١ « جور » من الشعير واناء من النبيذ على حين يباع العبد بـ ٤٣ شاقلا • ويقدر ثمن الحمار بـ ٢٠ شاقلا والخنزير بما يتراوح بين ٤ و ٥ • وكان سعر « سار » الأرض بما عليها من منشآت يساوى ١٥ أو ٢٢½ شاقلا تبعا لموقعه وحالة المبنى • وسعر « جان » الأرض المنزرعة ٢ « جور » من الشعير والمبـــانى الملحقة للاستغلال يدفـــع ثمنها على حدة علاوة على ثمن الأرض • وكان العقد يحرر بحضور شهود من أسرة البائع ـ وأحيانا من

(١) LXXV. Nos 9-15.

(٢) XIII, 38, p. 818.

أسرة المشترى كذلك ـ وخبراء وكتاب ورجـال أعمال وموظفين مختلفين يتسلمون هدايا وكانت الموافقة تتم بقسم ، كما كان يعمل ختم اسطوانى لتوثيق العقد ٠

ولقد ظلت عـادة تقديم الهدايا بمناسـبة شراء الأرض فى عصر « مانشتوسو » ملك « إجاده » وظلت كذلك بعد سقوط بابل ٠ وفى عهد الأكمينين كان المشترى يضيف الى الثمن الأصلى رداء ل « سيدة البيت »٠

وقد سـجل مانشتوسو شروط بيع إقطاعـات كبيرة مختلفة آلت اليه ، سـجلها بالنقش على مسـلة من الديوريت أورد فيها أسـماء أصحابها السابقين والثمن المدفوع وتكليفها المفروض وحدودها ٠ وكان يقدر « جان » الأرض فى هذه الناحية من أجاده ب ٣½ جور من الشعير بغير المبانى المقامة للاسـتغلال ٠ وكان جور الشعير يساوى شاقـلا من الفضة ٠ وكان الجحش يباع ب ٢٠ شاقـلا أى أغلى أحيانـا من العبد أو الأمة ذلك لأن العبد المتزوج كان يبـاع بشاقل من الفضة وخروف ٠ وكانت مينا الصوف تساوى ¼ شاقل ، واناء الزيت سعة ١٠ قا بشاقل وكان سعر الفضة يعادل سعر النحاس ٢٤٠ مرة ٠

وحين كان يقوم نزاع حول صفقة بيع فى أيام ملوك أور كان القضاة يطلبون الى الشارى ـ اذا تعذر عليه تقديم لوحته ـ أن يؤدى القسم ثم يؤيدون الصفقة وقد حدث هذا فى السنة الثالثة من عهد جيميل سن فى قضية خاصة بزراعة ١٢ نخلة بلح كبيرة باعها المدعو لونانا أمام شهود بمبلغ ثلاثة شواقل من الفضة ثم أنكر ذلك ٠

وفى عهد الأسرة الأمورية ـ قبل حمورابى ـ لم يكن سعر الشيء المبيع يذكر دائما ، اذ أن الدفع كان يتم عادة بالنقد فورا وكان العقد فى الواقع عبارة عن ايصال ٠ ومن عهد حمورابى بدىء فى تسجيل السعر أما الاضافـات الأخرى التى كانت العادة قد جرت على دفعها عـلاوة على الثمن فيظهر أنها اختفت لفترة ما ٠

ولقد اشترى « وارادسن » و « بل رم يلى » معا ثورا بالناف بمبلغ « ٨¼ شاقلا بموازين شماش » وكان الناف تحت تصرف أيهما ، كما انه فى حالة بيع الثور فانهما يقتسمان الثمن (١) ٠

وكان من يشترى عبدا يتسلم من البائع ضمانة بعدم وجود عيوب فيه تستوجب الغاء البيع وكان الفريقان ـ قبل تنفيذ قانون حمورابى ـ

---

(١) XLI, p. 196.

يتفقان فيما بينهما على مدة الضمانة التى يمكن تقديم أية مطالبة خلالها كما كانا يتفقان أحيانا على أن الضمانة دائمة • وقد حددتها المادة ٢٧٨ من القانون بشهر • وكان البائع مسئولا كذلك عن البحث عن العبد الذى هرب من بيت سيده الجديد مادام قد أخطر بذلك خلال ثلاثة أيام كما أنه يقدم ضمانة ضد القبض أو أى نزاع على ملكية الغير وعلى وجه العموم يجب أن يواجه أية مطالبة خاصة بالعبد المذكور •

وكان يدون فى عقد نقل (ملكية) منزل مساحته والأملاك التى تحده واسم البائع والمشترى والثمن المدفوع وصيغة عدم النقض والقسم بالآلهة والملك وقائمة بالشهود والتاريخ • وهذه صيغة عقد بيع بيت واقع فى مدينة سيبار (١) فى مفترق طرق حرر فى عهد سامسو ايلونا : « ٢ سار و ٤ جان أرضا مبنية الى جانب منزل « ايلى أويليم دابى » بن « شماش ناتسير » والى جانب الشارع • ناحية منه تطل على الشارع والأخرى على منزل « سينى دينام » اشتراها من يدى « ايلى أويليم دابى » ابن « شماش ناتسير » و « شماش بانى » بن « كشتى ننجزبدا » وقد دفع الثمن بأكمله وقدره ⅔ مينا و ٩ شاقل من الفضة • تمت الصفقة وقلبه راض • وسوف لا يتقدم أحدهما ضد الآخر بأية مطالبة فقد أقسما باسم « شماش » و «ايا » و « مردوك » و « الملك سامسو ايلونا » وآل اليه مقابل ذلك ٢ سار و جان » ثم يلى ذلك أسماء ١٢ من الشهود والتاريخ •

وكان البائع يبين أحيانا فى العقد أصل الملكية وكان عليه أن يسلم مستند الملكية أو يشير الى فقدانه وفى هذه الحالة الأخيرة كان ينص على تسليمه الى المشترى ان عثر عليه ، وأما ان أدخلت على العقار تعديلات فانه كان يشار الى ذلك لتلافى أى خطأ فى تحديده •

وفى « دلبات » كانت العقود السابقة لصدور قانون حمورابى تشير الى اقامة حفل يقرر فيه عدم امكان الرجوع فى العقد • كما هى الحال فى فرنسا اذ يشير اطفاء الضوء الثالث دون استرسال فى المزايدة الى انهاء المزاد وكانت هذه هى الـ « بوكانو » فقد كانت هناك عادة سومرية قديمة – ترجع فى أغلب الظن الى فترة سابقة لتاريخ كتابة العقود تقضى باتمام الصفقة وذلك بدق مسمار فى الحائط• وفى حكم انتمينا – ايشاكو لاجش – كانت تبدى رغبة فى أن تكسر أسنان المدعى بوتد ان تبين أن سوء النية بين أسنانه (٢) • وكان القسم يتم باسم الاله المحلى والملك

(١) LXXI.
(٢) LXXV, No. 61.

الحاكم • ويظل المالك الســابق ملزما بمراجعة كل دعوى استرداد قد تقام • وهناك ستة عقود من هذه الفترة تبين مساحة المنزل ــ وفى نفس الوقت ، ثمن نقل الملكية • وقد قدر ثمن مبنيين مساحتهما ٨١٠ر٢ مترا و ٠٤ر٤٧ مترا مربعا بمبلغ ٣٪و٢٥ شاقلا على التوالى أى بواقع ستة شواقل لكل سار فى الحالة الأولى و ١٨¾ شاقلا فى الحالة الثانية • ومع ذلك فانهما لم يكونا واقعين فى نفس المدينة فحسب بل فى نفس الحى كذلك • والواقع أن الأول كان محصورا بين مجموعة من المساكين بينما كان الثانى ينفتح على السوق مباشرة وكان له « باب وعارضة » وكانت المبانى الأربعة الأخرى تعتبر « مبانى ذات آبار » وكان يميزها اصطلاح « أى بور بال » وكان أصغرها يحتل مساحة ٧٦ر١ مترا مربعا وقد قدر بأعلى ثمن ــ ٣١٪٢٣ شاقلا للسار ــ ذلك لأنه كان مجاورا لمسكن المشترى مما زاد فى قيمته • أما الأخرى فتختلف مساحتها بين ٥٢ر١٣ و ٨٤٢ر٣٠ مترا مربعا وقد بيعت على أساس ثمن السار منها ٨٤ر٠ شاقلا ، ٦٢٩ر٢ شاقلا ، ٦ر١١ شاقلا • وقد ورد فى أحد العقود ذكر لأصل ملكية العقار وقد أحضر البائع معه شاهدا نفس الرجل الذى كان قد اشترى منه العقار من قبــل •

وفى السنة العشرين من حكم أشور بانيبال بيع منزل فى أوروك وقد كان حسن البنــاء بعضادته (حزام البــاب) وبابه ومزلاجه وكان مسورا من الداخــل وليس له باب على الشارع • ولم تبين المســاحة فى العقد ومع ذلك فقد بيع الى أحد الملاك المجاورين بحالته ب مينا و ١٥ شاقلا من الفضة « بيع وتم تسليمه ودفع ثمنه » لن تقوم بشأنه أية مطالبــة فالصفقة نهائية ولن يحاول أحد الطرفين أن ينازل الآخر فى شأنها وتتخذ ــ علاوة على ذلك ــ الاحتياطات اللازمة ضد أى شخص قد يوجد نزاعا فى المستقبل سواء أكان أخا أم ابنا أم قريبا ••• أكان ذلك مباشرة أم عن طريق الغير ••• انه يعرض نفسه لدفع ثمن العقار ١٢ ضعفا وقد حرر هذا العقد طبقا للصيغة الأشورية (١) ونفذ أمام خمسة من الشهود ومهره البائع وحده بختمه ووضع علامة على الطين بظفره •

ولعل أكثر عقود البيع اثارة للالتفات تلك العقود التى ترجع لعصر البابلية الجديدة والتى تخص العبيد • فان الخادم كان يسلم بضمانة ضد الهرب وضد المطالبة بحق عليه : الارادشاروتو ، والماربانوتو • وكان البائع يحمى نفسه بقدر الامكان ضد ما يمكن أن يحدث من مطالبات باتخاذ المالك السابق وورثته كشهود أثناء اتمام الصفقة •

---

(١) XXXI, p. 170.

وكانت الارادشـــاروتو هى خدمة الملك ولسـنا نعرف على وجه التحقيق على من كانت تسرى ولا مدى الامتيـازات الناجمة عنهـا . أما الماربانوتو ، فكانت تخص حالة الشخص الذى يرجع أصله الى رجل حر أو محرر يوما ما ولقد استند العبد بريكيل (١) الى هذا الامتياز وأقام الدعوى ضد رجل الأعمال « اتى مردوك بالاتو » الذى اشتراه فى العام السابع من حكم نابونيد . ولقد عرض الأمر على المحكمة وتبين لسوء حظ الشاكى أنه بيع فى العام الخامس والثلاثين من حكم نبوخذنصر بمقدار ٢٨ شاقلا الى « اهنورى » وأصبح بعد سنوات أربع من متعلقات المرأة « جاجا » ثم أعطى رهينة على قرض قدره (٢٠ شـاقلا) ثم تضمن فى بائنة « نوبتا » ابنة « جاجا » ثم انتقل عن طريق التبادل الى أيدى ابن وزوج « نوبتا » اللذين عرضاه مرة أخرى للبيع فى السوق ولقد جمعت اللوحات التى تتصل بظروفه هذه وقرئت ودعا القضاة الشاكى الى عرض حججه ولكنه اضطر الى الاعتراف بصحة المستندات المقدمة ضده ، وقرر بأنه لا حق له فى الانتفاع بمزايا الـ « ماربانوتو » .

وبمجرد دفع ثمن شراء العبد كان هذا الأخير يصـبح ملكا لسيده الجديد الذى يتحمل الخسارة الناجمة عن الوفاة أو ينتفع بالمزايا التى تترتب على الولادات . وقد نص على ذلك فى عقد من السنة السابعة لحكم قمبيز . وقد أعاد « مردوك بالاتو » بيع أمة وطفليها الى « هابا تسيرو » وكان قد اشتراهم منه فى العام السابق ولكن لسبب ما لم يكن هذا قد سلمهم . « وفى اليوم الذى يرسل فيه « هابا تسيرو » مندوبيه الى « اتى مردوك بالاتو » فان الأخير سيعطى العبيد الى مندوبى « هاباتسيرو » فى بابل . أما العبيد الذين يموتون أو يولدون فيما بينهم فانهم يخصون هابا تسيرو » (٢) .

٥ ـ التبادل (المقايضة)

التبادل اتفاق يرجع فى أصوله الى عهد أقدم من عهد البيع وكان المرء يستطيع بواسطته أن يرتبط بنقل ملكية سلعة الى آخر مقابل تسلم سلعة أخرى . وكان للبيع والتبادل فى أشور عقود لها نفس الصيغة . أما فى بابل فقد كان التبادل يجرى على حدة . وفى عهد قمبيز نجد أن نفس الأمة وطفليها الذين أعاد شراءهم فى العام السابع سيدهم السابق

---

(١) CXIV, NBn. 42.

(٢) CVI, t. II. p. 40.

هاباتسيرو كانوا منذ عهد قريب قد استبدلهم اتي مردوك بالاتو بمنزل • وفي العام الثامن من حكم كيروش استبدل رجل عبدا ــ كان قد اشتراه للتو ــ ببـــائنة زوجته • وغالبـــا ما كانت قيم الأشـــياء المســتبدلة غير متكافئة • وكان على المتعاقد صاحب الكفة الراجحة أن يدفع معدلا ونحن نجد مثلا لذلك في دلبات (١) في عهد « سن موباليت » تضـــمن فقرة جزائية ضد أي الفريقين الذي ينقض الاتفاق « ٣/٪ ســـار ٢/٦٠ من بيت بوربال المجاور لمنزل ناويرايا والمجاور لمنزل انايلي واحدى واجهتيه تطل على منزل ناهيل والأخرى على السوق الكبيرة : منزل مردوك موباليت ــ (سار) من منزل بوربال • منزل اداد ايلو المجاور لمنزل لاما المجاور لمنزل اداد ايلو : احدى واجهتيه تطل على منزل واراد أوراش والأخرى على منزل ايلي ••• : بيت اداد ايـلو ــ • تبـادل « اداد ايلو » و « مردوك موبـاليت » منزليهما • وأعطى « اداد ايلو « الى مردوك موبـاليت ٣/١٪ شاقلا ، ١٢ قمحة من الفضة كمعدل ومن يتنازل فانه يقدم بيتا ببيت » •

٦ ــ الاستئجار

الاستئجار عملية يقدم عن طريقها شخص الى آخر مزية استعمال شيء لفترة محددة من الزمن مقابل دفع مبلغ يتفق عليه • وقد نص قانون حمورابي على استئجار القوارب والحيوانات والأهراء والبيوت والعربات والأرض والخدمات ••• الخ •

وكان ثور الحراثة يقدر بـ ٤ جور من الشعير في السنة على حين كان ثور الجر بثلاثة جور فقط وكان هذا هو الثمن الذي دفعه في دلبات (٢) قبل صدور القانون المدعو هوزالوم عن ثور من أملاك شماش وزوجه ايا « اســتأجر هوزالوم بن ناهيلوم ثورا ــ ثورا لشماش وايا لمدة عـام • وايجارة السنة ٣ جور من الشعير ويكيلها يوم المحصول » وكان استئجار الثور يوما لدرس الحبوب ٢٠ قا وهو أجر مرتفع جدا يوازي ٢٤ جورا في السنة ان نحن غضضنا النظر عن استحالة تكليف حيوان واحد بمثل هذا العمل مدى عام كامل ، وضرورة الاسراع في تمام العمل حتى يوضــع المحصول في مأمن •

وكان الجحش يستأجر بـ ١٠ قا في نفس الظروف أي بنصف ايجار الثور وكان المستأجر مسئولا عن الحوادث الا في الظروف القهرية أما اذا

---

(١) XLVI, No. 25.

(٢) XLVI, No. 45.

نفق الحيوان أو أصبح غير قادر على العمل بسبب الاهمال أو بسبب الضرب فانه يكلف بأن يعوض رأسا برأس • واصابة العين تنزل الى النصف قيمة الثور أو الجحش وكسر القرن أو صلم الذيل أو اصابة الرأس تفقد الحيوان ثلث ثمنه فقط •

ولقد فرق القانون بين ثلاثة أنواع من القوارب : فقوارب التعدية كانت تستأجر بثلاث قمحات من الفضة فى اليوم • والقارب السريع بقمحتين ونصف وأما القارب حمولة ٦٠ جورا فيستأجر ب $\frac{1}{16}$ من الشاقل وكان عامل القارب يؤجر عن خدماته فى السنة بأجر متوسطه ٦ جور من الشعير والعربة ذات الثيران والسائق كانت تستأجر ب١٨٠ قا من الشعير يوميا أما العربة وحدها فأجرها ٤٠ قا •

أما العامل الزراعى ـ شأنه فى هذا شأن راعى الماشية والأغنام ـ فكان يستأجر بأجر سنوى قيمته ٨ جور من الشعير • وسائق الثور ب ٦ جور أما عامل المياومة فكان يكتسب ٥ أو ٦ قمحات يوميا تبعا لموسم العمل • وقد حدد القانون أيضا أجور العمال اليدويين فأجر النجار ـ وهو الأجر الوحيد المؤكد ـ ٤ قمحات يوميا وكان استئجار العبيد معروفا كذلك بين السومريين القدماء • وكان الرجل الذى يأخذ عبد رجل آخر فى خدمته يصبح ـ كما هو الشأن فيما يختص بالحيوانات ـ مسئولا عن هرب الخادم وموته وعجزه المؤقت أو الدائم بل ومرضه كذلك ، وكانت قيمة الاستئجار أصلا محددة ب ١٠ قا من الشعير يوميا •

وكانت الأرض الصالحة للزراعة تؤجر لمدة معينة هى ثلاث سنوات عادة ـ وأحيانا لسنة واحدة ـ وهاك مثلا من دلبات (١) : « ٣ جان و ٧٠ سار من حقل واقع فى اقطاعية ••• المجاورة لحقل سن ايلو وحقل ليت ••• و (١٠ جان من حقل باب اداد المجاور لحقل ايبق عشتار وحقل اتيل بى ••• ومجموعها ١٣ جان و٧٠ سار من ايدى « ايلى اريشا » ابنة « ناهيلوم » و « هوزالوم بن ناهيلوم » تزرع هذه الأرض سمسما وشعيرا وقد أجرت لعام واحد وكان الدفع فى موسم الحصاد من المحصول نفسه ـ وفى عهد نبوخذ نصر الثانى أجرت زراعة نخيل مدى ١١ سنة (٢) وكان محصول الأرض كلها والأشجار مدى أربع سنوات من حق المستأجر وفى السنوات الثلاث التالية كان نصيب المالك الثلث ، أما فيما بين السنتين الثامنة والحادية عشرة فلم يتسلم سوى الربع (٣) • وكان المخزن يؤجر

---

(١) XLVI, No. 39.

(٢) CXIV BNK, 90.

(٣) XLVI No. 28.

عاما عاما ولدينا مثل على ذلك من دلبـات ولكن العـادة جرت فى أغلب الأحيان على ايداع المحصول فى مخزن وكان الأجر يقدر بالنسبة لكميته المخزونة : وقد حـدد قـانون حمورابى تسعير ذلك ب ٥ قـا للجور أى ١٫٦٦٪ ٠

وقد تضمن القانون المشار اليه كذلك بنودا تتصل بتأجير المنازل ولم يبق منها سوى مادة واحدة ٠ ويظهر أن المستأجر كان ملزما بالدفع مقدما وكان من الممكن طرده قبل نهايه الايجارة على أن يتسلم تعويضـا متفقا عليه مقابل ذلك وقد اختفى حق الاخلاء فى العهد البابلى الجديد وان ظل محتفظا بطريقة الدفع مقدما ٠ وفى السنة الأولى من حكم قمبيز أجر منزل بخمسة شواقل فى العام تدفع على دفعتين متساويتين فى أول السنة وفى الشهر السابع ٠ وقد حددت الاصلاحات الخاصة بالعين المؤجرة كما حدد تعريض قدره ١٠ مينـا عن الخسـائر يدفعها الطرف الذى يخـل بالاتفـاق ٠

٧ ــ القرض (السلفة)

يحدث فى كل مجتمع منظم أن أحد أفراده يجد نفسه مضطرا الى الالتجاء الى الآخرين والاستدانة منهم لفترة طويلة أو قصيرة مالا أو نوعا ما يحتاج اليه كى يستغله فى صناعته أو يسد به حاجته ٠ ومنذ أقدم العصور حتى الامبراطورية الفارسية ظل التشريع البابلى فى هذا الصدد وطيدا فى صورة تدعو الى الدهشة : فالى جانب القروض بدون فائدة وبنص جزائى أو بغير نص لا سيما فيما يختص بالمواد الاستهلاكية ، سمح هذا التشريع بالقروض ذات الفائدة وحدد سعرا أعلى للفائدة ظل لا يتغير مدى ألفى سنة وكانت الفائدة تسمى سبتو Sibtou « النمو ــ زيادة رأس المال » وهكذا ظهرت فرصة الاستثمار حيثما كان رأس المال المعار قابلا للزيادة اللهم الا فى حالة « الظروف القاهرة » التى يمكن اثباتهـــا ٠

ولقد أقر قانون حمورابى (١) عادة كانت قائمة تحت حكم ملوك أور وحدد فقط مادتين يمكن أن تكونا محلا للاعارة هما الشعير والفضة مع أخذنا « الشعير » هنا بمعنى واسع للدلالة على أى نوع من الحبوب بل وأى نوع من المحاصيل (كالبلح مثلا) التى كانت كلها سواء بالنسبة للمشرع

(١) XXVII, t. V et. I, yt. XIII.

نظرا لأن سعر الفائدة لم يكن يختلف : وهناك عقد من السنة الثالثة لحمورابى خاص بقرض شعير ويلح فيه الدليل على ذلك .

وكان الشعير أهم سلعة للتبادل فى هذا الاقليم ذى الأهمية الزراعية وحيث كان يغل بأكثر وسائل الزراعة سذاجة ٣٠ أو ٤٠ ضعفا . وهو الى جانب ذلك الغذاء الرئيسى للانسان والحيوان لدرجة أنه كانت تدفع به لا أجور العمال فحسب بل وأجرة حيوانات الحرث وحتى مرتبات بعض الموظفين .

وفى عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير ٣٣⅓٪ فى السنة أى ثلث رأس المال وقد ظل هذا السعر قائما فى قانون حمورابى الا أنه أخذ فى الانخفاض بعد ذلك . وفى عصر البابلية الجديدة عندما شاعت القروض بالفضة نزل هو كذلك الى نفس سعرها . وقد حدد هذا فى كل العصور بـ ٢٠٪ فى السنة أى خمس رأس المال .

ومع ذلك فقد كانت هناك حالات ـ نادرة جدا على كل حال ـ يطلب فيها القرض فائدة أعلى . ولدينا مثال من عصر أور وآخر من العهد البابلى بلغ فيهما سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ وغالبا ما رضى الرأسمالى بفائدة أقل وهو فى هذا كان ينهج نهج الدولة التى كانت تمنح القروض المالية بفائدة ١٢٪ أو نهج أولئك الذين يديرون شئون المعابد ممن كانوا يطلبون أقل من ذلك . وقد اعتاد الاله شماش اله سيبار أن يقرض الشعير بفائدة قدرها ٢٠٪ وبعد سنوات قليلة كان يقرض الفضة بفائدة مقدرة على أساس ١/٢٦ من رأس المال ، أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانونى للفائدة .

ولحماية المستدين من المرابين أمر حمورابى أن يكتب عقد القرض ذى الفائدة فى حضور موظف كان مكلفا منذ عهد أور بمعرفة ما يسلم من أموال وحبوب وحيوانات وسلع من مختلف الأنواع . ومنذ ذلك العهد أعتبر كل عقد يكتب ويختم ـ حين لا يكون الاشراف قائما ـ ملغيا من تلقاء نفسه وكأنه لم يكن . وليس للمقرض أى حقوق للمطالبة بما أقرضه فكان الطرفان المتعاقدان قبل تقرير هذا الاجراء القانونى يعترفان عادة بأن التسلم تم على يد « رجل عادل وصادق » وقبل ذلك وبعده كان الطرفان يقرران فى كثير من الأحيان أن الوزن والمكيال سيجريان بالأوزان والمكاييل الرسمية المحفوظة فى قصر الملك أو فى معابد الآلهة .

ورغم حضور الموظف المختص فانه كان من المحتمل تحرير العقد على وجه يحتال به على القانون ترفع به الفائدة الى سعر أعلى من الحد المرخص

به في القانون وفي هذه الحالة كان الاتفاق يعد لاغيا ان عرف هذا التحايل . ويفقد الدائن حقه في الدين ولكنه يحتفظ بالفائدة التي تسلمها • أما المدين فلا تتخذ ضده أية اجراءات •

وقد احتاط قانون حمورابي ضد الدائن غير الشريف الذي تسلم الفائدة ولكنه ينكر ذلك بقصد مضاعفة ربح قرضه • ولسوء الحظ لم يصلنا النص الجزائي • وكان الأمر يتطلب على أية حال تحرير لوحة جديدة يحدد فيها أصل الدين وما يتبقى على المدين • وحين لا يستطيع الدائن غير الشريف أن يتهرب من هذا الالتزام فانه كان يسعى جهده كي ينتفع منه في سبيل أهدافه الربائية ـ من ذلك أنه كان يخصم الفائدة التي تسلمها فعلا ولكنه كان يعني في الوقت نفسه بأن يضيف في الصك الجديد قيمة الفائدة ـ التي لاتزال واجبة السداد ـ الى رأس المال وبذلك يجعل المدين يدفع فائدة الفوائد أو بعبارة أخرى يحصل على فائدة على أساس سعر أعلى من السعر القانوني • وكانت العقوبة في هذه الحالة الزام الدائن بأن يدفع ضعفي مقدار المبلغ الذي تسلمه بغير وجه حق • ولئن لم تكن هذه العقوبة أشد فربما كان سبب ذلك أن المشرع راعى أن المدين قد أهمل بعض الاهمال في تأدية واجبه الذي كان يحتم عليه أن يحقق الأرقام المنقوشة على اللوحة وأن يعارض في أعمال الغش التي أصبح ضحية لها •

وكان استعمال موازين ومكاييل زائفة سواء في تسليم القرض أو دفع الدين يعرض الدائن لسقوط حقه •

وكذلك نرى أن المدين الذي يحميه القانون من كل تصرف غير شريف من قبل المقرض يستطيع أن يحصل على تسهيلات للدفع حينما يكون من المستحيل عليه أن يرد الدين النوعي فان كان قد استعار مالا وكان لا يملك منه شيئا بينما يكون لديه بعض الشعير فانه على الدائن أن يتقبل الشعير وان كان له أن يسدد فائدة قدرها ٣٣٪ وهي الفائدة الرسمية للشعير بدلا من ٢٠٪ أقصى فائدة للفضة • أما اذا لم تكن لدى المدين فضة أو شعير فان في استطاعته أن يقدم أية سلع يمتلكها ليتخلص من ربقة الدين ، وعلى المقرض أن يتقبلها ان كان العرض قد تم في حضرة شهود • أما حين لا يكون هناك شيء يستطيع المدين تقديمه لسداد الدين فهناك مجال لعقد جديد يتفق الطرفان على فحواه ولا يعتبر هذا العقد عقد قرض بفـــائدة •

٨ ـ الرهـــون

لم يقصر المشرع رعايته على المدين وحده لأنه كان من العدالة أن يضمن للمقرض حقه في استعادة رأس المال والفائدة ولذا فانه سمح له أن يطلب رهنا أو ضمانا ٠

ولقد نظم قانون حمورابي رهن الحقول فكان لكل من يتسلم حقلا غير مبذور بصفة رهن ليزرعه الحق في أن يأخذ وقت الحصاد ما يعادل القرض مضافا اليه الفائدة ونفقات الزرع ٠ أما ان كان قد أخذ حقلا مبذورا فليس له حق مباشر على المحصول ، بل ان من حق صاحب الأرض أن يبيعه قبل أن يسدد للدائن ٠

وعلاوة على ذلك كانت توجد أنواع أخرى من القروض مقابل رهن ففي حكم « سامسو ايلونا » أقرضت كاهنة احدى زميلاتها قدرا من المال يساوي ثمن حقل وذلك مقابل اتاوة سنوية وهدايا في أعياد معينة وكان الضمان الحقل نفسه الذي يصبح من أملاك الدائنة مقابل الدين المقدم ان لم تف المدينة بالتزاماتها ٠ ولقد انتشر رصيد الرهن انتشارا كبيرا خلال عهد البابلية الجديدة ٠ وكان سداد الفوائد وكذلك الدين يحدث أحيانا عن طريق استعمال الرهن المودع لدى الدائن ٠٠٠ من ذلك ــ الى حد معين ــ قضية الخباز « اينا تسيللى بابى رابى » الذي ألزمه أبوه أن يخدم السيدة « اهاتا » سدادا لقرض قدره ٤٢ شاقلا من الفضة (١) ولقد ظل في خدمتها مدى عشر سنوات اذ أن خدمته كانت مقدرة على أساس أجر يومي قدره ٦ قا من الشعير استهلاكا للدين ٠ ومما هو جدير بالذكر أن القانون عدل ففي أيام الأسرة الأولى كانت العبودية الجثمانية لا تمتد لأكثر من ثلاث سنوات أما الآن فليس لأمدها من حدود ما لم يتيسر السداد ٠

وكان من الممكن استعمال المنقول وغير المنقول رهنا كالزوجة والأطفال والعبيد والحقول والمنازل والقروض وأدوات المنزل ٠٠٠ الخ ٠ وفي السنة الحادية والعشرين من حكم نبوخذ نصر الثاني استعار « بابيا » وزوجه « شاناناشى » « مينا » من الفضة من « نابوبان أهى » وقدما له ضمانا لذلك بابا من أبواب مسكن البواب لبوابة ساليمو وكان الخشب نادرا كما هى الحال في أيام الأسرة الأولى وكان الباب شيئا له قيمته ومع ذلك فقد أضافا اليه « كل ما كانوا يملكون في المدينة والقرية » مع النص على السلع بمواصفاتها التي لا يستطيع دائن آخر أن يدعى حقا عليها قبل انتهاء أجل

(١) راجع صفحة ٨٤ ٠

الدين (١) ولقد فعل نابو بالاتسى أقبى نفس الشيء حين استعار نصف مينا من الفضة من جاميللو بفائدة قدرها ٢٠٪ وذلك في السنة السادسة عشرة من حكم نابونيد وقد رهن بيته ونص في مستند الرهنية على أنه : « لا حق لأى دائن آخر على هذا البيت حتى يتم السداد » .

واذا حدث أن اقترض رجل عدة قروض متوالية من نفس المقرض فان هذا الأخير كان يعنى بأن يورد في اللوحات الجديدة ذكر القروض السابقة تلافيا للخلط بينها وبين القرض الأخير وهكذا نرى « ادين مردوك » يقرض « نابو اهيدين » نصف مينا في التاسع من سيوان من السنة الثامنة من حكم نابونيد ولقد كتب « أموالى أخرى يسلمها — أي نابو اهيدين — » وفي العام التالى في ٢٤ نيسان أعطاه ⅘ مينا و ٤٪ شاقلا من الفضة وذكر أنه كانت هناك سلف أخرى سابقة دون اغفال ذكر فوائدها كذلك . وفي التاسع من كيسلو أعطاه (٤٥ جور) من الشـــعير بفائدة ٢٠٪ وفي هذه المرة أشار المقرض : « يضاف الى ذلك القروض السابقة » (٢) .

وهناك عقود ثلاثة مؤرخة بالسنة التاسعة من حكم الملك نابونيد تبين كيف أنهم كانوا من الناحية العملية يفكون الرهن الذى قد يكون المقرض نفسه رهنه ضمانا لقرض آخر فلقد استعار نابو تولتابشى ليشير ٣٥ شاقلا من الفضة من السيدة بنانوتوم وأعطاها أمة كرهن . ولما كانت بنانوتوم وزوجها في حاجة للمال فانهما طلبا من ابنا ايساجيل بعليت قرضا قدره ٣٠ شاقلا وسلماه الأمة وباع نابوتولتابشى ليشير ثلاثة خدم بما فيهم الأمة المرهونة الى ادين مردوك مقابل ٢ مينا و ٥٠ شاقلا . وفي الحادى عشر من آذار (مارس) طلب ادين مردوك من مموله أن يدفع ٣٥ بنانوتوم وهذه بدورها خلصت الأمة بأن سددت دينها الى ابنا ايساجيل بعليت . وفي الخامس عشر من آذار تسلم نابوتولتابشى ليشـــير باقى ثمن البيع ولكنه أعطى مع ذلك مخالصة كاملة عن المبلغ كله مادام وكيل الأعمـــال قد أعاد اليه لوحة القرض الذى كان قد أخذه من الســـيدة بنا نوتوم (٣) .

ولم يكن الرهن يحول دائما الى المقرض ولم يكن له في أحيان كثيرة حق فعلى عليه الا من التـــاريخ الذى يستصـــدر فيه حكما من المحـــكمة بالاستيلاء عليه وذلك في حالة عدم استطاعته استرداد الدين . وهذا

---

(١) CXIV NBK, 122.

(٢) CXIV, NBN 294, 325, 369.

(٣) CXIV, NBN 390, 391, 395.

ما حدث فيما يختص بالباب الخاص ب « بابيا » أما اذا كان الرهن قد سلم فانه كان هناك مجال لعقد اتفاقية بشأن الأرباح التى قد تنتج من استغلاله وشروط هذا الاستغلال .

وكان الرهن أحيانا يستطيع أن يسدد رأس المال والفائدة معا ، ففى آخر خدمة اينا تسيللى بابى رابى حسب مجموع الفائدة ولم يكن استهلاك سـنوى .

ولقد استعار « شابيك زر » من « شولا » ورهن بيته وقدم شولا ليعيش فيه ولم يكن على « شولا » أن يدفع ايجارا أو على « شابيك زر » أن يدفع فوائد حيث اعتبر الايجار مساويا لفائدة المبلغ المقترض . وفى السنة الثالثة من حكم كيروش وضع « بعل أوبالليت » ١ مينا و ١٣ شاقلا تحت تصرف « نابو زر اقيشا » وقد أعطى له هذا الأخير عبدا لقاء الفائدة . وفى السنة التاسعة عشرة من حكم دارا رهن حقل كان يأخذ منه المقرض أرباحه وقد نص فى العقد على أن يظل المدين ملزما بدفع الفرق فى حالة عجز المحصول عن الوفاء بالمطلوب .

وكان فى استطاعة عدة مدينين أن يتعهدوا متضامنين ففى السـنة العاشرة من حكم دارا ضمن زوجان معا قرضا برهن كل ما يملكان من أمـلاك .

وكان من الممكن أن يحول الرهن الى طرف ثالث فلقد أعطت السيدة « بنانانوم » أمة كانت قد تسلمتها من « نابوتولتا بشى لشير » الى « ايبا أيساجيل بعليت » وتوضح اللوحة المركز الحقيقى لهذه الأمة « شالا مدينينى - أمة نابوتولتا بشى لشير - ضمان بنانانوم » كما أن « شولا » عقد قرضا مع « نرجال أوبالليت » وأعطاه ضمانا البيت الذى كان قد أخذه من « شابيك زر » وأضاف اليه كل أملاكه فى المدينة والقرية وكذلك عبـدا .

٩ - الضـمان

كثيرا مالا يضمن الرهن سوى الفوائد الخاصة بالقرض أما رأس المال فكان يكفله الضمان (١) ... فلما كان « بعل أوبالليت » ، مثلا ، غير قانع

(١) XLVII.

بعبد « نابوزر اقيشا » فانه طلب ضمانا من « موشاليم مردوك » فضمن هذا الأخير رأس المال بكل ممتلكاته ، وفي دلبات في السنة السادسة والعشرين من حكم دارا استدان « موشاليم مردوك » آخر مبلغ ١٠ مينا نقدا من معبد انو لمدة شهر وضمنه « ساقاى » و « نابو باللتسو » فان استطاعا في اليوم المحدد أن يحضرا « موشاليم مردوك » ويجعلاه يسدد دينه أخليا من الضمان والا فانهما يلزمان بالسداد طبقا للشروط المعينة .

وكان من الممكن أن يكون الضمان مشروطا ولا يسرى مفعوله الا فى ظروف خاصة ففى حالة « قدما المدين خارجتان عن يدى الدائن » مثلا فان معنى هذا الاصطلاح القانونى اختفاء المدين وعدم استطاعة الدائن الحجز عليه . وفى السنة الثالثة من حكم كيروش ضمنت المرأة « ديديتوم » « قدمى نابوزر لشير ان خرجتا من يدى جيميل شماش » فأصبحت ملزمة بأن تدفع ٣٥ جور من البلح ـ وهو ما يعادل بقية دينه ـ ان هو استطاع الهرب .

وفى أيام الأسرة الخامسة كانت العادة أن يقدم ضمان حين كان الموظف عند تعيينه لا يستطيع أن يباشر أعمال وظيفته الا بعد تاريخ التعيين . وهاك المثال التالى من سيبار فى عهد سامسو ايلونا ، فان « سيبار ليبير بمحض اختياره وبناء على طلبه استخدمه امجور شماش وقد تسلم أجره عن شهر شاقلا من الفضة ... سوف يأتى ولا يذهب ... تعهد ملكى : (والا) فانه يدفع هذا المبلغ . يده (ضمانه) « أدين داجان » بن « شماش رابى » (١) » فاذا حدث فيما بعد أن اضطر ادين داجان لاطلاق سراح سيبار لبير لأنه لم يحافظ على تعهده فانه يقال انه « سحب يده » (٢) وهذا اشارة الى ما معناه أن يد الدائن التى كانت تستطيع أن تقبض على المدين لاستعباده والتى استبدلت بالضمان فى احتفال رمزى ضربت أثناءه المدين على أعضائه الخلفية لتضعه تحت حمايتها .

أما المدين الذى يتعذر عليه سداد الدين فى الموعد المحدد فقد كان من الجائز استعباده . وغالبا ما كانت تقوم اتفاقية لدفع تعويض . أما ان كان مدينا لعدة دائنين وكان واحد منهم قد استعبده، فقد كان من حق الآخرين مقاضاته . واذا كانوا من مدن مختلفة فانه يتحتم عليهم أن يقيموا عليه الدعوى أمام محكمة بابل : وكان للمدين المعسر من ناحية أخرى الحق فى

---

(١) LXXI, No 276.
(٢) I, t, XIV.

استبدال نفسه بزوجه أو أطفاله (مادة ١١٧) لمدة أقصاها ثلاث سنوات أو بعبد أو أمة (مادة ١١٨ ، ١١٩) مع الاحتفاظ بحق استرداد الأمة التي استنسلها عن طريق الشراء • وكان يسمح له كذلك – بموافقة دائنيه – أن يحول ديونه لابنه وحالما يحرر العقد ويقبله الدائنون يفقدون الحق في ادخال أى تعديل عليه •

١٠ – الوديعة

الوديعة هي العملية التي يعهد فيها شخص بمنقول الى آخر ليعني به مجانا على أن يعيده عند الطلب وقد نظمها قانون حمورابي شأنها في ذلك شأن القرض •

وكان يوجد نوعان من الودائع : وديعة المحصولات ووديعة الأشياء الأخرى أما فيما يختص بالمحصولات المودعة في شون أو مخازن ، فان القانون قد حدد ايجار الشونة أو المخزن بخمسة قا للجور (٣/١٢٪) واعتبر صاحب المبنى مسئولا عن التلف • وفيما يختص بايداع الأشياء الأخرى كان القانون قد قضى بأن يصحب الايداع تحرير لوحة بحضور شهود يذكر فيها المودع التزامات المودع لديه ، وليس للغير أية صفة دون ترخيص من المودع للاستيلاء على المحصولات أو الأشياء الأخرى المودعة بقصد استرداد ما قد يكون على المودع من دين لهم • فان فعلوا فانهم يفقدون كل حقهم في الدين ويلزمون باعادة ما استولوا عليه • وكان المودع لديه مسئولا عن اختفاء الوديعة كما من الممكن أن يتم اتفاق بينه وبين المودع على استعمالها على أن يعيد قدرا مساويا لها الى مكانها نفسه أو في أى مكان آخر يحدد •

١١ – المعبد – الادارة الزمنية

لم يكن المعبد في بابل مكانا للعبادة والصلاة فحسب بل كان كذلك عنصرا هاما ، للادارة الزمنية • وكان الأمر يتطلب موارد ضخمة لاطعام موظفي الادارة الذين يعملون في خدمة الاله وللقيام باصلاح المباني التي تتخرب بمرور الزمن أو التي يجتاحها العدو • وكانت للاله أراض تجمع محصولاتها وترعى فيها قطعان الماشية • وأما في المدن فكانت له الأهراء والمخازن حيث كانت تكدس أيضا تقدمات الأمراء والمؤمنين ونصيبه من الأسلاب بعد النصر • وكذلك كانت له فيها أبنية من كل نوع •

ولقد كشف في تللو عن أجران لـ « انيننو » بناها الملك المسن أورنينا، ولدينا من عصر لوجالاندا حسابات منتظمة هي دليل على تنظيم ديني متقدم، وهي تحوى قوائم المدفوعات الشهرية لخدم الباو Baou مع ذكر المخازن، التي سحب منها الشعير اللازم وكذا سجل لخدم ضيعة الاله ـ ١٤٥ رجلا و ٣١ امرأة مع بيان نصيب كل منهم واسماء الوسطاء ان مست الحاجة الى ذلك والأجور المدفوعة مقدما وحالة الصيادين البالغ عددهم ٤٤ وقائمة بعربات وأملاك الاله وطعام الحيوانات (١) ـ وكان لمعبد انليل في عصر أور متنزه ضخم على مسيرة نصف ساعة من نيبور حيث كانت تفيض عليه الالتزامات (الضرائب) من المدن والايشاكوهات (٢) · وفيما بعد ـ في سيبار مثلا ـ نجد خزانة المعبد تمنح قروضا من مال وحبوب وحين كانت تقدم أحيانا للفقير أو المريض لم تكن تطلب عنها فائدة وهي تخضع لمطلب الاله من تعويض حين يتم الشفاء أو عند معاودة الحظ والسماح بسداد الدين (٣) وكان القادرون يتعهدون عن طريق النذر بتقديم تقدمة في يوم شفاء من يهتمون بهم من المرضى وعند تقرير قرض بفائدة كان من النادر ان يطلب المعبد الفائدة القانونية بل غالبا ما كان يقنع بنصفها أو ثلثها على الأكثر · ويظهر أن كل معبد كان مقرا للعدالة وكان الكهنة يستمعون عند بوابته الى الشهود وينطقون بالحكم · وحين لم يكن من المستطاع تقديم مستند مكتوب الى المحكمة المدنية أو الدينية ـ في حالة فقدان عقد مثلا ـ فان القسم كان يتم من أحد الفريقين ـ المدعى عليه غالبا ـ وكان هذا القسم يؤدى في المعبد كقاعدة ·

وكان كثير من الوظائف في المعبد وراثيا وان كانت أحيانا تباع أو تؤجر · وفي زمن حمورابي كان من الممكن أن يجد الوريث من نصيبه في التركة ايرادا معينا عن فترة ٦ أو ٨ أو ١٥ يوما في السنة أو كهانة لمدة محدودة · وهناك باشيهو ـ ووظيفته مسح التماثيل الالهية ومواد العبادة بالزيت ـ باع وظيفته وحقلا بمقدار عشرة شواقل من الفضة وكان كبار موظفي الدولة يؤخذون من هذه المعـــابد التي كان يفخر الأمراء بأنهم يشغلون وظائفها المقدسة · وفي ظلال المعابد كانت تقوم المدارس التي تخرج الكتاب · ومن الثابت أن الكتابة وجميع المتون من كل نوع كان يعهد بها لرجال الدين وهي التي كان لها الفضل في احياء الحضـــارة البابلية ·

---

(١) LII.

(٢) LIII, LVI

(٣) LXXI No. 76 ; I, t. XIII, p. 202.

الكتاب الثالث

المعتقدات والحرف

الفصل الأول

الدين

١ ـ الآلهة

لا يزال من العسير أن نحدد فى الدين السومرى الاكادى ما يرجع أصله الى العنصر السامى من السكان وما هو من اصل سومرى ذلك لان العقائد الأصلية قد استقرت كما أن الطقوس جرت فى خطوطها الرئيسية منذ بدء التاريخ وكانت اللغة السومرية تستعمل فى العبادة حتى بعد اختفاء هذا الجنس وكان لنفس الآلهة الكبار هياكلهم فى كلتا المنطقتين ولكن هياكل سومر كانت كما يقال أمعنت فى القدم وكان أولها وأعلاها شأنا الايساجيل الذى أقيم فى أريدو على شواطىء الخليج الفارسى .

وقد كانت الفكرة الأساسية فى كل دين هى الاعتقاد فى كائن متسام أو أكثر تلتزم أمامه الانسانية بواجبات معينة • ولقد آمن السومريو أكاديون بوجود عدد ضخم من المعبودات كانت جميعا كائنات سماوية وكان الرمز الذى يعبر عن فكرة الاله يصور كنجم كان معناه الحقيقى « سماء » ، على حين كانت مختلف النجوم تدل عليها نفس العلامة مكررة ثلاث مرات • وكان الاله الأعظم انو يعرف بنجم واحد فقط ••• لقد كان اله السماء على حين كانت الآلهة الأخرى تكون جيش السماء ••• فيلق النجوم •

ولقد نسب السومريوأكاديون الى معبوداتهم فضائل وعواطف انسانية وأسبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وان رفعوهم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم كخيرين ورحماء فى كل الظروف حتى حين كانوا يقاضون البشر جزاء اثمهم وأخطائهم • ولم يكن هناك اله شرير بل ان الشر كانت تسببه فى العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهة • ولم تكن تقام لهذه المسوخ عبادة دينية وكان الناس يحاولون مقاومتهم واتقاء شرهم عن طريق ممارسة السحر •

ولم يستطع السومريون والآكاديون أن يتخيلوا كائنا أزليا دون بدء وكانوا يرون أنه لم يكن هناك شيء كائن عند نشأة العالم وأن فى هذا اللاشيء كان يستطاع تمييز عنصرين من الرطوبة مختلفين : ذكر هو « أبسو » وهو محيط الماء العذب الذى كان يحيط بالعالم والآخر أنثى هى « تيامات » (البحر) وقد ولدت لهما كل الكائنات . هذا هو ما تدل عليه « قصيدة الخليقة » ومطلعها :



(شكل ١٢) اله سومرى
(حفائر دنفر ـ متحف جامعة فلادلفيا)

« حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد
ولم يكن للأرض من تحتها اسم
اختلطت الأمواه من أبسو الأولى أبيهم
ومن تيامات الصاخبة أم الجميع فصارت واحدا .
ولم تكن الآجام والأغصان مثبتة ولم تكن غياض القصب مرئية
حين لم يكن هناك اله له اسم
حين لم يكن هناك قدر مرسوم
خلق الآلهة (١) » .

ولقد أدخل علم تكوين الخلق عند الكلدانيين فى احدى الرقى نفس عناصر الرطوبة فى أصل الأشياء ومن الزوج الأول خرج أولا « لاهمو » وزوجه « لاهامو » وهما معبودان لم يكن الدور الذى لعباه ملحوظا ثم مرت فترة غير محددة وانبثق من الزوج الأصلى « انشار » و « كيشار » وهما

---

(١) XLIII, p. 3-5.

يمثلان فى ذاتيهما كل السماء والأرض ومنهما جاء ثلاثة آلهة آخرون هم الثالوث الأعظم لمجموعة الآلهة البابلية : انو وانليل وايا ٠

٢ ـ الثالوث الأول

قسم هؤلاء الآلهة الثلاثة الكون (المعمورة) فيما بينهم لأنه طبقا للآراء السامية لم يكن الشيء يستطيع أن يوجد دون أن يكون له سيد ٠ وكان انو الاله الأكبر يحكم فى السماء وكان انليل سيد الجو والأرض وكانت ايا ـ المسماه انكى فى السومرية ـ تحكم أمواه المحيط البدئى وكان لكل منهم طريقه الخاص على مدار الشمس وكانت مساكنهم على قمة السموات (١) ٠

وكان يعتبر انو الإله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية ٠ وكانت « دير » مدينته فى أكاد ، أما فى سومير فكاو يمجد بـ « أوروك » فى « أى ٠ أنا » أى « مسكن أنو أو بيت السماء » ، حيث حلت عبادة ابنته عشتار الهة اللذة محل عبادته حتى قبل عصر أقدم الآثار العتيقة ٠ وقد حدث مثل ذلك تماما فى لجش فى حى جيرسو اذ كان هناك كذلك « أى ـ أنا » حيث كانت تعبد ابنة انو منذ عهد اياناتوم تحت اسم « ننى » Ninni ٠ ولقد التمس لوجال زاجيسى ملك أوروك من انليل أن يقدم دعاءه الى انو كما يذكره جوديا فى صدر اللعنة المصوغة ضد من يغتصب منشآته ٠ ولقد كان هو أول اله يمجده الـ « أى ـ ننو » وكان « ملك الآلهة » كذلك لقبا منحه اياه اور انجور ويسميه حمورابى « الاله الأعظم » فى استهلال قانونه ٠ ولقد كان يسكن قمة قبة السماء « سماء انو » وكان يحرس بوابته معبودان تموز وجيزيدا وكان يوضع أمامه « الصولج والعصابة والتاج وعصا القيادة » قبل نشوء الملكية على وجه الأرض ٠ وحين كان الآلهة فى خوف من الطوفان هربوا وصعدوا الى سماء انو وجثوا كما يفعل الكلب على الحائط ورقدوا وظلوا هناك حتى اشتموا الرائحة الجميلة للضحية (٢) ٠

ورغم أن انو كان أسمى الآلهة ويعتبر كأب لهم وأول نموذج للخليفة ، الا أنه لم يستطع أن يحتفظ بالسلطة العليا حين ركزت بابل القوة فى يديها واخضعت سومير وأكاد الى صولج ملوكها ٠

---

(١) CXII, t. I, p. 259 XLIII, p. 179.

(٢) XLIII, p. 155, 167, 111, 115.

وكان على التفكير الديني أن يلائم ما بين القصص القديم والمركز السياسي الجديد · ولما لم يكن هناك شيء كائنا في هذا العالم بغير أمر الآلهة والمصائر التي قرروها ، فان تعظيم اله بابل فوق الآلهة الآخرين كان يستلزم أن يتبع سمو بابل على المدن الأخرى رفع الهها فوق جميع الآلهة الآخرين · وأصبحت كلمة مردوك « مثل كلمة انو » وكان يشار الى خلع هذا الأخير منذ بدء الزمان فحين كلف « انشار » العجوز « انو » بأن يحارب الثائرة تيامات لم يجد في نفسه الشـــجاعة لمواجهتها فكر راجعا ولكن مردوك ــ على نقيضه ــ أصبح البطل المنتقم لاخوته · وفي مأدبة علنية وقد أسلموا أنفسهم أثناءها للسكر رسموا له مصيرا لا يبارى وأعلنوه ملكا عليهم ·

وقد اغتصب انليل سيد الارض أحيانا ألقاب أنو وكان يســـمى « أب الآلهة » وقد أطلق عليه هذا اللقب في نص من عهد « انتمينا » ايشاكو لاجش وكذلك في قصيدة « ايا » و « اتارهاسيس » · ومن جهة أخرى فان رموزه الموجودة على عدد من الكودورو من العهد الكاسي هي ــ مثل انو ــ العرش والتاج · وهو فوق كل شيء مستشار الآلهة وهو الذي أحدث الطوفان ولذلك أرادت عشتار الغضوب أن تمنعه من أن يكون له نصيب في تضحية « اوتانابشتيم » وهو نوح البابلي فصرخت قائلة : « دعوا الآلهة يأتون للتضحية ولكن لا تدعوا انليل يأتي لأنه لم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومي » وقد أنبه « ايا » كذلك من أجل نفس العمل « أنت أعقل الرجال ! أيها البطل ! لم ؟ لم لم تمعن الفكر وأحدثت الطوفان ؟ » وعلى أية حال فانه حدد مصير « اوتانا بشتيم » وجعله يسكن « مصب الأنهار » وقد كان في الواقع ســـيد الكائنات الانسانية وعهد بهم الى أمراء يقودونهم في مسالك العدالة ··· هو اله نيبور سيد سومير (١) ·

والاسم السامي ل « ايا » ثالث اله في الثالوث الأعظم معناه « بيت الماء » أما اسمه الســـوميري فهو انكي « سيد الأرض » وكانت مملكته ال « ابسو »« مسكن المعرفة » المياه التي تحمل الأرض وتحيط بها · وكان يرمز له بكائن برمائي هو « العنزة السمكة » ·

وكاله للحكمة خلق الانسان بتشكيل كتلة من الطين منحها الحياة بنسمته الالهية وهو الذي انقذ البشر من الهلاك الكامل في زمن الطوفان ·

---

(١) LXXVI. p. 62, 38, 286, 280, 212, XLIII, p. 133, 125, 103 107, 119.

ولقد كشف عن صناعات مختلفة للانسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنة على تادية وظائفهم المقدسة وخاصة فى طقوس السحر التى كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ابسو فى معبد اريدو (١) ٠

٣ ـ الثالوث الثانى

كان هناك ثالوث ثان مكون من « سن » الاله القمر وطفليه « شماش اله الشمس » و « عشتار » نجم الزهرة ٠

وكان سن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الأيام والشهور والسنين للملوك المذنبين بالدموع والتأوهات ٠ وكان رمزه الهلال ٠ وكان يعبد فى أور تحت اسم نانا ٠ ولقد انتشرت فى معبده فى حران Harran عبادته فى البلاد الأرامية ٠

وكان شماش فوق كل شئ القاضى الأعظم وكان له طفلان هما كتو وميشارو ،أى العدالة والحق٠وكان يطأ الظلم تحت قدميه ولقد أملى شخصيا قوانين العدالة على أورانجور وحمورابى ٠ وكان رمزه قرصا مزينا بنجم ذى أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الأشعة المموجة ٠ وهو يميز على الآثار المحفورة ـ أسطوانات عصر أجاده وقانون حمورابى وتابو البا ادين (القرن التاسع) ـ بشعلات ترتفع الى ما فوق كتفيه (٢) ٠

٠أما عشتار « العطوف » فمعبود ذكر فى الصباح والهة أنثى فى المساء وهى أحيانا ابنة انو وأحيانا أخرى ابنة سن وهى الهة الحرب والهة اللذة وهى أخت شماش اله النور وفي الوقت نفسه أخت « ايرشكيجال » معبودة العالم السفلى ٠ وقد حلت عبادتها فى أوروك محل عبادة أبيها وكان محبوها لا يحصيهم العد وكانت تسعى لغواية البشر ٠ وكانت تعتبر فى هالاب Hallab ابنة لـ « سن » وسيدة المعارك ٠ وأما فى أجاده وسيبار فانها تحت اسم انونيتوم كانت على ما يظهر تمزج بين الشخصيتين وذلك فى عهد نابونيد على الأقل لأنه يسميها « سيدة العراك التى تحمل الجعبة والقوس » وكانت فى نفس الوقت تصنع له الفال المناسب عند شروق الشمس وغروبها ٠ وقد طغت شخصيتها على الالهات الأخريات وكان ،

---

(١) LXXVI. p. 389, 38, 66, 94.

(٢) راجع شكل ٧ صفحة ٥٥ ٠

اسمها المفرد يعنى أية واحدة منهن أما مدلول اسمها الجمع فهو الالهات عامة • وكابنة لـ « سن » كان رمزها نجما • وكانت تمثل كالهة للحرب واقفة منتصبة على أسد أو اثنين وهى تحمل الجعبة وفى احدى يديها سلاح مقوس وفى الأخرى صولجان مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يعلوهما رءوس أسود •

٤ - مردوك

كانت كل قوى الطبيعة وكل قوى الخير وعلى العموم كل الأجسام السماوية تؤله عند السومريين والأكاديين • وكان عدد المعبودات التى يلتمسونها كبيرا جدا • وكان لكل مدينة معبودها وكان كل رجل فى حماية زوج الهى • ومع ذلك فقد استطاع أحدهم أن يتفوق على الآخرين بدرجة أنه فى التفكير الدينى لعصر البابلية الجديدة كان الآخرون يعتبرون كمظاهر له • وقد تم تفوقه حين وحدت الأسرة الأمورية فى بابل نهائيا أراضى سومر وأكاد ، فى مملكة واحدة وعندئذ استطاع حمورابى أن يرفع مردوك الاله المحلى الى المرتبة الأولى فتالفت أناشيد جديدة من القصص القديم تتفق والوضع الجديد • وكان انليل يتمتع بلقب « بعل »



(شكل ١٣)
الاله مردوك : القرن التاسع (متحف برلين - حفائر بابل)

« سـيد » وهو يملك لوحـات القدر منذ زمن لا يمـكن تقديره . وقد اخترعوا ـ من أجل استلابها منه ـ قصة عن بدء الخليقة مؤداها أن مردوك هو الذي هزم تيامات (الفضاء) فمنحته الآلهة حق تقرير المصير مكافأة له . وكان الاحتفال يقام فيما بعد فى « دو أزاج » فى بابل أثناء أعياد رأس السنة . ولقد تخلى انو عن سلطاته ل « مردوك » ومنحه ابوه « ابا » اسمه « الا فليسم » ابا » مثلى » وكانت له بالاضافة الى ذلك كل الحكمة بدليل أن ايا قال له : « أى بنى ! ماذا هناك لا تعرفه وأستطيع أن أعلمك اياه ؟ ان كل ما أعرفه تعرفه أنت أيضا » وهذا هو السبب الذى اعتبر من أجله ـ مثل أبيه ـ ساحر الآلهة واله الكهنوت وخالق البشر . وكان يمثل بأذنين كبيرتين ترمزان الى فهمه الكثير ويحمل السلاح المقوس الذى قهر به تيامات وتحت قدميه الوحش الذى أخضعه وكانت الحربة رمزا له على كودورو العصر الكاسى والأختام البابلية الجديدة .

وكان آلهة بابل وبورسيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنة الجديدة ليقسموا له ولاءهم وكان موكب عظيم ينظم فى الطريق المقدس وعندما كان يتوجه رسميا الى معبده اكيتى كان يتوقف فى الذهاب والعـودة عند « دو أزاج » . وفى اليومين الثانى والحادى عشر كان الآلهة يجتمعون هناك ويحيونه فى رهبة ويركعون أمامه وكانت المصائر تحدد أثناء ذلك تحديدا قاطعا للسنة بأكملها . وكان توقف هذه الاحتفالات فى زمن الحرب أو عند حدوث مصاب كارثة تذكر بصفة خاصة فى حوليات المدينة .

٥ ـ بعض المعبودات الأخرى

يذكر من بين المعبودات الأخرى اينورتا أول مولود لانليل وهو بطله . وكان اله حرب « خبيرا فى العراك » لا تستطيع البلاد أن تحتمل وطاته الثقيلة » وكان يمتزج بال « بعول » (السادة) لبعض المدن وعندئذ كان يطلق عليه اسم اله المكان : ففى لجش فى حى جيرسو كان يسمى ننجرسو أى « سيد جرسو » وفى سوسه كان يسمى « أن شوشيناك » « السوسى » وكان يمثل فيه آلهه آخرون مثل زابابا فى كيش ، واوراش فى دلبات . وكان له على الأقل عشرون سلاحا مختلفا ففى يمناه كان يمسك بال « شار أور » وهى حزمة من العصى والأسلحة بسنان محدبة تعلوها رأس أسد . وعلى كتفيه يظهر غالبا مقدم أسد كما يظهر نفس الحيوان الرمزى بين قوائم عرشه أو تحت قدميه . وقد قرنه علماء النجوم بمنكب الجوزاء Beteigeuze فى الجوزاء وكانت الجوزاء ككل تكون جيشه .

وكانت باو الزوجة الالهية لـ « ننجرسو » كبرى بنات أنو تلقب « بالمرأة الخيرة » وكانت أما لسبع توأمات وكانت زوج اينورتا يطلق عليها في عصر حمورابي اسم « ننكر اك » كما كان يطلق عليها جولا في عصر الكاسيين : وتحت هذين الاسمين كانت هي الهه الطب تضمد الجراح التي يسببها الاله وتشفى الأمراض ·

ولقد عبد المصريون النيل واقام اليونان الهياكل لاله النهر ولكن السوميرواكاديين كانوا قد فعلوا ذلك من قبلهم فاختاروه هو وجيبيل « اله النار » « ليقضي قضاءه بين البشر » و « حين احتفره الآلهة العظام وضعوا الخير على ضفتيه » ومنحوه قوة التمييز بين العادل والظالم · وطبقا لقانون حمورابي كان من يتهم بالسحر يلقى به في النهر المقدس الذى يلقي على عاتقه وحده أن يكشف عن مدى براءته أو ذنبه · وهو يمثل على الأختام الأسطوانية من عصر أجادة برأس المحاكمة مستقرا على عرش وممسكا في احدى يديه باناء ينبعث منه مجريان تسبح فيهما الأسماك ·

وكانت تعبد كذلك الهة للماء هي « نينا » ابنة « ايا » وكان يرمز لها بسمكة في وسط حوض وكان لها هيكل في لجش وكانت احدى ضواحي المدينة مكرسة لها · وفي بعض أيام الأعياد حين كانت تخرج في الموكب كان قاربها المقدس يبحر فوق القناة ·

وكان « أداد » اله الجو مبعث خوف واحترام في وقت واحد · أليس هو الذى يمنح الغيث أحيانا وأحيانا أخرى يلقي الرعب في النفوس حين يطلق الرعد ؟ ولقد كان يمثل مرتديا ثيابا قصيرة ويقف فوق ثور وهو مسلح بصاعقة ورافعا سلاحا فوق رأسه ·

وكان ينسب الى « نيسابا » أخت « نينا » نمو القصب العظيم وهو أحد مصادر ثراء الاقليم ، اذ كان يستعمل في تشييد الأكواخ وعمل الحصير وفي صنع الكراسي والموائد والسلال كما يستعمل وقودا · وكانت الساق ــ ان أحسن قطعها ــ تستعمل قلما للكتابة على ألواح الطين كما يستعمل الرماد لغسل القماش · وكالهة للكتابة والخصوبة اعتادت نيسابا ان تجلس فوق كومة من الأغصان وكانت تحب أن ترسل شعرها حتى يسقط متموجا على كتفيها اللتين تنبثق منها سيقان القصب وكانت تمسك في يدها اناء يفيض وهو رمز الخير الذى توزعه ·

ولقد آله السوميرواكاديون عددا من الأبطال الخرافيين وبعضهم يظهر في القوائم الملكية لعصور ما قبل التاريخ مثل « دوموزى » وهو تموز

السوريين الذى نقش اسمه فى المكان الرابع بين امراء الاسرة الأولى فى اوروك وهو ابن « ننجزيدا » وحفيد نينازو « سيد العرافة بالماء » وقد أصبح زوجا لـ « اريشكيجال » الهه العالم السفلى بعد أن أحب عشتار ربة اوروك التى كانت سببا فى هلاكه ٠ وكان بصفة عامة اله النباتات فكان يولد من جديد فى كل عام فى الربيع « هو يستقر صغيرا ٠ فى اناء يغوص ثم ينام كبيرا فى حصاد المحصول ويظل راقدا فيه » ٠ وهو صورة من أدونيس اليونانى ففى شهر الصيف المكرس له حين يلقى الحاصد آلة حصاده ويجمع السنابل فى الحزم يموت وينزل الى العالم السفلى وعندئذ تكرر النساء الولولة السنوية التى رسمتها عشتار :

« الى متى ستظل الحبة أسيرة ؟

الى متى ستظل الخضرة مقيدة بالسلاسل ؟ » ٠

وتخرج الالهة وتسير الى « البلد الذى لا يرجع منه أحد » لتبحث عن حبيبها وتعيده الى الأرض ٠

٦ ـ الأمراء المؤلهون

وقد كان كثير من الأمراء الذين خلفوا لنا وثائق رسمية يستمتعون كذلك بامتيازات التأله حتى فى حياتهم ٠ ولعل قائمة الأعلام لحكم مانشتوسو تقوم دليلا على ذلك فى الاسم « شوروكين ايلى » « سرجون الهى » وتتزايد الأدلة فى حكم « نارام سن » فهو فى الكتابات يسمى « اله أجاده » و « اله بلده » ٠ وعلى لوحة النصر نراه يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكاسى « اجوم كاكزين » « عصابة السيادة ـ علامة الألوهية » ٠ وقد قامت فيما بعد مؤسسات دينية فى لجش لعبادة الايشاكو جوديا ٠ وكان لملوك اور معبدهم وكان هناك شهر فى كل عام يخصص لـ « دونجى » وألفت الأناشيد فى مديحهم وحرق البخور أمام تماثيلهم وقدمت التضحيات لهم ٠ ومنذ أيام ملوك أور كان الناس يقسمون لا بالآلهة وحدها بل بالملك الحاكم كذلك والقسم وعمل دينى محض ٠

٧ — المعبـــد

كان الاله يسكن المعبد مع زوجه وأطفاله وخدمه . ولسوء الحظ لا يسمح لنا الوصف الذى أورده جوديا عن هيكل ننجرسو فى لجش بمحاولة تصويره تماما . ولم تكشف الحفائر سوى عن كتلة من ركن المعبد ومدخل له (١) يستند على طبقتين من اللبن تفصلهما طبقـة من الرمال . وكان الركن موجها الى ناحية الغرب . والحائط على الجانب الجنوبى الغربى مستو خال من الزينة أما الحائط الشمالى الغربى فمزين بخطوط من جزءين وعلى بعد خمسة أمتار من الركن كانت هناك فتحة واسعة يعترضها على كلا جانبيها بروز يتكرر ثلاث مرات . وليس هناك أثر لثقب يرتكز عليه الباب أو أية علامة لبوابة تغلق المدخل . وعلى مسافة ليست ببعيدة كان أحد أسلاف جوديا وهو الايشاكو « اورباو » قد بنى كذلك معبدا لم يبق منه سوى الركن الغربى من أرضيته وقد كشف تحته عن تمثال صغير من النحاس ولوحة أساس موضوعين فى اناء من الفخار بقاعة ثلاثة ثقوب (٢) .

ولدينا من عصر البابلية الجديدة أربعة معابد (٣) فى نفس المدينة الواحدة وهى بابل وقد أمكن الكشف عن التصميم الكامل لها ودراسة هذه البقايا تبين أنه وان كانت هناك قواعد تحتمها التقاليد ، فان المهماريين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة فى ترتيب الأجزاء المتعددة للمبنى . وكانت هذه المعابد منشآت مستطيلة على وجه التقريب لها زوايا (أركان) تحدد اتجاهاتها كمبانى أورباو ، جوديا ولكننا نرى انه بينما استعمل ايشاكو لاجش الآجر والقار نرى نابو بولاسر وخلفاءه يستخدمون اللبن فقط . وفى الخارج كانت الحوائط مقسمة على مسافات متساوية بأعمدة مربعة تزينها قنوات مدرجة فى معبد ننمار وشبه دائرية فى معبد ايساجيل ومستطيلة فى غيرهما كما هى الحال فى معبد ازيدا فى بورسيبا ومثل هذه الأعمدة المربعة لا توجد فى أى مبنى مدنى . ويؤدى الى الفناء الأوسط مدخـل أو أكثر ببوابات مزدوجة مغطاة بالبرونز ومرتكزة على دعائم حجرية ويربطها مزلاج يثبت الدعامة فى الأرض . وكان هذا الفناء الأوسط — شأنه فى ذلك شأن الفناء الخارجى — مزينا بأعمدة مربعة تزداد تعقيدا بالقرب من البوابات وعند المدخل الرئيسى وأمام الهيكل . وكان هذا

(١) XLI, p. 18 et plan K. Cf L.XX, p. 396 et pl. 50 fig. i.

(٢) CXX, p. 241, 400 ; LXXVI, p. 96, 98.

(٣) CX b, fig. 38, 114, 119, 137, à 139, 142, 143, 244 à 247.

الهيكل يقع عند طرف البهو الى الغرب فى معبد ايساجيل وفى الجنوب الغربى فى معبد ايماه • وقد غطى نبوخذ نصر الثانى حوائط مقصورة مردوك بالذهب واللازورد والرخام (١) وكان السقف المصنوع من أحسن أرز لبنان مغطى كذلك بالذهب اللامع • أما لعشتار أجاده ، فان الحوائط قد طليت فقط بالجير الأبيض وغطيت المشكاة التى تحوى تمثال الالهة بمحلول الأسفلت مع وضع شرائط بيضاء قرب الأطراف كما هى الحال بالنسبة للمداخل الرئيسية • وفى معبد ايماه كان الاله يسكن مبنى صغيرا عثر على أساسه • وكان أمام الهيكل الذى تبلغ مساحته ١٢ × ٥ مترات غرفة وكان لكل من هاتين الغرفتين مخزن للأمتعة المقدسة •

وكان من الممكن رؤية الصنم من الفناء ولكن ليس من الشارع لأن باب الدخول والفناء لم يكونا فى محور المبنى • وفى معبد « اينورتا » لم تكن هناك غرف جانبية ولكن كان هناك مزار صغير على كل من جانبى الهيكل • وحول الفناء الذى كانت تختلف مساحته بين مبنى وآخر — الايماه كانت واجهته ٣٠ مترا وعرضه ٥٠ مترا ، والايساجيل كان مربعا طول ضلعه ٦٠ مترا — كانت تصطف (وأحيانا تتجمع حول الأفنية الملحقة) غرف لا نعرف على وجه التحديد فيم كانت تستخدم كما كانت هذه الحجرات موزعة أحيانا على أحواش اضافية • وفى ايماه يوجد علاوة على ذلك ممران ضيقان ينتهيان بزقاق غير نافذ • وفى ايساجيل لوحظ وجود مزار صغير فى الجانب الشمالى •

وكان من المعتاد أن توضع فى أساس كل معبد صور واقية : فعند البوابة الرئيسية لـ « ايماه » وضع طائر — وهو رمز الالهة — فى مشكاة مكونة من ستة قوالب من اللبن • وتحت أرضية قدس أقداس « أينورتا » اسطوانة الأساس باسم نابوبولاسر •

ولم يكشف عن أى مذبح داخل معابد بابل ومع ذلك فانه يوجد مذبح من اللبن موضوع على أرضية من الطوب أمام مدخل معبد ايماه كما يوجد مذبح آخر من اللبن المجفف فوق أرضية أمام معبد أينورتا • وكانت التضحية تتم فى الخارج ولم يكن مسموحا لغير الكهنة والأمير بالدخول الى قدس الأقداس فى حضرة الاله وكذلك ، فانه طبقا لما جاء بهيرودوت « يرى خارج قدس الأقداس — (بالايساجيل) مذبح ذهبى وآخر كبير جدا لذبح الماشية » (٢) •

---

(١) XXXII. b p. 124, 126.

(٢) Hérodote 0, 183.

وكان يقوم الى جانب المعابد الرئيسية مبنى أصم مكون من منشورات رباعية مبنية فوق بعضها البعض وتقل حجما كلما ارتفعت وهذا الجبل الصناعي المسمى زيجورات مثلث صورته على كودورو لـ « مروداش بالادان الأول » Mérodach-baladan I . وكان زيجورات بابل ـ الـ « ايتمينانكي » ـ (١) يقع الى شمال الايساجيل بعد الطريق المقدسة وكان مبنيا من اللبن المجفف ومغطى بالآجر ومكونا أعمدة مربعة عشر عليها في جانبين متجاورين طول كل منهما ٩١ مترا ـ وهذا الزيجورات ليس محفوظا مثل حالة زيجورات بورسيبا التي لم يكشف عن خرائبها بعد ـ وهي ترتفع الى أكثر من ٤٠ مترا فوق السهل ولم يبق من هذا الزيجورات سوى طابق واحد والسلالم الثلاثة التي تؤدى من الناحية الجنوبية الى المدرج الأول . وهناك لوحة في اللوفر أرخت بالسنة ٨٣ من حكم السلوقيين (٢٢٩ ق.م.) (٢) تقدم وصفا هندسيا لهذا الأثر وملحقاته الخارجيه وكان في مجموعه يكون مستطيلا طوله ٢١٩٠ قدما وعرضه ١٢٠٠ وكان المدخل الرئيسي الى الشرق ـ على الطريق المقدس ـ يؤدى الى شرفتين متتاليتين تسبقان الفناء المربع الذى كان شرفة كذلك حيث يقوم البرج . ويبلغ طول قاعدة البرج ٦٠٠ قدم . وكان الطابق التالى ـ الـ « كيجال » ـ يرتكز على الجانب الغربي للقاعدة وكان طوله ٣٠٠ قدم فقط (٣) وكانت به عدة مزارات فهذا الذى الى الجانب الشرقي كرسى لمردوك ونابو وتاشمتوم وهذا الذى الى الشمال كرسى لـ « ايا » و « لوسكو » وذلك الذى الى الجنوب كرسى لـ « انو » و « سن » . وكان يرى فيه كذلك « بيت السرير » و « بيت الأدوات » و « بيت الشباك » وفناء محاط بحائط تنفتح فيه أربع بوابات . وفي وسط الـ « كيجال » كانت هناك خمسة طوابق متعاقبة يقوم فوقها مزار يتوج المبنى . ويصف هيرودوت الـ « ايتمينانكي » كـ « مربع منتظم طوله أستادان (٤) في كل جانب . وفي الوسط يرى برج ضخم يبلغ كل من طوله أو عرضه استادا واحدا . وفوق هذا البرج يقوم آخر ثم ثالث وهكذا الى أن يبلغ عددها ثمانية أبراج . والصعود اليها من الخارج عن طريق منحدر يدور تباعا حول جميع الطوابق . وفي منتصف الطريق المنحدر تقريبا توجد غرفة ومقاعد يجلس ليستريح عليها أولئك الذين يرغبون في الصعود الى القمة . وفي

---

(١) CX b. fig. 119.

(٢) Memoires de l'Académie des inscriptions, t. XXXIX, 1913.

(٣) CXI : 106 mètres.

(٤) يبلغ الاستاد نحو ١٨٥٫٣ مترا ـ (المترجم) .

أعلى الطوابق يوجد هيكل كبير به سرير مزخرف زخرفة فخمة تقوم الى جانبه مائدة من الذهب • ولا يوجد فى هذا المزار ولا يمضى الليل فيه أحد سوى امرأة من الريف يختارها من بين رفيقاتها الاله نفسه على حد قول الكلدانيين وهم كهنة هذا الاله » (١) •

وقد اخذ نابوبو لاسر مؤسس الامبراطورية البابلية الجديدة على عاتقه اعادة بناء ال « ايتمينانكي » تنفيذا لأمر مردوك (٢) • وكما فعل جوديا من قبله لم يفعل شيئا دون أخذ رأى الآلهة ولقد استشار وحيهم وقام بالتطهيرات المطلوبة • ومثل الملك القديم أورنينا حمل مواد البناء فوق رأسه على حين حمل ولى العهد الطين الذى يصنع منه الطوب واستخدم ابنه الآخر « نابوشــوم ليشو » المجرفة والمعول • ويظهر أن الطقوس الدينية الخاصة بتشييد أبنية العبادة ظلت متوارثة سليمة مدى عشرين قرنا رغم الثورات •

ونستطيع أن نرى مثلا آخر لروح التقاليد هذه فى الصعوبات التى لقيها نابونيد حين أراد ترميم التاج الذى كان نابوابال ادين قد قدمه الى شماش ـ سيبار فى القرن التاسع (٣) ، وقد أراد الملك أن يعيد صياغته كله من الذهب ولكن الشيوخ ادعوا أنه يجب ألا يدخل عليه أى تغيير • ولقد استشار وحى « شماش » و « اداد » ثلاث مرات وأجاب الوحى ثلاث مرات بالرفض فاتجــه نحو مردوك يسأله الا أن الرواة قرءوا فى كبد الذبيحة تصميم الآلهة على عدم قبول أى تجديد • فنزل الأمير على ارادتهم وأمر باعادة التاج الى حالته الأولى •

٨ ـ كبار رجال الدين

كان الأمير الكاهن الأكبر لاله مدينته وكان الملك الكاهن الأكبر للاله الوطنى • فأنتمينا كان الايشاكو الأكبر ل « ننجرسو » وكان جوديا يقدم بنفسه القرابين ويقوم بالاحراق وكان يستبين بالفال ويتلقى مباشرة أوامر الاله وهو الذى طهر المدينة قبل اقامة المعبد وقام بالتقديس المطلوب ونطق بالبركات السبع عنــد التكريس • كما أن لوجال زاجيسى ملك أوروك أطلق على نفسه كذلك لقب كاهن انو اله أوروك ثم الايشاكو الأكبر

---

(١) Hérodote I, 181.

(٢) XXXII, p. 60-62.

(٣) Hérodote I, 181.

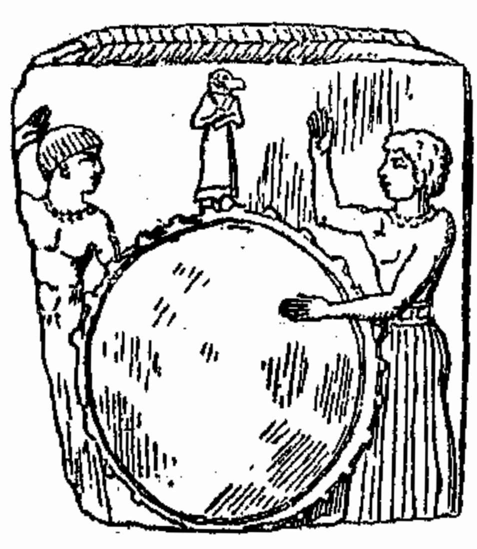
لانليل اله سومير بعد فتح سومير : « عينه (الآلهة) فى هياكل سومير كايشاكو للبلاد وفى أوروك ككاهن » .

وكان كبار كهنة الهياكل الهامة شخصيات لها قدرها فكان يتطلع الى شغل مراكزهم أبناء الأمراء وكان الفأل وسيلة تعيينهم وكان هذا الحادث يستحق التخليد بأن تسمى به السنوات . وهكذا اختير ابن « أور انجور » خلال حكم أبيه ، اختاره المعبود كاهنا أكبر للالهة « اننا » (عشتار) فى أوروك ويعيد تاريخان خاصان بدونجى الى الذاكرة اختيار كبير كهنة نانا . فلقد مر عامان بين الانتخاب والتتويج وفيما بعد ـ خلال حكم « جونجونوم » ملك لارسا بلغت هذه الفترة ثلاث سنوات فى حالة الكاهن الأكبر لشماش . ومنذ أقدم العصور ربما كان هناك مجمع لكبار الكهنة الى جانب بعض المعابد : وهناك نص من جوديا ينهض دليلا على ذلك . وكان الأمير الذى يخلع عن عرشه لا يستخف أبدا باحتفاظه بوظائفه الدينية فلقد ظل ننجوســو بن جوديا كاهنا لأنو ونينا حتى بعد أن زالت عنه صفة ايشاكو لجش .

وكانت تنتظم تحت الكاهن الأكبر (en بمعنى سيد وفى السامية enou) طبقات متعددة من الكهنة يجمعهم الاصطلاح العام سانجو (وفى السامية شانجو) ويظهر أنه كان يطلق بصفة خاصة على مدير المعبد وان كان يطلق كذلك على أى شخص يشغل الوظائف المقدسة .

٩ ـ الطبقة الأولى من رجال الدين (السحرة)

كان رجال الكهنوت ينقسمون الى ثلاث مراتب : السحرة وهم الذين يستعطفون الآلهة ويبعدون الأرواح النجسة ، والمنجمون الذين يتنبأون بالمستقبل ثم المغنون الذين يباشرون وظائف الشمامسة . ونحن نعرف حوالى ٤٠ وظيفة مختلفة .



(شكل (١٤) بالاجو (متحف اللوفر)

وكان الكاهن من الطبقة الأولى يحمل لقب ماشماش (وفى الأكادية أشيبو) ولكن الوظائف قسمت منذ أقدم العصور فكان يدعى « كالو » الكاهن الذى يناط به أن يخفف الغضب عن قلوب الآلهة الغضبى بغنائه (١) وكان عليه فى أيام معينة أن يذهب الى المعبد ليقدم التضحيات ويرتل المراثى المقدسة مستعينا بمختلف آلات الضرب فكان يستعمل الـ «بلاجو» وهى طبلة ضخمة عثر على صورتها على قطعة من اناء فى اللوفر (٢) وهى تكرس للاله « لومها » حامى الـ « كالو » — حين يغنى تمجيدا لانليل او عشتار — واحدة من هذه القصائد المتعددة التى تحمل كذلك اسم بالاجو ومع الـ « شم » أو « هالهالاتو » كان يصحبها « ارشم ما » . وكانت لديه كذلك آلة أخرى هى الـ « للسو » وهى طبل نحاسى مغطى بجلد الثور . وقد احتفظت لوحة من واركا ترجع الى عصر السلوقيين (٣) بطقس تكريس هذه الآلة . وهناك لوحات أخرى (٤) تحوى الصيغ التى تتلى خلال الاحتفال .

وكان الـ « كلاماه » أو كبير الكالو أهم جماعة « الكالى » . ويظهر أن وظيفته كانت وراثية وكانت هناك وظائف تؤدى أعمالها بعيدا عن أعين عامة الناس ولكن كان يسمح للمبتدئين بالحضور وهكذا يتلقون التعليم الأول . وكان الكالو يتوسط فى ظروف استثنائية معينة فمثلا عندما ينظر فى اعادة بناء معبد مخرب حين يتلقى المنجم فالا بالموافقة على ذلك نرى الكالو فى يوم رائع يتجهز ويضحى خلال الليل بخمس تضحيات تكريما للآلهة الخمسة ويرتل مرثية و « ارشم ما » ثم يقدم ثلاث تضحيات لاله المعبد والالهة زوجته ولصاحب المعبد . ويقدم عند الفجر ثلاثة أخرى هى فى هذه المرة للبعول (الأسياد) الكبار انو وانليل وايا . وكان الاحتفال التمهيدى ينتهى بأغنية « حين خلق انو وانليل وأيا السماء والأرض » التى تغنى أمام طوب أساس المعبد القديم . وبعد ذلك يوضع أساس المبنى الجديد ولا يتوقف الكالو عن تقديم التقدمات والمرثيات حتى يتم البناء .

وكانت مهامه تلتمس فى مناسبة الفال السيىء فان أنذرت زلزلة

---

(١) I. t. XVI, p. 121 ; XVII, p. 58.

(٢) انظر الشكل ١٤ . I. t. IX pl. III.

(٣) I, t. XVII, p. 56.

(٤) I. t. XVII p. 95.

بهجوم لعدو (١) فانه هو الذى يقدم التضحيات ليلا لاله والهه الملك بعد تطهيره ثم يضحي في الصباح للآلهة انو وانليل وايا • وبعد أن يسجد الملك ويحلق له يأخذ هو فى اناء « لاهان سهار » شعر جسم الملك ويذهب لالقائه على حدود العدو قبل أن تعمل في جميع المدن المراثى الاستعطافية على معطف الملك : « ان أنت أديت هذه الواجبات كما قررتها الطقوس فان الشر لا يقرب الملك » •

والى جانب الكالو نجد هناك ال « اشيبو » وعليه واجب تطهير المرضى والأثمة وخاصة بواسطة الرقى والطقوس السحرية وهو يعمل بفضل ايا اله اريدو أو - فيما بعد - بفضل مردوك بن ايا حين بسطت بابل نفوذها :

« السيد العظيم الاله ايا أرسلنى

لقد أحل رقيته المقدسة محل رقيتى

ووضع فمه المقدس مكان فمى

ووضع لعابه المقدس مكان لعابى

ووضع صلاته المقدسة مكان صلاتى » (٢) •

وكانت هناك رقى لكل المناسبات وضد كل الشرور « ضد الأرواح الشريرة » أوتوكي ليمنوتى « Outoukki limnouti » والشبح « اديمو » وال « لابارتو » • أما ضـــد الساحر فكانت تستعمل رقية « ماقلو » (الاحتراق) أو « شاربو » (الالتهاب) ذلك لأن صورة الساحر كان يلقى بها فى النار • وكان الصداع والحمى والروماتزم تعتبر كائنـات حقيقية يجب أن تختفي نتيجة لعمليات السحر • وكان ال « اشيبو » يقدم الصلوات للآلهة كما يتقدم بالتضحيات ويصب الأهراق •

١٠ ـ الطبقة الثانية من رجال الدين (المنجمون والعرافون)

كانت الطبقة الثانية من رجال الدين تضم المنجمين وقد عرفتهم لجش منذ فجر التاريخ وكانوا ينقسمون الى فرق عدة تبعا لمختلف أنواع

---

(١) Ibid, t. XVII, p. 87.

(٢) XLIV, p. 287.

الظواهر التى يمكن ملاحظتها . ففى عصر أورنينا التمس كبير المنجمين « باأزو » من الاله أنكى أن يحصل على وحى بشأن تشييد بيت جيرسو (١) وتحت حكم أسلاف « أوروكاجينى » كان على الرجل الذى يرغب فى صب الزيت على الماء حتى يعرف مشيئة الآلهة أن يدفع خمسة شواقل من الفضة للايشاكو وواحدا لكبير الوزراء وواحدا للمنجم « ابكاللو » الذى كاو يكرس ذاته خاصة لادراك الغيب عن طريق دراسة الأوانى (٢) . وفى نفس العصر كان هناك كهنة آخرون يفسرون الأحلام ـ ال « انسى » ـ أو يلاحظون مختلف الظواهر ال « اجيدو » . وكلهم يحملون الاسم العام « بارو » .

ولم يكن اللجوء للعرافة يتم فقط بالنسبة للشئون الخاصة ، بل كان كذلك وقبل كل شىء يتصل بالشئون العامة فلم يكن أمير يقبل على أمر هام دون استخارة المعبود سواء أكان ذلك بأن يبدى المعبود رأيه عن طريق ظاهرة غير عادية أو غير متوقعة أم ـ كما هو الأمر فى أغلب الأحايين ـ بأن يلتمس السائل تدخله بالبحث عن الرغبة الالهية فى الظواهر التى يلاحظها المنجم . ولقد استشارهم « أمى ديتانا » ملك بابل فيما يختص بنقل حمولة قمح (٣) .

وكانت مهام المنجم وراثية وكان هو « نسل كاهن مولود من كاهن سليم » ويجب ألا يكون فيه عيب جثمانى . أما العلم الذى لديه فقد وصل اليه عن « انميدورانكى » سابع الملوك السابقين للطوفان (٤) الذى أقام صرح الكهانة ... أما ـ بعد قرون ـ ان هو « ارتدى ثيابا طاهرة » فان ذلك يرجع فقط الى تعديلات أدخلت فى الطقوس لأنه فى الأصل كان عريان عريا تاما عند مباشرته لمهام عمله كما تبين تبين ذلك اللوحات العتيقة من نيبور والأختام الأسطوانية .

١ ـ ادراك الغيب عن طريق دراسة الكبد والأوانى

كانت العرافة تتناول كل الظواهر المحتملة وغير المحتملة . وفى المجموعات المختارة التى يستعملها المنجمون دون فى عناية ما تم من أحداث ، بعد ظاهرة أو أخرى من الظواهر والتى كانوا يعتقدون أنه

---

(١) LXXVI, p. 19.

(٢) Ibid, p. 80.

(٣) LXXXIX p. 159.

(٤) XLIII, p. 143.

سيتكرر حدوثها فى نفس الظروف ... بل وأكثر من ذلك اخترعت فروض معينة وبصــور مختلفة من تداعى الخواطر استنتجوا ما ينبغى حدوثه .

وكانت أكباد الحيوان تعتبر مقر الحياة . ومن ثم كان هذا العضو يسمح للمرء أن يرى فيه كما يرى فى المرآة نوايا الاله الذى تقبل الحيوان المضحى كتقدمة . ومع ذلك فقد كان من الضرورى لمباشرة ادراك الغيب عن طريق الكبد ان يختار حيوان مبرأ من العيوب وأن يضحى به وفقا للشروط المقررة فى الطقوس والتى تختلف باختلاف ساعات النهار . ففى الفجر مثلا كان المعبود على استعداد لأن يتقبل شاة وكان العراف يضع أمام الاله موقدا وعلى مائدة خلف الموقد أربعة أوان بها خمر السمسم و ٣٦ كعكة ومزيجا من الزبد والعسل ثم الملح أخيرا . وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد يمسك بصاحب القربان من يده ويتلو هذه الصــلاة : « فلان عبدك » ! هلا يقدم تضحيته فى ساعة الصباح ! ألا فليقدم نفسه أمام عظمة ألوهيتك ! ألا فليكن مرضيا لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الجيد والأعضاء الصحيحة » وبعد أن تضحى التضحية كان نصيب الاله الفخذ اليمنى والكليتين وقديدا . وقد عدد أحــد الكتب العلامات التى قد يكشفها العراف فى الكبد وحدد أيها مناسب وأيهـا غير ملائم . ولقد احتفظ بالملاحظات التى بنيت على الأحداث التى حلت بأسرة أجاده . ولدى المتحف البريطانى كبد من الطين تنقسم الى خمسين قسما يتصل كل منها بعلامة من العلامات المختلفة .

أما ادراك الغيب عن طريق استقراء الأوانى فقد كان الاشتغال به أيسر وكان العراف يستطيع دون تردد أن يذكر أن كان المريض موضع الاستشارة سيشفى أو يموت ، وان كان المشروع المقترح سيصيبه النجاح أو الفشل وذلك تبعا للوضع أو الصورة اللذين تسقط بهما نقطة الزيت فى اناء الماء .

(ب) الظواهر العرضية :

ولكن هناك ظواهر لا يبحث عنها الانسان بل تفرض نفسها للملاحظة وهذه الظواهر يمكن أن تكون أيضا بشيرا بالحظ الحسن أو نذيرا بسوئه مثال ذلك الشذوذ فى ولادة الأطفال أو الحيوانات ذلك الشذوذ الذى يعتبر فالا للبيت الذى يحدث به وأحيانا للمدينة أو الولاية . فربما دعا تشابه طفيف فى الرأس الى القول بأن المرأة ولدت أسدا وهذا يوحى بفكرة القوة والسيطرة وهى علامة طيبة للبيت أو البلد . وان كان رأس الطفل يذكر بالحمار أو الحمل فان هذه أيضا علامة طيبة . أما الكلب

والثعبان فيحملان الفأل السيىء • وحركات الحيوانات وتصرفاتها لها قيمة تنبؤية تختلف باختلاف زمان ومكان الملاحظة : فدخول كلب أبيض الى القصر ينبىء بحصـــار المدينة ودخول الجارح من الطير الى البيت نذير بموت صاحب هذا البيت والصراصير فأل سيىء للبيت الذى توجد به . هذا الى أن جميع ظواهر الجسم الانسانى قد أوجدت مجالا لتفسيرات تناقلتها الأجيال بعضها عن البعض جيلا بعد جيل وجمعها آشور بانيبال فى مكتبته العظيمة فى نينوى •

(جـ) الأحـــلام :

كان الآلهة يحبون أن يتصلوا بالأتقياء من الناس وأن يعلنوا اليهم ما سوف يحل بهم من أحداث عن طريق الأحلام • وحين كان يحزب الأمر كان الأمير أو العراف يلتمس هذه المنحة بالتوجه الى المكان المقدس والنوم فيه • ولذا نرى اياناتوم ايشاكو لجش حين هاجمه رجال أوما ــ وهم الذين هزموا جو ادين ننجرسو ــ ولم يكن مستعدا لذلك ••• نراه يرقد فى معبد الهه حتى يعرف عن طريق الحلم أى طريق يجب عليه أن يسلكه • ووقف ننجرسو عند رأسه وكشف له عن أن بابار سيسير الى جانبه ووعده بالنصر (١) •

كذلك كان حلما ذلك الذى تلقى فيه جوديا الأمر باعادة بناء « اننو » المعبــد الرئيسى فى لجش (٢) « تنهــد جوديا قائلا هلم فلأتكلم فلأردد هذه الكلمات ! أنا الراعى • لقد أعطيت لى السيادة كهدية • حضر الى شىء فى منتصف الليل ••• شىء لا أعرف معناه ••• هلا يسمح لى ان أمكن ان أقص حلمى على أمى عسى العرافة ــ تلك التى لديهــا معرفة ما يناسبنى ــ عسى الهتى نينا أخت سيراراشوم تفسره لى ! » وقد قدم تضحيات الى ننجرسو والى الالهة جاتوم دوج • وبعد تضحية جديدة ، تمجيدا هذه المرة لـ « نينا » ، وجه دعاءه لها قائلا : « أى نينا أيتها الملكة يا سيدة القرارات التى لا تقدر ! أيتها الملكة التى هى مثل النيل تحدد المصير ! أى نينتى ! ان كلمتك صادقة وتلمع فى أعلى نقطة ••• أنت عرافة الآلهة أنت ملكة الأقطار ــ أيتها الأم مفسرة الأحلام ــ فى وسط حلمى لقد أمرنى رجل ترتفع هامته الى السماء وهيكله ينافس الأرض ضخامة ••• كان الها ما دام التاج على رأسه والى جانبه الطائر المقدس امجيج وعند قدميه اعصار وعلى يمينه والى يساره أسد رابض ••• لقد

(١) LXXVI. p. 27.

(٢) Ibid, p. 137 et suiv.

أمرني أن أبني بيتي ... لم أعرفه ... أشرقت الشمس من الأرض ... امرأة . ـ ألم تكن هي ! من كانت ؟ ـ كان في يدها قلم طاهر وكانت تحمل لوحة نجم السماء السعيد . وكانت تحمل النصح في شخصها . رجل آخر شبيه بالمحارب كان يحمل في يده لوحة من اللازورد وكان يخط تصميم معبد ووضعت أمامي الوسادة الطاهرة ووضع فوقها القالب الطاهر وفي القالب كان طوب القدر ... وضع أمامي ... المقدس ... وكان الحمار مضطجعا على يمين ملكي » فأجابت تينا أم الايشاكو عليه قائله : « أى راعي ان حلمك سأفسره أنا لك . أما الرجل الذي تنافس قامته السماء وتنافس الأرض الذي هو اله بالنسبة لما هو على رأسه والذي الى جانبه الطير المقدس أمجيج وعند قدميه اعصار والى يمينه ويســاره يربض أسد ... اني أخي ننجرسو . انه أصدر اليك أمرا أن تبني بيته الـ « اننو » أما الشمس التي أشرقت أمامك فانهــا الهك ننجزيدا : انه يخرج من الأرض مثل الشمس . أما المرأة الشابة التي ... التي تمسك في يدها قلما طاهرا وتحمل لوحة النجم السعيد وتحمل النصح في شخصها ... انها أختي نيسـابا : لقد أعلنت لك النجمة الطاهرة عن بناء المعبد . أما الرجل الآخر الذي يشبه المحارب والذي يحمل في يده لوحة من اللازورد ... انه « نندوب » هو ... تصميم المعبد . أما الوسادة الطاهرة التي وضعت أمامك والقالب الذي وضع فوقها وطوب القدر بداخل القالب ـ انه الطوب المقدس لـ « اننو » . أما ... المقدس ... الموضوع أمامك الذي ... فان هذا معناه أنه لكي تبني المعبد فانه يجب ألا يكون أمامك سرور . أما الحمار الذي يضطجع الى يمين الملك انه أنت . أنت تضطجع على الأرض في اننو مثل ... » .

وبعد أن نبهت الى ما يعمل بصدد تقديم هدايا معينة للاله أنهت حديثها بقولها : « ننجرسو ... سيكشف لك عن تصميم معبده . والمحارب الذي له القرارات العظيمة سيباركك » . وبعد ألفي عام دعي نابونيد آخر ملوك بابل بواسطة الحلم ليعيد بناء معبد هو معبد « أي هولهول » للاله « سن » في « حران » ...

وكان يعهد بتفسير الأحلام الى كاهن خاص هو « الشائيلو » .

(د) التنجيم : الظواهر الجوية

كان يظهر الآلهة رغباتهم كذلك على طريق حركات النجوم وكان المنجم يستطيع أن يقرأ على القبة ذات النجوم ما سوف يحدث على الأرض . و (سن) اله القمر مثلا لم يكن يظهر دائما في أول الشهر وكان أحيانا يختفي في اليوم السابع والعشرين وأحيانا في الثامن والعشرين وأحيانا

يظهر تاجه في أقصى لمعانه في الثالث عشر أو الرابع عشر وأحيانا في الخامس عشر وأحيانا في السادس عشر • ومن هنا خرجت تفسيرات مختلفة خاصة بشئون الدولة التي تتصل بها هذه الظواهر مباشرة • وكان الأمر كذلك بالنسبة لظواهر اله الشمس شماش وللالهة عشتار (كوكب الزهرة) ومردوك (المشتري) ونجوم أخرى • واليها كانت تنسب الأحداث السعيدة أو السيئة التي تحل بالبلاد : مثل الحملات الحربية والغزوات ومرض الأمير أو موته والقحط والفيضان ••• الخ •

وقد أضيفت اليها الظواهر الجوية كالزوابع والأمطار والبروق والزلازل كظواهر للاله « أداد » سيد العاصفة •

١١ ـ الكاهنات

لم يقصر الدين السوميرواكادي الوظائف المقدسة على الرجال ، بل كان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات • ولقد كانت أم سرجون الأجادي كاهنة وفقا لتقليد معين • أما والدة (كاهنة) جلجامش فكانت تفسر الأحلام وهي التي أخبرت البطل بوجود « انكيدو » (١) • وبالمكتبة الأهلية بباريس خاتم اسطواني لكبيرة كاهنات الاله « أداد » • وكان تعيين كبيرة الكاهنات يتم عن طريق الفأل كما هي الحال بالنسبة لكبير الكهنة ولدينا دليل على ذلك اسم لعام سابق لعصر أور (٢) • وبعد عشرين قرنا أعلن نابونيد الذي كانت أمه كاهنة لـ (سن) في حران انه ان كان قد كرس ابنته لمعبد أور فانه فعل ذلك بناء على رغبة المعبود : (٣) « لما كنت مشغولا بهيكله ودعوت جلالته عنيت بالرغبة التي كشفها لي وقدرتها حق قدرها ولم أرفض رغبته ولبيت دعوته فرفعت الى مرتبة الكاهنة الابنة التي خرجت من قلبي وسميتها باسم « بعل شالتي ننا » ثم أدخلتها الـ (أي جيبار) » • وكان الايجيبار مسكنا بني فوق شرفة مزروعة أشجارا وكان مخصصا لسكني الكاهن الأكبر والكاهنة الكبرى •

ومن بين اصلاحات أوركا جينا اشارة الى مخصصات كبيرة الكاهنات • ويقابل اسمها السوميري « نن دنجير را » زوجة الاله الكلمة السامية « انتوم » مؤنث « أنوم » en بالسوميرية) وهو اسم كبير الكهنة • وقد

(١) XLI, No. 96.

(٢) LXXVI, p. 329.

(٣) I. t. XI, p. 144.

نظم قانون حمورابى مركزها القانونى سواء أكانت متصلة بمعبد مردوك أم نذرت لخدمة اله آخر • وكما أنه من المحتمل وجود عدد من كبار الكهنة لنفس الآلهة تحت سلطان كاهن أعظم بمثابة رئيس عليهم فان الحال كذلك بالنسبة للمعابد الرئيسية حيث توجد مجامع حقيقية من كبيرات الكاهنات مختارات من أرقى طبقات المجتمع وكانت الـ « سال مى » (زوجة الاله) والـ « قاديشتوم » (المكتملة الصحة) والـ « زر ماشيتوم » كاهنات كذلك وكانت عبادة عشتار تضم كذلك طبقات ثلاثا من بنات الهوى اللواتى يعشن فى الـ « جاجوم » تحت رعاية احدى الـ « اوكورتوم » كما أنه كان يوجد بالقرب من نفس المعبد مبنى للرجال يديره كاهن أكبر يدعى « أكوروم » •

ولم تكن بنات عظماء النبلاء يحتقرن الوظائف الدنيا فى العبادة المقدسة والدليل على ذلك أن حفيدة نارام سن المدعوة « ليبوش ياو » كانت عازفة على القيثار للاله سن (١) • ومن العصر الكاسى مثلت على كودورو ـ ناقص لسوء الحظ (٢) ـ امرأة تحمل جعبة وقوسا فى موكب من الكهنة الموسيقيين وهى تضرب على نقيرة (طبلة) وكذلك يظهر أنها امرأة تلك التى تضرب على آلة موسيقية وترية كبيرة فى صحبة يافع فى منظر لحفل دينى من عصر جوديا (٣) •

١٢ ـ ضرورة الدين

فسر السوميروآكاديون أصل الانسان بمختلف الوسائل فى الأشعار الدينية والشعبية ولكنهم اتفقوا جميعا على نقطة هامة هى أن المعبود صنعه من كتلة من الطين وأنه خلق من أجل خدمة الآلهة • ويبين علم تكوين المخلوقات الكلدانى (٤) « أن مردوك قد خلق البشر كى يقدم للآلهة مسكنا يأوون اليه حتى يسعد قلبهم • وقد سهم معه أرورو فى اخراج بذرة البشر » • وفى « قصيدة الخليقة » نرى نفس الاله ينوى ايجاد الانسان عن طريق عجن الطين بدمه هو (٥) حتى يقيم عبادة الآلهة •

---

(١) LXXVI, p. 237.

(٢) انظر الشكل رقم ١١ • XVIII t, VII p. 149.

(٣) انظر الشكل رقم ١٤ • I, t. IX, pl. III

(٤) XLIII, 87.

(٥) Ibid, p. 64.

وكان هذا الخلق يتم فى صورة المعبود وكان كل اله يستطيع أن يسهم فيه نظرا لأنه يتكرر كلما حلا لهم ذلك • وكان الخالق يشكل فى قلبه « صورة انو » ويأخذ طينا يشكله بهذا الشبه • وقد فعل أرورو ذلك ليخلق جلجامش والمسخ « انكيدو » آما ايا وهو أحد الآلهة الذين ينسب اليهم القصص البدائى•ظهور الانسان على الأرض فانه خلق « أسوشونامير » و « ادابا » بنفس الطريقة • وفى زمن الطوفان ادعت عشتار أنها أم البشر وصاحت قائلة : « أخلقت الناس كصغار السمك ليملأوا البحر ؟ » (١) •

وكان الآلهة ـ اذا قصرت البشرية فى مهمتها ـ توقع بها عقوبات مروعة : كالفيضانات التى تحيل البشرية طينا ووحلا والقحط والمجاعة والأوبئة • وفى كل هذه المصائب كان الاله ايا يظهر نفسه دائما عطوفا يسعى الى انقاذ البشر •

١٣ ـ الرجل والهه

وكان كل انسان يعتمد على اله هو ملاكه الحارس وكان يطلق على نفسه « ابن » هذا الاله • وكان أمراء لجش من أسرة أورنينا تحت حماية اله واحد « دون اكس » ، أما أورو كاجينا فقد ادعى نسبته الى ننشوبور • وأما خصمه « لوجال زاجيسى » فقد كانت المعبودة نيسابا معبودته الشخصية • وقرر جوديا صراحة أنه ابن ننجزيدا وكثيرا ما نراه يدعوه « الهه » ويوقره بصفة خاصة • وفى القرن السابع نجد « شماش شوم أوكين » ملك بابل يستمر فى تقاليد الألف الثالثة حين يقول فى رقبة : « أنا شماش شوم أوكين ابن الهه ، الذى الهه مردوك والهته زر بانيتوم » •

وأنا لنجد بصفة خاصة فى عصر الأسرات الأمورية فى ايسين وبابل اشارات الى هذا المذهب الدينى فى قوائم الأسماء • فهناك أسماء مركبة من ايلى (الهى) : ايلى دورى (الهى قلعتى) وايلى أنام (كن رحيما يا الهى) وايلى أمرانى (الهى انظر الى) وايلى جملانى (يا الهى اعف عنى) وايلى اشمينى (الهى استمع الى تضرعى) وايلى امورروم (الهى أمورو) واليما أبى (حقا أن الاله أبى) وما نوم كيما ايلى (من مثل الهى ؟) وهناك غيرها تحوى مقطع ايلوشو وايليشو (الهه) مثل : ايلوشو أبوشو

(١) Ibid., p. 113.

(الهه أبوه) وايلوشمو ابنيشى (الهه خلقه ، وايلوشو ابنيشو (الهه سماه) وشا ايليشو (ملك الهه) وجميل ايليشو (عطية الهه) وابيل ايليشو ، مار ايليشو (ابن الهه) ، ومانوم بالو اليشو (من يستطيع الحياة بغير الهه ؟) .

وأسماء النساء كذلك تقدم دليلا على نفس المعتقد الدينى ف « ايلى امدى » (الهى سندى) و « ايلى افيليم رابى » (اله الانسان عظيم) .

وكان الاله يهتم بالرجل الذى هو حارسه . وكان يعمل كوسيط بينه وبين المعبودات الأخرى . وينهى أوروكاجينا بعض نقوشه بهذه الصيغة : « ألا فليسجد الهه ننشوبوز فى الأيام القادمة من أجل عمره أمام ننجرسو » ونحن نجد صيغة مماثلة فى نصوص انتمينا ولكن هذا الأمير يكتفى بأن يختم قصصه باشارة بسيطة الى حاميه « الهه » هو « دون اكس » .

ولما أخذ جوديا على عاتقه أمر اعادة بناء ال « اننو » أمسكه الهه ننجزيدا من يده خلال الموكب الذى كان يسبق صنع اللبنة الأولى فى هذا الأثر . وهذا واحد من إلطقوس التى يتكرر ظهورها فى الآثار المنقوشة . ويمثل الختم الاسطوانى للايشاكو المشهور (١) منظرا مماثلا . ونحن لو كان لدينا بقية من التردد فى معرفة الأشخاص فان واحدة من اللوحات المقامة تطرد كل الشكوك فانه فوق نفس صورة الأمير نجد اسمه مكتوبا داخل خانة ملكية (٢) .

وفى العصر المذكور كان الموضوع المحفور على الأسطوانة يمثل عادة منظر طقس يقاد فيه صاحب الختم الى حضرة معبود آخر بواسطة الهه . وأحيانا حين يقاد من يده كان يرفع يمناه الى فمه وأحيانا يقف فى خشوع ويداه معقودتان الى بعضهما وخلفه الهه يتشفع له (٣) ذلك لأن اله الرجل هو حاميه وشفيعه لدى المعبودات الأخرى . وهكذا فاننا نجد فى عصر الأسرة البابلية الأولى أنه حيث تقوم الأسماء الشخصية دليلا فى أمثلة عديدة على الاعتقاد فى اله حارس نرى الحفر على الأحجار يقدم كذلك شهادة تؤيد ذلك الأمر . فان البابلى التقى كان يحب أن تنقش أسماء الهه والهته فى الكتابة التى على أسطوانته سواء أوصف نفسه كخادم أم تناسى نفسه أمام المعبود ولم يذكر شيئا عن شخصيته وانه لمن الخطأ

---

(١) شكل ٣١ .

(٢) CIV, fig. 368, d.

(٣) XLI, p. 49, 57.

أن نبحث عن أية رابطة مباشرة بين النص والموضوع الذى يحفر على نفس الحجر : فان هذا لم يكن أمرا يشغلهم (١) ٠

ولقد كان أداد اله الصاعقة : وقد مثله خادمه أويل أداد ٠٠ ويتميز اله الغرب بعصا معقوفة : وهو يحمى زازوم الذى مثله كذلك على خاتمه ٠ وفى مكان آخر نستطيع ان نقرأ الى جانب الهة الحرب أسماء انليل ونتليل ونرجال وباد ٠ كما تظهر أسماء الاله شماش والاله ايا منذ عصر أور أمام الملك المقدس الى جانب أسماء أداد وشالا كذلك ٠ وهى موجودة فى عصر الأسرة الأولى ليس فقط مع اله الشمس فحسب ، بل معبودات أخرى كذلك ٠ وهذان الاسمان منقوشان على أسطوانات معينة مثل فيها الحفار اله الغرب ٠ ولقد بدأت تنتشر عادة اختصار الموضوع تحت حكم الملوك الأخيرين للأسرة ثم شاعت تحت حكم الكاسيين فلم يعد يمثل سوى شخص واحد وهو يقدم وعاء ٠ ولكن الكتابة التى عليها اتسعت وتحولت الى نص طويل ٠ وقد حدث ذلك بالنسبة لأسطوانتين تحملان تقديسا لـ « جولا » واله الغرب دون وجود صورة ما (٢) ، وفى مكان آخر نقرأ مثلا : « الى جيرا المولى العظيم الذى يزيد فى الغلال ويكثر فى الكائنات الحية ويخلق خلقا وريثا واسما لـ « مانوم بالوايليشو » بن « أدين بلتو » خادم جيرا والهة أجاده » (٣) كما نقرأ : « الى مردوك الاله المتعالى الاله الرحيم على شماش شيبير الخادم الذى يوقره » (٤) ٠

١٤ ـ الخوف من الآلهة
(الصلاة والقربان « التضحية »)

كان أول واجب فى الدين هو الخوف من المعبود ٠ وكان حمورابى « يخشى الآلهة » وكان نبوخذ نصر الثانى « بكل قلبه المؤمن يحب خشية معبوداته » ويرتعد أمام سطوتهم ٠ أما نابونيد « الذى يمتلىء قلبه رهبة فيرعى كلمة الآلهة » فانه مع ذلك يقول كيروش ان مردوك عاقبه وهجره « لأنه لم يرهبه » ٠

---

(١) Ibid Nos. 250, 256, 233, 227, 228, 226, 106, 116, 117, 118, 160, 148, 149 203, 217, 162, 289, 291, 295, 296, 288, 294

(٢) I, t. XVI, p. 6 et 89.

(٣) XLII, 298.

(٤) XLIX, 266.

وكان الواجب الثانى فى الدين هو الدعاء أو الصلاة والتضحية :

« قدم الخضوع كل يوم لالهك :
التضحيات والصلوات والبخور الواجب
ليكن قلبك نقيا أمام ربك !
ان هذا هو ما يرضى المعبود
ان أنت قدمت التوسل والدعاء والصلاة والسجود فى كل صباح
فانه سيمنحك كل الكنوز
وسوف تزدهر أيامك بفضل الهك
وبعقلك راع اللوحة :
الخوف يولد الرفق أو العاطفة
والتضحية تطيل العمر
والصلاة تخلص من الاثم » (١) ٠

وكان القربان يتكون من طعام مقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحة ٠ وكانت السوائل تستخدم عن طريق اهراقها (ازاقتها) وتبين الأسطوانات واللوحات المحورة ذلك ٠ وقد قدم « لوجال زاجيسى » ملك أوروك خبز التقدمة وماء نقيا لاله نيبور وأقام جوديا فى الـ « باجا » مائدة القربان التى اجتمع حولها آلهة لاجش ، كما وضع حمورابى مأكولات وأطعمة طاهرة أمام الآلهة ٠ وصب نبوخذ نصر نبيذا « فى وفرة ماء النهر » على مائدة مردوك وزربانيتوم ٠

وتقدم قوائم الطقوس بيان التضحيات التى تختلف تبعا للغرض المراد وهاك ما قدمه بارو عند الفجر من أجل متعبد تقى لشماش فقد وضع موقدا أمام كل من المعبودات الثمانية : شماش ، أداد ، مردوك ، ايا ، بونين ، كيتو ، ميشارو واله المتعبد الشخصى ٠ وعلى مائدة خلف كل موقد وضع أربعة أوان من نبيذ السمسم و ٣٦ رغيفا ومزيجا من الزبد والعسل ثم ــ أخيرا ــ الملح وبعد أن ينفخ الكاهن الموقد أمام شماش أخذ صاحب التقدمة من يده وبدأ يتلو صلاته « فلان خادمك ٠ ألا فليسمح

---

(١) XLIV, p. 21.

له في ساعة الصباح أن يقدم لك التضحية · ألا فليرفع الأرن ويقف أمام عظمة ألوهتيك · الا فليكن مرضيا لعظمة ألوهيتك بفضل هذه الشاة ذات اللحم الطيب والأعضاء المكتملة » (١) ثم تذبح التضحية ويتقبل الاله نصيبه وهو الفخذ اليمنى والكليتان وقديد ·

وكانت ذبيحة الدم عادة حملا أو جديا · وهي تصور كثيرا في المناظر المحفورة في الألف الثالثة والواقع أن الحيوان كان يمثل حقيقة صاحب القربان :

« الحمل فداء للبشر

لقد قدم حملا بدلا من حياته

لقد قدم رأس الحمل بدلا من رأس الانسان

لقد قدم عنق الحمل بدلا من عنق الانسان

لقد قدم صدر الحمل بدلا من صدر الانسان » (٢) ·

وكانت الحيوانات الأخرى على كل حال تستطيع أن تؤدى نفس الغرض للتكفير عن أخطاء المريض كان يضحى خنزير · يقول الكتاب : « قسم الخنزير الى ستة أجزاء وضعها على المريض وطهره بالماء المبارك للابسو وأحضر اليه الموقد والمشعل وضع بالقرب من الباب المغلق مرتين سبعة رغفان سويت تحت الرماد · وقدم الخنزير بديلا منه ··· اللحم بدلا من لحمه والدم بدلا من دمه ·· دع الشياطين تتقبله · ان القلب الذى وضعته الى جانب فراشه أعطه بدلا من قلبه وليتقبلوه » (٣) ·

وكانت الذبائح المضحاة تنظم في عناية · وقد حدد جوديا ــ بعد أن عمل لوجال أوشو مجال ذلك أيضا ــ عدد الأسماك والثيران والنعاج والحملان والخيل التي يضحى بها في معابد لجش باسم المدينة لمناسبة أعياد السنة المهمة · وقد فرض دونجي مبالغ لمحافظي المدن ليضمن تنظيم الذبائح الشهرية تكريما لانليل · ويوضح نابوابال أدين تفصيلات عن

---

(١) Ibid, p. 107.

(٢) XLIV, p. 274 ; XLI No 157.

(٣) XLIV, p. 273.

القرابين التى كانت ستقدم مستقبلا لشماش وذلك فى لوحته الخاصة بعبادته فى سيبار (١).

وكانت الذبائح (التضحيات) المنتظمة العامة تختلف بالضرورة تبعا للموارد التى كانت تحت تصرف كل معبد . ففى أوروك (٢) فى معبد أنو وفى عصر معين كانت هناك يوميا وجبتان تتكونان من الشراب والخبز والفاكهة واللحوم تقدم للآلهة كل صباح كما تقدم اثنتان أخريان كل مساء وذلك طبقا لوثيقة أعيدت كتابتها فى حكم السلوقيين .

وكان شراب أنو يقدم فى ١٨ اناء ذهبيا : أربعة أنواع من الجعة والنبيذ المعصور . أما فى الصباح فاللبن فقط فى اناء من المرمر . وكان يقدم له ٣٠ رغيفا كل منها مصنوع من ٢¼ لترا من الدقيق (¾ من الدقيق الشعير و ¼ من القمح) يقدم منها ثمانية فى كل من وجبتى الصباح وسبعة فى كل من وجبتى المساء ..وكان يقدم البلح من بابل . والبلح من دلمون على شريحة من الخبز منقوعة فى الزيت . وكان يضاف الى ذلك التين والزبيب .

أما المعبودات الأخرى فكانت تتقبل أنصبة أصغر ف « انتو » لم يكن يقدم لها النبيذ . وكانت عشتار تحصل على ١٢ اناء شراب بينما لم تكن نانا تحصل على أكثر من عشرة . وكانت كل من هذه الالهات الثلاث يقدم لها ثلاثون رغيفا كباقى الآلهة يوضع منها ١٢ رغيفا أمام العرش الالهى والاله المحلى للهيكل وأربعة أمام التاجين و ١٦ أمام البرج المدرج والهه المحلى .

وكانت الصحاف الرئيسية تقتضى وجود ٢١ خروفا عمر الواحد منها سنتان علفت بالشعير . وأربع نعاج أطعمت باللبن و ٢٥ نعجة من المرتبة الثانية وثوران وعجل رضيع و ٨ حملان و ٦٠ طيرا من نوعين مختلفين و ٣ دجاجات و ٧ بطات و ٤ خنازير من المستنقعات و ٣ بيضات لورمو و ٣ بيضات من بيض البط . وكانت وجبات الصباح هى الأكثر أهمية فكان لافطار الصباح ١٨ نعجة وثور واحد وعجل رضيع . وللغذاء ٦ نعاج والثور الآخر والحملان ومعظم الدواجن والبيض . وأما وجبة المساء فعشر من النعاج ومثلها من الطيور . وأما العشاء فعشر من النعاج فقط .

---

(١) XLIII, p. 391.

(٢) LXXVII, B.

وتقدم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المقدسة التى تباشر خلال الأعياد ، وان نحن ضممنا النصوص المجزأة المتعددة الى بعضها لاستطعنا أن نعيد منها تشكيل أعظم جزء من نظام الاحتفالات خلال « اكيتو » مردوك وهو أعظم أعياد بابل شأنا (١) ٠

وكان ال « أوريجاللو » (كبير كهنة اكوا) يستيقظ فى اليوم الثانى من شهر نيسان قبل نهاية الليل بساعتين ويطهر نفسه بماء النهر ويرتدى ثوبا من الكتان ويدخل الى قدس أقداس مردوك ويتلو فى السر دعاء ثم يفتح الأبواب حتى يباشر السحرة والكالى والمغنون واجباتهم الطقسية كالمعتاد ٠ وكانت تعمل فى نفس اليوم استعدادات مختلفة وكانت توضع أشياء معينة أمام الآلهة ٠ وفى اليوم الثانى كان احتفال الهجعة الأخيرة الشهيرية مماثلا لما سبق ٠ وبعد غروب الشمس بساعات ثلاث كان يستدعى ثلاثة من الصناع وأحد النساجين الى المعبد ، ليصنعوا تمثالين صغيرين ارتفاعهما سبع أصابع مزينين بالذهب وبالأحجار الكريمة ومرتديين ثوبا أحمر ومحزومين بحزام من سعف النخل ٠ وكان أحدهما يصنع من خشب الأرز ويمسك فى يسراه ثعبانا والآخر من خشب الأثل (الطرفاء) ويمسك عقربا ٠ وكلاهما يرفع يمناه أمام « نابو » عند وصوله الى ال « اى هورساج تيلا » فى اليوم السادس ٠ وعندئذ يقطع رأسيهما سياف ويرميهما الى الموقد ٠ ومن اللحظة التى يبدأ العمال فى صنعهما حتى ساعة احراقهما يتناول هؤلاء العمال خير القطع المنتقاة من موائد التضحيات ٠ وكان الصائغ يعطى صدر نعجة ٠ ونحات الخشب فخذا ٠ والنساج الضلوع ٠ وكانت الكتف تحجز وتخصص لصانع ثالث يدعى « جورجورو » (أى حفار المعادن) ٠

وفى اليوم الرابع كان الاحتفال السرى يحوى وردين ويبدأ قبل الفجر بأربع ساعات ٠ وبعد مشرق الشمس بساعتين يبدأ تطهير المعبد فيرشه أحد السحرة بالماء الذى يؤخذ من بئر الفرات ومن خزان دجلة ثم يقرع الدفوف النحاسية ويستعمل مجمرة ومشعلا ولا يدخل الى هيكل مردوك حيث يظل ال « أوريجوللو » داخله والباب مغلق عليه ٠ ثم يذهب بعد ذلك الى معبد نابو ويباشر نفس الطقوس هناك ويلمس بزيت الأرز مصاريع الأبواب ويمسح الحوائط بجسم شاة لا يزال دافئا ويكون السياف قد قطع رأسها لتوه ٠ ثم يخرج هذان الرجلان الى الخلاء وأحدهما يحمل جسم الحيوان والآخر رأسه ويلقيان بهما فى الفرات ٠ ولما كانا

---

(١) LXXVII, b.

قد تدنسا كنتيجة لاتصالهما بالذبيحة ، فانهما يبقيان خارج أسوار المدينة طيلة عيد الـ « اكيتي » أما الـ « أوريجللو » فكان يظل داخل قدس الهيكل كي يجتنب التدنيس ولو بمشاهدة المعبد أثناء تطهيره ٠

وعقب الساعة الثالثة بقليل يخرج ويستدعي الموظفين التابعين له ثم يذهبون الى الخزانة لاستحضار « السماء الذهبية » ويغطون معبد نابو من أعلاه الى أساسه وبعد حين يعد الـ « أوريجاللو » ذبيحة أمام مردوك ثم تنقل المائدة الذهبية التي استعملت في هذا الغرض الى ضفة القناة حتى يستطيع نابو استخدامها في لحظة رسوه ٠

ويصل الملك في نفس اليوم وربما كان يصحب اله بورسيبا ويقاد الى الايساجيل ويترك وحده في الفناء الرئيسي وعندئذ يخرج الأوريجاللو من الهيكل ويخلع عن الأمير علامات الملك والصولج والدائرة والعصا ذات الأسنان والتاج ويذهب ليضعها جميعا على مقعد أمام تمثال مردوك ثم يعود الى الأمير ويضربه على الخد ويقدمه الى حضرة الاله ويشد أذنيه ويجعله يركع ٠ ثم يتلو الملك اعترافا سلبيا :

« أنا لم أرتكب اثما يا سيد الأراضي ٠ أنا لم أهمل فيما يختص بالوهتيـــك

أنا لم أحطم بابل ولم آمر بتفرقتها

أنا لم أهز الايساجيل ولم أنس طقوسه

أنا لم أضرب الزوار على خدودهم ولم أسبب لهم مذلة

لقد عنيت ببابل ولم أهدم حوائطها » ٠

فيجيب الأوريجاللو الملك « لا تخف ٠ سيباركك بعل الى الأبد وسيحطم أعداءك وسيهزم خصومك » ٠

ثم يخرج الملك من الهيكل وتعـاد اليه عـلامات الملك ويضربه الأوريجاللو مرة أخرى على الخد ويجب عندئذ أن تتساقط دموعه والا كان ذلك طالعا سيئا معناه أن الاله غاضب وأن اعتداءات ستحدث وأن نهاية الحكم أذنت ٠

وفي نفس اليوم بعد غروب الشمس بقليل يصنع الأوريجاللو حزمة من أربعين قصبة تربطها الى بعضها سعفة نخيل ثم يضعها في حفرة في وسط الفناء الرئيسي للمعبد ويسقيها بالعسل والقشدة والزيت ويقاد الى هناك ثور يضحى ويشعل الملك بنفسه الحزمة بواسطة غصن مشتعل ٠

وربما كان اليوم السابع من الشهر ـ كما هي الحال في أوروك ـ مخصصا للاستعدادات النهائية للموكب والباس مردوك .

أما اليوم الثامن فكان الاله يغادر فيه هيكله • وكان الملك هو صاحب الحق في « أخذ يده » ليقوده الى ال « اكيتي » • أما في المدن الأخرى حيث كان يتمتع بنفس الامتياز فانه كان يجوز للملك أن يرسل ثيابه لتمثله • ولكنه كان مضطرا في بابل أن يحضر شخصيا والا فان الموكب لا يتحرك وفي هذا كارثة شاملة لأن أقدار السنة سوف لا تقرر •

وكان مردوك يتوقف عند خروجه من الهيكل • كان يتوقف « بين الأستار » في مذبح مقام في وسط الفناء الرئيسي حيث تكون وضعت (طبقا للنظام المقرر للاحتفال) العلامات المقدسة والآلهة الذين يسمح لهم أن يكونوا في الركب وقد حدد الطقس التضحيات التي تقدم والأغاني التي تردد • أما في المحطة الثانية فكان مردوك يجلس على مقعد أمام نجمة نجهل اسمها • وتقع المحطة الثالثة في « دو ـ أزاج » هيكل الأقدار • وعند مغادرة الدو أزاج يترك الموكب أبهاء الايساجيل ويتحرك على الطريق المقدس متجها الى الشمال ومارا خلال بوابة عشتار حتى يصل الى الفرات • وهناك يدخل الاله الى قاربه كي يذهب وينزل الى البر على رصيف ال « اراهتو » ومن هناك يذهب الى ال « أكيتو » الخاص به المسمى « ايزورر » أي « معبد الصلوات » ويظل فيه حتى اليوم الحادي عشر من الشهر ثم يخترق الموكب مرة أخرى نفس الطريق في الاتجاه المضاد • وبعد وقفة أخرى عند ال « دو أزاج » يدخل مردوك الى هيكله مرة أخرى • وفي اليوم التالي يعود نابو الى بيته في بورسيبا •

١٥ ـ الخطيئة

كان مصدر كل خير للرجل رضى الهه عنه وكان فقدان هذا الرضى أصل كل المتاعب • وكان الاله الحارس مسئولا بطريقة ما عن الأخطاء التي يرتكبها من هو في حمايته ضد الآلهة الآخرين وكان عليه أن يعاقبه عليها • ويقول كاتب لاجاش الذي كان يرثي تدمير بلدته صراحة : « لم يكن هناك اثم من ناحية أوروكاجينا ملك جرسو • أما من ناحية لوجال زاجيسي ، ايشاكو أوما ، فلتحمل نيسابا الهته هذه الخطيئة فوق رأسها » (١) • ولكن كيف كان المعبود الغاضب يعبر عن سخطه ؟ انه كان في الأوقات العدياة يسكن جسد خادمه وحين يضطر لاظهار عدم رضائه من أجل اثم فانه كان ينسحب منه فتأتي الأرواح النجسة للتو لتحل محله وتجر معها في موكبها المصائب والشقاء • « ان من لا اله له

(١) LXXVI, p. 93.

يدثره الصداع كثوب يسير فى الشارع » . « ان من ليست له آلهة حامية يحطم كيانه الصداع » (١) .

ولكي يعود اليه رضى الهه كان يلجأ الى السحر لطرد الأرواح وتكتسب رعايته من جديد عن طريق التكفير والتضحيات والتطهيرات ـ وفوق كل شيء ـ الصلاة المصحوبة بمظاهر طقسية . وتحوى « مزامير التوبة » الاعتراف بالخطيئة المعروفة أو غير المعروفة وتنتهى أحيانا بأنشودة مديح :

« مولاى ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
الهى ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
الهى ! ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
أيها الاله الذى أعرفه أو الذى لست أعرفه ان آثامى كثيرة وذنوبى فظيعة
أيتها الالهة التى أعرفها أو التى لست أعرفها ان آثامى كثيرة ذنوبى فظيعة
ألا فليخف الغضب فى قلب مولاى
ليهدأ الاله الذى أعرفه أو لا أعرفه
لتهدأ الالهة التى أعرفها أو التى لست اعرفها » (٢) .

ويكشف الاعتراف السلبى جزئيا عن الذنوب التى قد يقترفها المؤمن وفيه ـ بعد الاشارة الى الخطأ الذى يرتكب فى حق الآلهة ـ يأتى ذكر أولئك الذين يبذرون الفرقة والكذابين والمشاكسين والتجار الذين يغشون فى النوع أو الكمية أو يطففون وأولئك الذين ينقلون علامات الحدود من أماكنها ويسلبون بضائع الغير أو يضرون به والذين يزنون .

١٦ـ المجازاة (العقاب)

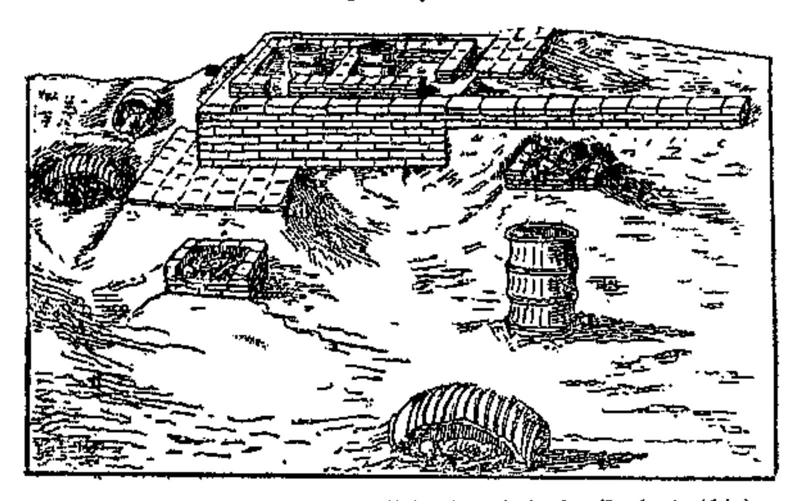
كان كل اثم ـ مهما يبلغ أمره ـ يعاقب عليه فى هذا العالم وبالمثل كان للفضيلة هنا جزاؤها . ولم يكن الانسان الذى خلقه المعبود على صورته ومن أجل خدمته ليتوقع شيئا وراء هذه الحياة التى سيغادرها ان عاجلا أو آجلا لينزل الى العالم السفلى الذى ليست هناك عودة منه « ولقد قالت الجنية سابيتو الى جلجامش انه حين خلقت الآلهة البشر وضعوا الموت نصيبا لهم واحتفظوا بالحياة فى أيديهم » وكان نبات الحياة الذى

(١) XXIII t. XVII pl. XIV ch XIX.
(٢) XLIV, p. 237.

يجب أن يؤكل للحصول على الخلود ينمو فى « الابسو » ؛ وقد حصل عليه جلجامش بعد رحلة بالغة المشقة ولكن سرقه منه ثعبان · ولقد كاد أدابا يخلص من رق الفناء لو أنه تقبل الطعام والشراب المقدم اليه من الاله انو ولكن قدره شاء له أن يرفضه · وحتى عشتار ـ رغم خلودها ـ لم تكن لتستطيع أن تهرب من الجحيم عندما نزلت اليه تبحث عن محبوبها لو لم تكن قد رشت بماء الحياة ·

وعلى ذلك فان البابلى ـ خوفا من الموت ـ كان يلتمس من آلهته أن يطيلوا فى حياته الحاضرة ولقد طلب لوجال زاجيسى (صاحب) أوروك أن تضاف حياة الى حياته (١) والتمس جوديا أياما طويلة من أجل أعماله التى تنم عن تقواه (٢) ورغب أرادسن ، أجوم كاكريم فى « مصير من الحياة » وأطلق نبوخذ نصر الثانى على الأصر الذى بناه « ألا فليعش نبوخذ نصر ! ليعش حتى الشيخوخة قهرمان الايساجيل » وقدم نابونيد هذه الصلاة الى اله القمر : « خلصنى من الاثم ضد عظمة ألوهتيك وامنحنى الحياة أياما طويلة وأما بالنسبة « لبعل شار أوتسور » أكبر الأبناء الخارجين من قلبى فضع الخوف من عظمة ألوهيتك فى قلبه اجعله لا يرتكب اثما ـ ألا فلتمتلىء نفسه بالحيا الكاملة » (٣) ·

١٧ ـ بعد الموت



(شكل ١٥) مقابر فى لجش (منقولة عن كتاب الحفائر الحديثة فى تللو ، صفحة ١٢٦) ·

---

(١) LXXI, p. 55.

(٢) LXXVI, p. 175.

(٣) XXXII, b, p. 253.

مهما يطل بقاء البابلي فانه سيأتي يوم يموت فيه · وكان الأحياء يعنون بأن يهيئوا للميت دفنه مشرفة تختلف باختلاف ثراء الميت · وقد تطورت وتبدلت على مر القرون (١) ففي سيبار مثلا في نحو نهاية الالف الثالثة كان الميت يوضع على ظهره في حوض مستطيل الزوايا من الطوب وتوضع في متناول يده أوان من الطين والبرونز · وفيما بعد تحول الحوض الى مستطيل وأصبح الأثاث الجنزي يتكون من أشياء مختلفة : كالسكاكين والموازين والحبات من العقيق والبراميل الصغيرة والسهام ··· ثم استبدل الحوض فيما بعد باناءين كبيرين من الفخار · وكان طعام القربان يقدم مرة كل شهر للراحل اتقاء لأذاه ، أكثر منه تكريما له لأنه كان من المعتقد في الواقع أن ظل الميت يفترق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول الى روح شريرة تسمى « اديمو » وتنضم الى طبقة ال « أوتوكي » الأشرار وهي لا تستريح طالما لم تدفن الجثة « ان من تبقى جثته ملقاة في الحقول يظل خياله غير مستقرّ في الأرض · وان من لا يعني أحد بخياله يقتطع ما يصل الى يده في مطافه السريع من بقايا الأطعمة الملقاة في الشارع ليأكلها » (٢) وعلى ذلك ، فان الحرمان من الدفن كان أقصى عقوبة « فلتسقط جثته وذ يجد لها قبرا » (٣) · وحين تؤدى آخر الواجبات للجسد ينزل الاديمو الى « الأرض العظيمة » · الى « بيت الظلام » « مسكن نرجال » « الى البيت الذى لا يخرج منه من يدخل فيه » وطبقا لما جاء في قصيدة « نزول عشتار الى الجحيم » (٤) كان ذلك المكان مسورا بسبع حوائط تتخلل كل منها بوابة وكان يشمله ظلام حالك في كل الأوقات وكان الموتى « وهم يلبسون ثيابا من الريش كالطيور » يأكلون التراب ويتغذون بالطمى وكان على رأس هذه المملكة نرجال واللاتو الملقبة اريشكيجال وكانت تحت امرتهم أرواح الطاعون والمرض ترقب الموتى وتمنعهم من الصعود لمهاجمة الأحياء ·

ولما رأى انكيدو رفيق جلجامش نفسه في رؤيا يتحول الى أحد ساكني الجحيم رأى هناك المولى والكاهن والساحر والنبي وكل أنواع البشر مجتمعين هناك دون تفرقة بينهم (٥) ولما استدعاه جلجامش بعد

---

(١) CX b, p. 214, 265 et suiv.

(٢) XIII, p. 315.

(٣) Ibid. p. 397.

(٤) Ibid., p. 326.

(٥) Ibid. p. 215.

موته ليستعلم عن « قانون الأرض التى كان قد رآها » كان تصويره لذلك مريرا للأحيــاء الى درجة أبكته • ومع ذلك فان المصــير المحزن بالنسبة للموتى جميعــا لم يكن واحدا فبعضهم كانت تاكلهم الديدان كقطــع من الثياب القديمة وبعضهم كان يملؤهم الغبار ولكن كان هناك بعضهم اقل تعاســة يســتريحون فوق أسرة ويشربون ماء نقيا على حين كان أولئك الذين يسقطون فى المعارك ينالون عون آبائهم وزوجاتهم (١) •

أما السماوات التى كانت مقســمة الى مساكن مخصصة للآلهة فلم تكن من نصيب البشر • فبطل الطوفان وزوجه اللذان أصبحا خالدين قد وضعا فى جزيرة نائية « عند مصب الأنهار » ولم يصعد الى السماء سوى رجلين فقط هما أدابا الأريدى واتانا ملك كيش (٢) ، وكان على أدابا بعد أن كسر أجنحة الريح الجنوبية أن يظهر أمام أنو وقد رفض ـ مستمعا فى ذلك الى نصيحة ايا ــ الطعام والشراب اللذين قدما له وقد هدأ غضبه آنو بعكس ما كان يظنه اله أريدو : ولقد كان ذلك الطعام والماء طعام الحياة وماؤها فقال له : « لم لم تأكل ؟ لم لم تشرب ؟ سوف لا تعيش ! » •

ولقد صعد اتانــا ــ الملك الثــانى عشر للأسرة الأسطوريــة عقب الطوفــان ــ الى السماء كذلك بقصد سرقة الشــعار الملكى الموضوع أمام أنو • وقد تعرف عند الجبل الذى ذهب اليه ليبحث عن « نبات انجاب الأطفال » ليضمن لزوجته أن تلد ولادة موفقة ، تعرف الى النسر الذى عرض عليه أن يحمله الى السماء • ولقد حدث ذلك الأمر مما أدهش الرعاة وكلابهم (٣) وأراد النسر بعد وصوله الى سماء أنو أن يرتفع صاعدا الى عرش شعشتار نفسه ولكن الدوار أصاب اتانا الذى يجر معه النسر أثناء سقوطه • وتوجد ثانية الاديمو الخاص بـ « اتانا » ــ كباقى المؤلهين ــ بين الموتى فى العالم السفلى (٤) •

---

(١) Ibid, p 325.

(٢) Ibid, p. 148 et 162.

(٣) XLII, 1. 97 ; CIV fig. 391.

(٤) XLIII, p. 215.

الفصـــل الثـــانى

الفنـــون

١ ـ العمـارة

كانت المساكن الأولى لسكان سوميروأكاد خياما أو أكواخا من القصب ، وكما هي العادة اليوم في هذه الأقاليم كان القصب يزرع في دائرة أو في صفين متوازيين • وكانت السيقان ترتبط الى بعضها عند ثنيها حتى تصبح على شكل مجموعة من الأقواس (القباب) وهناك شاهد قوى على ذلك من بعض المناظر المرسومة على الأسطوانات • ولما لم يكن في البلاد أحجار فان المباني كانت تغطى بطبقة من « الطين » (طمى مختلط بقش) وسرعان ما لوحظ أن الطين يكتسب من حرارة الشمس في الصيف صلابة وقد أدى ذلك الى تشكيله في صورة مكعبات تترك لتجف : ومن هنا كانت قوالب اللبن المجفف فى الشمس • وبوضعها فوق بعضها البعض قبل أن تجف تماما استطاعوا الوصول الى ما يربطها دون الاستعانة بالمونة : ومن هنا جاءت فكرة الحائط من الطوب • وقد استطاعوا أن يبنوا منازل سريعة صغيرة الحجم من اللبن المجفف في الشمس صنعت سقوفها من القصب المغطى بالطين وترتكز على ركائز من أخشاب النخيل (العروش) أما اختراع الآجر الذى يسجل تقدما جديدا فيرجع الى الصدفة : فان اللبن أصبح أشد صلابة في الموقد منه حين يترك ليجف في الشمس • وهكذا استعملت تلك الطريقة البدائية ثم تعلموا فيما بعد أن يصنعوا الآجر في أتون مغلق (قمينة) •

وأقدم أنواع الطوب من عهد الملك أورنينا فى تللو وغيرها فى أبو شهرين مستطيلة ومقببة على أحد وجوهها وأما فيما بعد فهى ملساء • وفى المبانى الرسمية نرى عليها نقوشا محفورة أو مختومة • أما أحجامها فكانت تحدد فى كل عصر على حدة سواء أكانت مستطيلة أم مربعة أم مثلثة الأركان كما هى الحال فى مغير أو على شكل أقواس محزومة للأعمدة كما هى الحال فى تللو • وأما أنواعها فتختلف من عصر الى آخر • فتلك التى تمت الى عصر نبوخذ نصر الثانى فى بابل عبارة عن طوب مربع طول ضلعه ٣١½ سم وهى تامة النضج •

وكان هناك دفعة أخرى فى هذه الصناعة الى الأمام وهى اختراع القاشانى الذى ساد استعماله فى الامبراطورية الجديدة لتكسية حوائط القصور وقد نقل البابليون هذا الفن بواسطة الأشوريين ·

ولم يكن الحجر يستعمل قبل حكم نبوخذ نصر الثانى سوى فى أرزاز الأبواب فى المعابد والمنشآت العامة ويرجع هذا الترف الى عصر سحيق وطبقا لما ذكره هيرودوت وديودور كانت هناك قنطرة من الحجر فوق الفرات عند بابل فى القرن السادس ولكن واقع الأمر أن الأحجار لم تستعمل فقط الا لتغطية الدعائم ولتسند روافد الخشب ·

ومن الملاحظ أن الدعائم السبع التى كشف عنها مصنوعة من الآجر (١) وقد استعملت الأحجار فى هذا العصر لرصف الطريق المقدس فى بابل وللحدائق المعلقة وللحائط الشمالية للقلعة ·

وكان المبنى دائما مستطيلا متوازى الأضلاع سواء كان قصرا أم معبدا أم مسكنا خاصا يرتكز أصلا على مرتفع من البناء يدرأ عنه الفيضان· وكان هذا المرتفع ويسمى « تمنو » عبارة عن أربع حوائط من الطوب الذى غالبا ما يكون آجرا يملأ ما بينها بالتراب والأنقاض وغيرها · وكانت تتخلله مجار بقصد حمايته وتجنبا لتجمع ماء المطر · وقد عثر فى سومير على بعضها عمودية مصنوعة من أنابيب فخارية ملأى ومحاطة باللخاف ومغلقة بواسطة قبعة مثقوبة بمرغاة « مطفحة » فى مستوى الأرضية (البلاط) · وكما عثر فى بابل فى المدينة من عصر البابلية الجديدة على بعضها من أحجام كبيرة مقببة بشكل جمالون وأخرى صغيرة من قالبين من الطوب على شكل ٧ مغطاة بقالب ثالث أفقى ·

وكانت المنازل تشيد أحيانا كلها من الآجر وأحيانا أخرى تقوم على بعض صفوف (مداميك) منه وقد استعملت الطريقة الأخيرة فى بابل منذ أيام حمورابى حتى سقوط الامبراطورية · أما فى الأحياء الخاصة فقد كانت للبيوت حوائط ضعيفة وكان من النادر أن يبنى فوق الدور الأرضى غرفة علوية وكانت البيوت متلاصقة بحيث لا تترك فيما بينها الا ممرات أو حارات ومع ذلك فان المبنى لم يكن يقوم بغير نظام ، لأنه منذ الأسرة الأولى نجد هناك تصميمات للشوارع لا مثيل لها فى المدن السومرية القديمة · وكان هذا التصميم (الذى ظل محتفظا به رغم الثورات) يحدد الشوارع الرئيسية التى تتجه من الشمال الى الجنوب ، وتتقاطع معها شوارع عرضية ·

---

(١) CX, b. p. 193.

ولسنا نعرف كيف كانت توضع السقوف فاننا نرى فى كل مكان بقايا الحوائط القديمة قائمة الى ارتفاع بضعة أقدام فقط وليس لدينا أى أثر لما كان يعلوها وليس من شك فى أن أصحاب المبانى الخاصة كانوا يستخدمون النخيل الذى كان ينمو فى الاقليم ثم يغطون أفلاقه بطبقة من الطين تثبت عليه تماما أما بالنسبة للمبانى العادة منذ عصر أورنينا فاننا نلاحظ استعمال جذوع الأرز التى ثبت أن خشبها لا يعطب • وقد كان يؤتى بها من الجبال وخاصة من لبنان • وقد كان من النادر عمل فتحات أخرى غير الأبواب وأقصى ما كان يعمل هو بعض فتحات صغيرة فى أعلى الحوائط • ولقد كان شكل المبنى عامة لا يوحى بمنظر لطيف • وكانت الحوائط تغطى بطلاء ملون يزينها ويحميها من التقلبات الجوية •

ولقد شهدنا حتى الآن الترتيبات الخاصة بالمعابد (١) • أما قصر نبوخذ نصر الثانى فى بابل فكان مكونا من مبان موزعة حول أربعة أفنية رئيسية • أما قاعة العرش ــ وطولها ٥٢ مترا وعرضها ١٧ مترا ــ فكانت تواجه الشمال • وتقوم فى ثالث الأفنية وأوسعها وتتصل بكل المبانى المجاورة • وكانت الزينة الوحيدة لهذه القاعة مشكاة ضخمة حيث يجلس الملك وكانت ترى من الفناء • أما سمك الحوائط فكان ستة أمتار وكانت كلها مطلية باللون الأبيض • أما حوائط البهو فعلى العكس من ذلك اذ كانت مزخرفة بطوب مغطى بالميناء وزخارف ، مستوحاة من الفنين الحيثى والأشورى ، وهى تتكون من عمد صفراء على أرضية زرقاء سماوية اللون تحمل شريطا عريضا مرصعا بوريدات بيضاء ذات لون أصفر فى الوسط ومعينات زرقاء محاطة باللون الأصفر (٢) • أما الغرف الشخصية فكان يتقدمها دهليز يمكن الوصول اليه بعد اختراق غرفتين وقد عثر هناك على بئرين دائريتين •

أما فى الركن الشمالى الشرقى من القصر فقد عثر على مبنى ضخم مكون من أربع عشرة غرفة مقببة رتبت فى صفين • وان وجود بئر وأحجار تناولتها يد الانسان بالتهذيب لما يدفعنا الى التساؤل ان كان ذلك هو أساس الحدائق المعلقة احدى عجائب العالم القديم • وعلى أية حال ، فان الحدائق كانت قائمة داخل أسوار القلعة طبقا لما ورد فى مؤلفات اليونان •

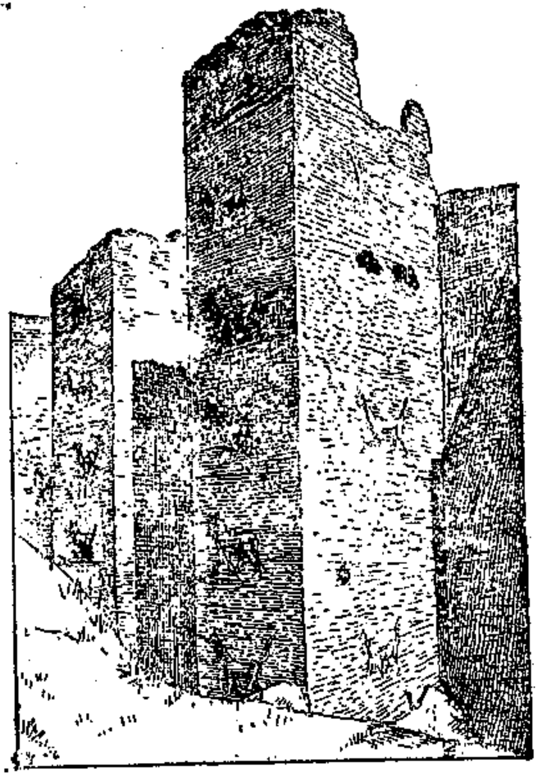
وكان يحيط بهذه القلعة التى كان يشغل القصر معظمها ــ شأنها فى ذلك شأن المدينة ــ سور مزدوج • وكان الحائط الخارجى لمدينة نبوخذ

(١) انظر صفحة ١٤٥ وما بعدها •
(٢) انظر شكل ٢٧ •

نصر مصنوعا من الآجر وبين طبقاته القار وسمكه ٧٫٨١ مترا وقد دعم من الخارج من خندق التحصين حتى مستوى الأرض بحائط آخر سمكه ٣٫٢٥ مترا • أما الحائط الداخلي (الذى تفصيله عن الحائط الآخر مسافة ١١٫٢٥ مترا) فقد بنى من اللبن بسمك أقل (١٢٫٧٠ مترا) وجهز بأبراج على مسافات متباعدة منتظمة بارزة فى الجانبين • وكانت تبعد هذه المجموعة من الاستحكامات مسافة ٢٤٠٠ متر من الايساجيل – معبد مردوك – الذى يعد قلب المدينة • وفى القرن السابق تحت الاحتلال الأشورى لم تكن المدينة تشغل سوى مساحة صغيرة • وكانت تحصيناتها التى لا تبعد أكثر من ١٤٠٠ متر من الهيكل تتكون من سور مزدوج من اللبن عرضه ٦٫٥٠ مترا تقع على جانبيه أبراج ضخمة بينها أبراج أخرى صغيرة • ومن المحتمل أن المدينة كانت أصغر من ذلك فى القرون السابقة ولكن أسوارها الدفاعية القديمة لم يكشف عنها بعد • وكانت المدن السومرية كذلك محاطة بحوائط من اللبن كشف عن بقايا منها فى تللو •

ولعل أجمل أثر فى بابل هو بوابة عشتار التى أعاد بناءها نبوخذ نصر الثانى وهى تقع بالقرب من القلعة عند النقطة التى يبدأ عندها الطريق المقدس دخول المدينة القديمة • وكانت مكونة من مبنيين من الآجر يمت كل واحد منهما الى أحد حوائط المدينة وكان كل مبنى منها ينغلق عليه باب من الأمام والخلف ويفصلهما بهو يحيط به حائطان صغيران • أما فى الجانبين الآخرين فان البوابة يقع على جانبيها جناح يتخلله ممر • وعلى ذلك فانه كانت هناك ثلاثة مداخل مختلفة تغلق عليها ثمانى بوابات • ويلاحظ أن البرجين المركزيين اللذين يقعان على جانبى المدخل فى جهة الشمال والغرب شأنهما فى ذلك شأن الواجهة كلها والممر الرئيسى والواجهة الجنوبية الشرقية المواجهة للمدينة قد زينت جميعها بحيوانات رتبت فى صفوف أفقية يمثل كل منها نوعا معينا : ثور أداد وتنين مردوك • وهناك صفوف ستة كائنة الى أسفل ما يظن أنه كان ممرا قديما للطريق المقدس وهناك ثمانية أسفل الممر من اللبن وعشرة أسفل ممر نبوخذ نصر المرصوف بالحجارة • والحيوانات فى الصفوف التسعة الأولى منقوشة وهى تتكون من طوب غير مطلى بالميناء • أما الى أعلى فهناك صفان من الحيوانات من الطوب المغطى بالميناء ولكنها ليست منقوشة ثم صفان من الطوب الخزفى المنقوش • وقد أحصى عدد الصور التى توجد بهذه المجاميع الثلاث عشرة من الحيوانات فوجد أنها ٥٧٥ صورة منها ١٥٢ مازالت قائمة فى أماكنها • وهى كلها تواجه – بقدر الامكان – الأشخاص الذين يدخلون المدينة • ولقد صور نبوخذ نصر الطريق المقدس بواسطة تحصينات جديدة عند هذه البوابة وذلك بواسطة حائط

سمكه ٧ امتار تقع على جانبيه ابراج تقوم بينها سباع منقوشة نقشا بارزا ومزينة بالمبناء يبلغ عددها ستين فى كل ناحية وهى تواجه المدينة :



شكل (١٦) بوابة عشتار فى بابل (نقلا عن كولداى
Das wiéder ersehende Babylon

وقد رصف الطريق المقدس ببلاطات عريضة من الحجر الجيرى استجلبت من Hit على الفرات من بين طبقتين من البرشيا الحمراء المعروفة بالأبيض ٠ وتقوم الأحجار ــ التى يربطها ببعضها البعض الأسفلت ــ على أساس من الآجر المغطى بالقار ٠ ويظهر أن الطريق كان مخصصا للمشاة وللمراكب الدينية ٠ ولا يلاحظ عليه آثار مركبات على الاطلاق ٠وبعد أن يسير بجوار الزيجورات فى الشرق نراه ينحرف فى زاوية تاركا معبد مردوك على اليسار حتى يصل الى كوبرى الفرات ثم يهبط مرة أخرى من الشمال الى الجنوب فى اتجاه بورسيبا ٠

ويظهر أن البابليين كانوا يهدفون الى ضبط زوايا مبانيهم على اتجاهات البوصلة مما كان يسمح بعدم حرمان أية واجهة حرمانا تاما من أن تظل فى الشمس ٠ ولم يكونوا يقيمون أى مبنى دون تأدية طقوس معينة ٠ وقد أعدوا تحت الحائط أو الرصيف مخابىء صغيرة خبئت فيها نقوش تذكارية ترافق تماثيل صغيرة واقية وأحيانا تمائم وأشياء أخرى ٠ وحين كان يسقط أحد المبانى ويتحول الى أنقاض ويسمح الآلهة باعادة بنائه فانه كان من الواجب أن يبحثوا عن النص القديم وأن يرش بزيت مقدس ثم يعاد وضعه فى الطبقة السفلى (بدروم) للمبنى الجديد ٠

وكانت الأكوام الصناعية تتكون من البقايا والمخلفات توضع بين الحوائط من الآجر عادة : وكان الطوب يجفف تماما قبل استعماله • وكان يراعى فى الرصيف السميك ترك فتحات عديدة ضيقة حتى يكون الجفاف محققا • أما فى أشور حيث كانت المواد تستعمل وهى لا تزال رطبة فان مثل هذه الفجوات لم يعثر عليها •

وكان الملاط يصنع من الأسفلت المختلط بالطين أو القش • وقد استعمل فى عصر نبوخذ نصر ملاط من الجير • كما استعمل الأسفلت وحده لحائط الفرات فى عهد نابونيد وكما استعمل ملاط الطين فى مبانى الفرس واليونان •

أما الزخرفة الخارجية للمبانى فكانت تتركب من نقوش وزخارف من الطوب أو العمد المربعة كان الهدف من استعمالها كسر حدة الملل فى الحوائط وكان الطوب يغطى فى كل مكان بطبقة من الطلاء من الجير أو الأسفلت لحمايته من التقلبات الجوية • ومن المحتمل أن استعمال الطوب المغطى بالميناء لم يعرف قبل الاحتلال الأشورى • وقد استخدم بقصد الزيادة من روعة هذه الزخرفة • التى اكتملت بما كانت عليه الأبواب المشغولة من أبهة وفخامة فبوابات جوديا فى انينو فى لجش صنعت من الأرز المغطى بالمعدن شأنها فى ذلك شأن الأبواب المتأخرة لمعابد بابل التى رسمها نبوخذ نصر• أو مصاريع بوابة عشتار المزينة بالنحاس• وكانت هذه الأخيرة تدور على « رزاز » من البرونز مثبتة فى عتبة من نفس المعدن وربما استعيرت النقوش التى عليها من الفن الاشورى •

٢ ـ النحت

ولقد كان فن النحت السوميروأكادى فى تقدم حتى عصر جوديا وملوك اور الى أن انتهى به الأمر الى الانهيار منذ قيام الأسرة الأولى فى بابل فحل محله طراز جديد هو الفن الميزوبوتامى فى عصر الكاسيين • ولقد كان السوميروأكادى يهدف الى تمثيل الطبيعه فى تماثيله الكبيرة من الديوريت التى جاءت ثقيلة نوعا ما ولقد نجح فى التماثيل فى اظهار شكل العضلات رغم صلابة الحجر كما حاول ابراز ثنيات النسيج وهو أمر لم يعن به الفن البابلى فيما بعد مما يجعل العصر الغارق فى القدم فى مقدمة العهود من حيث الكمال فى تمثيل الصورة الانسانية •

أما التماثيل فنادرة • وبمتحف اللوفر ثمانية من الديوريت كان قد وضعها جوديار فى معابد لجش وكلها تبين الايشاكو فى مظهر الولاء أمام المعبود ويداه معقودتان الى بعضهما وهو اما واقف أو جالس ويمسك أحيانا على ركبتيه تصميما للمعبد أو مسطرة أو قلما ولكن كلها ـ لسوء

الحظ – مقطوعة الرأس · والرءوس المنفصلة التى عثر عليها فى الأنقاض لا تناسبها · ولقد أمكن ترميم واحد من التماثيل الجالسة ذات الحجم الصغير (١) ويلاحظ في الرأس بعنقه القصير – ويكاد يكون سليما – أنه محلوق كله وتغطيه عمامة · وقد عنى بنحت الشفتين والخدين ولكن علينا ألا نعتقد أن هذه صورة الأمير فان هذا لم يكن غرض النحات الشرقى القديم على الأقل قبل العصر الاكيمينى لأن كل تماثيله كانت تقليدية · وقد ظل النحاتون يعنون بابراز العضلات والتمثيل الدقيق للحركة الطبيعية للملابس خلال عهد ملوك أور ولكن شأن النحت لم يكن كذلك فيما قبل كما يبين التمثال الصغير المنحوت من الرخام لملك من آداب أقدم من جوديا يرتدى ثوبا كالقراب (الجراب) وليست به عضلة واضحة أما العين فمفرغة جوفاء شأنها فى هذا الشأن كثير من التماثيل العتيقة والرأس محلوق تماما (٢) ؛ ولم تكن النسب الصحيحة مرعية دائما ومن أمثلة ذلك تمثال أورباو (٣) أحد أسلاف جوديا ، اذ أنه قصير قصرا غير متناسب · وكذلك نرى فى أحد التماثيل العتيقة (٤) أن الارتفاع كله لا يبلغ أربعة أمثال الرأس وحده ·

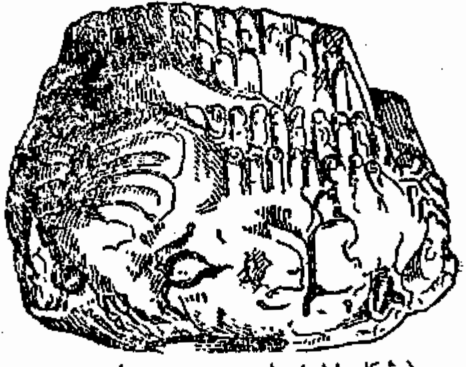


(شكل ١٧) قطعة من نقش بارز دائرى
(متحف اللوفر – حفائر تللو)

وكانت التماثيل الكبيرة من الحجر الصلب الصخرى · أما الصغيرة فمن حجر لين فى معظم الأحيان من الحجر الجيرى أو المرمر أو الأونكس· ولقد بذلت محاولات أحيانا لجعلها طبيعية تنبض بالحياة وذلك عن طريق التطعيم

(١) شكل ٥ صفحة ٣٦ ·
(٢) LXX, pl. 21 fig. 4.
(٣) Ibid., pl. 6, et 8.
(٤) Ibid, p. 1 ier fig. 3.

بأحجار من ألوان أخرى او بالمعادن وليس من شك فى أن تمثال ملك آداب كانت عيناه موضوعتين • وهناك تمثال امرأة من الحجر الجيرى الأشهب يرجع الى عصر جوديا حلى معصمه بأساور نحاسية مكسوة بالذهب (١) وهناك آخر أحيط عنقه بعقد من العقيق والفيروز وحبات (خرز) النحاس المذهب (٢) • وتسمح لنا مجموعة النقوش البارزة ـ وهى أكثر كمالا من مجموعة النحت فى التمثيل المجسم (التماثيل) ـ بأن نتتبع التطور والنمو الفنى فى تمثيل الشكل الانسانى ابتداء من الصورة ذات الريش (٣) حتى لوحات جوديا مارين فيما بين هاتين المرحلتين بالنقش البارز الدائرى (٤) وصور أسرة أورنينا (٥) ولوحة العقبان (٦) والنقش البارز لـ « دودو » ولوحات سرجون ونارام سن (٧) وفى لوحة العقبان بوجهيها ـ وأحدهما تاريخى والآخر اسطورى ـ المقسمين الى صفوف متعاقبة نرى تنفيذا أكثر حرية من نقوش أورنينا • ولقد استطاع الفنان فى آثار نارام سن أن يستخدم فى تكوين موضوعه سطحا غير مستو مثل فيه الملك واقفا فخورا مما يجعله يحتل المقام الأول



(شكل ١٨) راس دبوس جوديا
(متحف اللوفر ـ حفائر تللو)

وتمثيل الحيوان ـ شأنه فى هذا شأن الصور الانسانية يكون سلسلة حلقاتها مستمرة ولقد أمر جوديا بنحت آساد بالحجم الطبيعى لم تبق منها

---

(١) XLVIII, no 108.

(٢) Ibid, No. 121.

(٣) LXX pl. 1 bis, fig 2.

(٤) انظر شكل ١٧ • LXX pl. 1 bis fig. 2.

(٥) انظر شكل ٣ صفحة ٢٨ • Ibid, pl. bis fig. 1

(٦) انظر شكل ٨ صفحة ٨٤ • Ibid pl. 3 à 4 ter.

(٧) انظر شكل ٤ صفحة ٣٥ •

الا قطع قليلة (١) وحوض مزين بصور جانبية لسباع (٢) ولايزال رأس الحيوان ومقدمه يحملان اسم أورنينا(٣)وصناعتهما بدائية عتيقة والمقارنة بين صولج « مسيليم (٤) المنقوشة عليه رسوم آساد ونظيره لـ « جوديا » (٥)، تكشف عن التقدم الفني في معالجة الموضوعات الدائرية • والنقوش التي تمثل المواشي كثيرة كذلك • فعلى النقش البارز لـ « دودو » نرى ثورا مضطجعا وعلى لوحة العقبان نرى ثورا مهيأ للتضحية وهو مربوط الى وتد - وهناك رأس عجل من الحجر الجيرى (٦) يقدم لنا فكرة عن التطعيم : فلقد صنع محجر العين من الأصداف وقطع انسان العين (سوادها) من القار •



الشكل (١٩) اناء لصب السوائل خاص بجوديا (متحف اللوفر - حفائر تللو)•

ولم يكن السوميروأكادى - أكثر من ذلك - ليقنع بتمثيل الكائنات الحقيقية ، اذ كان شديد الميل لاختراع مخلوقات مختلطة غير متجانسة الأجزاء انتقلت خلال الأجيال من عصر الى عصر معتمدا في ذلك على تشابه معين قل أو كبر بين الانسان والحيوان وعلى ما كان يلاحظه من مظاهر شذوذ في الطبيعة • فالنسر برأس الأسد مثلا - وهو رمز الاله ننجرسو - كثيرا ما نجده على آثار لاجش • والثور بالرأس الآدمى مزاج من نوعين يظهر أنه جاء مباشرة من محاوت لاظهار

(١) Ibid pl, 24.

(٢) Ibid pl, 24.

(٣) Ibid, pl, 25 bis.

(٤) انظر شكل ٢ صفحة ٢٦ • Ibid pl. 1 ter, fig. 2.

(٥) انظر شكل ١٨ • Ibid, pl. 25 bis, fig. 1.

(٦) Ibid, p. II, ter, fig. 1.

نـوع من الجاموس . وفي واحـد من هـذه الحيـــوانات المنحـوتة من ال « ستياتيت » استعملت الأصداف لملء فجوات العينين فيما عدا انسانها الذي لم يعثر عليه . وهذه القطعة أحدث من عصر جوديا ويمكن مقارنتها برسم آخر أكثر ثباتا وبدون تطعيم (١) غطى كل جسمه بصفائح مثلثة من الأصـــداف . وعلى أواني التقدمات للايشـــاكو (٢) نرى التنين برأس الثعبان مغطى بحفر كان يملأ من غير شك أصلا بمادة مضادة للون أرضيته وسيصبح هذا التنين رمزا لمردوك بابل وهو في نفس الوقت الوحش العجيب الذي نراه بعد عشرين قرنا في أيام نبوخذ نصر الثاني على نقوش بوابة عشتار بنفس الجسم ذي القشور ومخالبه الأمامية مخالب نسر وله ذيل ورأس ثعبان ويعلو رأسه غطاء ذو قرون تتحول الى التفاف وريش يتحول الى قرن مدبب . ولم يختف سوى الأجنحة وحلت محلها ذؤابـة ملفوفـــة بطول العمود الفقري(٣) . هذا وهناك قطعـــة فنيـــة رائعـة (٤) تمثل كلب ســـوموايلوم ســـــابع مـــلوك



(شكل ٢٠) كلب ـ سوموايلوم (متحف اللوفر ـ حفائر تللو)

أسرة لارسا حوالى ٢٠٠٠ ق.م . ولكنه لازم قيام الوحدة السياسية واختفاء السومريين كشعب عهد انحطاط بالنسبة للفن. والنقوش البارزة لحمورابي دليل واضح على هذا الانحلال . ومنذ عهد الكاسيين تقدم الكودورو دليلا

---

(١) Monuments Piot, VII, pl. I.

(٢) شكل ١٩ .

(٣) شكل ٣٦ .

(٤) شكل ٢٠ .

على الاهمال (الابتعاد) المعتمد للصورة الحقيقية بحثا وراء التفصيلات الخاصة بملابس الشخص الذى يمثل ·

ولانزال نجد حقا ملفات بدون نقوش ولكنها لا تكون ثيابا · ونلاحظ كذلك ظهور الثياب المطرزة التى تنتشر عليها الوريدات والشجر المقدس والحيوانات · وهى كلها موضوعات تثبت لنا تأثير الفن الحيثى الذى ربما وصل الى بابل عن طريق أشور · واننا لنجد نفس الترف فى القرن التاسع على الكونوكو من اللازورد الذى حفره « مردوك زاكرسوم » (١) تمجيدا للاله مردوك وكذلك على مثيله فى اللوفر (٢) ·

٣ ـ الصور المعدنية

لم يلجأ بابل الى الحجر وحده كمادة لصنع التماثيل والنقوش التى تصور الآلهة والرجال والحيوانات بل انهم مهروا منذ عصر ممعن فى القدم فى استعمال المعادن وخاصة النحاس ، فلقد كشف في تللو (٣) عن قرن لثور بالحجم الطبيعى مكون من رقيقة من النحاس ملفوفة حول قالب خشبى وملصقة به عن طريق مسامير صغيرة ويظهر أن هذه الطريقة قد استعملت فى صنع أشياء أخرى ذات أحجام أكبر مثل أشجار النخيل التى أقامها « جونجو نوم » ملك لارسا فى معبد شماش فى السنة الثانية من حكمه (٢٢٦٣ ق·م ·) ولقد نصب فيما بعد تماثيل نحاسية فى هياكل متعددة كما أمر خلفه الثانى « سومواپلوم » بصنع أسود نحاسية · وهناك من نفس الفترة ذكر لعدد من التماثيل من المعادن الثمينة الى جانب تمثال من العقيق واللازورد أوصى على صنعه « أبى سارى » · ولقد صنع « سمن ايقيشام » (٢١٧٣ ـ ٢١٦٩) لنفسه أحد عشر تمثالاً من الفضة وواحدا من الذهب للاله « شماش » كما قدم واراد سن تمثالا ذهبيا لأبيه « كودورما بوج » لنفس معبد الاله · وصنع « رم سن » واحدا ل « سمن ايدينام » أحد أسلافه لمعبد آداب · ومن المحتمل أن هذه الأشياء لم تكن تصنع من معدن خالص وربما كانت تصنع من النحاس أو البرونز وتغطى بطبقة من الذهب أو الفضة وهى لم يعثر عليها ولابد أنها هشمت وان كان لدينا من حفائر سوسة تمثال ذهبى صغير موجود باللوفر الآن ·

أما المستندات النحاسية فلدينا منها بالعكس عدد كبير فهى تماثيل صغيرة صلبة موضوعة تحت الأساس تحمل نقشا وتصحبها لوحة تخلد

---

(١) شكل ١٣ صفحة ١٤٢ ·

(٢) XLII, pl. 39. A. 830.

(٣) LXX pl. 45 fig. 1.

ذكرى اقامة المبنى • ولعل اقدمها تماثيل نصفية لنساء ذوات شعور طويلة مموجة ذات منظر جانبى حاد التقاطيع كما هى الحال بالنسبة للنقوش البارزة وتنتهى هذه التماثيل النصفية بمسامير وكانت تثبت فى دوائر ذات مركز واحد فى مكانين فى الطابق الأرضى (بدروم) من مبنى يرجع عهده الى ما قبل عهد أورنينا (١) وفى عهد أورنينا نفسه (٢) وفى عهد خلفه الرابع انتمينا (٣) وكانت هذه الصور لا تزال صور نساء ميزت فى الحالة الأخيرة بوضوح كانما هى حوريات بقرون واضحة على الجبهة • وفى حكم « أوربـاو » اختلف الموضوع فظهر اله راكـع ولم ينته بسن لينغرس فى الأرض ، ولكنه يمسك بيديه وتدا ضخما كانمـا هو يهـم بغرسـه فى الأرض (انظر شكل ٢١) ولعل هذا هو أجمل مثال لهذه المجموعة من التماثيل (٤) وفى حكم جوديا (٥) لا نجد نفس الطراز يصل الى هذه الدقة من التنفيذ ثم يبدأ بعد ذلك ظهور حملة السلال واقفين على أوتاد وكن من النساء فى عصر دونجى ، بورسين وقد ظهروا مرة أخرى فى عصر رم سن •



(شكل ٢١) معبود واق
(تللو ـ اللوفر)

وكانت تماثيل الحيوانات تحل أحيانا محل الصور الانسـانية فمن عهد جوديا صنعت تماثيل لثيران على قاعدة تقوم على مسار ضخم وفى عهد دونجى (٦) نجد نفس الموضوع ممثلا تمثيلا خيرا من ذلك •

وكانت التماثيل المعدنية الأكبر حجما تصب جوفاء (٧) وهناك رأسان لثورين هما نموذج طيب لعصر ما قبـل السرجونية • وكما هى الحال فى بعض التماثيل الحجرية كانت العيون ترصع • وفى هذه الحالة كانت

(١) LXX, pl. 1 bis.
(٢) Ibid, pl. 2 ter.
(٣) Ibid. pl. 5 bis.
(٤) Ibid. pl. 8 bis.
(٥) Ibid, pl. 28.
(٦) Ibid, pl. 28.
(٧) Ibid.. p. 51 ér.

من الصدف وكان انسان العين من اللازورد • وهناك ثور من البرونز (١) من أصل غير معروف مطعم بالفضة وقائم على قاعدة يعتبر دليلا واضحا على اثبات ودوام الطراز السوميرواكادى • وطبقا لنقوش نبوخذ نصر الثانى نراه أقام ثيرانا من البرونز وتنانين عند بوابة عشتار ولم يكشف عن واحد منها بل ان نفس قطعها قد اختفت •

ولقد اشتق فن النحت في الحجارة أو المعدن أو حتى الطمى المجفف فى الشمس ـ مثل نقوش بوابة عشتار ـ من التشكيل بالطين واننا لنجد من عصر ما قبل السرجونية الى جانب التمثيل من الطمى (maquette) تماثيل صغيرة مشكلة باكملها فى قوالب من قطعة واحدة شكل الجانب الآخر منها باليد مثل الهات عاريات أو مكسوات وآلهة بالتيجان فوق رءوسهم (٢) • ويقدم لنا عصر جوديا موضوعات متعددة عنيت القوالب باعدادها : وهى خاصة بالهه والبطل جلجامش وحامل الجدى والهات لابسات وبصفة خاصة الهة تقوم بحركة الشفاعة وقد ظلت هذه التماثيل الصغيرة حتى العهد اليونانى الفارسى وازداد تكاثر الالهات العاريات أكثر من غيرها (٣) • ويوجد فى ودائع الأساس من المعابد البابلية الجديدة عادة تمثال صغير من الفخار ل « بابسوكال » •

٤ ـ النقش

يرجع الحفر على الأصداف الى عصر بعيد جدا • ومن « كلوملا » أصداف معينة كانت تؤخذ رقائق صغيرة أو شرائح مقدسة • وربما جاء استخدام الأختام الأسطوانية من استعمال الأصداف • واننا لنجد على قطع الأصداف نفس ما نجده على الأختام الأسطوانية العتيقة من نسر برأس أسد منقض على ثور برأس بشرى بقصد افتراسه (٤) كما نجد



(شكل ٢٢) نقش على الصدف
(متحف اللوفر ـ حفائر تللو)

(١) Monuments piot VII, pl. 1.
(٢) LXX, pl. 39.
(٣) XL.
(٤) انظر شكل ٢٢ ، ٢٣ • LXX pl. 46.

في قطعة من اناء صورة أخرى شائعة هى الصراع بين أسد وثور تتدخل فيه شخصية ثالثة يذكرنا بطراز الدبابيس من عهد مسيليم وهناك حامل زاد (١) هو أقدم كذلك من أورنينا ان نحن استطعنا الحكم على ذلك من رداء ستر عورته (كادناكس) الذى يتصل به صف واحد من الأهداب · وهناك أدوات أخرى معدة لتطعيمها مثل جدى يقفز أو جذع مكسور ثقب بعناية فيما بين الصدر والذراعين · ولكن لعل خير قطعة من الصدف ترجع الى هذا العصر السحيق هى رأس أسد عرضها ٢٤ ملليمترا مجسمة بعيون مطعمة وانسانها من اللازورد (٢) ·



(شكل ٢٣) نقش على الصدف
« حفائر تللو ـ متحف اللوفر »



(شكل ٢٤) اناء فضى « تللو ـ اللوفر »

ولقد بدأ اللؤلؤ يحل محل الأصداف · وانحدر الحفر على هذه المادة السريعة القصف الى تخطيط مستقيم (٣) · أما الحفر على المعدن فمثاله

---

(١) انظر شكل ٢٢ ، ٢٣ . LXX, pl. 46.

(٢) LXX, pl. 46

(٣) LXX, p. 271.

حربة ضخمة حفر عليها ملك من ملوك أجاده صورة أسد (١) وكذا اناء فضي لأنتمينا (٢) وجسمه مزين بنسور لها رءوس سباع ترتبط على التوالى بأسود وأيائل ثم أسود مرة ثانية وأخيرا وعول (تيوس وحشية). وهذه المجاميع الأربع ليست مستقلة . وكل أسد يعض الأيل في فمه أو الوعل في المنظر المجاور . وفوق الخط الذى يحد الحقل (الساحة) توجد سبعة عجول يرقد الواحد منها خلف الآخر وكل منها يرفع أحد حوافره الخلفية . وقد تم الحفر بعناية زائدة . والخطوط حادة ومتساوية وقد مثلت الحيوانات من الجانب (بروفيل) بأمانة بينما نرى الوجوه الممثلة من أمام للنسر والأسد ليس لها نفس الطابع كما هى الحال في أسطوانات هذا العصر لأن الفنان لم يستطع أعطاءها شبها بالحقيقة .

٥٠ – الأختام الاسطوانية

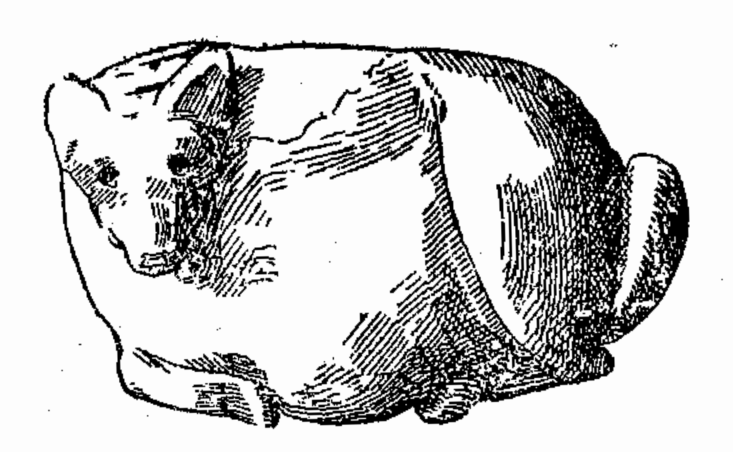
كان الحفر على الحجر يمارس منذ العصر العتيق. وقد حفظت أطلال نيبور ولاجش بعض الأمثلة له على لوحات كبيرة الحجم ، ولكنه تطور أكثر ما تطور على الأختام الأسطوانية التى ظلت تستعمل حتى العصر الفارسى لتوثيق المستندات . وهناك آلاف من تلك الأحجار في المتاحف والمجموعات الخاصة الأولى مستخرجة من الحفائر الرسمية والأخرى وعددها هائل قذف به الى السوق الحفارون الوطنيون : وهى مرتبة طبقا لفترات تاريخية محددة تماما دون أى اعتبار لماهيتها الفنية وذلك اما نظرا للكتابات المحفورة عليها، واما بالمقارنة بما هو منقوش على اللوحات المؤرخة . أما الموضوعات فليست تختلف كثيرا عن نظائرها فى النحت ولكن بالنسبة لانتشارها في عدد كبير من الأشياء الخاصة نراها تمثل الذوق السائد فى كل عصر واختيار نوع الحجر نفسه فيه الدلالة الكافية : فقبل عهد ملوك أجاده كانت الأصداف الحلزونية والحجر الجيرى والحجر اليمانى الأخضر واللازورد كثيرة الشيوع .

أما الرخام فكان نادرا فى عصر أجاده وقد بدأ ظهور الستياتيت والحجر الأرقط serpentine وحجر الحديد Hematite . وكانت لحجر الحديد السيادة فى عصر جوديا وملوك أرر وظل الحفارون يستعملون الحجر الأرقط واللازورد وبدءوا يقومون بتجاربهم على بعض أنواع اليشب والبلور الصخرى . وقد ظلت لحجر الحديد المكانة الأولى خلال عهد الأسرة

(١) LXX. pl. 5 ter.
(٢) LXX pl. 43, 43 b.

الأمورية في بابل . ولكن في عصر الكاسيين كثر استعمال اليشب وبدأ العقيق اليماني يأخذ دوره في الاستعمال . وبدأ استعمال العقيق الأبيض يكثر في القرن السادس وخاصة في الأختام المسطحة بينما كان صانعو الحلي الفرس يستعملون العاج والكوارتز البلوري (البلور الصخري) واليشب والعقيق .

ويمتاز أقدم العصور العتيقة بمجموعة من الرسوم الهندسية (١) مشتقة من الرســـوم الاصطلاحية لبعض الأشياء والحيــوانات والصور الانسانية ثم مجموعة متناثرة من الحيوانات يحفرها الصانع بالمثقب بغير دقة . وكانت صورة الانسان تنقش بنفس الطريقة ، فلقد كان وجهه يمثل على شكل منقار الطائر ان استعمل الفنان المثقاب ، أو على شكل المعين ان هو استعمل المنحت (المسمار) . أما الأسطوانات (٢) فكانت لاتزال نادرة وكان يفضل عليها الختم المسطح المحفور في شكل حيوان بأعين مستديرة مجوفة وربما مطعمة (٣) ثم تظهر مناظر عراك الحيوانات اما بين بعضها البعض أو ضد الأبطال مثل جلجامش وصاحبه الوفي انكيدو . وهناك نحو اثنى عشر منظرا تتجمع حول اسم « لوجالندا » ايشاكو لاجش الذي أمكن العثور على طبقات لثلاثة أختام مختلفة له (٤) .



(شكل ٢٥) ختم عتيق « متحف اللوفر »

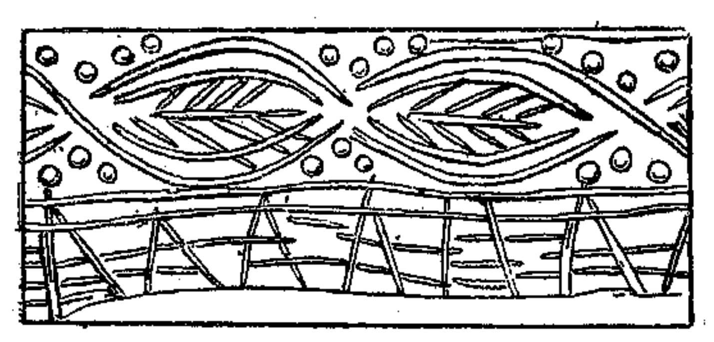
(١) شكل ٢٥ .
(٢) شكل ٢٦ .
(٣) شكل ٢٧ .
(٤) شكل ٢٩ .

ويستمر في خلال حكم « نارام سن » و « شار جاليشارى » ظهور معارك جلجامش وانكيدو مع الأسد والثور · وتمتاز احدى الأسطوانات من تللو بعمق الحفر وبراعة تصوير الوجوه وهى تحمل الاسم الالهى لـ « نينين » (١) ·



(شكل (٢٦) اسطوانة

ولعل هذه هى اروع فترات صناعة النقش على الأحجار الكريمة حين يبذل الفنان قصارى عبقريته في تنويع الموضوعات



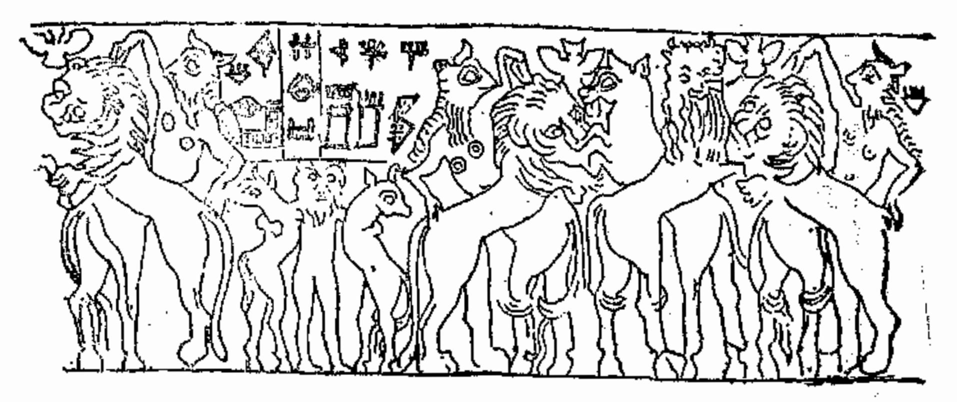
(شكل ٢٧) اسطوانة اركية « متحف اللوفر »



(شكل ٢٨) اسطوانة من عصر اجاده « متحف اللوفر ـ حفائر تللو ـ »

---

(١) شكل ٢٨ ·



(شكل ٢٩) اسطوانة لوجالاندا ايشاكو لاجش « مجموعة الوت دى لافى »



(شكل ٣٠)اسطوانة زو ـ عصر أجاده « المكتبة الأهلية »

المشتقة من الأساطير الهامة • ومجموعة شماش اله الشمس والقاضى الأول أعلاها شأنا اذ عولجت معبودات الزراعة ومحاكمة زو (١) الذى حاول سرقة لوحـات القدر وأسطورة اتانا الذى رفعه نسر الى السماء والشجرة المسحورة ••• عولجت جميعا ولكن ليس بنفس الدقة •

وفى عصر جوديا وملوك أور كانت تفضل المناظر الدينية التى كان يمثل فيها المخلوق وهو يتصل بالمعبود عن طريق وساطة الهه الخاص الحارس •

---

(١) شكل ٣٠ •



والأمثلة لهذا عديدة جـدا ولا تختلف عن بعضها البعض كثيرا وتكاد لا تكون هناك مناظر معينة تستترعى التفاتا

(شكل ٣١) اسطوانة جوديا ايشاكولجش «حفائر تللو ـ متحف اللوفر»

خاصا • ويمتاز ختم جوديا بفنه (١) الخاص وبتكوين الموضوع بآلهته موضحة توضيحا تاما وبالتنين ذى رأس الثعبان الذى تظهر دقة تفصيلاته واضحة رغم صغر الوجه • كما يظهر كذلك واضحا على أناء السكب الخاص بالايشاكو •



(شكل ٣٢) اسطوانة كاسية « متحف اللوفر »

وبعض الاسطوانات لا تتصل بهذه المجموعة ولكنها ـ كما هى الحال فى القرون السابقة ـ تصور صراع بطل مع الحيوانات البرية •

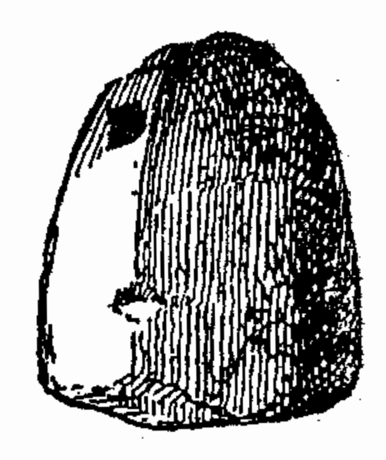
ولقد ظلت الحال كذلك خلال حكم ملوك الأسرة الأولى البابلية : فلجلجامش لايزال شخصية شعبية وبطلا قويا على أتم استعداد للنزال وهو فى صحبة انكيدو نراه يتولى تقديم الجدى الى المعبود وخاصة الى شماش • ثم يظهر اله آخر للمرة الأولى فى زى قصير وهو معمم ومسلح بهراوة ويظهر أنه أمررو اله الغرب•كما يظهر أداد وفى النادر مردوك والهات حرب والآلهة العارية لتكمل قائمة (مجموعة) هذا



(شكل ٣٣) اسطوانة نيو بابلية « متحف اللوفر »

---

(١) شكل ٣١ •



(شكل ٣٤) قالب ختم نيوبابلى



(شكل ٣٥) ختم نيو بابلى (متحف اللوفر)

العصر وفى خلال الفترة الكاسية نرى الموضوع يقتصر فى كثير من الأحيان على تصوير شخص واحد فقط أو بضعة رموز مقدسة ، وتصبح الكتابة اها القدح الملى وهى عادة دعاء للمعبود لالتماس العون والحماية والعمر الطويل لصاحب الختم خادمه الأمين (١) ·

وفى خلال الاحتلال الاشورى قلما تجد الحفر أو النقش على الأحجار يقدم لنا شيئا له مميزات خاصة فلقد سمح لنفسه أن يتنزل ليحل الختم المسطح (٢) ذو الحجم الصغير محل الأسطوانة ، وأخذ منذ ذلك الحين يقدم المناظر المميزة للفترتين النيوبابلية والاكيمينية : وفيها يظهر كاهن وهو يقوم بشعائر الصلاة ويداه مرفوعتان أمام المذبح الذى توضع فوقه رموز مقدســة (٣) ·

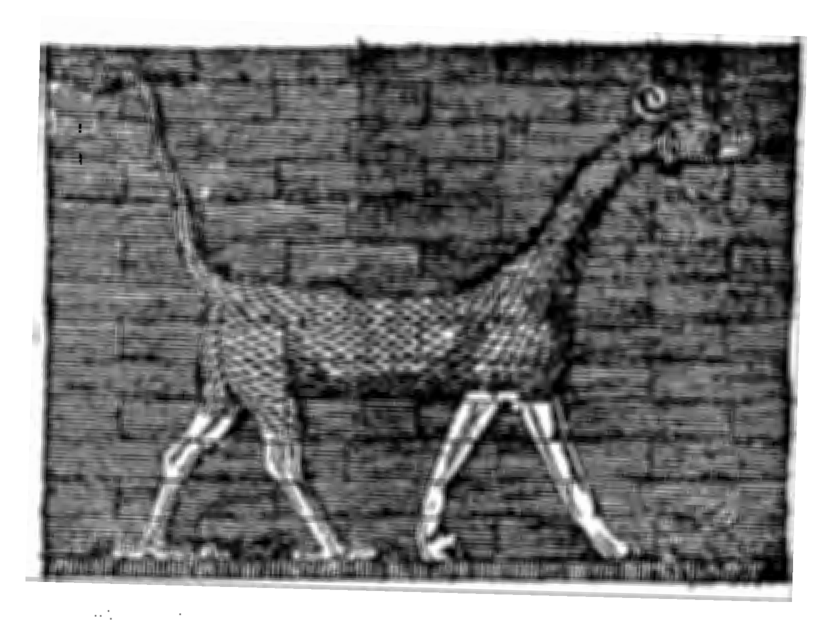
ولم يتوقف انحطاط فن الحفر على الأحجار الكريمة منذ عصر أجاده : فلقد استبدل بالسعى وراء التكوينات الأصلية والفنية منذ أيام ملوك أور مجرد صنع الأختام بالجملة وبسرعة الى أن أصبحت مجرد رسوم · وخاصة فى القرن السادس ·

---

(١) شكل ٣٢ ·

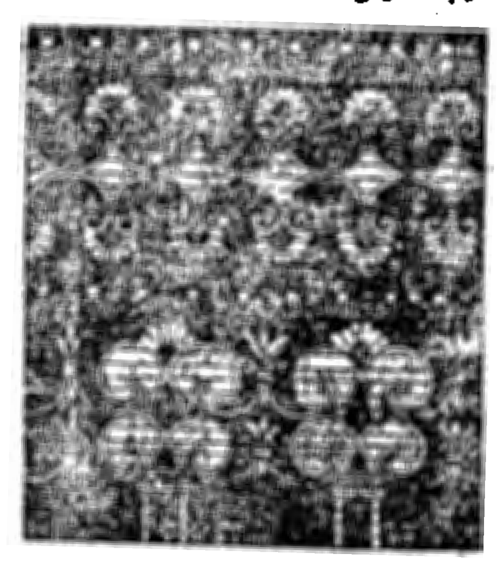
(٢) شكل ٣٤ ·

(٣) شكل ٣٥ ، قارن شكل ٣٣ ·



... (شكل ٣٦) تنين مردوك على بوابة عشتار نقلا عن كولدواى
Das Wieder erstehende Babylon

٦ ـ الطوب الخزفى



(شكل ٣٧) زينة الحوائط الخارجية لقاعة العرش فى قصر نبوخذ نصر في بابل ، نقلا عن كولدوى
Das Wiéder erstehende Babylon

استعمل البابليون فى الامبراطورية الحديثة ـ كما سبق أن لاحظنا ـ طوبا خزفيا لتزيين المبانى العامة وهذا هو أهم استعمال للألوان فى الزخرفة الى جانب التطعيم فى التماثيل والنقوش • ولقد كانت حوائط بوابة عشتار مزينة بحيوانات غريبة الشكل وثور اداد وتنين مردوك التى توجد تسعة صفوف منها منقوشة على طوب المبنى والى أعلاها صفان من حيوانات مشابهة من الطوب الخزفى يعلوهما أيضا صفان آخران من الطوب الخزفى المحفور • أما الأرضية

الزرقاء فقد توصلوا الى صنعها عن طريق اللازورد المسحوق كما هى الحال في القرن الثامن في آشور في قصر سرجون • ولون الثيران أصفر ولها قرون وحوافر خضراء أما أهداب الذيل والشعر فزرقاء وتنين مردوك أبيض ، أما قرونه ولسانه المشعب ومخالب الأسد ومقدماه وكعبا مؤخريه فمن الأصفر الخفيف ، وأما الاقدام الخلفية فمكونة من معجون زجاجي ملون أحيانا بالخزف المجاور له •وقد كشف أخيرا عن طريقة معالجة هذا الطوب (١) • ويظهر أنه اخذ من الآشوريين الذين ربما نقلوه عن الحيثيين ثم انتقل الى فارس حيث استخدمه دارا في زخرفة قصر سوسة • اما اختيار الألوان واستخدامها فمأخوذ من غير شك عن أشور ، وأما فكرة المناظر نفسها فتقليد للفن الحيثي فمثلا ، نجد ذلك على الحوائط الخارجية لغرفة العرش حيث تغطى الأعمدة الصفراء من أعلى بتاج مزدوج من الحلزونات الزرقاء التي تعلوها وريدات بيضاء ذات لون أصفر في الوسط على أرضية داكنة الزرقة وهو طراز كان معروفا في آسيا الصغرى انتقل منها كذلك الى الفن القبرصي •

٧ ــ الــزى

يمتاز الآلهة في كل الآثار المصورة من كل العصور عن الناس بلباس الرأس الذى هو عبارة عن قلنسوة مزينة بقرون تتقابل أطرافها من أمام كل اثنين معا • واذا نحن استثينا بعض الحالات النادرة جدا فيما يختص بالمعبودات الثانوية نرى صورها انسانية بحتة وللتمييز فيما بينها نراها تخصص بالأسلحة التي تمسكها بأيديها وبرموز معينة فوق أكتافها أو بالحيوانات التي تطأ عليها بأقدامها • وقد استبدلت صورها فيما بعد برموز مشتقة من شخصياتهم الأسطورية وصفاتهم وبعض تقاليدهم الموروثة • ولقد كان انو سيدا للآلهة وكان رمزه التاج ذا القرون وهو الرمز الالهى البحت يوضع على العرش • اما مردوك فقد استحوذ على السلطان بعد صراعه مع تيامات ولذا فاننا نرى عند قدميه تنينا مهزوما • وأما رمزه فحربة • واما نوبو اله الكتاب فميرز له قلم أو طائر واما « اداد » اله العاصفة فيرمز له بالصاعقة • واما شماش اله الشمس فيرى محاطا باللهب كما تظهر نيسابا الهة الزراعة في وسط القصب •

---

(١) Bigot : Reconstitution des frises du palais de Darius, 1913.

وكان تمثيل الأشكال العارية نادرا • ومن بينها معبودات في نزاع مع بعضها البعض وكاهن يباشر عملية الاحراق (السـكب) وبعض الاشخاص الثانويين في بعض المناظر المحفورة على الأحجار الكريمة والهة الخصب وخاصة في التماثيل الصغيرة الفخارية وعلى أسطوانات أسرة حمورابي • وكان جسم البطل جلجامش في النقش الغائر الأركي مشدودا في حزام ينزل طرفه في محاذاة الساق • وفي عصر أجاده نرى بعض الآلهة أو الجان يلبسون قطعة من قماش يمر فيها بين سيقانهم ويمسكها حـــزام •

– وأقدم زى للسومريين والآكاديين كان يتكون من ملفعة (شـــال) مستطيلة تلف كالنقبة (الجونلة) حول العجز وتنسدل حتى الركبتين وكانت من لون واحد ولها أهداب على شكل الخيوط أو العنكبوت تنتهى بأهداب في صفوف منتظمة وهو ما عناه اليونان بكلمة « كادناكس » الذى كان ينسج في اكبتانا في أيام أرستوفان •

ولقد كان ذلك زى الالهة على أقدم الآثار وعلى ذلك فانه كان أيضا زى اورنينا الملك العجوز للاجش • ثم أضيفت قطعة أخرى تدور حول الكتف اليسرى مثل زى الملك « اياناتوم » على لوحة العقبان • وبمرور الزمن ازداد حجم الملفعة حتى غطت الجسم كله وأصبحت تربط تحت الابط وتلف الذراع اليسرى ثم تمر نهايتها الأخرى تحت الذراع اليمنى ولقد كان ذلك لباس الآلهة والرجال منذ عصر سرجون الأجادى ، كما كان لباس جوديا وحمورابى • أما الكاسيون فقد ارتدوا قميصـــا ذا أكمام طويلة ضيقة •وتدثروا بملفعة « شـــال » مزركشة أو منســوجة من ألوان متعددة (١) وهى من الأشياء التى كانت تستعمل منذ عهد بعيد ودليلنا على ذلك أن أنوال ملوك أور كانت تورد للأمراء قطعا من الثياب الثقيلة المنسوجة من الصوف المختلف ذى الصبغات المتناسقة الألوان • وتظهر الزخارف والوريدات والأشجار المقدسة والجان والحيوانات حوالى عام ١٠٠٠ ق•م• في أقمشة الزى الملكى وقد أخذت جميعا عن الفن الحيثى اما مباشرة (ذلك لأن التأثير الحيثى ظهر في الفن حتى السلاسل المحيطة بايران) أو عن طريق آشور حيث ظهرت نفس الطرز •

أما رداء الأشخاص العاديين فقد ظل بسيطا ذا لون واحد وكانت له عادة أهداب • وقلما يضع جلجامش على رأسه لباس رأس بينما نجد رجالا من عصر أورنينا يلبسون أحيانا تاجا ذا عريشة يشبه « الكلاثوس » الذى

---

(١) XC pl. LXXIV.

عرفه اليونان . ثم ظهرت في عصر جوديا العمامة التي أصبحت لباس الرأس عند حمورابي . وكان الآلهة ملتحين بشعور طويلة معقودة عند القفا مزدوجة أصلا ثم بسيطة فيما بعد وكانوا يعنون دائما بتصفيفها . وكانت للالهات أحيانا ضفائر وأحيانا عقائص تمسكها عصبة . وللأبطال القدامى لحى وشعور طويلة هي فيما يختص بجلجامش يقسمها فرق دقيق واضح يكون ثلاثة صفوف من الحلقات (البوكل) على كل من جانبي الرأس . ولقد صور كورجال بن أورنينا برأس محلوق مرة وبشعر طويل معقود على القفا مرة أخرى . ويرى « نارام سن » بلحية على لوحة النصر . أما جوديا ومعاصروه في لجش فلهم عادة بشرة ناعمة ورأس حليق مثل أشخاص لوحة الكودورو الخاصة « بمردوك بالاتسو اقبي » (١) فيما بعد .

أما كهنة البابلية الجديدة فيضعون شعرا مستعارا يربطه الاكليل وكانت نساء السومريين والأكاديين يعنين عناية خاصة ويبذلن جهدا ملحوظا في تصفيف الشعر في أشكال مختلفة ويثبتونه في مكانه عن طريق شرائط وشبك وملفحة يثبت أحد أطرافها عن طريق الأهداب التي تصبح شكل عصابة . وكان الرجال والنساء في أكثر الأحيان حفاة في الفترة البدائية ثم انتعلوا النعال في عصر أجاده . وكانوا يضعون حول رقابهم عقودا من أصداف أو أحجار منحوتة أو تمائم وكانوا يضعون أساور حول أذرعهم .

٨ ـ الأثاث

كان الأثاث يتكون من أسرة وكراسي متنوعة وأدوات منزلية . والقوائم دلالة تشهد على وجود عدد كبير من المقاعد ذات الأشكال المتباينة والآثار المصورة تقدم لنا ما يكفي لتعريفنا ببعضها ابتداء من المقعد البسيط الذي يجلس عليه جوديا الى العرش المحفور للمعبود على أسطوانة « حاشهامر » المعاصر « لبورسن » ملك اور . فهذه الآثار تصور لنا : مقاعد مكعبة ذات اطار من عصر أجاده وأخرى مغطاة بالكاوناكس من عصر دونجي وكذا مقاعد وكراسي ذات ذراعين من طرز متباينة .

وكانت الأواني تصنع من الأحجار والطين وكذا من المعدن . وكانت تصنع من النحاس أو من معادن أخرى أشد نفاسة ومنها الاناء الفضي

---

(١) Ibid, XCVI.

لانتمينا عند بدء الألف الثالثة المزخـرف بحفر دقيق والمركب على قائم نحاسى (١) ٠ وكانت الأوانى الحجرية رمزا للترف وكان يحتفظ بها عادة للمعابد وكثيرا ما كانت تحمل تكريسا (٢) ٠



(شكل ٣٨) اناء مزخرف (حفائر تللو ــ متحف اللوفر)

أما الأوانى الطمية وبعضـها مصـــنوع باليد والبعـــض الآخر على العجلة فكانت تغطيها النقـوش أحيانا ولـكن هذه الصـــناعة لم تكن متقدمة فى ســومر وأكاد كما قامت فى سوزيانا حيث كرس الفنانون جهودهم مدى فترتين طويلتين عشيقتين لتنويع زخارفها (٣) ٠

ويمكن حصر طرزها فى ثلاثة أشكال : اناء الشرب المخروطى والصفحة ذات الحافة المثقوبة لوضع الطعام بها والقدر لحفظ ونقل السوائل ٠

---

(١) انظر شكل ٢٤ صفحة ١٨٥ ٠

(٢) LXXI, p. 261.

(٣) XVIII. t. XIII ; cf. LXXIX, p. 349.

الفصـــل الثـــالث

الآداب والعلــوم

١ ـ الكتــاب

لقد استخدم الاصطلاح العام « عقد » استخداما في غير موضعه حين أطلق في مختلف العصور على جميع الوثائق القانونية التى تنشيء التزاما يقره القانون أو العرف • ولقد ذاع استعمال الاتفاقيات المكتوبة ولم يكن لمعظم التصرفات المدنية التى ينشأ عنها تعهد أو التزام أية قيمة قانونية ما لم تكن على صك مكتوب •

ويحوى الخط المسمارى عدة مئات من العلامات وكانت علما قائما بذاته يتطلب الالمام به مجهودا كبيرا ووقتا طويلا وذلك لصعوبته • بيد أنه كان يوجد فى جميع العصور عدد كبير من الكتاب ، رجالا ونساء • وقد بلغ بعضهم أسمى مراتب الشرف حتى ان كلا من « لوجال أوشو مجال » الذى عاصر نارام سن » وأور آبا » فى أيام ملوك أور أصـــبح ايشاكو لجش كما أن أشور بانيبال ملك أشور يفخر بأنه ملك زمام الكتـــابة •

ولقد قامت المدارس حيث كانت تعلم المطالعة وتدرس مبادىء الكتابة والرسم على الطين • وكانت مدارس سيبار (١) أشهرها وذلك فى الألف الاولى فيما يتصل بقدم النصوص المحفوظة فى أضابيرها • ويكشف لنا عدد من اللوحات من قرن حمورابى ، بعضها نماذج وبعضها نسخ ـ عن طرق التعليم : هى قراءة وكتابة العلامات البسيطة أولا مع دراسة قيمتها الصوتية ثم تعليم التلاميذ تدريجا استعمال مجاميع العلامات والاشارات ثم الصيغ

---

(١) LXXI p. 38

المتداولة . وكان التلميذ يعطى بعد ذلك دروسا في النحو في صورة الصيغ المختلفة من تصريف الأسماء والأفعال وينهى تعليمه فى آخر الأمر بالرياضيات : بقواعدها الأربع والموازين والمقاييس والمعايير والمسكوكات .

وأحس الكتاب منذ البدء بحاجتهم الى مفكرة أو جدول يجمع شتات العلامات والكلمات والجمل . وهناك لوحة اركية تحشد معا كل مركبات « كا » وساج . وهناك أخرى من عصر أجادة تحوى العلامات التى تظهر فيها «جال» وهناك ثالثة تقدم أسماء عدد معين من المراهم وهى تضم بذلك كافة العبارات التى تدور حول « شم » (١) .

وكان الكاتب يفخر بعلمه . وكانت الدراية بالقراءة والكتابة لقبا يعدل لقب مدير المعبد أو القاضى . ولم يكن هناك من يغفله فى عقوده . وكان لايفوت أحد ذكر اسمه في العقود أو نقشه على الأختام الأسطوانية . وفي عهد لوجالاندا خصص كاتب لبيت زوجته الأميرة « بارنا متارا » ويحمل خاتمه النص الآتى : « أنيجال ــ كاتب بيت الزوجة » وبعد اصلاحات أورو كاجينا حين أعيدت الأملاك الى الآلهة بعد أن كانت قد استخدمت فى أغراض دنيوية بغير وجه حق استبدل هذا النص ب « انيجال كاتب الالهة باوو » وكان تمرين الكتاب يتم فى ظل المعابد ولهذا نراهم يكونون تدريجيا طائفة معينة متصلة بمديرى الهياكل حتى ان الوظيفتين أختلطتا ببعضهما فى عصر البابلية الجديدة فى بعض المدن وخاصة سيبار . فهناك كان يذكر اسم الشانجو (مدير المعبد) فى غالب الأحيان على الألواح بينما قلما يظهر لقب دوبشارو (كاتب) .

وكان اعداد اللوحات يتطلب طميا ناعما تم عجنه مدة طويلة يوضع فى شكل قوالب تختلف حجما ولونا وشكلا باختلاف المكان والزمان .

وأقدم الواح لجش قبل عهد أورنينا مصنوعة من الطمى الذى لم يدخل النار ، وهى مستديرة وهناك الواح أخرى تعادلها فى القدم مستديرة مثلها ولكنها سويت فى النار ومصدرها شوروباك ووجهها مستو بينما الوجه الآخر مقبب . ولم يختلف شكل اللوحات فى عصر لوجالاندا وأوروكاجينا فى لجش ولكنها كانت تسوى فى النار . وبعد أقل من نصف قرن حدث

---

(١) XVIII, t. XIV, p. 87-89.

تغيير واضح فأصبحت الوثائق المعاصرة لملوك اجاد تختلف اختلافا بينا عن سابقتها : فالطين لم يعرف النار وفيما عدا النصـــوص المتصلة بالمساحة نجد اللوحات مستطيلة وهو الشكل الذى سيحتفظ به منذ هذا الوقت ·

وكان الكاتب يرسم علاماته والطين لايزال طريا وذلك بواسطة قلم مثلث منشورى الشكل يمسك به مائلا وهو يضغط بخفة · وكان الركن يترك خطا صغيرا بينما تترك القاعدة علامة أكثر أو أقل عمقا · ويكون كل ذلك شكلا يشبه الوتد أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسمارية التى أطلقها المحدثون على الكتابة السوميروأكادية · ويرجع شكل عناصر العلامات الى استعمال القلم والطين · ولقد سرى استعماله بعد ذلك فى الكتابة على الأحجار ولكننا لا نراه في العصور البدائية على المواد الصلبة التى لا نشهد عليها سوى خطوط بسيطة ·

وحتى عصر ملوك أور لا نستطيع أن نترسم سوى طريقتين لحساب الأعداد والأرقام وبعضها مكون من مسامير — شأنها فى ذلك شأن باقى علامات الكتابة — والبعض الآخر من دوائر وأشكال مشتقة من الدوائر · وكانوا يتوصلون الى رسمها عن طريق قلم أسطوانى يوضع عموديا أو منحرفا على اللوحة · ولقد أبطلت هذه العادة فى النصف الثانى من الألف الثانية حين لم يعد الكاتب يستعمل سوى القلم المثلث ·

ولم تكن هذه الاداة لتسمح برسم الخطوط المستديرة وعلى ذلك كانت كل العلامات مكونة من خطوط مستقيمة رأسية أو افقية أو منحرفة كما تحولت دوائر الأرقام الأصلية الى مربعات أو معينات وكانت كل المسامير الأفقية لعلامة ما ترسم قبل المسامير المنحرفة أو الراسية التى غالبا ما تتقاطع معها وكانت كل علامة تكمل قبل الانتقال الى علامة أخرى لأنه قد يحدث أن العلامة القديمة تطغى على سابقتها · ولكن حين نتكلم عن المســـامير الرأسية أو الأفقية ، فان هذا يعنى تبعا لطريقتنا الحديثة فى القراءة المبنية على أساس ترتيب النص على الآثار الحجرية ابتداء من العصر الكاسى · وكانت العلامات ترتب فى خطوط رأسية فى العصور القديمة كما هى الحال بالنسبة لقانون حمورابى ومسلة « مانشتوسو » ولوحة العقبان · وربما كان الكاتب يرسم على اللوحات كل المسامير من أعلى الى أسفل · ثم يدير اللوحة فى زاوية قدرها ٩٠° من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين : وكل عناصر العلامات تتشابه تماما فى الواقع مع بعضها البعض · واننا لنرى

أنه اذا ضغط القلم في عمل المسامير الفقية فان هذا الضغط يحدث عند تخطيط المسامير الرأسية ٠

ولقد تغيرت الكتابة من قرن الى قرن بل ولم تكن متشابهة تماما في كل المدن في عصر من العصور ٠ وكان لكل مدرسة تقاليدها وطرائقها الخاصة : ففي أيام ملوك أور مثلا كانت مدارس أوما تختلف اختلافا بينا عن مدارس لجش المدينة المجاورة ٠

ولقد كانت الكتابة على الطين بقلم مثلث سببا في تحريف الكتابة المقدسة الأصلية حتى انه من الصعب التعرف عليها ومع ذلك فان بعض المستندات يرجع بنا الى عصر كان الشيء فيه يمثل بصورته الطبيعية ٠ فعلى لوحة يملك المتحف البريطاني قطعا منها نرى كاتبا آشوريا قد جمع أقدم الصور المعروفة لديه جنبا الى جنب مع العلامات المستعملة خلال حكم أشور بانيبال (١) ٠ وعلى لوحة حجرية عثر عليها في أوما (٢) نجد اناء ذا صنبور (بزبوز) بقاعدة مخروطية مغطى بقطعة من النسيج وهناك اناء آخر مشابه له موضوع على قائم ٠ وأننا لنرى العلامة التصويرية ل « مولى » و « قلعة » ـ التي نستطيع متابعة تطورها حتى آخر الامبراطورية البابلية ـ ممثلة ـ كما هي الحال على تميمة باللوفر ـ بواسطة مبنى مستطيل على جانبه برج ٠ أما القدم فلها شكل يمكن ادراكه في أحدث الكتابات وعلى قطع أخرى يمكن تمييز أنواع من الأواني والصاعقة والمشط والقيثار والفأس والقوس والسهم والأغصان والأزهار ٠

وكان الأمر كذلك في عيلام حيث ظهرت كتابة خاصة تفرعت من نفس نقطة البدء وتطورت تطورا مستقلا عن ذلك التطور الذي أدركناه في سومر وأكاد ٠ وقد أخرجت حفائر سوسة علامات أركية يظهر من بينها عدد من علامات الكتابة المقدسة البدائية (٣) ٠

وكان النص قبل ملوك أجاده ـ وفيما بعد على اللوحات الكبيرة الحجم ـ يرتب في أعمدة تقسم الى خانات وكان كتاب لجش في عصر « لوجالاندا » و « أوركاجينا » بعد أن يملأوا الوجه الأول من اليسار الى

---

(١) LX, t. I, p. 727.

(٢) XVIII, t. II, p. 130.

(٣) XVIII, t. VI.

اليمين يقلبون اللوحة من أسفل الى أعلى ويستمرون في الكتابة على الوجه الآخر من اليمين الى اليسار • وعلى هذا فان الخانه الاولى للوجه الثانى تقابل الخانة الاخيرة للوجه الأول• ولم يكن ملخص النص يتبع النص الكامل، بل يبدأ فى رأس العمود الأيسر من الوجه التالى ويستمر فى الأعمدة المجاورة ان لزم الأمر • ومنذ عصر أجاده نرى فيما يختص باللوحات الحسابية أن مسافة تترك فراغا لتفصل بين مختلف العمليات الحسابية والمجاميع النهائية • وفى عهد الأسرة الأولى البابلية أخذ استخدام الخطوط بين سطور الكتابة يختفي • ومع ذلك فقد ظل باقيا ليفصل أحيانا قائمة الشهود وأحيانا أخرى التواريخ أو المجموع • وفيما بعد نرى خطوطا مرسومة متوازية مع أطول جانبى اللوحة ، كما نرى النص مقسما الى أقسام يفصل ما بينها فراغ •

والوثائق الممهورة بأختام كثيرة العدد • وكثيرا ما كان الكاتب يشير اليها فى النص • وقبل الأسرة الأولى البابلية كانت الأسطوانة تدار أحيانا فوق سطح اللوحة كلها وأحيانا أخرى كانت يكتب اسم ومهنة وأجداد صاحبها • وكانت هذه العملية تسبق كتابة النص • ومن عهد السيادة البابلية كان أغلب الشهود يثبتون أختامهم فى العقود بالقرب من أختام المتعاقدين ويفضل أن يكون ذلك على أطراف الوثيقة • ولما كانت هذه الأختام غير منقوشة عادة فان اسم صاحبها كان يكتبه الكاتب على القرب من البصمة • ولقد انحدرت العادات المحلية عن طريق المدارس • ففى نيبور نرى فيما يختص بعقود معينة أن قالبا معينا تم صنعه ، بعد أن نقش عليه اسما المتعاقدين • وفى عهد الامبراطورية الجديدة نجد أن بصمة الأختام توضع أحيانا على الأطراف وأحيانا أخرى فى الفراغ الكائن بين الخانات المختلفة للنص بعد تحريره •

ويظهر أن هذه الاحتياطات لم تكن كافية لحماية المستند ومنع تزويره، ولذا فاننا نرى أنه منذ فترة ما قبل السرجونية روعى فى بعض اللوحات الهامة أن يرش عليها مسحوق من الطمى الجاف وأن توضع فى غلاف طميى يكرر عليه النص وكان عليه وحده عادة بصمات الأختام (١) فاذا قام نزاع كأن أنكر الطرفان صحة المستند مثلا ، فان الغلاف يفض فلا يستطيع أحد التشكيك فى اللوحة الموجودة بداخله •

---

(١) XLII pl. 112 et suiv.

وقد استعمل الغلاف الطميي كذلك في المراسلات الرســـمية او الشخصية وكان ذلك علي الأقل منذ عصر أجاده • ولكنه كثيرا ما كان يستبدل بقطعة من القماش تلصق بها كتلة صغيرة من الطين تحمل بصمة الخاتم وتؤدى وظيفة ختم الرصاص الحالي •

وحين الفراغ من اللوحة كانت تسلم نســـخة منها لكل من يهمه الاحتفاظ بواحدة • وغالبا ما كانت تودع أخرى في محفوظات المعبد أو القصر • وكان أمين المحفوظات يخزنها في ســلال عليها بطاقات وضعت بعناية • وكانت البطاقات من الطمى كذلك • وفي خلال حكم لوجالاندا كانت مشابهة للوحات واحداها تحمل النص التالي : « سلة لوحات (لما) جاء به سماكو البحر وسماكو الماء العذب ـ « بارنامتارا » زوجة لوجالاندا ايشاكو لاجش : السنة الثانية » ثم أخذت فيما بعد شكل الزيتون المثقوب الذي يمر بداخله خيط • وطبقا لترتيب متسق للموضوعات من عصر أور نرى أمين المحفوظات يجمع في سلة الأحكام التي أصدرتها هيئة أو أخرى من هيئات القضاة • وكذلك القرابين التي قدمت للمعابد أو الآلهة في مناسبة الأعياد أو مدفوعات المستأجرين سنة بعد سنة مع ذكر اسم الموظف المختص بالحسابات أو قيمة الأجر من الشـــعير والصوف للعمال الذين يعملون في المؤسسات الملكية للنسيج أو بيانا بمقدار الشعير الذي يسلم للبذر أو الاستهلاك ••• وهكذا فيما يختص بكل فرع من فروع النشاط الاجتمـــاعي (١) •

وكانت الرسائل ترسل من مدينة الى أخرى في سلال مختومة • وكانت تثبت كتلة من الطين الى عقدة الخيط الذي يربط السلة ثم تبصم بخاتم الراسل ويكتب عليها اسم المرسل اليه • واننا لمدينون الى هذه العادة بالمعلومات التي لدينا عن مجموعة من النماذج الطيبة للتقش على الأحجار من عصر أجادة •

ولقد انتشرت اللغة الأرامية في بابل في عهد الامبراطورية الجديدة • وكان للأسرى المستجلبين من سوريا طريقة كتابة أبسط واقرب من الناحية العملية من الخط المسماري • ومع أنها لم تستعمل الا أن العادة جرت منذ القرن الثامن على استعمال الأرامية في مناسبات كثيرة في تدوين ملخص المستند على هوامش اللوحات المسمارية • وكان هذا من عمل

---

(١) XIX Nos, 810, 695, 713, 651, 7911 etc.

الكتاب الذين يتقنون اللغتين معا • ولقد كان ذلك أمرا له قيمته فى أكثر من ناحية وأعان على تحديد نطق بعض الحروف فى اللغة البابلية للعصر المذكــور •

٢ - الآداب

لم يقنع الكتاب الســـوميريون والبابليون بأن يضمنوا لوحاتهم حسابات أو عقودا بل دفعهم الأمراء الى ذكر أهم أحداث حكمهم على أوقاب الأبواب وقوالب المبانى والألواح الحجرية واللوحات • ولقــد سجلوا القوانين ونسخوا القصص والطقوس والدعوات والرقى ، بل ان هناك بعض ما خلفوه مما يهم القارىء من الناحية الأدبية البحتة •

وهاك بدء القصة السومرية التى يحكى فيها انتمينا معارك لجش مع جارتها أوما :

« حدد ننجرسو (اله لجش) وشارا (اله أوما) تخوم حدودهم تبعا للكلمة الحقة ل « انليل » ملك البلاد • وأقام مسيليم ملك كيش تنفيذا لصوت آلهته « كادى » فى مكانتها لوحة • وتصرف أوش ايشاكو أوما طبقا لخططه الطامعة •

فزحزح اللوحة وأتى الى سهل لاجش فحدث صراع مع أوما طبقا لكلمة العدل من ننجرسو محارب انليل وكنتيجة لصوت انليل العظيم هزمت الشبكة (الالهية) العدو • وأقيمت في السهول فى مكانها أكوام جنزية •

وأقام اياناتوم ايشاكو • لجش سلف انتمينا ايشاكو لجش تخوم الحدود : فحفر حفرة من النهر العظيم الى « جو ادين » وأقام لوحة على هذه الحفرة وأعاد لوحة مسيليم مكانها ولم يغز سهل أوما » •

وبعد أن يقص كيف أنه هو بنفسه أملى السلم على العدو الذى عاد الى غزو مقاطعة لجش نراه ينتهى بهذه اللعنات : « اذا عبر رجال أوما حفرة الحدود لننجرسو وحفرة الحدود ل « نينا » بواسطة رجال أوما أو رجال بلاد أخرى بوضع أيديهم على القطر •• ألا فليهلكهم انليل ويقضى عليهم تماما ••• ألا فلتهزمهم شبكة ننجرسو العظمى ! ألا فلتسقط (عليهم)

يده الرفيعة وقدمه السنيه من عل • ألا فليمتلىء جند مدينته غضبا وليدخل الخوف فى كل قلوب أهل مدينته (١) » •

وهكذ ــ أى باللعنات ــ كانت تنتهى نصوص عديدة يذكر فيها الملوك مؤسساتهم ونظمهم ومبانيهم وقراراتهم • وهذه هى خاتمة لوحة كتب عليها كاتب من لجش هذه المرثية المؤثرة حقا عند تخريب مدينته فى أيام أوركا جينا (٢) •

« رجال أوما فى ال « ايكى » ••• أشعلوا النــار ••• أحرقوا ال « انتاسوررا » ونهبوا الفضة والأحجار الثمينة وأسالوا الدماء فى قصر «تيراش » وأسالوا الدماء فى ال « ابزوباندا » وأسالوا الدماء فى هيكل انليل وهيكل بابار • وأسالوا الدماء فى « أهوش » ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة وأسالوا الدماء فى « أى بابار » ونهبوا منه الفضــة والأحجار الكريمة • وأسالوا الدماء فى جيكانا ــ ننما بالغابة المقدسة ونهبوا منه الفضة والأحجار الكريمة » •

ويتكرر هذا الدعاء دون اغفال هيكل واحد ودون أن ينسى حتى الحقل المقدس لننجرسو الذى سلبت منه غلاله • وأمام هذه الكارثة لم يستطع هذا اللجاشى العجوز التقى الا أن يبدى هذه الأمنية :

« ان رجال أوما باتلافهم لاجش قد ارتكبوا اثما ضد ننجرسو ، وستسترد منهم القوة التى كانت منحت لهم ••• ان اثما لم يحدث من جانب أوركاجينا ملك جرسو أما بالنسبة الى لوجال زاجيسى ايشاكو أوما فلتضع الهته نيسابا هذا الاثم على رأسه » •

قصــيدة الخليــقة :

أنشئت قصيدة الخليقة تمجيدا لمردوك اله بابل وهدفها وصف لكيفية ظفر هذا الاله بمكان الصدارة فى عراكه مع تيامات :

فلقد أخرجت تيامات البحر وأبســو المحيط من اختلاط أمواههما الآلهة جميعا ولما لم يرضيا عن خليقتهم قررا ــ بنصح من موممو أول مولوداتهم أن يحطماها ويقضيا عليها • وعرف أيا اله الحكمة مؤامرتهما وأسر أبسو وموممو • وأرادت تيامات الانتقام لهما فخلقت جمعا من الجبابرة تردد الآلهة انو وايا فى الدخول معهم فى معركة ••• وطلب مردوك عندما

---

(١) LXVI, p. 63.

(٢) Ibid p. 91.

دعاه انشار الى أن يمجد من مجمع الآلهة قبل الموافقة على الدفاع عنهم، فارسـل انشـار رسـوله جاجا ليدعو أولا أقـدم المعبودات لاهمو ولاهامو ... (١) .

« ذهب جاجا وسار فى طريقه

وأمام لاهمو ولاهامو الآلهة والديه

تواضع . وقبل الأرض أمامهما .

وركع ثم قام وقال لهما :

« أرسلنى انشار ابنكما

وكشف لى عن بغية قلبه

وهى أن تيامات أمنا حملت الكراهية ضدنا

وهى تجمع حشدا ... وهى تعصف غضبا

استجاب لها الآلهة جميعا

حتى أولئك الذين خلقتماهم ... يسيرون الى جنبها

هم يلعنون اليوم . والى جانب تيامات يتقدمون

انهم غاضبون ويتآمرون ليل نهار دون راحة

انهم يستعدون للقتال ويدمرون ويثورون

ويكونون عصابة وينظمون المعركة

أم الجميع خالقة الأشياء كلها

جمعت أسلحتها التى لا تبارى وولدت أفاعى ضخمة

حادة الأنياب لا ترحم فى القتال

استبدلت الدم بالسم فى أجسادها

وألبست التنانين المخيفة ثوب الرعب

وملأتها بالجلال والبهاء وأعطتها سحنة متعالية

حتى يهلك فزعا من يراها

حين تقوم أجسامها لا يستطيع أحد أن يقاوم هجماتها

لقد أمرت بتدفق الأفاعى والزواحف الوحشية واللهامو

---

(١) XLIII, p.

ووحوش العواصف والكلاب الغضبى والرجال العقارب
والأعاصير القوية والرجال الأسماك والكباش
التي تحمل أسلحة لا ترحم ولا تخشى العراك » .

وبعد أن ذكر الرسول أن « قنجو » على رأس هذا الجيش المكون من أحد عشر نوعا من المسوخ استمر يقول باسم انشار :

« لقد أرسلت أنو ولكن لم تكن له القوة ليقترب منها
وخاف ايا وتراجع
فقام مردوك العاقل من بين الآلهة من ذريتكما
واستحثه قلبه ليواجه تيامات
وذكر لى من فمه :
« ان كان لى ... أنا المنتقم لكم
أن أقيد تيامات بالأغلال لتبقوا أحياء
فاجمع مجمعا ومجدنى وأعلن مصيرى
اجلسوا جميعا فرحين في ال (ابشوكينا)
ولتقرر كلمة فمى المصائر كما تقررها كلمتكم
ليكن كل ما أعمله غير قابل للتغيير مستقبلا
لتكن الكلمة التى تخرج من شفتى غير قابلة للتغيير أو التبديل
كى يذهب ويهاجم تيامات عدوكما المرعب
أسرعا ـ سارعا وحددا له مصيركما
وسمع لاهمو ولاهامو ذلك وصرخا بصوت عال
وبكى ال « اجيجى » (١) معا بدموع مريرة قائلين :
« من هو العدو الذى جعل المحيط يطفح
لسنا نقر عمل تيامات »
واجتمعوا وذهبوا
الآلهة الكبار معا ـ الذين يحددون المصائر
واتوا أمام انشار وملأوا ...
واحتضنوا بعضهم بعضا فى المجمع

(١) آلهة السماء .

وتحدثوا معا وجلسوا فى مأدبة

وغير النبيذ الخلو من ...

وواصلوا الشرب حتى سكروا وانتشت أجسامهم مرحا

وأخذوا يصيحون كثيرا وقلوبهم فرحة سعيدة

وحددوا لمردوك المنتقم لهم مصيره .

ولما انتهى العراك وأعلن مردوك المنتصر عزمه على أن يعجن الطين بدمه ليقيم الانســـان ... اجتمع الآلهة مرة أخرى وأعلنوا أســماءه الخمســين » (١) .

ولسنا نستطيع أن نغفل ذكر قصص الطوفان واحداها هى التى نورد منها الفقرات التالية مأخوذة من قصيدة « جلجامش » وفيها يصف « أوتنا نابشتيم » ـ نوح البابلى ـ لملك أوروك كيف أنه اكتسب الخلود . ولقد بنى سفينته بناء على طلب الاله إيا :

« قال : حملتها بكل ما كنت أمتلك ... كل بذور الحياة

أنزلتها اليها .. أسرتى كلها واقاربى

ماشية الحقل وحيوانات الحقل والصناع ... أنزلت كل ذلك

ثم دخلت السفين وأغلقت الباب .

وعهدت الى « بوزور انليل » الملاح بقيادة السفينة

عهدت اليه بها بكل ما تحوى

ولما أضـــاء الفجر

خرجت من بطن السماء سحابة داكنة

وزأر اداد (٢) فيهـــا

وكان نابو (٣) والملك (٤) يسيران فى المقدمة

وسار المنادون فى الجبال والسهول

وانتزع نرجال (٥) الصارى

---

(١) XLI, p. 109.

(٢) اله الاعاصير .

(٣) المنادى الحربى للآلهــة .

(٤) الاله مردوك .

(٥) اله الجحيم .

ومضى اينورتا (١) يقود المعركة
وحمل الـ « اتوناكي » (٢) المشاعل
وألهبوا الأرض بأضوائهم
وارتفع ضوضاء اداد الى السموات
وانقلب كل ما هو مضيء الى ظلام
فلم يعد الأخ يرى أخاه
واصبح الناس في السماء لا يعرف الواحد منهم الآخر
وخشي الآلهة من الطـــوفان
فهربوا وصعدوا الى سموات انو
وربض الآلهة واضطجعوا ككلاب على الحائط
واستمرت الريح والطوفان ستة أيام وست ليال
وســـاد الأرض اعصـــار
فلما أشرق فجر اليوم السابع هزم الاعصار
وكذلك الطوفان الذي كان قد حارب كجيش بأسره
وارتاح البحر وهدأت الريح الرديئة وتوقف الطوفان
ونظرت الى البحر وكان صوته قد سكت
وكانت البشرية قد تحولت طينا
وارتفع المستنقع الى الســـقوف
وفتحت النافذة وسقط الضوء على خدي
وانهرت على مقعد وظللت جالسا أبكي
وأخذت الدموع تســـيل على خدي
نظرت الى العالم ... الى أفق البحر
فرأيت هناك على مبعدة ١٢ (مقياسا) جزيرة برزت
وبلغ الســـفين جبل نتســـير (٣)
واستوقف جبل نتسير السفين ولم يدعها تتحرك

---

(١) اله الحرب .
(٢) الارواح الجهنمية .
(٣) بين دجلة والزاب الصغير .

ولما جاء اليوم السابع
أخرجت حمامة وأطلقتها
ذهبت الحمامة ولكنها عادت
عادت لأنها لم تجد مكانا
فأخرجت سنونو وأطلقته
فذهب ولكنه عاد
عاد لأنه لم يجد مكانا
أخرجت غرابا وأطلقته
ذهب الغراب ورأى الماء يختفي
وأكل ومشى في الطين ولعب ولم يعد

فأخرجت من السفين عددا أطلقته الى الجهات الأربع ۰۰۰۰ وسكبت سكيبا
وقدمت قربانا على قمة الجبل
ووضعت ١٤ اناء « أدا جورو »
ونشرت من تحتها القصب والأرز والآس
واشتم الآلهة عبيرها
اشتم الآلهة عبيرها المعطر
وتجمع الآلهة كالذباب فوق مقدم القربان

وفي أسطورة « اتانا » أحد أوائل الملوك قبل العصر التاريخي نجد خرافة طريفة هي خرافة النسر والثعبان ۰ فلقد عقد نسر نيته على التهام صغار الثعبان ورغم نصيحة ملؤها السداد من أحد صغاره العقلاء أنفذ مشروعه وشكا الثعبان الى شماش اله العدالة (١) ۰

« فحين سمع صلاة الثعبان
فتح شماش فمه وقال للثعبان :
اذهب في طريقك حتى تصل الى الجبل
وسأحجز لك جاموسة

---

(١) XLIII, p. 167.

افتح أمعاءها واخترق بطنها
واتخذ بطنها مسكنا لك
وستنزل من السماء كل أنواع الطيور
لتأكل من لحم الجاموسة
وسينزل النسر معها
وما ليس يعرفه ...
وسيبحث عن مدخل الى اللحم فى ال ... سيرفرف حولها
وسيحلم بالمكان الخفى للقلب
فحين يصل الى الداخل اقبض عليه من أجنحته
واقطع هذه الأجنحة وريشها ومقالبه
ومزقه وارمه فى حفرة
ودعه يموت ميتة الجوع والظمأ »
وأطاع الثعبان واختبأ فى بطن الجاموسة
« ونزلت كل طيور السماء وأكلت من اللحم
ولو كان النسر يعرف ما قدر له من سوء طالع
لما نزل مع صغاره ليأكل من اللحم
ولكنه فتح فاه وقال لهم :
« لننزل ونأكل نحن من لحم هذه الجاموسة »
ونطق نسر صغير مليء بالفهم الى أبيه النسر قائلا :
« لاتنزل يا أبى ربما كان هناك ثعبان يرقد مختبئا فى بطن الجاموسة
وقال النسر لنفسه كذلك كلمة
انه لم يفهم ما قيل له ... انه لم يتدبر ما قال الصغير
فنزل وجثم فوق الجاموسة
ونظر النسر الى اللحم وقدر ما أمامه وما وراءه
وكرر الأمر ونظر ثانية الى اللحم وقدر ما وراءه وما أمامه
وأخذ يطوف فى ... وأخذ يحلم فى خفايا القلب
وحين دخل قبض عليه الثعبان من أجنحته ...
وفتح النسر فاه وقال للثعبان :

« ارحمني وسأعطيك بائنة كما يعطى للعروس »
وفتح الثعبـــان فمــــه وقال للنسر :
« ان تركتك فكيف أستطيع أن أجايب شماش المعظم ؟ »
سوف ترتد العقوبة على
تلك العقوبة التى أفرضها عليك
وقطع أجنحته وريش أجنحته ومخالبه
ومزقه ورماه فى حفرة
حتى يموت جوعا وعطشا » ·

ولقد كانت مشكلة الخير والشر تسترعي انتباه البابليين فالألم يحل بالمستقيمين ولا يمس أهل السوء مما دعا الرجل التقى الذى يرعى الواجب الى أن يتساءل عن سبب نكبته (١) :

لم أكد أصل الى الحياة حتى عبرت الزمن المحدد
فاستدرت ··· انه شر ··· وشر أكثر
زاد الجور على ولم أستطع بلوغ حقى
صرخت الى الهى ولكن لم ينظر الى
توسلت الى الهتى ولكنها لم تعن برفع رأسها
ان العراف بعرافته لم يحدد مستقبلى
والساحر بضحية لم يستطع أن يجعل محاكمتى جلية
لقد تحدثت الى العراف ولكن لم يعلمنى شيئا
ان الساحر برقاه لم يستطع أن يحل اللعنة التى أنا هدفها
ما أكثر اختلاف الأحداث فى العالم !
لقد نظرت ورائى : فوجدت الشر فى عقبى
كأنما لم أكن أقدم التقدمات بانتظام لالهى
وكأنما كنت لا أخلد ذكرى آلهتى فى الوليمة
وكأنما لم أحن وجهى وكأنما لم ينظر الى عبادتى
فكنت كمن توقفت الصلوات والابتهالات فى فمه

(١) XLIII, p. 205.

وكنت كمن انتهى يومه الالهى ، لقد مات القمر الجديد
واصبحت مثل ذلك الذى اضطجع على جانبه واحتقر صورهم
والذى لم يعلم أتباعه الخوف والاجلال
والذى لم يذكر الهه والتهم الطعام المخصص له
والذى هجر الهته ولم يأت بالمقرر عليه
والذى كان ظالما ، والذى نسى مولاه
والذى نطق كلمة الهه القوى باستخفاف
انني أصبحت مثل ذلك الرجل
ان مضطهدى يتبعنى كل يوم
وعند قدوم الليل لايدع لحظة أتنفس فيها
ان اعصابى تتفكك من كثرة اضطراسى
وقواى تنحل وادى فالا سيئا

فأرانى ملقى على سريرى كالثور ملوثا ببرازى كالشاة
لقد عذبت الساحر عضلاتى المريضة
وضللت العراف التنبؤات التى جاءته عنى
ان صاحب الرقى لم يفهم شيئا عن مرضى
ولم يضع العراف حدا لعجزى
ولم يأت الهى لعونى ولم يأخذ بيدى
ولم ترحمنى الهتى ولم تسر الى جانبى
القبر مفتوح ومسكنى تم الاستيلاء عليه (١)
وانتهى الحزن على حتى قبل أن أموت
لقد رددت كل الناس « كم هو مهدم ! »
وسمع عدوى بذلك وتهللت أساريره
لأن بشارة الخير قد وصلته فانبثق النور من قلبه » .

★★★

---

(١) LXXVI, p. 219.

وقلما اختلفت أساليب الانشاء على مر العصور • واننا لنرى لوجال زاجيسى ملك أوروك فى القرن التاسع والعشرين يذكر بركات الآلهة عليه فى مقدمة نقوشه السومرية كما نجد نابونيد آخر ملوك الامبراطورية البابلية الجديدة يستعمل نفس الصيغة فى القرن السادس • فقد قال الأول (١) :

« حين منح انليل ملك البلاد الى لوجال زاجيسى ملك أوروك سيد البلاد •

كاهن أنو نبى نيسابا بن اوكوش ايشاكو اوما ونبى نيسابا الملحوظ بعين رعاية أنو ملك الأقاليم الايشاكو الأكبر لانليل المملوح ، فهما من أنكى الذى ردد اسمه باباّر كبير وزراء أنزو شاكاناكو بابار قهرمان أنينا طفل نيسابا الذى يطعم على لبن •

« ننهار ساج » المقدس ، رجل الاله سن ، كاهن أوروك ••• تلميذ « ننابوهادو » سيدة أوروك •• الأباراكو الكبير جدا للآلهة •• حين منح انليل سيد البلاد الى لوجال زاجيسى ملك الأرض ••• حين جعله ينجح امام الأرض •• حين أخضع البلاد لسلطانه •• حين هزم الجميع من مشرق الشمس الى مغربها •• فى ذلك اليوم •• » •

ويقول الثانى (١) :

« حين خلق مردوك سيد الآلهة العظيم سيد العالم •• حين خلق الأمير سماه نابونيد ملكا مكرسا للعبادة ليمارس السلطان • ورفع رأسه فوق الملوك جميعا • سعد الآلهة العظام بكلمته من أجل ملكه ولقد منحه آنو انليل العرش الى الأبد ، والتاج والصولجان وعصا الملك وكتاب الطقس الملكى •• جعله ايا خالق جميع الأشياء •• كامل الحكمة •• اما بعليت ايل خالقة العالم فأكملت تكوينه • وأما « نابو » مراقب العلم فقد منحه العقل • وأما سن ابن الأمير فقد تبصر فى صورته • وأما شماش ضوء الآلهة فقد جعله راعيا لقطيعه ووضع رعاياه تحت امرته • وأما أيرا العظيم القوى بين الآلهة فقد منحه القوة وأما زبابا المعظم فقد جعله كاملا ز همته • وأما نوسكو المخيف فقد زينه بأبهة الملك ثم استدار الى روحه الحارسة حتى يستطيع تنظيم الرؤيا الالهية واتخاذ القرارات وتحديد المستقبل • واستدعته الآلهة المعظمة لمعونته حتى يستطيع انفاذ أوامره » •

---

(١) L. t. XI p. 113.

وأما بقية النص فنموذج طيب للنصوص التاريخية البابلية (١) :

« نابونيد ملك بابل الأمير العظيم الراعي الفطن الذى يحترم الآلهة العظمى الوكيل التقى .

الذى يعنى برؤيا الآلهة والذى يشغل نفسه كل يوم بطقوس الآلهة والالهات ابن « نابو بالاتسو اقبي » الأمير العاقل .

انني منذ عين مردوك السيد العظيم أسمى سيدا أعلى للبلاد ومجد نابو ابن الأمير أسمى الملكى ... انني أكرر كل يوم احترامي لجلالتهم وأشغل نفسي باستمرار بما يرضيهم وأزيد من عنايتي بالايساجيل (٢) وال « أزيدا » (٣) . انني أقدم لهم خير ما لدى من أشياء جميلة وأهتم بألا ينقطع تقديم القرابين وأبني الهياكل تمجيدا لهم كما أبني مدنهم العظيمة وأمجد أسماءهم على لسان كل الأحياء .

أما بالنسبة لشماش القاضي العظيم والاله الفخم سيد سيبار فان ال « أبارا » الهيكل الطاهر ببيته الأصلى الذى لم يدع ملكا من قبلى يرى ال « تمن » الخاص به فان شماش انتظرني حتى أقيمه وقد وضعت أساسه على « تمن » نارام سن . ورفعت رأس حائط أوجال أمارو ، حائط كوثا وأمرت بحائط « ميلام كوركورا دولا » حائط كيش أن يرتفع كالجبال . اما بالنسبة للسيد العظيم أوراش فقد جددت ــ كما كانت الحال من قبل ــ قصر الأعياد الهادىء . وأما عن المدينة ــ بين بابل وبورسيبا ــ فقد رفعت أبراجها بالأسفلت والآجر وأدخلت نانا الالهة المؤمرة الى هيكلها .

أما عن سن السيد العظيم الذى يسكن « اكيس شرجال » التى تقع فى أور فقد قررت أقصى كمية من تقدماته النابتة وعنيت بأن تكون تقدماته الاختيارية فخمة . ولما كنت مهتما بهيكله متضرعا الى جلالته ، فقد أظهرت احترامي للرغبة التى أبداها . واهتممت بها ولم أرفض طلبه وأطعت أمره ورفعت الى مرتبه الكهنوت الابنة التى أنجبها قلبي وسميتها بعل شالتي نانا ثم أدخلتها ال « اجيبار » (٤) وقادني قلبي الى أن أعنى بمدن جميع الآلهة العظام فمجدت سيدى لوجال مارادا المحارب الصنديد والبطل

(١) L. t. XI, p. 114.

(٢) معبد مردوك .

(٣) معبد نابو .

(٤) مسكن كبير كاهنات أور .

الرائع الكامل القوة الاعصار الذى لا يقاوم الذى يغرق الأراضى المعادية ويغتال أرض الأعداء الذى يسكن فى معبـــده الـ « أى ايجى كالاما » . أما بالنسبة لعجلته ـ عربة جلالته رمز شجاعته التى تغتال أرض العدو المعدة للمعارك تلك العربة التى لم يعد مثلها منذ أقدم العصور ملك آخر من قبلى فقد وجدت أحجار زخرفتها وطاقمها فى أســاس الـ « أى ايجى كالاما » هذه العربة فاعدت بناءها من جديد وزينتها بالفضة النقية والذهب اللامع والأحجار الكريمة ثم قدمتها له . أما معبـــده « أى ايجى كالاما » الذى كان قد أقامه ملك سابق ورفع رأسه ولكن لم يحط الاسوار بحوائط تسندها ولم يدعم حائط الحراسة فقد كان هيكله مخربا وأحجار عتبة بابه غير متماسكة فقد هدمتها وفحصت الـ « تمن » القديم وحددت أساســه على « تمنه » وأعدت بناء الأسوار وقويت حائط الحراسة وحددته ورفعت قمته أعلى مما كانت ...

أى لوجال مارادا ! أيها السيد العظيم والمحارب القوى !
حين تدخل فرحا الى معبدك وحين تشهد كل الأعمال الطاهرة التى أتممتها ... ألا فلتكرر كل يوم أمام مردوك ملك السماء والأرض ما يسعدنى ... ألا فلتطل أيام حياتى ! الا فلأكلل بذرية ضخمة ! ... ألا فلتسحق أعدائى بذراعيك القويتين وتقضى على كل أعدائى ! » .

٣ ـ التعامل بالمراسلة

يظهر أن التعامل بالمراسلة كان معروفا منذ أقدم العصور . فكان الخطاب يكتب على لوحة جففت فى النار عادة ثم تغلف بغلاف من الطين . ولم يكن يستطيع أحد مطالعتها دون كسر الأختام مما كان يسمح بتلافى افشاء محتوياتها . وكان يكتفى أحيانا بلفها فى قطعة من القماش تثبت عليها قطعة من الطين تحمل بصمة ختم مرسلها .

ولعل اقدم خطاب حفظ لنا رسالة تتصل بالغزو العيلامى لأرض السومريين (١) وهى موجهة الى « انيتارزى » الايشاكو المقبل للاجش .

---

(١) XLI, p. 52.

ومرسل الخطاب المدعو « لو انا » يخبره أنه هزم العدو ثم يعدد الأسلاب وربما ما وقع من تصيب الايشاكو الذى ضاع اسمه لسوء الحظ وكذا ما كان من نصيب « الابارکو » والالهة « ننمار » .

« هذا ما يرسله « لو انا » سانجو (مدير) ننمار الى « انيتارزى سـانجو

ننجرسو ليبلغه : لقد استطاع ٦٠٠ عيلامي أن يستولوا من لاجش على أسلاب لأخذها الى عيلام: لقد حارب «لو انا» سانجو (ننمار) ضد العيلاميين ولقد هزم العيلاميين (وقتل أو أسر) ، ٥٤٠ عيلاميا . أما أورباو ، أحد عمال نجلو نوتوم رئيس السباكين فقد استلم ٥ مينا من الفضة الخالصة

و ٢٠٠٠٠و٥ أثواب ملكيه و ١٦ مينا من صوف اغنام الأكل ...

ل ... ايشاكو لاجش وهو ما يخصه . ولاينا ناتوم سيزيله

(الاباروكو ما يخصه) الا فليؤخذ الـ .. الى ننمار « السنة الخامسة » وهاك خطابا آخر كتب في زمن لوجالاندا (١) :

« بخصوص الـ ٦٦٠ نعجه وحملا وال ٢٤ ثورا وبقرة وال ١٦ جحشا التي أرسلها «جوبي» له انه يقول لـ « لوجالمو » : لقد نفذ الكاتب أمر ارسالها فليبلغه ذلك ـ (السنة / الرابعة » .

ولعل صيغة « ما يرسله س له أنه أبلغه الى ص » تعيد الى أذهاننا تلك الفترة حين كان يعهد بالرسالة شفويا الى رسول، اذ أنها موجهة الى الكاتب الذى سينقل الى المرسـل اليه محتويات المستند ذلك لأن أغلبية السومريوأكاديين لم يكونوا ملمين بالقراءة ، وكان من الضرورى أن يلجأوا الى خدمات المتعلمين . ولقد طرأ بعض التعديل على هذه الصيغة فى عهد أجاده (٢) وان بقيت جارية الاستعمال مهما تكن وظيفة أو صفة المرسل اليه « ما يرسله لوبا الـ « نوباندا » (الرئيس) أبلغه الى ملكي » وقد اختصرت الصيغة أحيانا الى « الى ملكى ما يرسله انيجلولا » وقد اختفى فى عهد ملوك أور الجزء الأول الذى كان يحوى اسم المرسل ولم يبق سوى : « أبلغه الى فلان » .

ولدينا عدد من الخطابات ابتداء من عهد الأسرة الأولى البابلية يشير بعضها الى شئون الدولة والبعض الآخر الى أمور خاصة وليس هدف النوع

(١) I, t. XVII, p. 95.

(٢) XIX, no. 1058, 1170, 1261.

الأول ـ كما هي الحال بالنسبة للنقوش الرسمية ـ أن يبقى للأجيال القادمة ولكنه يهدف الى تصفية منازعات أو ابلاغ أوامر أو تقارير . وهذا النوع أحسن ما يقوم مثالا لتعريفنا بالعرف المتبع والتقاليد والعـــادات والأحداث . وهكذا تبين مراسلات حمورابى مع « سن ايدينام » محافظ لارسا كيف كانت السلطة المركزية تعنى بادارة شئون الدولة وتهتم بأقل التفصيلات وتركز فى بابل ادارة جميع الشئون . واننا لنرى أن وحدة الامبراطورية تحققت فى النهاية وأن الملك بشغل نفسه ويهتم باستقرار كل الأنظمة التى وضعها أو عدلها وقد نجح فى ذلك . ولقد كانت ثـروة المعابد ضخمة وكان للمشرفين عليها نفوذ واســـع وكان حمورابى يطلب حسابا عن ايراداتها ويعنى بالترميمات أو اعادة البناء أو زخرفة الهياكل . ولما كان الأمر يتطلب أعمالا انشائية كبرى ، فانه كان يهتم بتعيين العمال وتحديد أجورهم وكان البت فى بعض الشئون من اختصاص السلطات المحلية فأصبح من اختصاص السلطة المركزية . ولقد كان التقويم من هذه الشئون اذ كانت كل مدينة تحدد ان كانت السنة الحاليـــة بها ١٢ أو ١٣ شهرا . وقلما كان يتم اتفاق على هذا الأمر بين الأمراء المتجاورين لأن كلا منهم كان يتصرف حسب هواه . الا أنه منذ ذلك الوقت بدأ العمل بحساب واحد لكل الامبراطورية وكان الملك بما له من سلطة ملكية يقرر ما اذا كان يجب اضافة شهر الى السنة الجارية وهكذا نرى حمورابى يخطر « سن ادينام » فى واحد من كتبه أنه قد حل احتســـاب أيلول آخر فى تلك السنة .

ولم يكن الملك يكتفى بجمع الأحكام القضائية ووضع التشريعات واصلاح بعض المساوىء فحسب ولكنه كان يتولى الحكم بنفسه فى القضايا الكبرى ويتلقى التظلمات ويوجه قضاة المقاطعات . فلقــــد ضبط حادث رشوة فى « دور جور جورى » فأمر بالتحقيق والتحرى وأشار بأن يرسل المجرمون الى بابل ليعاقبهم بنفسه .

« الى سن ادينام قل : هذا نطق حمورابى ! هكذا نطق

شوما ايلو لا ايلو ... هكذا يقول : حدثت رشوة فى دور جورجورى

ان اولئك الذين سمحوا لأنفسهم بقبول رشى وشهود الحادث

هنا ... هكذا قال : اننى أرسل لك شوما ايلو لا ايلو بنفسه ...

لتقم بالتحقيق بمجرد وصول هذا الخطاب فاذا كانت هناك رشوة

فلتؤخذ الفضة ، أو ما أعطى كرشوة ولتوضع فى حرز مختوم

وترسل الى : أما المرتشون وشهود الحال الذين سيكشف

عنهم شوما ايلولايلو فليرسلوا ان » (١) .

وقد نزعت أرض ايالوباني منه وقدم صك بسند الملكية الى الملك فأمر هذا بردها الى صاحبها (٢) . ولقد شكا أحد أهالي سيبار من أن الحبوب التي أودعها مخزن غلال قد سرقت فاتصل الملك بـ « سن ادينام » لانهاء هذه المسألة (٣) .

« الى سن ادينام قل :هكذا تكلم حمورابي ؟ أخبرني
تمومو من تيبور بما يأتي : قال : لقد أودعت ٧٠ جورا
من الشعير في مخزن في « أونابو » وفتح « اويل ايلي » المخزن
وأخذ الشعير ... هذا ما أخطرني به . انني أرسل
تمومو بنفسه . استدع « اويل ايلي » واستمع اليهما وليعد
اويل ايلي الى تمومو شعيره الذى أخذه منه ... » .

وكان « ايلوشو ايقيشي » (٤) قد أعار « سن ماجير » ٣٠ جورا من الشعير وأخذ ايصالا عنها ولكنه ظل مدى ثلاث سنوات يطلب السداد دون جدوى . وقد أطلع الملك على الايصال فلم يكن هناك من داع لتحقيق الأمر ، وحل الملك المشكلة بنفسه فكتب الى الحاكم يقول : « ليرجع سن ماجير الشعير والفائدة وليعطهما الى ايلوشو ايقيشي » .

ولم يكن جباة الضرائب يتعجلون تقديم حسابابتهم اذ أنهم كانوا مزارعين يدفعون مبلغا معينا الى الخزانة ويحصلون على مسئوليتهم الضرائب المستحقة في الناحية التي سبق أن تعاقدوا عليها . ولقد اشتهر « شب سن » بتباطؤه في دفع التزامه وقد طالبه الملك ذات مرة بتسديد ما عليه (٥) . وفي مرة أخرى اعتذر بصعوبة جمع المال المستحق لمعبد معين (٦) وأخيرا غضب حمورابي وكتب الى سن ادينام (٧) :

« انني كنت قد كتبت اليك طالبا اليك فيما يختص برئيس الجباة
شب سن أن ترسله ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم ،

---

(١) LXXXIX, No. 11.

(٢) Ibid No 76.

(٣) Ibid, No. 12.

(٤) Ibid. No. 24.

(٥) Ibid. No. 16.

(٦) Ibid No. 30.

(٧) Ibid No. 33.

١٩ مينا من الفضة واجب عليه سدادها • وكذلك رئيس
الجباة سن موشتال ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم ،
٧ مينا من الفضة مستحقة عليه ، وأرسلهما الى بابل •••
ولكنك اخبرتنى بأن رئيسى الجباة هذين قالا : لقد حل
موسم الحصاد وسنذهب بعد الحصاد •• — هذا ما قالاه وأخبرتنى
به •• والآن وقد انتهى الحصاد فحالما ترى هذه اللوحة التى أرسلها
لك أرسل الى بابل « شمس سن » رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور
من السمسم و ١٩ مينا من الفضة مستحقة عليه وكذلك
سن موشتال رئيس الجباة ومعه ١٨٠٠ جور من السمسم
و ٧ مينا من الفضة مستحقة عليه كذلك • وأرسل معهما حارسك
الأمين • وكلفهما بأن يقدما نفسيهما أمامي بكل ما يملكان » •

ولقد تعرض موظفون آخرون للوم عنيف واستدعوا كذلك أمام الملك • وهذا ما حدث لـ « اتيل بى مردوك » بسبب ما اعتاده من ربا فاحش (١) فلقد طلب ايشاكو خاضع لأوامره أن ينقل الى خدمة سيد آخر (٢) ، كما شكا أحد الرعاة من أنه فرض السخرة على رعاة كانوا معفين منها (٣) وكانت صيانة القنوات من أهم الأمور ليس لرى الأراضى وصرفها فحسب بل لأنها وسيلة للعلاقات التجارية كذلك • وكان أولئك الذين يعيشون على ضفافها يخضعون للسخرة تحت اشراف المحافظين • ولم يكن الملك ليأنف من أن يعطى أوامره باستدعائهم وتكليفهم بتطهير القنوات فى فترة يحددها (٣) • ولقد تبين له ذات يوم أن تطهير قناة معينة لم يتم فأمر بإتمامه خلال ثلاثة أيام (٥) • وكانت قطعان الملك وأراضيه الخاصة موضوع خطابات عديدة • وكان يتلقى عنها تقارير ويرسل ضباطا من رجاله لمراقبة الرعاة • وكان يستدعى الى القصر أحيانا ٤٧ راعيا فى وقت واحد ليستقى منهم الأخبار مباشرة • وكان يهتم بجز الغنم ومحاصيل البلح والبقول وتخزين الأخشاب ••• الخ •

---

(١) Ibid,, No. 18, 30, 73.

(٢) Ibid, No. 38.

(٣) Ibido, No. 3.

(٤) Ibid, No. 26.

(٥) Ibid, No. 5.

وقد حدث في خلال حملة ضد ايموتبال (وهو اقليم على حدود عيلام) أن استولت الجيوش الملكية على آلهات هذه البلاد وحملتها عند عودتها الى بابل • وطبقا للعقائد الدينية كان يجب أن تعامل هذه الآلهة الأسرى باحترام ، وأن توضع في معابد الآلهة البابلية حتى تصبح موالية للغزاة فيسمح لها أن تعود الى هياكلها توطئة لتسهيل الغزو السلمي للمقاطعة التى تخضع لسلطتها الشرعية • ولقد كتب حمورابى عنها الى سن ادينام (١) :

« ضع الالهات حالا على (مركب) مواكب وأرسلها الى بابل •
ودع العاهرات (داعرات المعابد) •
يصحبنها • ولتحمل السفين طعاما من أجل ولائم الالهات وكذا شرابا
وصغار ماشية ومستلزمات ومعدات للعاهرات حتى يصلن الى بابل •

وليعين من يعملون فى جر المركب ولتأت الإلهات الى بابل دون عائق ولا يتأخرن بل يأتين بسرعة الى بابل » • ولسنا ندرى كيف نفذ ما جاء فى هذا الخطاب • وهناك كتاب آخر كذلك موجه الى حاكم لارسا يأمر فيه باعادة نفس المعبودات الى معابدها :

« قل ل « سن ادينام » : هكذا يتكلم حمورابى : ان
الهات « ايموتبال » اللواتى تحت رعايتك سوف تحضرها
جيوش « انوحسامار » لك تحت حراسة قوية وحين تصل
اليك ضم هذه الجيوش الى جيوشك وأعد هذه الالهات
الى هياكلها » (٢) •

وقد شكا « لالو » الى ساموايلونا » خليفة حمورابى من حاكم كان يدعي حقوقا على محصول من متعلقات « ايلكو » واستولى عليه • وكانت اللوحة فى القصر • وكان المدعى فى الواقع صاحب حق استثمار عدد ٢ جان من الأرض • فارسل امر الى سن ادينام (٣) للتحقيق وأن يلام الحاكم ان كان قد اعطى سلفة على رهن هذه الأرض •

---

(١) Ibid, No 34.

(٢) Ibid, No. 45.

(٣) Ibid, No 6.

وكان هناك فى ذلك الوقت نظام خاص بصيد الأسماك • وكانت كل ناحية تحتفظ لنفسها بحقوق معينة فى حدود أراضيها تعويضا عما يؤدى من أعمال خاصـــة بصيانة القنوات وتطهيرها • وحين تلقى « سامسوا أيلونا » شكاية أعطى الأمر التالى (١) :

« الى سن أدينام ••• قل ل « كارسيبار » وقضاة سيبار :
هكذا يقول سامسو أيلونا : لقد وصل الى علمى أن
قوارب الصيادين تنزل الى نواحى « رابى » و « شامكانى »
تصيد سمكا هناك • لذلك فاننى أرسل ضابطا من
ضباط « بوابة القصر » وحين يصل اليك استدع قوارب
الصيادين التى تصيد سمنا فى نواحى رابى وشامكانى
ولا تسمح مرة أخرى بأن تنزل قوارب الصيادين الى نواحى
رابى وشامكانى » •

ويشهد خطاب ل « أمى ديتانا » محفوظ فى اللوفر (٢) بعادة القيام بطقوس شهرية للموتى :

« قل ل « شوما أيلوم بن أدين مردوك :
هذا ما يقوله أمى ديتانا : لا يوجد اللبن والزبد
اللازمان للتقدمات الشهرية لشهر آب • فبمجرد وصول
لوحتى هذه اليك دع خادمك يأخذ ٣٠ بقرة ،
٦٠ قا من الزبد ويأتى الى بابل • ودعه يحضر لبنا
حتى تنتهى التقدمات الجنازية • ولا تدعه يتأخر بل دعه
يأتى سريعا »

وهناك خطاب آخر من « سامسو ديتانا » (٣) يكشف عن ظروف اضطراب الأمن خلال أخريات عهد الأسرة الأولى :

« بالاشارة الى ما كتبته الى قائلا عن الحبوب التى تنمو فى
مقاطعه سيبار — ياروم وأنه ليس من الصواب

---

(١) Ibid, No. 80.

(٢) XXIV, p. 160.

(٣) Ibid, p. 161.

أن تترك فى الحقول تحت رحمة جند الأعداء ... ألا
فليسمح سيدنا باعطاء الأمر بارسال تعليمات الينا
لفتح بوابة شماش ونقل هذه الحبوب الى المدينة .
هذا ما كتبته لى ... وبمجرد جمع الحبوب من كل الأراضى
فلتفتح حالا بوابة شماش وحتى يتم ادخال الحبوب
هناك فلتستمر جلسات القضاة منعقدة ولا تدعهم يهملون
حراســـة البوابة » .

أما الخطابات الشخصية التى تعالج شئونا خاصة فهى غامضة ، لأننا لانعرف شيئا عما وراء نصوص اللوحة نفسها . ونصها فى أغلب الأحيان مقتضب جدا ومحشو بالاشارة الى أمور يعرفها المرسل اليه ونجهلها نحن .

فهناك فلاح أغار العدو على ماشيته يسأل مولاه أن يزوده ببقرة وهو يرســل له خمســة شواقل من الفضــة ويعد بدفع باقى الثمن حين يتسلم البقـــرة .

« الى سيدى قل ــ هكذا يقول « ايجاتوم » خادمك :
كما علمت ياسيدى استولى العدو على ماشيتى .
اننى لم أكتب اليك من قبل والآن أطلب تحرير
خطاب اليك ياسيدى . أرسل لى ياسيدى بقرة
صغيرة وسأزن وأرسل لك خمسة شواقل ياسيدى !
ارسل البقرة الصغيرة مع أخى ايلى ايقيشام ولكى
يوافق مولاى بدون تأخير ويرسل لى البقرة الصغيرة
فاننى سأزن فى الحال وأرسل لك ١٥ شاقلا من الفضة ياسيدى » .

وكان اريب سن ، إبنى نابو شريكين فى عمل من الأعمال . وطلب الأول من الأخير أن يدفع ١٤ شاقلا الى المدعو « شماش بل ايلانى » وأجابه الأخير بأن يأخذها من مبلغ الـ ٢/٣ مينا من الفضة السابق تسليمها الى المدعو « واراد ايليشو » (١) .

« أما فيما يختص بـ » واراد ايليشو . ابن « ابنى ديبارا
فاننى سلمته ٢/٣ مينا من الفضة واعترف بذلك كتابة

(١) ...CV, p. 334.

بحضور شهودى . وقد ذهب الى آشور ولم يدفع المال
الى « شمایاتو » . وقد تقابل « شمایاتو » معى فى داجانا
وتناقشنا فى هذا الموضوع وقلت له : « لقد أرسلت لك
النقود مع وأراد ایلیشو » فأجاب قائلا : « ان كان
وأراد ایلیشو قد دفع النقود بالابل ... »
اما فیما یختص بما کتبته عن ال ١٤ شاقلا الخاصة
« بشماش بل ایلانی » فاننى لم أدفع له النقود . اقبض
على وأراد ایلیشو وألزمه بأن یزن الفضة بفائدة أكثر
أو أقل وخذ من هذا المبلغ ١٤ شاقلا وأرسل لى الباقى » .
وهناك رجل ألقى فى السجن منذ خمسة شهور يشكو تعاســـته
ويلتمس من مولاه بأن تيسر له سبل العيش (١) :
« أرسل لى نصف مينا من الفضة أو ٢ مينا من الصوف
لاستعمالها لى ألا لایرجع ما رابوللى فارغ اليدين .
ان رجع خاوى الوفاض فان الكلاب ستنهشنى
انه لم يلق بى فى السجن من أجل سطو أو اقتحام منازل .
أنت تعلم يامولاى كما يعلم كل أهل سيبار وبابل
لقد أرسلتنى يامولاى عبر النهر بزيت فهاجمنى السوتيون
وسجنت ... لتقل كلمة فى مصلحتى لاخصاه « اباراكو » الملك
أرسل لى شيئا حتى لا أموت فى بيت البؤس . أرسل لى
« قا » من الزيت و٥ قا من الملح . ان ما سبق أن
أرسلته الى لم يسلم الى » .

وقد وصلتنا عن طريق الحفائر فى نيبور خطابات موجهة الى الملوك الكاسيين ومراسلات بين الموظفين فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر وهناك مذكرة بغير امضاء تبين أن طريقة مسك حسابات المعابد والضياع الواسعة ظلت معقدة كما كانت منذ البدء (٢) .

---

(١) Ibid, p. 331.

(٢) XXV, t. XVII, 76.

« هكذا يقول أبوك : أعط وجهك – كن عطوفا وأرسل
بأسرع ما يمكن التقرير الى « رئيس الشعير » حتى أستطيع
ان أرسل تقريرا من عندى .. » .

وكان الأمر يتصل بحسابات أمراء أو صوامع مختلفة فى عهدة نفس الموظف وكان على كل حارس أن يقدم قائمة بالسلع حتى يستطاع عمل القائمة الاجمالية التى ترسل الى السلطة الرئيسية . وقد بدأت تظهر اذ ذاك اصطلاحات « أب » و « أم » بمعنى « رئيس » واصطلاح « أخ » بمعنى زميل أو صديق أو ند : تلك الاصطلاحات التى انتشر استخدامها فى الرسائل الكتابية فى عهد الدولة الحديثة .

وهناك آخر يشكو من خطأ : انه كان قد طلب بعض الأوانى وأرسل له تبن بدلا منها (١) ، كما نرى السيدة « انبى ايرى » تكتب الى رئيس حراس المخازن لمعبد نيبور وتأمره أن يسلم كمية معينة من الشعير :

« الى اينانى قل : هكذا تقول انبى ايرى :
أعط ادين زجال ٣ جور من الشعير .
لاتعاملنى معاملة لاتنطوى على روح المودة ولكن
– كما قلت له – دعه يأخذ ويحضر هذا الشعير .
أما فيما يختص بضمانة الناس فأرسلها الى سن ايساهارا
وأرسل الى « دينى » ابنة « ابيا » ٤ جور من الشعير » .

وكان الملك غالبا ما يحكم فى القضايا بنفسه كما كانت الحال خلال عهد الأسرة الأولى :

قل الى اديل مردوك : هكذا قال الملك :
هكذا يقول الى اديل مردوك : ان « ابريش نادين شوم »
ابن « ابانای » الذى افترى على هانيبى ودامجو بن ...
الذى افترى على سن ... أحضره أمامى (٢) » .

وكان اديل مردوك هذا رئيس شرطة نيبور أيام حكم « شاجاراكتى شورياش » (حوالى ١٢٧٠ ق.م .) ويبدأ امجوروم تقريرا مقدما الى

---

(١) Ibid. 76.

(٢) Ibid, 45.

الملك « بورنا بورياش » عن الشئون التى تحت رعايتـه على الصـورة التاليـة :

« خادمك امجوروم . الا أستطيع أن أحضر أمام سيدى ؟
تحيات الى بيت مولاى ! » .

ثم يصنف حالة العمل فى مختلف المبانى الجاري بناؤها بعضها من اللبن والبعض الآخر من الآجر ثم يشـير الى عـدم وصول الصوف من « بعل أوساعتوم » ويبين كيفية توزيع الصوف الذى تسلمه ويلتمس من الملك أن يرسل بعض الصوف ما دام لا يستطيع الحصول على شىء منه فى دور كوريجا لزو ويقرر انه « لايجد لذة فى هذه الوظيفة » ثم ينهى خطابه بان يطلب الافراج عن النساجين المسجونين فى بان بالى . وكان قد تحدث الى الملك من قبل وكتب اليـه ثلاث مرات فى هذا الشأن دون أن يتلقى جوابا .

وهناك شخص آخر يدعى « كالبو » (١) يصف نفسه بأنه متواضع كالتراب وخادم محب لمولاه ويبدأ خطابه بهذه المجاملة :

« الى مولاى الرائع فى بهائه ذى الأصل السماوى ، القوى ،
الجبار ، العاقل ، ضوء اخوانه الذى يضىء مثل الفجر ،
هادى السادة الجبابرة والمرعبين ، قوت الشعب ،
مائدة النبلاء ، بطل عشيرته ، ذلك الذى منحه آنو
وانليل وايا وبعليت ايلى اقطاع النعمة والعدل ...
الى مولاى أقول : هكذا يتكلم كالبو التراب والخادم الذى يحبك » .

كان هذا المتملق حاكما على « مانوجبر رمان » واجتيحت مقاطعته .. اجتاحتها «أمطار السماء وأمواج الهاوية» .. حطم الفيضان البوابات وقضى على قطيع من النعاج عمرها عامان ولم يبق شىء لغذاء السكان . وبعد أن يعرض بعض الشئون الأخرى نراه ينهى خطابه ملتمسا ردا عاجلا .

ومن العصر نفسه فان المجموعة التى لاتقدر من خطابات تل العمارنة تلقى ضوءا قويا على سياسة الامبراطوريات الشرقية وسياسة مصر فى كنعان وفى عمورو وهى أقطار كان يطمع فيها دائما جيرانها الاقوياء ليس لأنها كانت أقطارا غنية فحسب بل ولأنها أيضا كانت الطريق التجارى

---

(١) Ibid, p. 24.

الوحيد الذى يهبط من بلاد بابل وأشور ومن المملكة الحيثيـــة نحـو امبراطورية الفراعنة . وليس خطاب « خاتوسـيل » ملك الحيثيين الى « كاداشام ــ اليل » ملك بابل (١) بأقل قدرا أو أهمية فى المعلومات التى يقدمها لنا عن العلاقات بين البلدين .

ويحمل خطاب بابلى من القرن السابع ــ كتبه ملك اشورى ــ أمرا بالبحث عن وثائق قديمة كان يحتاج لنسخ منها لمكتبته . وهو يعطى لمحة واضحة عن الطرق التى كان يتبعها أشور بانيبـال فى تكوين مجموعة كبيرة من النصوص فى قصره فى نينوى :

« أوامر الملك الى شادونو ... أنا بخير ... ليسعد قلبك
فى اليوم الذى تقرأ فيه لوحتى ، خذ « شوما » بن « شوموكين »
وأخاه « بعل اتير » و « ابلا » بن « أركات ايلانى » وصناع
بورسينا الذين تعرفهم ... خذهم فى خدمتك وابحث عن
كل اللوحات التى فى منازلهم وكل اللوحات المودعة فى «ازيدا» ولوحات
تمائم (؟) الملك والأنهار والحرائق (؟) وشهر نيسان وال... الأنهار
وشهر تشريت ومنزل الرش وال ... الأنهار (؟) واحصاء الايام
وأربع (؟) تمائم وسادة سرير الملك و ... الملك
وسلاح « ارو » لوسادة سرير الملك ورقية « ايا ومردوك الحكمة التى
يباشرانها واجتماع ... » وقصص المعركة وكل ما هو كائن مع
اللوحات الكبيرة مما هو هناك ، (والمجموعة) : « لا تدع (السوء)
« آس مى جى » يقرب الرجل .
الذاهب الى الحقـول (أو) الداخـل الى القصر » . وابحث عن النصوص الخاصة

بالطقوس ورفع الأيدى والنقوش على الحجر وكل ما يفيد جلالتى و (مجموعة) تطهير

المدنية (؟) كلها وكل ما فى القصر خاصا « بالكروب والحاجـة الملحة ، وكل اللوحات

الثمينة فى منازلكم (الخاصة) غير الموجودة فى أشور ... ابحث

---

(١) قارن ما ذكرقبلا فى صفحة ٥٦ .

(عنها) جميعا وأرسلها الى • ولقد كتبت فورا الى الوكيل والضابط•
وضعها فى مخزنك • لا تدع
أحدا يرفض اعطاء لوحة لك • واذا وجدت لوحة أو نصوص خاصة بالطقوس لم أكتب لك عنها
وترى أنت انها ذات نفع لقصرى فخذها وأرسلها الى (١) » •

٤ ــ المقاييس والموازين

هناك تمثالان من بين تماثيل جوديا المحفوظة فى اللوفر يرى فيهما الايشاكو جالسا وهو يمسك على ركبتيه لوحة تستقر فوقها مسطرة مدرجة : لعلها المقياس الوحيد لدينا لتقدير الأطوال فى الألف الثالثة • وأحد النموذجين كامل ويبعد أقصى خدشين فيه عن بعضهما بمسافة ٢٦ر٤٥ سنتيمترا وأحد المقياسين مقسم الى ١٦ جزءا متساويا اربعة منها مقسمة الى جزءين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أجزاء • أما الآخر فمقسم كذلك الى ١٦ قسما متساويا من بينها اثنان مقسمان الى ١٢ و ١٨ جزءا • والتماثيل أصغر قليلا من الحجم الطبيعى ولسنا ندرى على وجه التحقيق أتمثل المسطرة مقياسا حقيقيا أم هى مصغرة وتمثل مقياسا للرسم فقط (٢) وهناك دلالات أخرى أهمها أحجام طوب البناء مما يسمح لنا باعتبار الأقسام كأنما يساوى كل منها كسرا من وحدة الطول المعمول بها فى هذا العصر • وهذا الكسر الجزئى لا يمكن أن يكون سوى الاصبع وهو $\frac{1}{20}$ من « المقياس » أو الذراع المستعمل فى لجش منذ عصر ما قبل السرجونية • والذراع يساوى على وجه التقريب ٤٩٪ سنتيمتر (٣) •

أما كسور الذراع ذى الـ ٣٠ اصبعا فهى « المقياس » أو القدم ذو العشرين اصبعا و « اليد المفتوحة » ذات الخمس عشرة اصبعا و « يد البناء » ذات عشر الأصابع وأخيرا الاصبع • ومضاعفاته هى : « القصبة » وتعادل ست أذرع و « الشاخص » ويعادل ١٢ ذراعا و « التسوبان » ويعادل ٦٠ ذراعا وشريط المساح ويعادل ١٢٠ ذراعا •

---

(١) LVIII, p. 19.

(٢) LXX, pl. 15.

(٣) V, t. XVIII, No 3.

والجدول التالى يبين قيم هذه المقاييس بالنظام المترى :

الإصبع		= ٠ر٠١٦٥	مترا
يد البنـــاء	= ١٠ أصابع	= ٠ر١٦٥	»
اليد المفتوحة	= ١٥ اصبعا	= ٠ر٢٤٧٥	»
القـــدم	= ٢٠ اصبعا	= ٠ر٣٣٠	»
الذراع	= ٣٠ اصبعا	= ٠ر٤٩٥	»
القصـــبة	= ٦ أذرع	= ٢ر٩٧	»
الشـــاخص	= ١٢ ذراعا	= ٥ر٩٤	»
نصف الشريط	= ٦٠ ذراعا	= ٢٩ر٧٠	»
شريط المساح	= ١٢٠ ذراعا	= ٥٩ر٤٠	»
الفرسـفخ	= ١٨٠ شريطا	= ١٠٦٩٢ر ـ	»

ومنذ الأسرة الثالثة البابلية نجد مقياسا ثالثـا أو ذراعا طوله ٤٥ اصبعا وكان يسمى « بالمقياس الطواف » أو الذراع الكبير ويعادل ٣/٤ متر تقريبا (١) ولقد أمكن تحقيق هذه التحديدات بمقارنة مقاييس سيجورات بابل التى تقدمها لنا لوحـة من عصر السلوقيين مع المقاييس الصحيحة التى عملت لاطلال هذا الأثر حين الكشف عنه ٠

وكانت وحدة المساحة فى الألف الثالثة هى ال « ســـار » (ربع الفدان) وهو مربع طول ضلعه شاخص وأجزاؤه ١/٦٠ و « القمحة » التى تعادل ١/٣ ال ١/٦٠ ٠وأما مضاعفاته فهى : ال « جان » أو الحقل ذو ال ١٠٠ ســار ثم ال « بور » ذو ١٨ جان وتحقيق هذه المساحات بما يقابلها من مقاييسنا الحديثة هو :

القمحة	= ٠ر١٩٦	سنتيمترا مربعا
	= ٠ر ٥٨٨	»
ربع الفدان	= ٣٥ر٢٨٣٦	»
الفـدان	= ٣٥ر٣٨٣٦	آر
البـور	= ٦ر٣٥١٠٤٨	هكتارا

وقد ظهر مع الكاسيين مقيـاس مســاحى جديد يرتبط بمقيـاس الجديد ٠ وكما أن هناك ذراعا كبيرا يرتبط بالخطوة المعادلة ل ٧٥ سم

(١) I t. XV, p. 59.

وهو ٤/٣ الذراع المعتاد ، فاننا نجد الأمر كذلك بالنسبة للأراضي التي تمسح ب « الجان الذي يقاس بالذراع الكبير » وهذا الجان أو الحقل الذي ظل ثابتا موافقا مع لجان القديم حتى سقوط بابل كان مقياسه ٧٩ر٣٨٨١ آر ونسبته الى الجان الآخر كنسبة ٩ : ٤، أما وحدة مقاس الأحجام فكانت $\frac{١}{١٢}$ من الذراع المكعب وتعادل ١٧٫٤٦٥ مترا مكعبا وأجزاؤها الـ « جن » أو الـ $\frac{١}{٦٠}$ (١) .

والوحدة الأساسية لقياس المكاييل كانت الـ « قا » ويعادل $\frac{١}{١٤٤}$ من الذراع المكعب أو حوالى ٨ر٤٢ ديسيلتر . وكان هناك تقسيم للمكاييل السوائل فالـ « جن » أو الـ $\frac{١}{٦٠}$ الذى يذكر كثيرا فى لجشن فى عصر أور فى تعيين كميات الزيت التى تعطى لمناسبة مآدب الموظفين المرتحلين الى جانب مكيال آخر هو الـ « أجام » الذى يظهر انه كان يساوى ٥ جن أو $\frac{١}{١٢}$ قا . أما مضاعفاته ف « الوعاء الصغير » سعة ٥ قا و الـ « نجن » سعة الـ ١٠ قا و الـ « دج » أو الوعاء سعة ٢٠ قا فى عصر ما قبل السرجونية — وكان الوعاء يعادل ٣٠ قا فى عصر أسرة أجاده ثم الـ « سادوج » أو « الجرة » سعة ٣٠ قا ، ثم الجرة المزدوجة ثم الـ « أدابا » سعة ٣٠٠ قا .

وقد عرفت المكاييل للمواد الجافة سعة ٦ ، ٣٦ ، ٧٢ ، ١٤٤ قا فى عصر لوجالاندا واوروكاجينا . والمكيال الأخير يسمى الـ « جور سجال » وكان له كذلك مضاعف يعادل حجمه ٣٦٠٠ مرة . وقد ظل مستعملا حتى عصر أور ولكن كان هناك فى نفس الوقت مكيال آخر هو الـ « جور » سعة الـ ٣٠٠ قا (٢٥٢ر٦ لترا) الذى سمى فيما بعد جور أجاده أو الجور الملكى . وقد ظل استعماله قائما حتى عصر الأسرة الثالثة حين حل محله الجور سعة ١٨٠ قا (حوالى ١٥١ر٥٦ لترا) .

أما وحدة الوزن فكانت الـ « مينا » وزنتها $\frac{١}{٢٤٠}$ من الذراع المكعب من الماء وليس من الـ « قا » التى كانت $\frac{١}{١٤٤}$. وكانت المينا مقسمة الى ٦٠ شاقلا وكانت كل ٦٠ مينا تعادل « وزنة » . وهناك عدد من الأوزان البابلية والأشورية والعيلامية استطعنا عن طريقها أن نحدد وزنة المينا بحوالى ٥٠٥ جرامات . وكانت المينا مقسمة فى الألف الثالثة الى ٦٠ شاقلا والشاقل الى ١٨٠ قمحة . وكانت كل ٣ قمحات تعادل شاقلا صغيرا وكل ٦٠ تعادل « مينيت » وكل ٩٠ نصف شاقل وكل ١٢٠ مينيت مزدوجة وهذا هو الجدول :

(١) I t. VI, p. 75.

القمحة	٠٤٦ر٠	جراما
الشاقل الصغير	١٤٠ر٠	»
المينيت	٢ر٨٠٥	»
نصف الشاقل	٤ر٢٠٨	»
المينيت المزدوجة	٥ر٦١١	»
الشاقل	٨ر٤١٦	»
المينا	ـ ر٥٠٥	»
الوزنة	٣٠ر٥٠٥	كيلو جراما

وكان الشاقل يقسم في العهد البابلي الجديد الى ٢/٣ ، ١/٢، ١/٣، ١/٤، ١/٥ ، ١/٦، ١/٨ ، ١/١٠ ، ١/١٢ ، ١/٢٤ . وكان اسم الأخير هو الـ « أوبول » ويعادل ٣٥ سنتيجرام . وكان السومريوأكاديون يقسمون محيط الدائرة الى ٣٦٠ درجة بكل منها ٦٠ دقيقة وقد ظل هذا التقسيم قائما رغم عدم تكافؤه مع النظام المترى . ويظهر انه لم تكن به قابلية للتقسيم الى درجات (Grades) لسنين كثيرة بعد ذلك .

كيف توصل السومريون القدماء الى اختراع الطريقة الستينية للعد . ان أسماء الأعداد نفسها تقدم لنا الاجابة : فهم من أول الأمر لاحظوا الأصابع الخمس لليد وبدءوا في العدد : آش (١) ، : من (٢) ، اش (٣) ، لمو (٤) ، أى أويا (٥) ولما كان العدد ٥ غير كاف كما هو واضح فانهم زادوا في الترقيم بالاضافة الى الأربعة الأولى وهذا يعطينا آش (ياش) (٦) ، ايمين (اى ـ مين = ٧) ، أوشو (اى ـ اش = ٨)، الو (اى ـ لمو = ٩) . ولمجموعتي الخمسة اخترعوا اسما جديدا جعلوه وحدة جديدة أعلى هي العشرة « أو » (١٠) وضعفها ٢٠ المسماة نش (٢٠) . ومن هاتين التسميتين للعشرات صنعوا مركبات تعنى أربعة أمثال هي : أوشو (أوش أو ثلاث عشرات = ٣٠) ، نيمين (نيش مين = عشرينين = ٤٠) ، نينو (أو = عشرينين + عشرة = ٥٠) أما الستون فجعلوا لها اسما جديدا هو « جش » .

وكان أعلى الآحاد المربع والمكعب والقوة الرابعة لـ ٦٠ . وكانت ستون مربعا تسمى سار (٣٦٠٠) وكانت القوة الرابعة (١٢٩٦٠٠٠٠) تسمى « بالسار العظيم » أو « السار العظيم الذى لا تدركه الحواس » .

وكانت الأرقام تطبع أولا على اللوحات بواسطة قلمين مستديرين في القاعدة لكل منهما قطاع نصف قطرى يختلف عن الآخر . وبضغط الدائرة

الصغرى بانحراف على الطين نستطيع الوصول الى ما يشبه نصف دائرة ممدودة تمثل الوحدة · وكان اثنان أو ثلاثة تصنع عن طريق تكرار هذه الوحدة على نفس الخط · ثم ـ ابتداء من ٤ ـ كانت ترتب الأرقام في صفين لتسهيل عملية القراءة وحين الوصول الى ٩ كانوا يفضلون كتابة (١٠ ـ ١) وكانت علامة الناقص يشار اليها بزاوية قائمة متجهة نحو العدد المطروح منه وكانت هذه العلامة كثيرة الاستعمال بقصد تجنب الخطأ ولتسهيل الكتابة : ولذا فاننا نجد أن رقم ٧ يكتب « ١٠ ـ ٣ » ونجد مبلغ ٥٦ شاقلا من الفضة يكتب « ٣ مينا ـ ٤ شاقل » ·

أما العدد للعشرات فكانوا يصلون اليه بنفس القلم حين يمسك عموديا وليس مائلا حتى يترك دائرة تامة · وأما العشرات بعد ٣ فكانت ترتب في صفين كالآحاد ·

وكانت أعلى وحدة وهي الستون تختلف عن العدد ١ بحجمها الأكبر وكانت تصنع بواسطة قلم كبير يستعمل مائلا · أما علامة عشرة ستينات فتعمل على شكل نصف دائرة تمثل ٦٠ مع الدائرة الصغيرة التى تمثل ١٠ منقوشة بداخلها أو متقاطعة مع حافتها وكان السار (الستون المربعة) يرسم بالقلم الكبير ويكون دائرة كاملة · ولتبيان عشرة من السار (٣٦٠٠٠) كانت تطبع الدائرة الصغيرة في وسط الدئراة الكبيرة وكانت ترسم ٤ خطوط صغيرة على شكل × مقاطعة للشكل المذكور وذلك لتشير الى مكعب ال ٦٠ ·

وقد اخترعت منذ زمن بعيد علامات الكسور وكانت علامة الوحدة داخل ٩٠ درجة الى اليمين تقسم بواسطة خط صغير لتشير الى كسر ال $\frac{١}{٣}$ أو تصحب بزاوية لتمثل ال $\frac{١}{٢}$ أما الكسور أكبر من $\frac{١}{٢}$ فقد استخدمت لها بعض اصطلاحات ، ف « ايجى ـ ٣ جال » = $\frac{١}{٣}$ ، « ايجى ـ ٤ ـ جال » = $\frac{١}{٤}$ ، « ايجى ـ ٥ ـ جال » = $\frac{١}{٥}$ وهكذا ·

ولبيان المساحات كان ال « جان » أو الفدان يمثل بوحدة واما ٦ جان وتعادل ٦٠٠ سار فتمثل بالعدد ٦٠٠ والبور من ١٨ جان برقم ١٠ وأما ١٠ بور فبنفس العدد تقطعه ٤ خطوط على شكل × وكانت ٦٠ بور تبين على شكل دائرة كبيرة وأما ٦٠٠ بور فدائرة صغيرة داخل اخرى أكبر منها واما ٣٦٠٠ بور فبنفس الشكل تقطعه علامة × المكونة من اربعة خطوط صغيرة ·

ومع الجور كمكيال استعملت الأعداد العادية للحساب وهى ١، ١٠، ٦٠، ٦٠٠ وكانت الوحدة الراقدة على الجانب الأيمن تشير الى الجور · وقد تكرر الى أربع مرات وكان نفس العدد اذا قطعته خطوط ما بين واحد وخمسة يمثل من $\frac{١}{[illegible]}$ الى $\frac{١}{[illegible]}$ من الجور على التوالى ·

ومنذ عصر لوجالاندا لا نجد الكاتب يستعمل دائما القلم بالقطاع الدائرى لكتابة الأرقام وكان يستعمل أحيـــانا القلم المثلث الذى كانت ترسم به العلامات الأخرى وحينئذ كان يستطيع عمل مسامير مائلة بدلا من الدوائر ومسامير قائمة بدلا من أنصاف الدوائر ·

وقد ظلت الطريقتان تستعملان جنبا الى جنب حتى عصر ملوك أور حين إختفت الطريقة الدائرية ولم تبق سـوى الطريقة المسمارية » وفى النصوص التى تستعمل فيها الطريقتان معا نجد أن ذلك لم يكن فى أغلب الظن يرجع الى الصدفة أو الى مزاج الكاتب » لقد كانت الواحدة من الاثنتين تستعمل عادة لهذا النوع أو ذاك من الحساب ولكنها تستبدل بالأخرى حين يراد احـداث تمييز من شـأنه أن يساعد على وضـوح النص كما نستعمل نحن الحروف الكبيرة لنفس الغرض » (١) ·

ويظهر أن مسح الأراضى كان نظاما وطيد الأركان قبل أن تصبح مصاير لاجش فى يد لوجالاندا واوركاجينا بزمن طويل ، ذلك لأن القوم هناك كانوا يرسمون تخطيطات ذات أرقام وكانوا يستطيعون أن يحسبوا مساحة الأراضى مهما بلغ من عدم انتظام شكلها وكانت للسومريين صيغة لايجاد مســاحة المثلث والمنحرف والأشـكال ذات الجوانب الأربعـة غير المنتظمة وكانوا يقومون برسم صورة مساعدة تقاس بسهولة ثم تضاف اليها مساحة ما يقع خارجها لحساب الشكل ذى الزوايا والأضلاع الكثيرة العـدد ·

كانت القصبة ذات ست الأذرع هى الوحدة الطوليـــة للمساح وطولها ٢٫٩٧ مترا وكانوا يتجاهلون عند قياس الحقول كل طول يقل عن القصبة كما كانت تحذف كذلك كل مساحة تقل عن ½ جان وكان الخطأ الناتج لايتجاوز (٤٫٥٠) آر · وفى حالة الاراضى المستعملة كحدائق ، فإن وحدة المساحة كانت السار وهو $\frac{1}{100}$ من الجان وذلك لارتفـاع قيمتها وصغر حجمها وكانوا يتجاهلون الكسور الأقل من ½ سار وكان تجاوز الخطأ فى حدود ٩ سنتيمتر وأما فى أرض المبانى فان القصبة لم تكن تصلح لذلك الأمر فاستعـاضوا عنها بالذراع وكانت المساحة تعد صحيحة الى $\frac{1}{60}$ من السار أو ما يعادل ٥٨ ديسيمتر مربع ·

وقد خلف لنا مانشتوسو ملك أجاده ما ينبىء عن شرائه لضياع واسعة سجل أمرها على مسلة ولعل أكبرها جميعا كانت تحتوى على ٣٨٣٤

---

(١) I, t. XII, p. 121.

جان أو أكثر بقليل من ١٣٥٢ هكتارا وكانت الحدود تذكر أحيانا وان كان يغفل أمرها في غالب الأمر . وليست هناك تفصيلات عن تحديد المساحات بل اقتصر على ذكر أن هدايا أعطيت للمساجين (١) .

وقد كشف حفائر تللو عن عدد كبير من مستندات المساحة من عصر أجاده الى عصر أور (٢) وبعضها يقدم بالتفصيل حساب الوصول الى مساحة الحقول : من طول جوانب للمسطح الاضافي والأجزاء التي تضاف أو تخصم والمساحة الحقيقية للأرض التي تقاس . وفي بعض التصنيمات الأخرى يوجد منها ما هو خاص بالمنازل والمدن والأراضي المقسمة الى قطع والأراضي التي تخترقها قنوات ولم تعد وحدة القياس هي القصبة ذات ست الأذرع بين الشاخص ذو ال ١٢ ذراعا الذى كان مربعه يعادل السار تماما (٢٨ر٣٠ سنتيمر) وهو ١/١٠٠ من الجان وهكذا نجد على لوحة واحدة من أجاده (٣) قطعتين من الأرض بالتحديد التالي :

٢٠ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج)حقل مساحته ٢بور
١٧ من الأمام (مزدوج) ١٨٠ من الجانب (مزدوج) حقل مساحته ١ بور ٢/٣ ؛ ١/٢ جان .

ذلك لأن ٢٠ × ١٨٠ = ٣٦٠٠ = ٦٠^٢ ومن الناحية الأخرى من المعادلة ٢بور = ٣٦٠٠سار فوحدة الطول هي على ذلك جانب السار أي الشاخص أما بالنسبة للقطعة الثانية فان مساحة ما هو أقل من ١/٤ الجان كان يهمل كما هي الحال في عصر ما قبل السرجونية . وما دام حاصل ضرب ١٧شاخصا × ١٨٠شاخصا يعادل ٣٠٦٠ شاخصا مربعا أو سار فان هذا يعني ١٢/٣ بور ونصف جان و ١٠ سار .

ولم يتخلوا عن استعمال السطوح ذات الجوانب في عصر حمورابي(٤) وكانت أرض البناء تقاس مضبوطة الى ١/٢٤ من السار أو ١٤٧ر٠ مترا .

وقد أدخل الملوك الكاسيون تجديدات على مقاييس الأراضي او بمعنى أدق على صيغ العقود . وبينما نرى « مانشتوسو » يشتري قطعة من الأرض مساحتها عدد معين من الجان قيمتها في أول الأمر مقدرة بالشعير ثم محولة الى نقود ، نجد أن « كاشتلياشو » ، « نازيما ردنا شي » والأمراء الآخرون من أسرتهم لديهم أملاك يتبادلونها حسب اتساعها ب « أجوار » من الشعير وكان الجور منها يساوي ٣٠ قا للذراع الكبير . ومن الواضح

(١) XVIII, t. II.
(٢) LXXV, pl. 63 à 68 et 150.
(٣) XIX, No 2923.
(٤) LXXI et XLVI.

أن هذه الكمية الصغيرة من الحبوب تمثل من الناحية التقليدية البـذور المستعملة .

وقد ظلت هذه الطريقة الجديدة فى تقدير الأراضى قائمة حتى نهاية عهد الامبراطورية البابلية الجديدة رغم اختلاف النسب .

ولقد أدخل الكاسيون كذلك طريقـة جديدة لحساب ما لديهم من طوب . وكان المتبـع منذ عصر أجاده أن تقاس جوانب الكومة ويسـجل الكاتب ارتفـاعها وطولها وعرضها . وبدأ منـذ الأسرة الثالثة الأحصاء بالوحدات وظلت هذه هى القاعدة خـلال حكم نابونيد وأرتكزركسيس الأول .

٥ ـ النقـود

لم يعرف البابليون النقود حتى الاحتلال الفارسى وكان الشـعير فى العصور القديمة واسطة التعامل وأضيفت اليه قبل الألف الثالثة سبائك من النحاس والفضة ومن ثم كان الشعير والفضة معيارين تحدد بهما قيمة كل شيء .

وكانت العلاقة بينهما تختلف وعلى ذلك كانت التقاليد والعادات تفرض عمل الحساب فى بعض الظروف بأخذ المعيارين لأيهما وهكذا نرى أن أجور الموظفين الملكيين فى عصر حمورابى شأنها فى ذلك شأن الأجور الزراعية كانت تحسب شعيرا وان الصناع والقلافين ضـاربى الطوب والبنائين والنجارين كانت تدفع أجورهم فضة شأنهم فى ذلك شـأن المعماريين والأطباء .

ولعل من الطريف أن نتابع التغييرات التى طرأت على قيمة المواد الرئيسية للمعاملة التجارية من البدء حتى نهاية الإمبراطورية ولكن ما لدينا من معلومات غير كاف ولا يسمح لنا بالقيام باحصاء فى هذا الشأن . ولدينا « سن جاشيد » ملك أوروك الذى تمنى أن يمتد حكمه سنين عديدة مليئة بالخيرات (١) وأن يكون فى الاستطاعة الحصـول على ٣ جور من الشعير و ١٢ مينا من الصوف و ١٠ مينا من النحاس ، ٣٠ قا من الزيت

---

(١) LXXVI, p. 315.

مقابل شاقل من الفضة ومعنى هذا أنه يتمنى أن تبلغ قيمة الفضة ٦٠٠ مرة وزنها من النحاس أو ٧٢٠ مرة وزنها من الصوف . والواقع إن الأثمان كانت مرتفعة عن ذلك فمثلا نرى أن الصوف كان يبلغ ضعف الثمن المذكور والزيت ثلاثة أمثاله في عصر « اميد يتانا » و « أميزادوجا » . وكان سعر الشعير غير ثابت خلال السنة فكان ثمنه يتضاعف أحيانا : وكان يساوى فى الشهر الرابع خلال حكم أميزادوجا ١٢/١ شاقل للجور بينما يرتفع فى نهاية العام ـ قبل الحصاد بقليل ـ الى أكثر من ٣ شواقل .

وقد قدرت قيمة الذهب فى بعض النصوص من مختلف العصور : فكان يساوى ثمانية أمثال وزنه من الفضة فى عصر أجاده ووصل الى نسبة ١٠ : ١ فى السنة الثامنة (٨) من حكم بورسن ثم هبط الى (٧) فى زمن « جميل سن » و ٦ : ١ فى السنة الخامسة والثلاثين لحمورابى ثم ارتفع مرة أخرى الى ١٢ : ١ فى السنة الحادية عشرة من حكم نابونيد .

٦ ـ التقويم (النتيجة)

بعد اليوم الذى فرضته الطبيعة على البشر كان أول مقياس للزمن اعتمده السومريواكاديون هو الشهر القمرى . وقد نظموا بدأه بظهور الهلال فى السماء وكان يستمر حتى ظهوره مرة ثانية . وما زالت هذه الطريقة التجريبية مستعملة فى البلاد الاسلامية لتحديد نهاية رمضان شهر الصوم . ولقد كان الأمر كذلك عند اليهود فكانوا حتى عام ٣٦٠ الميلادى حين أنشئت نتيجتهم الحالية يحددون بهذه الطريقة بدء نيسان شهر عيد الفصح . وكان ظهور القمر الجديد والبدر واختفاء الهلال موضعا لاحتفالات دينية : وفى الحالتين الأوليين كانت تقدم التضحيات فى القصر . اما يوم اختفاء القمر فكان يعتبر يوم حزن وكآبة .

وسرعان ما رئى أن من الضرورى أن تدخل فى حسابهم فترات أطول فقامت محاولات لايجاد عدد ثابت من الشهور تتفق ودورة الفصول ولكن ليس هناك مقياس مشترك بين وجوه القمر والسنة الشمسية وكان لابد لتحديد سنة مدنية يعترف بها فى كل مكان انتظار تركيز السلطة فى يد واحدة .

وكانت أسماء الشهور فى عصر ما قبل السرجونية تختلف من مدينة الى مدينة ويبلغ عدد هذه الأسماء فى لجش وحدها خمسة وعشرين اسما على الأقل وقد أدخل أحد الاصلاحات فى أيام ملوك أجاده أو غيرت بعض

الأسماء على الأقل • ولم ينجح ملوك أور في فرض قائمة واحدة لهذه الأسماء في كل أنحاء امبراطوريتهم اذ أن كل مدينة كانت لا تزال لديها طريقتها الخاصة للحساب والعد وليس هذا فحسب بل ان بدء السنة كذلك كان مختلفا وكان اعتراض بعض الشهور الاضافية فى نظام مخالف دون قاعدة معينة مما سبب ارتباكا جديدا فى التقاويم فهل لنا ان نعجب لهذه الحالة منذ أربعة آلاف سنة فى الوقت الذى نرى فيه الناس فى أوربا اليوم فى القسطنطينية من غربيين ويونان وأرمن ومسلمين ويهود لا يزالون يستعملون تقاويم متباينة فى مدينة واحدة ؟

وقد كان تحديد السنين التى يبلغ عدد الشهود فيها ١٣ بدلا من ١٢ يتم بطريقة تجريبية • وفي بعض الأحيان أيضا كانوا يفرضون شهرا عرضيا بعد الشهر السادس وآخر يقع بعد الشهر الثانى عشر فتصبح السنة مكونة من ١٤ شهرا • وقد لوحظ أن عدد الشهور الاضافية فى السنة ٥٤ من حكم دونجى قد بلغ فى « درهم » ثلاثة شهور (١) وقد ضمن حمورابى اصلاحاته واحدا خاصا بالتقويم (٢) • فقد جعل من حقه أن يقرر شخصيا متى يحل الوقت لاستبدال السنة العامة بسنة اعتراضية (٣) كما حدد أسماء الشهور نفسها فى كل أنحاء الامبراطورية• ولكنه لم يدخل أي تعديل على العادة المتبعة منذ عهد ملوك أجاده حين كان يطلق على كل سنة اسم أهم حادث تم خلالها مثل اقامة تمثال أو تكريس معبد أو شق قناة أو حادث وقع أخيرا كاعتلاء الملك للعرش أو هزيمة بلاد معادية أو تعيين كبير الكهنة • وتدل هذه العادة نفسها على تقدم فى طرق الحساب التى كانت متبعة فى عصر ما قبل السرجونية حين كان الناس يبينون على اللوحة بواسطة رقم مسلسل عدد سنى حكم الأمير وذلك عندما كانوا لا يقنعون بنص كالآتى مثلا « فى هذا الوقت كان أنتمينا ايشاكو وكان انلى تارزى سانجو ننجرسو » •

وقد بسط الكاسيون حساب السنين بأن جعلوا لكل حكم عددا من السنين غير محدود يبدأ بالسنة الأولى بعد ولاية العرش وقد ظلت هذه الطريقة متبعة حتى أيـام السلوقيين الذين أدخلوا تاريخهم الى بابل واستمرت متبعة تحت حكم الارساكيين •

(١) I, t. XVII, p. 200.

(٢) I, t. XVII, p. 211.

(٣) انظر صفحة ٢٦٠ •

٧ ـ الطب والفلك

كان الطب البابلي طبا تجريبيا بحتا • وكان يلعب دورا أقل أهمية من مزاولة السحر في شفاء الأمراض • وحين كان المريض يتلوى في سريره عللوا ذلك بأن الأرواح الشريرة الموجودة من حوله وفي جسمه تؤذيه بسحرها (١) وكان واجب الساحر أن يطردها ومع ذلك فقد كان للطبيب دوره اذ كان يستخدم في حالات الرمد المنتشر في هذه الأقاليم نوعا من المراهم للعين مكونا من نباتات تطبخ في الدهن أو خلاصة النحاس الخام في الجعة • وكان يعطى من يشكو امساكا مزيجا من مركب النباتات المطبوخة تشرب بالجعة • وقد استخدم في دستور الأدوية كل أنواع العناصر سواء أكانت من أصل معدني أم نباتي أم حيواني كما أن روث الغزال لم يكن أشد ما تتقزز منه النفس • وكان بعض الأطباء يتمتعون بتقدير كبير • فقد كان « أور لوجال ادينا » المحفوظ ختمه باللوفر (٢) أحد المشهورين في لاجاش في عصر أور ننجرسو بن جوديا • وفي الألف الثانية كان ملوك الحيثيين يطلبون الى ملك بابل أن يرسل له أطباء اذا مرضوا هم أو مرض أحد أقاربهم مرضا خطيرا • وهذا وان كان قانون حمورابي لم يشر الى الأطباء الا أنه يحدد أجور الجراحين تبعا لمركز المريض وهو يفرض جزاء قاسيا بسبب أي خطأ مهني مراعيا نفس الاعتبارات •

وهناك نص من القرن الخامس هو عبارة عن مقدمة لدراسة علم الفلك يبين كيف أن العلم كان بدائيا في هذا العصر فالنجوم والأجرام الرئيسية وعددها ٧١ كانت مقسمة الى ثلاث مجاميع يحكم كلا منها أحد الآلهة العظام للثالوث الأكبر : فهناك ٣٣ من نصيب انليل و ٢٣ لآنو و ٥٠ ل « ايا » وهناك جدول آخر يبين الشروق الشمسي لبعض النجوم الهامة • وقد بينت كذلك أجور الملاحظين وهي ٤ مينا في النهار و ٢ مينا في الليل صيفا ابتداء من ١٥ تموز الى ١٥ تبت و ٢ مينا نهارا و ٤ مينا ليلا أثناء بقية الشهور • وهناك قائمة ثالثة تحوى ٥٥ نجما تتفق مع الشمس في الشروق والغروب • وهناك أخرى تبين فترات من النهار بين الشروق الشمسي و ١٦ نجما هاما • وقد تبينوا الوقت الذي تلاحظ فيه ظواهر معينة في شروق وغروب النجوم فهناك ١٤ نجما ل « اليل »

---

(١) LXVIII No 122 ; XLII, A. 831 ; I, t. XVII.

(٢) XLII, T. 98.

نستعمل لضبط الملاحظات عن الشروق والغروب الشمسى . وكذا عن النجوم والأجرام المنتشرة على طول مجرى القمر . ومن ملاحظة السموات سعى البابليون وراء الطيرة .

٨ ـ الجغرافيـــا

لم يكن البابلى بأقل شغفا لمعرفة حقيقة شكل الأرض التى يعيش عليها . وقد استطاع هؤلاء الناس الذين تمكنوا منذ أقدم العصور من وضع أسس دقيقة لمساحة أملاكهم وأراضيهم ... استطاعوا كذلك أن يرسموا خرائط للمدن والقنوات مجمعة أحيانا فى حلقات . وقد وصلتنا خريطة مفردة للعالم الذى يمثل على شكل دائرة تبرز من خارج محيطها مثلثات مختلفة المســاحة . أما التــاج الدائرى فيمثل « النهر المر » أو الأوقيانوس الذى يحيط بالعالم حيث يمتد التأثير البابلى . أما مدينة بابل نفسها فمبينة الى يمين وفوق الوسط . وحول المحيط من الداخل من أعلى الى أسفل نرى على اليمين مدينة أشور واقليم دير وبيت ياقين . وهذا الاقليم الأخير الأبعد الى الجنوب تفصله عن بابل مجموعة مستنقعات . ومن بين الأراضى الواقعة فيما وراء المحيط واحدة فى الشمال « حيث لا ترى الشمس » أفنستطيع من وراء ذلك أن نقرر أن البابليين عرفوا الأقاليم القطبية ؟ أو اليس من المستحسن أن نعود بذاكرتنا الى ملحمة جلجامش البطل الذى ذهب فى رحلته الى نهاية الأرض ـ ربما الى الشمال الغربى ـ حيث يتبع الطريق الليلى للشمس فى جبال ماشو : « الظلام هناك كثيف وليس هناك ضوء » . فى مرحلة قطعها فى عشر ساعات مزدوجة (١) .

أما اللوحة التى رسمت عليها هذه الخريطة فتتضمن صورة من نص قديم عن حملات سرجون الأجادى فى اقليم طوروس (٢) .

وقد استعاضوا عن عدم وجود خرائط جغرافية دقيقة بجداول تبين مثلا الأبعاد بين نقطتين او الأقاليم الواجب عبورها للوصول من بقعة الى أخرى أو أسماء المدن والمعابد والقنوات فى اقليم ما .

ولم يحاول الكتاب البابليون أن يفرغوا جهودهم لتصنيف رسائل تهذيبية عن نظم العقل وكان التجرد شيئا غير مفهوم بالنسبة لهم . وكانوا يقنعون بجمع حقائق فردية خاصة وحالات جامدة ، يختلف عددها قلة أو كثرة ، طبقا لقواعد تعسفية . وهذا هو المبدأ الذى قامت عليه

---

(١) XLIII, p. 275-277.

(٢) XXXI b. fasc. 6, p. 92.

اللوحات الجغرافية والرياضية والنصوص التكهنية ومجموعات القوانين وقد سادت نفس القاعدة فيما يتصل بالتعليم والآداب • ويضاف الى ذلك أنه ـ كما هى الحال فى المجتمعات البدائية ـ كانت الفكرة التى تتملك خيال المخترع يكررها بقدر ما يستطيع فى نفس الأســـلوب فى العمل الواحد ثم يتناقلونها بغير نهاية فى القرون التالية • أما قواعد الانشاء فى كل طراز فكانوا يتناقلونها عن بعضهم البعض دون تحريف منذ بدء سومير وأكاد حتى بعد انهيار الامبراطورية البابلية الجديدة •

وقد لجأت أشور في كل قرن الى مثل هذه المصادر بقصد تدريب كتابها • وحتى حماس السرجونيين لترقية الآداب والعلوم فى العصر الذى بلغت فيه أمبراطورية نينوى الذروة كان يقتصر غالبا على نسخ صور من الوثائق البابلية القديمة تودع فى مكتباتهم فى نينوى •

الجزء الثاني

الحضارة الآشورية

الكتـــاب الأول :

الحقـــائق التاريخيـــة

تقع أشور الى شمال بابل وتبدأ مع السهل المرتفع لميزوبوتاميا على ارتفاع قليل عن ملتقى الأدهم ودجلة وتشغل الجزء الاوسط من حوض هذا النهر حتى كورنيب ويفصلها من ناحية الشرق الجزء الأوسط من الزاب الكبير وجبال زاجروس عن الكاسيين ويحدها شمالا جبل ماسيوس. وهى لا تصل غربا الى الهابور أو الفرات .

وليس لهذا البلد المثلث الشكل الوحدة التى تتمتع بها بابل : والجزء الغربى من ميزوبوتاميا هضبة واسعة متموجة تنتشر فيها بعض التلال من الحجر الجيرى . أما فى القطاع الشرقى فيما وراء دجلة فتوجد كثير من التلال المليئة بالغـابات والوديان التى تجرى فيها مجار مهمة كالكورنيب والزابان والأدهم وهو منطقة غنية فى معادنهـا خصبة فى الغلال والثمر . ويكون الزاجروس فى الشرق حدا طبيعيا مكونا من سلسلة من الجبال الوعرة التى لا يوجد بها الا ممران أو ثلاثة لا يمكن عبورها خلال فترة من السنة . ونحو الشمال تتلاحق مرتفعة الواحدة بعد الأخرى مسطحات ترتكز فى النهاية الى جبل أرمينيا . وفى الجنوب يقع السهل الفيضى الذى يسكنه البابليون . وينفرد الغرب وحده بعدم وجود حدود طبيعية وهو الاتجاه الذى ستمتد منه فتوحات الدولة الأشورية نحو البحر المتوسط ومصر . وقد ذكر ج. رولنسن ان مساحة أشور تساوى مساحة بريطانيا على حين تقرب مساحة بابل من مساحة الدنمارك (١) .

وأقدم الوثائق التى اكتشفت تحت أحد معابد عشتار فى خرائب أشور أول عاصمة لأشور عبارة عن تماثيل تشبه التماثيل السومرية هى : تمثال لرجل جالس ولكنه للأسف مشوه وبدون رأس . وتمثال لرجل واقف بعينين واسعتين فارغتين ورأس حليق ولكن له ذقنا تكسوها لحية بخلاف ما هو متبع لدى السومريين .

---

(١) XVI, 1914 No 54.

وقد اكتشف صدفة أثناء الحفر في « كالاتيبة » بالقرب من « كارا ايوك » وهو تل يقع على مبعدة ١٨ كيلو مترا من شمال شرق شيزارية بكبادوكيا لوحات مكتوبة باللغة السامية وعليها أسماء مركبة من الاله أشور: أنى أشور ، تابا أشور، أشور ملك ، أشور موتابيل، ولم يعد هناك شك في أنه كان يوجد بهذه المنطقة النائية من أشور عباد لأشور في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وذلك بعد نشر لوحة(١) من هذه المجموعة التي يحمل غلافها رسم ختم سوميرى باسم أحد خدم « أبى سن » آخر ملوك أور . وهذا الختم مزين برسومات أخرى مقتبسة من الفن السوميرى للحفر على الحجارة الكريمة في هذا العهد ولكن من طراز مختلف تماما يلاحظ فيه منذ ذلك العهد وفي أكثر الأحيان الميل الذى سيبرز في الفن الميزوبوتامى الى عدم تشكيل الوجوه مقابل الاهتمام بصفة خاصة بالزينة الخارجية التى جرت العادة على أن تنقش



(شكل ٣٩)

تمثال كشف عنه في خرائب اشور (متحف برلين)

فيها الكتابة ـ فضلا عن التفاصيل المتصلة بالعبادة والعادات المحلية ـ في اتجاه القراءة المباشرة على الأسطوانة نفسها . وتدل النصوص على وجود مدنية تطورت تطورا كبيرا خارج نطاق الثقافة السوميروأكادية كما تدل على أن لها شكلها واصطلاحاتها الخاصة التى وجدت ثانية في

(١) I, t. VIII, p. 142.

أشــور حتى سقوط نينوى • من ذلك أنهم بدءوا يذكرون على الأغلفة الأختام المطبوعة لجعل الوثيقة صحيحة ولكن الشهود كانوا يضعون هنا الى جانب أختامهم ختم حامل السند على حين نجد أن هؤلاء الشهود في نينوى في عهد السرجونيين يذكرون فقط في نهاية الاتفاق • وأسوة بالمتبع في أشور كانت السنوات تعرف بأسماء الأشخاص لا الأحداث الهامة أسوة بالعادة المتبعة في سومر وأكاد ولكن لا نستطيع القطع وقتئذ بان الاسم هو ذاته في أشور • أما أسـماء الشهور فهي واحدة في كبدوكيا وفي اشور •

ومن المحتمل جدا ان تجارة منتظمة في مختلف أنـواع النسـيج والمعادن التي تستخرج من مناجم البلجار داج كانت تجرى مع أشور : وكانت القوافل تنزل الى الفرات حتى نقطة اتصاله بالهابور ثم تعبر بلاد هانا التي كانت حضارتها واقعة تحت نفس المؤثرات وحيث كان جزء كبير من السكان يمارس صناعة النسيج كما حدث بالفعل فيما بعد (١) •

وتثبت هـذه المجموعة في آسيا الصغرى وهذه الشهود للحضـارة السومرية التي كشف عنها في أشور ان الأشوريين استطاعوا أن يكونوا في القرن الخامس والعشرين شـعبا متميز العلاقات بالسومريوأكاديين (الذين كان لهم تأثير بين عليهم) وان تمكنوا في الوقت نفسه من أن يكون لهم طابعهم الخاص • أما أصلهم فلا يزال غير معروف • ويظهر انهم كانوا قد انتشروا في مساحة واسعة في الألف الثالثة دفعهم الآريون منها الى أشور نفسها وان بلادهم نفسها احتلها الميتانيون ــ أو احتلوا منها على الأقل الاقليم المحيط بنينوى • واننا لنجد الى شرق تلك المدينة بالقرب من كركوك في الألف الثانية بعض الآريين من عباد تشوب أحد آلهة الحيثيين • ويسود الأعتقاد ان الكاسيين المستقرين في الزاجروس من نفس الجنس •

ولعل أقدم أمير وصـــلتنا عنه وثيقة مكتوبة كان يدعى زاريكوم (حوالى ٢٤٠٠ ق•م•) وكان معاصرا ومن موالى بورسن ملك اور • ونسمع عن سلف له هو أوشبيا الذى ينسب اليه تشييد الأسوار وكذا كيكيا مؤسس معبد أشور • وكان ايريكا بكابو أيضا أميرا قديما : ويقول « أداد نيرارى » الثالث عنه انه كان ملكا قبل حكم « سوليلو » ولكن سوليلو نفسه لا نكاد نعرف عنه شيئا •

وحوالى ٢٢٥٠ ق•م ظهر « بوزور اشير » الأول ومنذئذاك تستمر قائمة الملوك الأشوريين دون انقطاع تقريبا حتى نهاية الامبراطورية •

---

(١) قارن : CONTENAU - trente tabletes cappadociennes :
S. Smith, cappadocian Tablets in the British Museum.

ولقد هاجم ايلو شوما الأشورى « سوموابوم » مؤسس الأسرة البابلية الأولى ولكن يظهر أنه هزم حسب ما ورد فى احدى الوثائق البابلية وقد بنى ايلو شوما هذا معبدا للالهة عشتار وجدد ابنه وخلفه ايريشوم هيكل الاله الوطنى الذى كان قد شيده من قبل أوشبيا كما حفر قناة عند قاعدة السيجورات • وأما ابنه ايكونوم فقد جدد أسوار المدينة وكرس معبداً لـ « ننكيجال » وربما كان ذلك فى نينوى • وقد شيد سرجون الأول الذى خلفه مزاراً لعشتار • وأما « شامشى أداد » الأول (٢١٢٣ ــ ٢٠٨١) فكان معاصرا ومولى لحمورابى ولقد وضع حامية بابلية فى أشور وساعد الأمير الأشورى مولاه البابلى ــ اما لغرض خاص أو بدافع الضرورة ــ فى حربه ضد أمراء لارسا • واننا لنجد فى وثيقة محفوظة فى متحف جامعة بنسلفانيـــا أن صيغة القسم تحوى اسم شامشى أداد الى جانب اسم حمورابى كما نجد هذا الاسم نفسه فى نصوص أسطوانات مختلفـة من الطراز البابلى البحت (١) .

وأما بعد ذلك فيكاد يحجب الأحداث ديجور شـــديد الاظلام حتى القرن الخامس عشر حين استقبل تحوتمس الثالث المصرى فى العام الثالث والعشرين من حكمه ســفارة أشورية قدمت له ثلاث كتل من اللازورد وأحجارا أخرى ثمينة • وتكشف رسائل تل العمارنة عن الموقف الدولى عند نهاية ذلك القرن كما تضيف الوثائق التى عثر عليها فى بوغازكوى مكان عاصمة الحيثيين القديمة معلومات لها قيمتها • وكان امنحتب الثالث يجلس على عرش مصر • وكان الشاطىء السورى خاضعا لمصر ومقسما الى اقليمين : كنعان فى الجنوب وعامور فى الشمال • وكانت دولة الحيثيين الجار المباشرة لعامور وكانت تمتد فى آسيا الصغرى عبر طوروس كما تمتد من ناحية الشرق حتى انحناءة الفرات • وهناك كانت تلامس دولة ميتانى التى تحدهـــا بدورهـــا من ناحية الشرق أشور التى كانت قد أخضعتها • وأما أصل الحيثيين والميتانيين فغير معروف • وكان الميتانيون يعبدون اندرا ، فارونا ، مثرا • وكانوا قد لعبوا من زمن بعيد دورا هاما فى التاريخ : فقد غزا الحيثيون ميزوبوتاميـــا فى القرن العشرين واحتلوا بابل وأنهوا حكم الأسرة الأولى فى تلك المدينة (١٩٢٥ ق٠م٠) وكان ملكهم فى عصر امنحتب الثالث يدعى شوبليوليما وكان ملك ميتانى نسيبا لفرعون هو دوشراتا الذى كان قد زوجه من احدى أخواته • وقد هاجمه الحيثيون ولكنه نجح فى ردهم واحتجز جانبا من الغنائم عربة وخيلا لملك مصر وكذا بعض الحلى الصدرية (حلى الصدر) للملكة أخته .

---

(١) XLI p. XXXVI note 1.

وكان نفوذه يمتد حتى على نينوى حيث كانت آلهتها يمجدها البابليون والأشوريون تحت اسم عشتار ـ التى يظهر أنها كانت فى الأصل معبودة ميتانية • وكانت فى عهد الملك السابق قد قامت برحلة الى مصر وحفظت خير الذكريات الممتعة من الترحيب الحار الذى قوبلت به هناك • وقد طلبت الى ملك ميتانى أن يبلغ عن مقدمها حين عزمت على تكرار الزيارة •

ولقد منح فرعون فى احدى المرات دوشراتا عشرين وزنة من الذهب وقد أثار ذلك غيرة « أشور أوبالليت » ملك أشور (حوالى ١٣٧٠) وسرعان ما تساءل عن سبب عدم حظوته بمثل هذه المعاملة • ولقد ادعى « بورنابورياش » البابلى حق السيادة على أشور وحين سمع بالرسالة التى أرسلها أشور أوباللييت شكا واحتج على أساس أن الأشوريين « وهم من رعاياه » ليس لهم حق الاتصال المباشر بفرعون • وحقيقة الأمر أن كل هذه الشعوب كانت تتنازع فيما بينها جميعا حق السيادة على الشاطىء السورى الذى كان سوقها المشترك وكان الحيثيون أقواها جميعا فأثاروا منافسين من بين الأمراء العاموريين وحاولوا أن يفصلوهم عن مصر وقد نجحوا فى السيطرة على وادى الأورونت ولكن امنحتب الثالث أرسل جيشا وأعاد النظام فانتقم شوبليوليما من دوشراتا ونهب حدود ميتانى ثم عاد الى سوريا واستولى على حلب •

ويظهر أن أمنحتب الرابع الذى كان قد اعتلى عرش مصر لتوه لم يشغل باله بالحروب الداخلية التى كانت قائمة فى سوريا كلها • ولقد استطاع « عزيرو » أحد الأمراء العاموريين ان يوسع رقعة نفوذه بعد حملة ناجحة ولكنه اعترف بسيادة فرعون وقدم الى مصر ليعلن ولاءه له • وقد عده شوبليوليما خائنا فهاجمه وهزمه واستولى على سوريا وقضى على النفوذ المصرى قضاء تاما •

وقامت ثورة فى ميتانى وقتل دوشراتا وخلفه ابنه « ماتى يوزا » الذى تحالف مع الملك الحيثى ولكن « سوتارنا » ابن أخ الملك السابق استطاع ان يستولى على العرش فطرد ابن عمه الذى لجأ الى البلاط الحيثى ، وسرعان ما تقدمت أشور لاجتياح ميتانى فزوج شوبليوليما ابنته الى ماتى يوزا وأعاد له حقوقه ولكن مع معاملته كمولى • وبعد وقت قصير اعتلى مورسيل العرش الحيثى وورث امبراطورية ضخمة تمتد شرقا الى الحدود الأشورية وجنوبا الى الكرمل والجليل • ومات بعد ان هزمه سيتى الأول بالقرب من قادش على الأورونت ثم رمسيس الثانى وشهد ابناه موتاللو وخاتوسيل قواهما تضمحل حتى ذلك اليوم حين رأى هذا الأخير نفسه مضطرا الى أن يعلن السلام فى العام الحادى والعشرين من حكم رعمسيس الثانى (حوالى ١٢٧٩ ق٠م ٠) ولكن سرعان ما بدأت مصر نفسها تنحل

كما بدأت بابل تفقد نفوذها · وكانت هذه هي اللحظة التي اختـــارها العبرانيون للاستقرار في كنعان وبدأت جماعات من الأراميين في التسرب عبر حدود أشور وبابل ·

وقد تولى « أشور أوباليت » اصلاح العاصمة التي كانت أسوارها قد دمرت حديثا ـ ربما كنتيجة لحصار ـ وقد أعاد بناء معبد في نينوى وحارب الشوباري في الشمال الغربي من مملكته ووسع رقعة بلاده وقد تدخل في بابل ضد حزب الكاسيين الذي اغتال حفيده « كارا انداش الثاني » وأمن العرش لحفيده الآخر « كوريجالزو » الثالث · وأما ابنه « ايلليل نيراري » (حوالى ١٣٤٥) فقد وسع أيضا مملكته على حساب أرض الكاسيين الفعلية وبعد مذبحة للبابليين في سوجاجي اغتصب أراضي أخرى من ابن أخيه كوريجالزو (١) ·

وقد قام « اريك دين ايلي » (حوالى ١٣٣٥) بخمس حملات مظفرة على الأقل كانت احداها ضد الهابور في ناحية خاران واستجلب من هناك غنائم كثيرة من قطعان ماشية وأغنام ·

ويحدثنا « أداد نيراري » الأول (حوالى ١٣٣٠ ـ ١٢٩٠) عن حملات أسلافه ولقد كان عليه هو نفسه أن يحارب الـ « لولومى » في الشرق وبابل في الجنوب وهي التي فرض عليها تعديل الحدود · وقد أصلح القصر الملكي ومنشآت أخرى في أشور ونينوى · وقد تابع ابنه شلمنصر الأول (حوالى ١٢٩٠ ـ ١٢٦٠) سياسة الغزو فقام بحملات ثلاث في ناحية ديار بكر وهزم « ساتو وارا » ملك هانيرابات وهو الميتاني القديم الذي كان قد تحالف مع الحيثيين والأراميين أهلامي وثبت ملكه حتى قرقميش على الفرات · وقد اضطر الـ « لولومى » في الشرق كذلك الى دفع الجزية · ولما بسط شلمنصر على هذا النحو نفوذه على ميزوبوتاميا جميعا عول على نقل العاصمة السياسية لدولته · وكانت أشور تقع على الضفة اليمنى لدجلة الى ما دون ملتقاه بالزاب الأعلى فاختار موقع كلح الضفة اليسرى فوق نفس الملتقى بقليل وقد دمر في عهده معبد أشور وربما كان ذلك نتيجة زلزال كما دمر معبد عشتار في نينوى ·

وقد غزا ابنه « توكولتي أينورتا » الأول (حوالى ١٢٦٠ ـ ١٢٤٠) منذ السنة الأولى من حكمه الأراضي الواقعة الى الشمال والشمال الشرقي وهي « قوتو » و « شوباري » ثم نهب وأخضع الأقاليم الواقعة الى الشمال الغربي حتى كوما جين فتكون ضده اتحاد في « نايري » فيما يجاور بحيرة « فان » · ولكن الأربعين من الملوك الصغار لهذه البلاد اضـــطروا الى

---

(١) قارن جن ٥٤ وما بعدها ·

الاعتراف بسيادته ودفع الجزية له ثم استدار نحو بابل (١) حيث حكم سبع سنوات ومد غزواته حتى الخليج الفارسي وابتنى هناك مدينة جديدة سماها باسمه « كارتوكولتى آينورتا » وزودها بالماء عن طريق قناة وبنى معبدا لأشور فيها كما شيد لنفسه بها قصرا · وهناك اغتيل أثناء فتنة أثارها ابنه « أشور نادين ابلا » الأول ·

ولقد ظل تاريخ أشور مدى قرن من الزمان لا يكاد يعرف عنه سوى القليل · وأعيد تمثال مردوك الى بابل (١) كما أعاد « أشور دان » الأول (حوالى ١١٨٢ ـ ١١٤٥) رابع خلف ل « أشور نادين ابلا » غزو منطقة الزاب التى كان قد اضطر لتركها للإستسلام لبابل كما غزا بابل نفسها وجلب منها غنائم قيمة · واننا لا نعرف شيئا عن « موتا كل نوسكو » أما « أشور رش ايشى » الأول وهو محارب (حوالى ١١٣٥ ـ ١١١٥) فاننا نراه يحارب منتصرا ضد الأهلامى واللولومى والقوتى الذين كان أسلافه قد اضطروا لمحاربتهم مرارا من قبل كما انتصر على نبوخذ نصر الأول البابلى وأعاد بناء أو اصلاح معابد أشور وعشتار ·

وبولاية « تجلات فلاسر » الأول بن « أشور رش ايشى » (حوالى ١١١٥ ـ ١١١٠) نرى أشور تتقدم وتمد سيادتها حتى البحر المتوسط ·

وتعدد الكتابات على المناشير من أربع نسخ التى وضعها فى أسس معبد أنو وأداد « فى أشور ··· تعدد الحملات التى وقعت خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه فنراه أولا يهاجم الموسكيائيين الذين يقطنون الجبال الى شمال كوماجين : والذين كان عليهم أن يؤدوا جزية لأشور فى أيام « توكولتي أينورتا » ولكنهم كانوا قد استطاعوا أن يستعيدوا استقلالهم الكامل منذ نحو ستين عاما · ونزل ٢٠٠٠٠ رجل تحت قيادة خمسة ملوك الى كوماجين فجمع الأشورى جيوشه وعبر تلال الكاشيارى فوق نسيبا ، وانقض على كوماجين وأسر ٦٠٠٠ أسير واستحوذ على غنيمة طائلة كما قطع رءوس القتلى وزين بها أعلى قمم أسوار المدن · وبهزيمة كوماجين ضمت الى الامبراطورية والحقت بهـا · وفى العام التالى تقدم الملك نحو جبال ارمينيا ـ وذلك بناء على طلب أشور فى الوقت الذى كانت جماعات من الجند تغير على كردستان ـ فى غابات لا يستطاع اختراقها لم يرتدها أى ملك من قبل » ··· تقدم فى هذه المنطقة الوعرة التى يتعذر استخدام المركبات فيها ··· تقدم بالمشاه فقط واكتسح كورهى وال « هاريا » وحمل آلهتهم أسرى ونفى الأهلين وصودرت ممتلكاتهم وأحرق مدنهم · ثم بدأ الحبر ضد ال « نايرى » وحاول ٢٣ من صغار الملوك أن يدافعوا عن أراضيهم ولكنهم هزموا وطردوا حتى بحيرة

---

(١) قارن صفحة ٥٧ وما بعدها

فان واضطروا الى قبول حماية أشور وتسليم أبنائهم كرهائن وتوريد ١٢٠٠ حصان ، ٢٠٠٠ رأس من الماشية كجزية ·

وفى السنة الخامسة من حكمه « بعد تحديد يوم ملائم بواسطة حلم » غادر « تجلات فلاسر » أشور ونزل الى أرض سوهى وفى صعوده الى الفرات دمر آرام النهرين التى كان يحتلها الاهلامى ووصل الى قرقميش وهى قلعة الحيثيين على الفرات وعبر النهر وأخضع بلاد موتسرو التى تمتد من الطوروس الى ما وراءه وواصل فتوحاته الى أرض عامور · وصاد الملك جاموسة عند سفح لبنان وركب البحر فى أرواد وقتل كلب بحر (قرش) فى البحر المتوسط · وأصبح الشاطىء وحده تحت حكم أشور التى لم تكن تجرؤ بعد على مهاجمة ممالك الأراميين فى تشوبا ودمشق ولا حتى على مقاطعتى صور وصيدا اللتين كانتا قد استعادتا استقلالهما ·

ولقد استطاع « تجلات فلاسر » بعد سنوات خمس من ولايته للعرش أن يفخر بأنه أخضع ٤٢ شعبا بملوكهم ·

أما خلفاؤه المباشرون فلم يستطيعوا أن يسيطروا على مثل هذه الامبراطورية الشاسعة واستطاعت الولايات البعيدة أن تخلع النير عن كاهلها واحدة بعد الأخرى وذلك فى مدى قرنين من الزمان ·

وقد أعاد « تجلات فلاسر » بناء معبد آنو ، أداد فى أشور ذلك المعبد الذى كان قد شيده « شامشى أداد » منذ ستة قرون ونصف ودمر فى خلال حكم « أشور دان » الذى كان قد اعتزم اعادة بنائه ولكنه لم يستطع أن يفعل وقد أصلح أيضا معابد أشور الأخرى وكذلك القصور الملكية وأقام من جديد أسوار المدن واستورد الخيل من البلاد التى فتحها وكذا الحمير والماشية كما استورد للصيد الملكى قطعانا حقيقية من الماعز الوحشى وامر باستجلاب نباتات لم تكن معروفة فى أشور لتزرع فى الحدائق والأراضى الملكيـــة ·

وقد حارب تجلات فلاسر مرتين ضد بابل خلال النصف الثانى من حكمه وأما ابنه « أشور بعل كالا » فقد عقد معها الصلح وتزوج من ابنة الملك البابلى · ولم يستطع أشور رابى الثانى أن يمنع الأراميين من أن يستردوا مدن بترو وموتكينو · وأما خلفه الرابع أداد نيرارى الثانى (حوالى ٩١٠ ــ ٨٩٠) فقد بدأ فى بعث أشور فأشهر حربا انتصر فيها على بابل ثم عقد حلفا معها · وكان ابنه « توكولتى اينورتا » الثانى فاتحا عظيما (٨٩٠ ــ ٨٨٤) : اذ كان يقوم بحملة كل عام ويكتب يومياته أثناء حملاته ويظهر من يوميات حملة العام الأخير أنه خرج من أشور ونزل فى مجرى الترتار الى الصحراء المجدبة ثم وصـــل الى دجلة مارا بدور كاريجالزو و « سيبار » ثم صعد مع الفرات حتى الهابور متابعا السير

عن طريق بيت حالوبى والشاديكانى ونسنيبا متجها نحو بلاد الموسكيين .

ويعتبر « أشور ناتسير ابلا » الثانى (٨٨٤ ــ ٨٦٠) بن « توكولتى اينورتا » أحد أمراء الأشوريين الذين تركوا نقوشا وآثارا مرسومة كثيرة . وتوجد كتابات ورسوم له فى أطلال قصره بكلح وفى معبد اينورتا وعلى نقوش بارزة وعلى سلة وعلى تمثاله وعلى مذبح وفى كل مكان توجد كتابات أو رسوم له . وكرجل رمم كلح نراه يملؤها بالأسرى الذين استجلبهم من الأقاليم التى فتحتها أسلحته وأتى بمياه الزاب عن طريق قناة زرعت ضفتاها بالأشجار .

ولقد هاجم كردستان فى حيلته الأولى وفتح «كيرهى» الواقعة الى شمال «كاشيارى» وكوم جماجم أعدائه فى شكل هرمى وفى تعريف العام نفسه غزا كوماجين وتسلم هناك جزية من الموسيكين ولكن « بيت حالوبى» ثارت ضد حاكمها الأشورى فأسرع الملك الى هناك مع جيوشه وقبض على المغتصب والثوار الآخرين ، وحكم بالموت على واحد أو اثنين منهم ولف بجلودهم أثرا أقامه أمام بوابات المدينة ،وأما جثثهم المقطوعة الرءوس



(شكل ٤٠) لوحة اشور نتسير ابلا الثانى

فقد وضعت فوق الخوازيق وعلقت رءوسهم كتاج فوق الأثر ونقل المدعي الى نينوى حيث سلخ حيا وعلق جلده بالمسامير على حوائط المدينة ٠

وفي عام ٨٨٣ ق٠م٠ علم بعد أن تسلم في نينوى هدايا « ايلو ابني » محافظ سوهي ـ علم أن المستعمرة الأشورية التي أقامها شلمنصر الأول في هالزيلوها قد ثارت فقام اليها ليقر النظام ومر خلال منبع سوبنات وأقام لوحة له بجوار لوحات تجلات فلاسر الأول وثوكولتي اينورتا الأول ثم اخترق كاشياري ووصل الى كينابو مركز المقاومة وأخذ نائب الملك حيا وسلخه ووضع جلده فوق حائط مدينة دامداموسا ٠ أما « توشها » في « نربو » فقد أعيد بناؤها وشيد قصر بها كما أقيمت لوحة ملكية هناك٠ ولما أضر الجوع بالمستعمرين الأشوريين القدماء هربوا الى شوبرى واستقروا في تلك المدينة الملحقة بالأملاك الملكية وخضعت نربو بأكملها وأتت بيت زماني والشوبرى والنردون والأوروموي وكل النايرى ليقدموا ولاءهم ٠

وفي عام ٨٨١ ق٠م٠ حدثت ثورة وتكتل عدائي في اقاليم الزاجروس وسد الثوار الممر البابيتي بواسطة متراس ولكن الممر اغتصب ودمرت ١٥٠ مدينة وقرية وعاد الملك في عام ٨٨٠ الى زاموا للمرة الثالثة ٠ وفي العام التالي دخل الى كوماجين وكرس قصرا ل « توليلي » وتسلم الجزية ثم اخترق ممر عشتارات وتوقف عند كيبالكي ٠ ولما كان سكان كيرهي قد هربوا فانه طاردهم في الجبال وقطع أيدي أولئك الذين وقعوا أحياء بين يديه ٠ كما دمر في نايري ٢٥٠ قرية وعند عودته عبر دجلة نزل حتى الفرات وقابل أمير سوهي حليف ملك بابل الذي خرج لمقاتلته ٠ ولكن هذا الأمير هزم وتم الاستيلاء على مدينته وأخذ القائد البابلي أسيرا ٠ ولم يكد الملك الأشوري يرجع الى كلح حتى وصل الى علمه أن ثورة جديدة قد قامت في « سوهي » و « هنداتو » و « لاقي » فسار في طريق مضاد للطريق الذي كان قد سلكه « توكولتي اينورتا » الثاني وهزم التكتل وبنى مدينة على كل من ضفتي النهر هما : « كاراشور ناتسير ابلا » على أحد الجانبين و « نيبارتي أشور » على الجانب الآخر ٠

وفي عام ٨٧٧ ق٠م٠ تقدم نحو قرقميش فأسرع « سانجار » ملك الحيثيين ليقدم له هدايا ذات قيمة وكذا رهائن ٠ وبعد عبور الفرات تقدم نحو أرض « هاتين » التي قدم ملكها « لوبارنا » حرسا وأثاثا وعتادا حربيا وعبيدا ومعادن ثمينة وحيوانات ٠ وعبر الجيش الأورونت وسانجورا وغزا أرض لوهوتي في جنوب حماة على الضفة اليسرى للأورونت وتقدم الملك نحو البحر المتوسط وغسل اسلحته في البحر وقدم التضحيات متبعا في ذلك الطقس القديم للأمراء السوميروأكاديين ٠ ورغم استمراره في التقدم غربا فانه قنع بجزية من صور وصيدا وجبيل (ببلوس)

ومهالاتا ومايشى والعامور وأرواد • وكان من الفطنة بحيث عرف أين يتوقف قبل أن يدخل فى صراع مع مملكة دمشق القوية •

وعند عودته من حملته أمر بقطع الأرز فى أمانوس لاحضار خشب من أجل تشييد مبانى كلح (نمرود) حيث أسس عاصمته • وقد أعيد بناء هذه المدينة وهى المقر الصيفى القديم لأسلافه وهدم القصر القديم الذي كان قد شاده شلمنصر الأول منذ أمد طويل وحل مكانه مبنى أضخم منه • وقد كشف هناك عن تمثال للملك ولوحة مستديرة مكونة من قطعة واحدة أما النقوش الملونة التى زينت بها واجهة الحوائط فانها تسمح لنا بدراسة الفن الأشورى للقرن التاسع وأن نتابع الملك فى حربه أو خروجه للصيد وأن نرقب الأمراء المعادين وهم يقدمون خضوعهم وأن ندرك لمحة صحيحة من كثير من تفصيلات الحياة الأشورية •

وأما ابنه شلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤) فقد كان جنديا محاربا قاد ٣٢ حملة فى مدة حكمه البالغة ٣٥ عاما ٩٠ ولم يكد يعتلى العرش حتى توجه الى سوريا ليتسلم جزية صور وصيدا • وفى السنوات التالية دعم نفوذه فى « أورارتو » و « نايرى » • وفى عام ٨٥٤ ق•م • عاد الى سوريا وغزا مملكة « حماة » التى كانت تسند ملكها « ايرهولينى » قوة متألفة على رأسها « أداد ادرى » الدمشقى الذى أنزل الى الميدان ١٢٠٠ مركبة ، ١٢٠٠٠ خيال ، ٢٠٠٠٠ من المشاة • أما « أشياب » ملك اسرائيل وهو صهر ملك صيدا فقد أرسل ٢٠٠٠ مركبة ، ١٠٠٠٠ رجل • وأما « قى » ، و « موتسرو » وهى أقاليم من قيليقيا الشهيرة بخيلها فلم يرسلوا سوى المشاة • كما ساهمت بنصيبها أربع مدن فينيقية والبعثة الأمونية • وجهز ملك عربى ١٠٠٠ جمل • وأما صـــور وصيدا فقد امتنعتا عن الاشتراك فى هذه الثورة واستمرتا بفطنة تدفعان الجزية •

وقامت المعركة فى قرقار بالقرب من الأورونت وطبقـــا لمـا جاء بالسجلات الأشورية فان السهل كان أصغر من أن يتحمل الأعداد الضخمة من الجثث وأن الأرض الواسعة لم تكن تكفى لدفنها وقد أفعم نهر الأورنت بجثث الأعداء وأقيم منها معبر على الأورنت • والواقع أن النتيجة لم تكن حاسمة فان شلمنصر لم يجسر ـ أو هو لم يستطع ـ أن ينتفع من النجاح الذى يفخر به • وقد عاد الى أشور بعد رحلة بحرية •

وفى عام ٨٥٣ ق•م• قاتل فى منطقة منابع دجلة وفى البلاد المحيطة ببحيرة فان وقد شق طريقه مرتين الى بابل (٨٥٢ ، ٨٥١) ليسانده « مردوك زاكر شوم » الذى كان أخوه « مردوك بعل أوشاتى » قد رفع لواء الثورة ضده • وفى ٨٥٠ أغار على سنجار ملك قرقميش ، وأرامى ملك أرنى عند سفح الأمانوس • وفى العام التالى قام بحملة ثانية ضد

ثلاث سنوات (٨٤٦) • وعلى أية حال ، فانه عند موت « أداد ادرى » استولى مغتصب يدعى حازائيل على عرش دمشق ومات كذلك « أشاب » وانحل الحلف • فلما عاد الملك الأشورى للنزال فى ٨٤٢ واجهه حازائيل منفردا وكان قد حصن نفسه على الـ « سانير » عند مدخل سوريا المتكتلة ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام الهجوم وانسحب الى دمشق فخرب الجيش الأشورى الاقليم المحيط ودمر حوران وعاد ليعسكر عند مصب نهر الكلب حيث أحضرت صور وصيدا واسرائيل جزاها • وأهم الآثار المرسومة لهذا الحكم مسلة مزينة بنقوش وبعض لوحات من البرونز المطروق عثر عليها فى خرائب القصر الصيفى الذى بنى فى امجور ايلليل (بالاوات) •

وقد أظلمت أخريات سنى الحكم من جراء ثورة الابن الأكبر للملك المدعو « أشور دانين ابلا » الذى انحازت الى صفه معظم مدن أشور • وقد استغرقت الثورة أربع سنوات حتى مات شلمنصر (٨٢٤) • وكان على ابنه الأصغر « شامشى أداد » الخامس أن يتابع الصراع مدى عامين آخرين قبل أن يتم له النصر • وقد حارب أيضا فى نايرى حيث قاد ثلاث حملات • بل وأكثر من ذلك نراه يتدخل فى بابل ويدحر « مردوك بالاتسو اقبى » فى « دور بابسوكال » وبعد مدة استطاع أن يهزم ويأسر « باو آخى أدين » خلف مردوك بالاتسو اقبى • وما زال اسم زوجته « سامورامات » التى كشف عن لوحتها فى أشور مشهورا فى صورته اليونانية « سميراميس » •

(شكل ٤١) جزية يبهو ملك اسرائيل
(المتحف البريطانى ـ مسلة شلمنصر)

وقد خبا ضوء العظمة الأشورية خلال حكمه لفترة قصيرة فقد أضعفتها الحروب الداخلية ولما خط الملك حدود امبراطوريته لم يجسر على أن يدفعها غربا الى ما وراء الفرات•

أما ابنه « أداد نيرارى » الثالث (٨١٠ ـ ٧٨٢ ق•م •) فانه لم يضمن حدوده فتوح شلمنصر الثالث فحسب بل مدها من الخليج الفارسى

وحدود عيلام حتى صحراء مصر . ولكن التوسع لم يكن يستحق الذكر في ناحية الشرق أو الشمال : وكان الميديون قد بدءوا يتحفزون ولم تكن أورارتو التي هزمها شلمنصر عام ٨٢٩ وشامشي أداد عام ٨١٩ ق.م. لتقبل الهزيمة ولكنها استغلت كل فرصة لمحاولة استعادة استقلالها .

وقد حارب شلمنصر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٢) الأراميين الذين كانوا يحاولون الانتشار في ميزوبوتاميا فقاد ست حملات في أورارتو وواحدة في ناحية جبل امانوس (٧٧٥) واثنتين ضد دمشق (٧٧٣) ومدينة هزرق (٧٧٢) على التوالي .

وتابع أشور دان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٤ ق.م.) الصراع ضد الأراميين (٧٦٩) فأرسل حملة الى ميديا في ٧٦٦ وضد هزرق في السنة التالية . وانتشر الطاعون في أشور وكسفت الشمس في سيمانو (٧٦٣). وكان ذلك كافيا كي يوحي للناس بعقوبة السماء . وثارت أشور وتابعتها في ذلك ، محتذية مثالها مدن أخرى كثيرة . ولم يستطع الملك أن يعاود الكرة ضد مدينة هزرق الا بعد عشر سنوات من تاريخ حملته الأولى ضدها .

ولم تقم حروب في السنوات الأربع الأولى من حكم أداد نيراري الرابع (٧٥٤ - ٧٤٦) ولكننا نراه يقوم بحرب في عامي ٧٤٩ ، ٧٤٨ ق.م. ضد « نامري » فيما وراء الزاب الأسفل وثارت كلح في عام ٧٤٦ ق.م. وحارب تجلات فلاسر الثالث الذي ربما كان أحد أشقاء الملك ... حارب العصاة واننا لنراه في العام التالي وقد اعتلى العرش . ولقد كان أميرا عظيما (٧٤٥ - ٧٢٧) استطاع أن يرتفع بأشور فوق كل جيرانها وأن يجعل لها سيادة مطلقة دون منافس . ولما استحوذ على الملك في الثالث عشر من أيار عام ٧٤٥ ق.م . هاجم نابوناسار البابلي في خريف تلك السنة ونهب مدينتين أو ثلاثا في أكاد وحمل آلهتها أسرى . وعند موت نابوناسار انتهز فرصة الحرب الأهلية فعاد الى أكاد و « أخذ بيد بعل » وجعل من نفسه « ملكا على سومير وأكاد وملكا على الأقاليم الأربعة » تحت اسم بولو (٧٢٩) .

ولقد انتهز الأراميون فرصة الانحلال المؤقت لآشور لينتشروا في ميزوبوتاميا وعرف تجلات فلاسر الثالث حوالى ٣٥ قبيلة من قبائلهم « مستقرة على ضفاف دجلة والفرات والسواربو حتى الاوكنو (كرخا) على ضفاف البحر الأدنى » .

ولقد قام بحملات أربع ضد مدينة « أرباد » وتدخل في الشئون الداخلية ل « يودي » كي يعيد الى العرش بانامو الثاني الكاري الذي قتل أباه أحد المغتصبين وقد قدمت له الجزية كوماجين ودمشق وصور

وصيدا وببلوس (جبيل) وقى وقرقميش وحماة وجورجوم ومليد مدن أخرى في قيليقيا ومليثين وأخيرا زبيبة ملكة سبأ فى بلاد العرب ٠

ولقد اتبع تجلات فلاسر الثالث طريقة جديدة فى الغزو ، اذ أنه كان ينفى سكان الأقاليم المغزوة ويحل حكاما أشوريين فى مكان الملوك المهزومين ٠ وقد أقر فى المنطقة الواقعة من حماة الى الشاطيء أقواما استحضرهم من لولومو فى الزاجروس ومن نايرى قرب بحيرة فان ٠

وفى ٧٣٧ ق٠م٠ قامت حرب فى الشرق ضد ميديا ٠ وفى ٧٣٥ حدث توسع جديد الى ناحية الغرب فكانت هناك حملة ضد فلسطين ونهبت غزة ووضع هوشع على عرش اسرائيل ٠ وفى ٧٣٣ و ٧٣٢ قامت حروب ضد دمشق وتنافس العرب الذين كانوا يعيشون على حدود اراضى الغرب ٠ فى سرعة ارسال الذهب والفضة والجمال والعطور للمرة الأولى : وكانوا يأتون من تيما وسبأ وبادانا فى أرض مدين ومن مدن كثيرة أخرى ٠

وقد تدخل فى شئون اسرائيل عندما قامت ثورة ضد صنيعته هوشع كما ثبت فى عسقلان سلطان روكبتو الذى كان أبوه قد تنازل عن العرش واستولى مقابل تدخله هذا على جانب من الامارة ثم عين أحد الحكام على العرب أنفسهم ٠

وقد ترك تجلات فلاسر عند موته لابنه امبراطورية أوسع مساحة وأقوى تنظيما منها فى أى وقت سابق ٠

وحكم شلمنصر الخامس (٧٢٧ ــ ٧٢٢) مدى ست سنوات ٠ وقد عرف فى بابل تحت اسم « أولولاى » ولقد كان حاكما على فينيقيا منذ حملة عام ٧٣٣ ق٠م٠ ولما عاد من هناك الى أشور ثارت صور فاضطر الى معاودة زيارة شواطيء البحر المتوسط والتوجه جنوبا لتسلم جزية هوشع وسرعان ما كان ملك اسرائيل يتآمر مع مصر فخرج الجيش الأشورى ليحاصر عاصمته ساماريا مدى ثلاث سنوات ٠

السرجـــونيون

مات شلمنصر فى الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق٠م٠ وبعد أيام قلائل اعتلى عرش أشور سرجون الثانى (٧٢٢ ــ ٧٠٥) وهو من أصل مجهول ٠ وقبل نهاية العام استسلمت سامريا وتبعا للخطة التى استنها « تجلات فلاسر » الثالث طرد الاسرائيليين ٠٠٠ البعض منهم الى ناحية حران والبعض الى ضفاف الهابور والبعض أخيرا الى ميديا ٠ وقد حل محلهم الاراميون من

اقاليم حماة ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ وكذا بعض الأهلين من كوثا وبابل في ٧٠٩ ٠

وقد ثارت بابل في بداية عام ٧٢١ ق٠م٠ واستطاع مردوخ بالادان الثاني الارامي من بيت ياكين أن يستولي على السلطة وأن يحكم مدى اثنين عشر عاما ٠ وقد عقد حلفـا مع هومبانيجاش ملك عيـــلان الذي هزم الآشوريين في دير ٠

وكان تقدم أشور نحو شاطىء البحر المتوسط قد بدأ يقلق مصر فنجح سيبو قائد جيوش فرعون الذي كان قد عقد اتفاقا مع هوشع ملك اسرائيل في بداية حكمه نجح في تجميع حلف تحت قيادة « ياؤو بعدي » ملك حماة وقد أسهمت فيه ارباد وسميرا ودمشق وسامريا ٠ وتمت المعركة في قرقار كما حدث في عهد شلمنصر الثالث وأخذ « ياؤو بعدي » أسيرا وسلخ حيا ٠ وقد تكاثر الاشوريون في حماة تحت قيادة أحد القواد ٠

وقد أعيد تكوين التحالف بعيدا الى الجنوب بزعامة « سيبو » وجر وراءه ملك غزة فهاجمهم سرجون واضطروا الى التراجع نحو رفح على حدود مصر وهرب سيبو تحت ضغط الاشوريين وحمل ملك غزة أسيرا الى أشـــور ٠

أما في شمال الامبراطورية فقد كان أحد القواد الطموحين ل «اورارتو» وهو « اورسا الأول » يحاول أن يثير الدسائس منذ عشر سنوات فاستولى ميتاني من زيكارتو في عام ٧١٩ ق٠م بايعاز منه وبدون قتال على مدينتين ولكنهما استعيدتا ودمرتا بالنيران وطرد أهلوهما الى سوريا ٠

وفي الغرب بدأ ملك الموشيين المدعو ميداس بن جورديوس الفريجي يتحرك كنتيجة لنفس المؤثر ٠ وفي عام ٧١٧ ق٠م ٠ خلع « بيسيريس » الملك الحيثي لقمرقميش وأصبحت مدينته مستعمرة أشورية ٠ وفي الأعوام التالية قامت حملات جديدة ضد اورارتو كما اجتيحت في عام ٧١٦ البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فان واورميا وقامت غارة جديدة في عام ٧١٥ ٠ وفي عام ٧١٤ قامت حملة أخيرة انتهت بموت اورسا ٠

ثم استدار سرجون الى ناحية قيليقيا وتابال وموسكو واستطاع في عام ٧١٣ ق٠م٠ ان يبسط نفوذه حتى هاليس واستورد من هناك الأحجار والمعادن والأخشاب الثمينة لتشييد « دورشاروكين » وهي المدينة الجديدة التي أنشئت في شرق نينوى على موقع قرية ماجانوبا ٠

ريتميز عام ٧١١ بحملة على فلسطين ذلك لأن ملك أسدود كان قد تمرد وحاول بتحريض من مصر ان يحمل الفلسطينيين واليهود والاودميين والموآبيين على التمرد فخلع ولكن الشعب رفض ان يعترف بالملك الجديد الذى نصبته اشور فهزمت جات مع الاسدوديين وضمت الى الامبراطورية تحت رعاية حكام من القواد • وعندئذ حاول سرجون أن يعيد فتح بابل • وقد استهدفت قبيلة جامبولو للهجوم الأول وتجمعت قبائل أخرى على طول الكرخا حيث حوصروا واضطروا للتسليم • وقامت مظاهرة على حدود عيلام وهرب « مروداخ بالادان » وفتح كهنة بابل بوابات المدينة للمنتصر !

وفى بداية عام ٧٠٩ ق٠م٠ أخذ ملك أشور ب « يد بعل » وأصبح الحاكم الشرعى لبابل وعندما هدأ اقليم الفرات الأدنى أقر فيه المنفيون من الأقاليم الحيثية وكوماجين كما أنشئت نقط للمحافظة على الأمن على طول حدود عيلام • ولأول مرة نرى ملك دلون على الخليج الفارسى يرسل جزية وكذلك يفعل ميداس الذى قهر نهائيا • كما أرسل سبعة ملوك من جزيرة قبرص هدايا وسمحوا باقامة لوحة فى ستيوم (لارناكا) أمر سرجون بأن تحفر عيها صورته الملكية ورموز الآلهة العظمى لبابل وأشور •

وفى عام ٧٠٨ أصبحت كوماجين مقاطعة أشورية تحت قيادة حاكم مزود بقوات حربية عظيمة • وفى العام التالى افتتح سرجون القصر ومدينة دور شاروكين بعد رحلة فى جنوب كلديا ولكن لم يقدر له أن ينعم بهما طويلا وذلك لأنه قتل فى الشهور الأولى من عام ٧٠٥ ق٠م •

وكان سرجون قد أتقن الطريقة التنظيمية التى وضع أسسها تجلات فلاسر فهو لم يكتف بأن نفى الشعوب المغلوبة على أمرها وعمل على مزجهم بأجناس مختلفة ، بل انه استن طريقة جديدة للاندماج والاحتلال بأن جعل بعض الأشوريين يستوطنون فى المدن الرئيسية المغزوة • ورغم ذلك فان الحيوية الخاصة بالشعوب المنقولة ظلت تنمو حتى اضطر خلفاؤه الى الدخول فى حرب ليحافظوا على تماسك المجموعة •

وقد أنشأ سرجون مكتبة نينوى كما شجع التجارة عن طريق انشاء أسواق جديدة والزراعة عن طريق عمل خزانات وقنوات • وكان قصره فى دور شـاروكين مزخرفا بالنقوش التى تجدر دراسـتها مع مقارنتها بنقوش قصر أشورنا تسير ابلا فموضوعاتها لم تتغير تقريبا ولكن الذى تناوله التغيير كان الأسلوب : فأصبح الأشخاص أكبر من الحجم الطبيعى كمـا تطورت النقوش وانتشرت • ولعل الأسـد البرونزى المقيـد ككلب

الحراســـة عند بوابات هذا القصر يعتبر كمثل من أروع أمثلة الفن الأشــورى (١) ٠

ولم يكد سناخريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق ٠ م ٠) بن سرجون يعتلى العرش حتى ظهر مدع استطاع أن يستولى على السلطة فى بابل فخرج مروداخ بالادان من مستنقعه وطرده فى الشهر التالى (٧٠٣) وحكم هو مدى تسعة شهور ٠ وقد اعتمد ـ كما كانت الحال من قبل ـ على القوات العيلاميه لتسنده ٠ وحالما خرج ملك أشور لمهاجمته جمع قواته بالقرب من كيش على مبعدة ثلاثة فراسخ من عاصمته ٠ ولكن الأشورى هزمه واستقبلته بابل استقبال المنتصرين ٠ وقد وضع الملك الأشورى عليها « بعل ابنى » بمثابة نائب ملك (٧٠٣ ـ ٧٠٠) وهو بابلى نشأ فى بلاطه ٠ ثم أمضى عاما كاملا فى تحطيم قوى القبائل الأرامية للفرات الأدنى وهم أولئك الذين كان العرب قد تسربوا بينهم والذين كثر عددهم فى أوروك ونيبور فى سومير وفى كيش وكوثا فى أكاد ٠ ثم ارتد مرة أخرى ضد الأراميين فى ميزوبوتاميا ونفى وطرد أكثر من مائتى ألف من بينهم ٠ وقام بغارة على الكاسيين وبسط عليهم نفوذ حاكم أرافا ثم أكمل عمله فى الشرق ببعض المظاهرات على حدود ميديا ٠

وأما فى الغرب فلم يكن ملك صور ليستطيع أن يحتمل خضوع الأعراء القبرصيين لأشور وهم الذين كانوا يدفعون الجزية من قبل ويتجرون مع مدينته ولذا نراه يرسل جيوشا لاستعادة « ستيوم » وهى المدينة التى كان سرجون قد أقام فيها لوحته ٠ فأرسل سناخريب فى عام ٧٠١ جيشا قويا وجهه ضد صور ولم تحاول صيدا أو عكا أو المدن الأخرى الساحلية المقاومة ولكنها فتحت بواباتها للأشوريين فهرب ملك صور الى قبرص حيث مات بها ٠ أما المواطنون فنظموا الدفاع عن المدينة التى ظلت مصــــونة ٠ أما فينيقيا التى كانت قد نظمت شئونها كولاية واحدة فقد قررت عليها جزية ٠

أما فى كنعان فان مصر كانت قد استمرت تدبر اشاعة الاضطراب فيها وكان عنصر التآمر صدقيا العسقلانى وقد انضوت تحت لوائه يافا وأكرون وأورشليم ولكن صدقيا هزم وأسر ونهبت مقاطعة يافا فأرسل أمراء الدلتا وفرعون مددا ٠ وقامت الحرب فى سهل الى جنوب أكرون وخرج الأشوريون من المعركة منتصرين واستولوا على المدينة وعلقوا جثث زعماء

---

(١) شكل ٥٣

الثوار على الأسوار ثم اتجه نحو يهوذا واستولى على ٤٦ قرية محصنة وحاصر أورشليم وتمردت حامية المدينة ، الأمر الذى اضطر الملك حزقيا الى المفاوضة وتعهد بدفع جزية قدرها ٣٠ وزنة من الذهب مضافا اليها مازنته عشرة أمثال ذلك من الفضة • كما رأى نفسه مضطرا علاوة على ذلك الى قبول الانتقاص من مقاطعته •

وقد وجد سناخريب نفسه مضطرا عقب عودته الى أشور الى مقاتلة « بعل ابنى » ملك بابل الذى خان عهده ولم يبر بقسمه • فطارد « موشزيب مردوك » الكلدانى الذى كان قد أعلن استقلاله وكذا « مروداخ بالادان » الثانى الذى هجر « بيت ياكين » وركب البحر وهرب الى « ناجيتى رقى » • وبأسر « بعل ابنى » وضع « أشور نادين شومى » ابن الملك الأشورى على عرش بابل (٧٠٠ ـ ٦٩٣) •

وفى عام ٦٩٩ ق٠م٠ قامت حملة الى كردستان والاقليم الغربى لبحيرة فان وفى عام ٦٩٨ اتجه جيش لاخضاع قيليقيا التى كان حاكمها قد رفع لواء الثورة فأسر وأحضر الى نينوى وسلخ حيا • وفى عام ٦٩٥ قامت حملة الى أرض تابال •

ويتميز عام ٦٩٤ ق٠م٠ بعملية حربية جديدة تماما ـ لم يكن لدى سناخريب أسطول ليطارد « مروداخ بالادان » الى عيلام بحرا فأمر بانشاء أسطول جزء منه فى « كارشو لمانو أشاريد » و (برجيك) على الفرات والجزء الآخر فى نينوى على دجلة • وقد استغرق انشاء هذا الأسطول عاما كاملا وكان العمال صوريين وصيدائيين وقبرصيين وأبحرت السفن من نينوى حتى أوبيس حيث نقلت برا حتى قناة اراهتو التى استطاعوا بواسطتها الوصول الى الفرات • وتم ضم جزءى الأسطول فى « باب ساليميى » واتجه الأسطول كله الى مصب الأوليوس • وهزم « مروداخ بالادان » وأخذ جنده والجيوش العيلامية التى سندته الى الأسر • وسرعان ما دخل المعركة « هاللودوش » ملك عيلام وغزا بابل وثار السكان ضد « اشور نادين شومى » وسلموه للعدو وأعلنوا المدعو « نرجال شزيب » ملكا عليهم • وعاد الجيش الآشورى وانتشرت المذابح فى كل مكان وأسر نرجال شزيب بالقرب من نيبور • أما « موشزيب مردوك » فقد ظهر مرة أخرى وعقد حلفا مع عيلام •

ولقد حاول الملك الآشورى أن يستغل ـ فى نهاية عام ٦٩٣ ـ ثورة قامت فى عيلام استطاع « كوتور ناهونتى » من ورائها أن يخلع « هاللدوش » • وقد تراجع العيلاميون فى مبدأ الأمر الى الجبال ولكن

الأمطار والثلوج سقطت بغزارة فى بداية عام ٦٩٢ حتى اضطر الجيش الاشورى الى التراجع وهات « كوتور ناهونتى » بعد ذلك بفترة قصيرة وخلفه أخوه الأصغر « أومانيجاش » وقد أرسل جيوشا ضد أشور بناء على التماس ملك بابل : فقامت معركة كبيرة فى هالولى التى لا تبعد كثيرا عن ملتقى التوزنات بدجلة ولكنها لم تكن حاسمة (٦٩٠) ٠

وفى نفس العام بسط سناخريب سلطانه على بعض القبائل العربية التى هربت جيوشها الى ناحية أدوماتو (الجوف) عند مدخل نفود ، وهو مكان مجدب لا طعام فيه ولا شراب » وقد سار ملك أشور على طرف الصحراء حتى الحدود المصرية ونصب معسكره فى لاشيس وأرسل من هناك رسلا الى حزقيا ملك يهوذا فأسرع طهرقة الملك الاثيوبى نحو الميدان وتجهز الجيش الآشورى للمعركة ولكن بعد ما تحمله من حرمان من جراء قسوة الطبيعة فى أقاليم الصحراء هلك جزء كبير منه يضاف الى ذلك ما قاساه من جراء وباء انتشر عن طريق الفيران فدفع ذلك كله الملك الى أن يتخلى عن خطته التى كان قد دبرها للمعركة وأن يأمر بالانسحاب ٠

وكان « موشـــزيب مردوك » فى بابل يثير متـاعب جديدة فقرر سناخريب أن يضع حدا لذلك فاستولى على المدينة وجعل عاليها سافلها وأشعل فيها النيران ثم أغرقها ٠ وبعد ثمانى سنوات أى فى العشرين من تيت من عام ٦٨١ ق٠م٠ بينما كان الملك يصـــلى فى المعبد اغتاله ابنه « اراد ملكات » و « ونابوشار أوتسور » الذى سمى العام المذكور باسمه ٠

وقد جدد سناخريب نينوى التى كان سرجون قد هجرها وزودها بكمية وافرة من ماء الشرب وبنى بها قصرا زينه بالنقوش التى بدأت تظهر فيها الصفوف العليا من اللوحات المصورة وميل واضح الى التدقيق فى نقش المناظر ٠ كما وسع المكتبة التى أسسها أبوه وأدخل فى أشور عددا من النباتات والأشجار الجديدة ٠

ولم يستطع اراد ملكات أن ينتفق بما جناه من قتل أبيه فبينما هو يستعد لاعلان نفسه ملكا جمع أخوه أسار حدون (٦٨١ ــ ٦٦٨ ٠ق٠م٠)

أعوانه وحارب أخاه وهزمه وتوج نفســـه ملكا بعد مقتل ســـناخريب بـ ٤٢ يوما ٠

ولما كان من أم بابلية فانه عول على أن يقيم من جديد العاصمة المهدمة ٠ وكان نابوزر كنوليشير بن مروداخ بالادان الثانى يحاول فى الوقت نفسه أن ينتهز فرصة تغيير الملك فاثار « أرض البحر » وتقدم لمحاصرة أور ولكنه هزم واضـــطر الى الهرب الى عيـــلام حيث قتله « حومانالداش » الثانى (٦٨١ ـ ٦٧٥) وسرعان ما خضع أخوه ناعيد مردوك ٠

وأما فى ســـوريا فان فرعون كان يحاول استعادة نفوذه وقد ثار « عبدى ملكوتى » ملك صيدا بايعاز منه ٠ وقد انتهت الحملة الأولى بنهب مدينته وأسر فى عام ٦٧٦ ق٠م٠ وقطع رأسه وحمل الى نينوى ٠ وقد لقى نفس المصير شريكه « ساندوارى » ملك سيس فى قيليقيا ونفى الناس جماعات وحلت محل صيدا مدينة جديدة هى « كاراشور احا ادين » وعين عليها حاكم أشورى وسكنها كلدانيون أسروا فى العام الأول من حكمه ٠

وكان الاراميون وخاصة قبيلة « بيت داكورى » يتآمرون فى بابل حتى استطاعوا أخيرا أن يدفعــوا « حومانالداش » أن يعيرهم عونا محسوسا فاستولى الجيش العيلامى على سيبار ولكن موت الملك المفاجىء اضطر خلفه « أورتاكو » الى أن يكف عن الاعتداء ٠

وأراد « أسارحدون » أن يتابع الصراع القديم ضد مصر وأن يدخل الى الدلتا التى لم يسبق لجيش آشورى أن تقدم نحوها فشق طريقه حتى سيل مصر (وادى العريش) (٦٧٥) ولكنه استدعى الى بلاده ليواجه حلفا من الآريين والسكيثيين والميديين الذين كانوا يتهددون الحدود الشمالية والشرقية للامبراطـــورية وكان سرجون (٧٢٠) قد هزم مجموعتين من السكيثيين والاشـــكوزاى والسيميريين القادمين من قارة أوربـا ولـكن السميريين استطاعوا اذ ذاك أن ينحدروا ويستقروا فى أحواض الاراكس والهاليس ٠ أما الاشكوزاى فقد استقروا بالقرب من المانيين فى مكان ليس بعيدا عن بحيرة فان ٠ فهاجم أسار حدون تيوشبا قائد السيميريين

وطرده ان آسيا الصغرى ثم هزم الاشكوزاى المتحالفين مع المانيين ٠

وأرسل الجيش الأشورى مرة أخرى الى مصر ٠٠٠ ولكن ليس عن طريق سوريا بل عن طريق الصحراء الذى كان سناخريب قد سلكه ٠

وقد استطاع الجيش أن يخضع وهو فى طريقه بعض القبائل العربية التى قتل ملوكها الصغار ٠ ولم يكد الجيش يصل الى الصحراء السورية حتى اضطر للعودة لمقابلة العيلاميين والميديين (٦٧٣) وانضم الجامبولو الى أشور ضد عيلام واضطر ملوك « ميدبا » (الميديين) حين ضيق عليهم الخناق عند سفح ديما فاند الى الخضوع وتقديم الجزية ٠



(شكل ٤٢) لوحة اسار حدون

وقد استدعيت الحشود المسخرة من سوريا جميعا وكذا من قبرص لينقلوا الى نينوى المواد المطلوبة لبناء قصر جديد ٠ وكان بعل ملك صور قد أقسم يمين المعاهدة مع أشور : ولكن لم يمنعه ذلك من أن يتصل بطهرقة ملك أثيوبيا متآمرا فحوصرت مدينته فى بداية عام ٦٧١ ق٠م٠ ومر الجيش الأشورى بها نحو الجنوب الى رابيحى (تل رفح) حيث احضر العرب جمالا لعبور الصحراء وشق الجيش طريقه للمرة الأولى فى أرض مصر ٠ ووصل بعد خمسة عشر يوما الى منف وهو يقوم بمعركة تلو معركة ٠ وفى الثانى والعشرين من تموز (يولية) استسلمت المدينة بعد مقاومة استغرقت نصف يوم وفر طهرقة الى الجنوب وأسرت زوجته وحريمه وأولاده ٠ وأعيد الأمراء الأقدمون فى المدن المهزومة الى وظائفهم وأن الحق ببلاطهم ضباط وكتاب أشوريون ٠

وكانت قعقعة الثورة تدوى فى أشور فذبح الملك فى عام ٦٧٠ ق٠م٠

الكثيرين من أمرائه الذين لم يكونوا ليقبلوا بغير تذمر اختيار أشـــور بانيبال الابن الأصغر لاسار حدون وريثا شرعيا للتاج الأشورى فى الوقت الذى كان عرش بابل وحده من نصيب ابنه الأكبر شاماش شوم أوكين ٠

وفى العام التالى كانت الأمور فى مصر تتطلب تدخلا جديدا اذ عاود طهرقة الظهور واستعاد منف فاتخذ اسر حدون الخطوة للتقدم لولا أنه سقط مريضا ثم مات فى العاشر من مارهشوان (أكتوبر — نوفمبر) عام ٦٦٩ ق٠م ٠

فأمر أشور بانيبال (٦٦٩ — ٦٢٦) رئيس الجيش أن يتابع السير وأن يجمع كل القوى فى الدويلات التابعة له التى يمر بها فى طريقه ٠ فهزم جيش طهرقة بالقرب من كاربانيت فى الدلتا وتقدم الأشوريون فى وادى النيل حتى طيبة وأعيد تنظيم البلاد ٠ ولكن لم تكد الجيوش تعود الى سوريا حتى تآمر ثلاثة من ملوك الدلتا بقصد الاستقلال وهكذا غزيت الدلتا جميعها مرة أخرى ونهبت سايس ومندس وتانيس ٠ ولما مات طهرقة (٦٦٦) استولى ابن أخيـــه تانداماني (تانوت آمـــون) على طيبـــة وأونو (هليوبوليس) واتجه نحو منف حيث كانت قوات البوليس الأشورية مركزة ٠ ووصل الجيش النينوى الى الميدان واضطره الى الانسحاب جنوبا وطارده الى النوبة ونهب مدينة طيبة وحمل معه مسلتين كعلامة من علامات النصر ٠

وكانت احدى نتائج هذه الحملة تهدئة سوريا حيث لم يجرؤ أى ملك على معاودة التآمر ٠ وقد ذاعت شهرة أشور بانيبال فى آسيا الصغرى فأرسل جيجس ملك ليديا اليه وفدا ملتمســـا عونه فى صراعه ضـــد السيميريين الذين كانوا يهددون دولته : وفى الوقت الذى كانت ليديا تحارب هؤلاء الآريين هاجمت أشور أحلافهم المانيين والميديين (حوالى ٦٦٠) الذين كانوا قد اتحدوا تحت قيادة رئيس واحد ٠

والتمس « شماش شوم أوكين » العون من أخيه ضد العيلاميين الذين انتشروا فى بابل بفضل تستر الجمبوليين ٠ وقد هزم ملكهم « أورتاكو » ومات (٦٦١) واستولى على العرش مغتصب يدعى تيومان وطلب أن يسلم اليه الأمراء العيلاميون الذين كانوا قد التجئوا الى نينوى ٠ وقد دعا هذا الى قيام حرب جديدة فهزم « تيومان » فى « تولليز » فى جنوب سوسه وحمل رأسه رمزا للنصر وقسمت عيلام الى مملكتين وضع على عرشيهما ابنا « أورتاكو » وهما : « هومبا نيجاش » الثانى « وتاماريتو » ٠

وقد كان « شاماش شوم اوكين » سببا فى اشعال نار الحرب من جديد ، اذ أن هذا الأميركون حلفا ضد أخيه حوالى٦٥٢ ق٠م٠ ضم كل أمراء

كلديا كما انضم له هومبا نيجاش وكذلك فعلت شعوب الجبل وقد امتد هذا الحلف غربا عن طريق بلاد العرب الى شبه جزيرة سيناء وسوريا ، ولكن هذه الحركة قمعت فى قوة وعنف وقاست بابل من السيف والنار والدم وحبس شماش شوم اوكين نفسه في قصره وأشعل فيه النار وهلك فى لهيبها . أما كلديا فقد أقيم عليها حكام أشوريون (٦٤٨) .

وكان « تاما ريتو » فى عيلام قد خلع اخاه وانضم الى الحلف البابلى فخلعه مغتصب يدعى « اندابيجاش » ولـــكن سرعان ما حل محـــله « أوما نالداسى » ثم « أومباهابوا » وتقدم الجيش الأشورى نحو سوسه واعاد « تماريتو » ولكن سرعان ما تحرك وظهر اوما نالداسى وانتهى التدخل الجديد بنهب وتحطيم سوسه (٦٤٠) ولم ترع حرمة الموتى اذ حملت عظام ملوكهم الى أشور وحرمت أرواحهم من الراحة وذلك بعدم تقديم القرابين الجنزية .وقد حاول بسماتيك فى مصر أن يكون حلفا وتلقى مددا من جيجس الليدى ولكن الوثائق المسماريه لا تتحدث عن قمع هذه الثورة وان كانت تذكر فقط موت جيجس فى صراع بين السيميريين كما تذكر رسالة أرسلها ابنه الى الملك الأشورى يعترف له فيها بولائه .

وقد وجهت عدة حملات ضـــد العرب وقامت غارة أولى وصـــلت الى نباتين وذلك عقب سقوط بابل مباشرة فاصطنع ملك نباتين الخضوع ولكن سرعان ما استدعت الحال العودة اليه : وحاول العرب أن يستدرجوا الجيش الأشورى الى الصحراء ولكنه أخذ معســـكرات « اتار ســـامايين » والكيدارنيين واستطاع « واتى » بن « بيرددا » - الذى كان الأشوريون قد نصبوه ملكا - أن يهرب ولكنه طورد وسادت المجاعة وانتشر الطاعون بين العرب الذين خانوا ملكهم وسلموه الى العـــدو فحمل الى نينوى وربط من فكه الأســـفل الى سلسلة كلب وعرض على البوابة الشرقية للمدينـــة .

وصلت أشور وقتئذ الى أوجها : وبلغ اتساع الامبراطورية الى أقصى ما وصلت اليه وكانت نينوى قد طفحت وامتلأت بالثراء وكان الأمراء الأسرى يجرون عربة أشور بانيبال حين يذهب الى المعبد ليقدم الشكر للمعبود من أجل انه مهد له دائما سبيل النصر . وجمعت فى المكتبة التى أسسها سرجون أهم الوثائق للآداب البابلية والأشورية وزينت قاعات الاحتفالات فى القصر بالنقوش التى بلغ بعضها القمة من ناحية الدقة الفنية .

وينقطع قصص الحوليات فى عام ٦٣٦ ق.م. وليس بها نبأ ما عن النزاع الذى أدى بهذه الامبراطورية الى الانهيـــار بعد اقل من ثلاثين عامـــا .

ولقد كونت فى الشرق - هضبة ايران - القوة التى قدر لها أن

تغزو أرض أشور وتحاصر نينوى وتزيلها من وجه الأرض الى الأبد . وربما أتى الميديون والفرس من أوربا عبر القوقاز واستقروا هناك الأول فى الجنوب والآخرون فى الشمال وكان الأشوريون قد دخلوا فى صراع للمرة الأولى فى القرن التاسع مع بعض القبائل الميدية ، وفى القرن التالى نفى سرجون بعضهم الى سوريا وأحل محلهم السامريين وبعض الشعوب الأخرى المغلوبة على أمرها . وقد استطاع « دايا اوكو » وهو (De Joces عند اليونان) فى خلال حكمه أن يجمع شمل قبائل متعددة ويعلن نفسه ملكا واختار « أكبتانى » عاصمة له وخلفه فراارتى (Phraortes — حوالى ٦٤٧ — ٦٢٥) وضم بعض الولايات المجاورة وانتصر على الفرس الذين انتهز ملكهم تايسبيس فرصة تدمير سوسة ، ليستولى على جانب من عيلام ويعلن نفسه ملكا على انشان ثم هاجم عندئذ أشور ولكنه سقط فى ساحة القتال مع معظم جنده .

واعاد سيا كسار ابنه تنظيم الجيش على النظام الأشورى . وذا دخل ساحة الحرب مرة أخرى هزم القواد الأشوريون وحوصرت نينوى ولكن جيشا جديدا اشترك فى الصراع وهم السكيثيون القادمون من أوربا والذين كانت تربطهم آبشور صلات منذ أكثر من قرن من الزمان فهاجموا الميديين من المؤخرة وهزموهم الى الشمال من بحيرة اورميا واجتاحوا اقليمهم ثم انقضوا على أشور وحرقوا كلح وأشـــور ودمروا كل ما لقوه فى طريقهم وانتشروا بعد ذلك فى البلاد التى كانت تدفع الجزية ووقفوا فى النهاية على حدود مصر تقديرا للهدايا الثمينة التى قدمها لهم بسماتيك .

وحوالى عام ٦١١ استطاع « سيا كسار » ان يرفع النير . وكان أشور بانيبال قد مات (٦٢٦ — ٦٢٥) واحتل العرش ابنان له على التوالى وان لم يكن ذلك بغير صراع نظرا لظهور مدعين للعرش . ولم يستطع ثانيهما « سنشار اشكون » أن يبسط نفوذه خارج أشور نفسها الا على بضع مدن بابلية ظلت موالية له ثم أعلن « نابوبو لاسار » الكلدانى حاكم بابل نفسه ملكا وسرعان ما تحالف مع الميدى ضـــد مولاه القديم وحوصرت نينوى وسقطت ودمرت بالنار والفيضان (٦١٢) .

وتحطمت الامبراطورية الأشورية الى الأبد ورددت الشـــعوب التى خلعت نيرها كلمات النبى اليهودى :

« كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك :

لأنه على من لم يمر شرك الدام ؟ » (١) .

---

(١) ناحوم ٣ : ١٩ .

قائمة تاريخية لأمراء أشور ومن يعاصرهم من أمراء سومير وأكاد

علامة ❋ تسبق أسماء الأمراء الأشوريين الذين لدينا نقوش عنهم

علامة × تدل على المعاصرين :

أوشبيا } ترتيب غير معروف
كيكيـا } ذكرهما ملوك متأخرون

ايرى كابكـــابو

ســـوليلو (؟)

❋ زاريـــكوم — حوالى ٢٠٤٠ — بورسن ملك أور

١ – بوزور أشير الأول — الأسرة الأولى البابلية

٢ * شـــاليم أهـــوم

٣ * ايلوشـــوما الأول — ٢٢٢٠ × ١ – سوموابوم ٢٢٢٥ – ٢٢١٢

٤ * اريشـــوم الأول — ٢٢٠٠ × ٢ – سومولا ايلوم ٢٢١٢ – ٢١٧٦

٥ * ايكـــونوم — ٣ – زابيوم ٢١٧٥ – ٢١٦٢

٦ – سرجـــون الأول

٧ ـ بوزور أشير الثانى
٨ ـ أمى أشير
٩ ـ رم سن
١٠ ـ ايلوشوما الثانى
١١ ـ أريشوم الثانى
١٢ ـ شماشى أداد الأول
١٣ ـ اشمى دجان الأول
١٤ ـ ... أششات
١٥ ـ ريموش
١٦ ـ أداسى
١٧ ـ بعل بانى
١٨ ـ شـــابابا
١٩ ـ شارما أداد الأول
٢٠ ـ جيزيل سن

٤ ـ أبيـل سن ٢١٦١ ـ ٢١٤٤
٥ ـ سن موباليت ٢١٤٣ ـ ٢١٢٤
٦ ـ حمورابى ٢١٢٣ ـ ٢٠٨١

الأسرة الثانية

× ايلوما ايلوم

ايتى ايلى نيبى

٧ ـ سمسو ايلونا ٢٠٨٠ ـ ٢٠٤٣
٨ ـ ابيشو ٢٤٠٢ ـ ٢٠١٥ داميق ايليشو
٩ ـ أمى ديتانا ٢٠١٤ ـ ١٩٧٨
١٠ ـ أمى زادوجا ١٩٧٧ ـ ١٩٥٧ ايشكيبال (معاصر بعل بانى)
١١ ـ سامسو ديتانا ١٩٥٦ ـ ١٩٢٥ Weidner, Assur, 4128

شوشى

كولكشار

... رن

٢١ ـ زمزايـا
٢٢ ـ لولايا
٢٣ ـ بان نينوا
٢٤ ـ شارما أداد الثانى
٢٥ ـ أريشوم الثالث
٢٦ ـ شمشى أداد الثانى
٢٧ ـ أشمى دجان الثانى
٢٨ ـ شامشى أداد الثالث

الأسرة الثـالثة

١ ـ جنداش	حوالى	١٧٦١ ـ ١٧٤٧	بشد اجالدا راماش
٢ ـ أجوم الأول		١٧٤٥ ـ ١٧٢٤	أدارا كالاما
٣ ـ كشتلياش الأول		١٧٢٣ ـ ١٧٠٢	ايكورو لانا
٤ ـ ابيراتاش		١٧٠١ ـ ١٦٩٤	ميلامكوركورا
٥ ـ كشتلياش الثانى			ايا جميل
٦ ـ تازيجوروماش			
٧ ـ هارباشيباك			
٨ ـ ...			
٩ ـ أجوم الثانى			
١٠ ـ كوريجالزو الأول			
١١ ـ ملشباك الأول			

٢٩ ـ ...		
٣٠ ـ بوزور أشير الثالث	١٢ ـ نازيما رو تاش الأول	
٣١ ـ انليل هتسير الأول		
٣٢ ـ نور ابلي		
٣٣ ـ اشمي دجان الثالث		
٣٤ * أشير نيراري الأول	١٣ ـ بور نابورياش الأول	
٣٥ * بوزور أشير الرابع		
٣٦ ـ انليل نتسير الثاني	١٤ ـ كشتلياش الثالث	
٣٧ ـ أشير رابي الأول	١٥ ـ أجوم الثالث	
٣٨ ـ أشير نيراري الثاني		في مصر
٣٩ ـ أشير بعل نشيشو	١٦ ـ كارا انداش الأول	× أمنحتب الثالث حوالى ١٤١٣ ـ ١٣٧٧
٤٠ ـ أشير رم نشيشو	١٧ ـ كوريجالزو الثاني	
٤١ * أشورنا دين أهي	١٨ × كادشان الليل الأول	
٤٢ * أريبا أداد	١٩ × بورنابورياش الثاني	× أمنحتب الرابع حوالى ١٣٧٦ ـ ١٣٦١

ملوك آشور	التاريخ	ملوك بابل	المدة		التاريخ
٤٣ * أشور أوبالليت		٢٠ × كادا انداش الثانى			
		٢١ × كاد شمان حاربى الأول			
		نار يبوجاش (مغتصب)			
		٢٢ × كوريجالزو الثالث			
٤٤ * ايلليل انيرارى			٢٣	سنة	حوالى ١٣٥٧ ــ ١٣٣٥
٤٥ * أريك دن ايلى					
٤٦ * أداد نيرارى الأول					
		٢٣ × ناذى مارو تاش	٢٦	سنة	حوالى ١٣٣٤ ــ ١٣٠٩
٤٧ * شلمنصر الأول	حوالى ١٢٩٠ ــ ١٢٦٠	٢٤ × كاد شمان تورجو	١٧	»	» ١٣٠٨ ــ ١٢٩٢
		٢٥ × كادشمان ايلليل الثانى٦		»	» ١٢٩١ ــ ١٢٨٦
٤٨ * توكولتى اينورتا الأول	١٢٦٠ ــ ١٢٤٠	٢٦ ــ كودور ايلليل	٩	»	» ١٢٨٥ ــ ١٢٧٧
		٢٧ ــ شاجاراكتى شورياش	١٣	»	» ١٢٧٦ ــ ١٢٦٤
		٢٨ ــ كاشتلياش الثالث	٨	سنوات	حوالى ١٢٦٣ ــ ١٢٥٦

٤٩ * أشور نادين أبلا الأول

٥٠ * أشور نيرارى الثالث ٦ سنوات

٥١ ـ ايلليل كودور أوتسور ٥ سنوات

٥٢ ـ اينورتا أبال ايكور الأول ١١٨٢ ـ ١١٤٥

٥٣ ـ أشور دان الأول

٥٤ ـ اينور تاتوكولتى أشور

٥٥ ـ موتاكل نوسكو

٥٦ ـ أشور رش ايشى الأول حوالى ١١٣٥ ـ ١١١٥

٢٩ ـ ايليل نادين شوم	١/٢ سنة	حوالى	١٢٥٥ ـ ١٢٥٤
٣٠ ـ كدشمان حربى الثانى	١/٢ سنة	»	١٢٥٤ ـ ١٢٥٣
٣١ ـ أداد شوم ادين	٦ سنوات	»	١٢٥٢ ـ ١٢٤٧
٣٢ ـ أداد شوم أوتسور	٣٠ سنة	»	١٢٤٦ ـ ١٢١٧
٣٣ ـ مليشيباك الثانى	١٥ سنة	»	١٢١٦ ـ ١٢٠٢
٣٤ ـ مرودخ بالادان الأول	١٣ سنة	»	١٢٠١ ـ ١١٨٩
٣٥ × زبابا شوم أدين	١ سنة	»	١١٨٨
٣٦ ـ ايلليل نادين أهى	٣ سنوات	»	١١٨٧ ـ ١١٨٥

الأسرة الرابعة

١ ـ مردوك شابيك زيريم	١٧ سنة	»	١١٨٤ ـ ١١٦٨
٢ ـ اينورتا نادين شومى	٦ سنوات	»	١١٦٨ ـ ١١٦٢
× ٣ نبوخودو روسور الأول			

٥٧ ـ تجلات فلاسر الأول حوالى ١١١٥ ـ ١١٠٠
٥٨ ـ اينورتا أبال ايكول الثانى
٥٩ ـ أشور بعل كالا الأول

٦٠ ـ ايلليل رابى
٦١ ـ أشور بعل كالا الثانى

٦٢ ـ اريبـا
٦٣ ـ شمشى أداد الرابع
٦٤ ـ أشور تسير أبلا الأول ١٩ سنة

٤ × ايلليل نادين ابلى
٥ × مردوك نادين أهى
٦ ـ اتى مردوك بلاتى
٧ × مردوك شابيك زرماتيم
٨ × أداد أبال ادين ٢٢ سنة ١٠٩٥ ـ ١٠٧٤

٩ ـ مردوك أهى ١½ سنة ١٠٧٣
١٠ ـ مردوك زر ١٢ سنة ١٠٧٢ ـ ١٠٦١
١١ ـ مردوك شوم ليبور ٨ سنوات ما بين ١٠٦٠ ـ ١٠٥٣

الأسرة الخامسة

١ ـ شيماش شيباك ١٨ سنة ما بين ١٠٥٢ ـ ١٠٣٣
٢ ـ ايامو كوكين شومى ٥ شهور ١٠٣٥
٣ ـ كاشرو نادين أهى ٣ سنوات ١٩٣٤ ـ ١٠٣٢

٦٥ ـ سلمنصر الثانى ١٢ سنة

٦٦ ـ أشور نيرارى الرابع ٦ سنوات

٦٧ ـ أشور رابى الثانى ١٠١٢ ـ ٩٩٥

٦٨ * أشور رش ايشى الثانى ٩٩٥ ـ ٩٦٦

٦٩ * تجلات فلاسر الثانى ٩٦١ ـ ٩٣٣

٧٠ ـ أشور دان الثانى ٩٣٣ ـ ٩١١

٧١ * أداد نيرارى الثانى ٩١١ ـ ٨٩٠

الأسرة السادسة ١٧ سنة ١٠٣١ ـ ١٠١٥

١ ـ أولماش شاكين شومى ٣ سنوات ١٠١٤ ـ ١٠١٢

٢ ـ اينورتا كودور أوتسو ٣ شهور ١٠١٢

٣ ـ شرقتو شوقامونا

الأسرة السابعة

ماربيتى أبال أوتسور ٦ سنوات ١٠١١ ـ ١٠٠٦

الأسرة الثامنة

١ × نابوموكين أبلى ٣٦ سنة ١٠٠٥ ـ ٩٧٠

٢ × اينورتا كودور أوتسور الثانى ٩٧٠

٣ × ماربيتى أهى أدين ٩٧٠ ـ ٩٤٦

٤ × شماش موداميق ٩٤٥ ـ ٩٠٥

٥ × نابوشوم أوكين ٩٠٥ ـ ٨٨٥

٧٢ * توكولتى ايتورتا الثانى	٨٩٠ ـ ٨٨٤
٧٣ * أشور ناتسيرابلا الثانى	٨٨٤ ـ ٨٥٩
٧٤ * سلمنصر الثالث	٨٥٩ ـ ٨٢٤
أشور دانين ابلا (مغتصب)	
٧٥ * شمشى أداد الخامس	٨٢٤ ـ ٨١٠
٧٦ * أداد نيرارى الثالث	٨١٠ ـ ٧٨٢
٧٧ ـ سلمنصر الرابع	٧٨٢ ـ ٧٧٢
٧٨ ـ أشور دان الثالث	٧٧٢ ـ ٧٥٤

٦ × نابو ابلا أدين	٨٨٥ ـ ٨٥٢
٧ ـ مردوك زكير شوم	٨٥٢ ـ ٨٢٢
٨ ـ مردوك بالاتسو ايقبى	٨٢٢ ـ ٧٩٤
٩ ـ باوو أهى أدين	
١٠ ـ مردوك بعل	
١١ ـ مردوك زبال أوتسور	
١٢ ـ اريبا مردوك	٧٨٢ ـ ٧٦٢

٧٩	ـ أداد نيرارى الرابع	٧٤٦ ـ ٧٥٤
٨٠	* تجلات فلاسر الثالث	٧٢٧ ـ ٧٤٥
٨١	* سلمنصر الخامس	٧٢٢ ـ ٧٢٧
٨٢	* سرجون الثانى	٧٠٥ ـ ٧٢٢
٨٣	* سناخريب	٦٨١ ـ ٧٠٥

الأسرة التاسعة

١	ـ نابو شوم اشكون الثانى	٧٤٨ ـ ٧٦١
٢	ـ نابو ناسار	٧٣٤ ـ ٧٤٨
٣	ـ نابو نادين زر	٧٣٢ ـ ٧٣٤
٤	ـ نابو شوم أوكين الثانى	٧٣٢

الأسرة العاشرة

١	ـ نابو أوكين زر	٧٢٩ ـ ٧٣٢
٢	ـ بولو	٧٢٧ ـ ٧٢٩
٣	* أولولاى	٧٢٢ ـ ٧٢٧
٤	ـ مروداخ بالادان الثانى	٧١٠ ـ ٧٢١
٥	× سرجون	٧٠٥ ـ ٧٠٩
٦	× سناخريب	٧٠٣ ـ ٧٠٥

		٧ ـ مردوك زاكين شوم	٧٠٣
		٨ ـ مرؤداخ بالادان الثانى	٧٠٣
		٩ ـ بعل ابنى	٧٠٣ ـ ٧٠٠
		١٠ ـ أشور نادين شومى	٧٠٠ ـ ٦٩٤
		١١ ـ نرجال شزيب	٦٩٤ ـ ٦٩٣
		١٢ ـ موشزيل مردوك	٦٩٣ ـ ٦٨٩
		١٣ ـ سناخريب	٦٨٩ ـ ٦٨١
	٦٨١ ـ ٦٦٩	١٤ × أسارحدون	٦٨١ ـ ٦٦٩
٨٤ * أسارحدون	٦٦٩ ـ ٦٢٦	١٥ × شماش شوم أوكين	٦٦٨ ـ ٦٤٨
٨٥ * أشور بانيبال		١٦ ـ كاندا لانو	٦٤٨ ـ ٦٢٦
٨٦ * أشور اتيل اليانى	٦٢٦	١٧ ـ أشور اتيل اليانى	٢٦٦

الأسرة الحادية عشرة

		١ ـ نابوبو لاسار	٦٢٥ ـ ٦٠٤
٨٧ ـ سن شوم ليشير		١٨ × سن شوم ليشير	
٨٨ * سن شار اشكون	٦١٢	١٩ × سن شار إشكون	٦١٢

الكتـــاب الثـــانى :

النظـــم

الفصـل الأول

الدولة والأسرة

١ ـ الدولة

كان نظام الدولة هو نفسه كما فى بابل فكان الاله أشور هو السيد الحقيقى للبـلاد والمدينـة التى تحمل اسمه كما كان ملك أشور نائبـه ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذ أى مشروع قبل أن يتلقى أمره ويقدم حسابا عنه • وعند عودته من كل حملة مثلا كان الملك يقدم له تقريرا اضافيا هو فى الحقيقة يوميات الحملة وسرد للنجاح الذى حققته • فاذا كان تجلات فلاسر هاجم كوماجين فما ذلك الا « لأنها منعت جزيتها وهداياها عن الاله أشور » • ويقول الأمير نفسه فى مكان آخر عن الشعوب المنهزمة : « لقد أخضعتهم لأشور مولاى وعددتهم ضمن رعايـا أشور مولاى » وكما هى الحال فيما شهدناه فى بابل كانت كل مدينة مسكنا للمعبودات • ويشير سرجون الى « الآلهة الذين يقيمون فى كلـح » ، والآلهة والالهات الذين يقطنون سومر وآكاد » وبعد تدمير بابل يقرر أسار حدون أن « الآلهة والالهات الذين كانوا يقطنون فيها صـعدوا الى السماء على حين أخضـع الناس الذين كانوا يعيشون فيها للنير والقيود » •

وكان يقوم على رأس المجتمع الملك والملكة وولى العهد • ولكل منهم مسكنه الخاص بموظفيه المتعددين • وكان الملك يمنح اسمه للسنة الأولى لولايته للعرش • كما يعطى « التورتسان » أو القائد الأعلى اسمه للسنة التالية ويتلوهما فى هذا الشرف المشرف على القصر ورئيس السقاة وعشرات من الضباط الآخرين• ولقد احاط السرجونيون أنفسهم بجيش من الأخصاء والمقربين : كحامل الختم ورئيس الاحتفالات وأمين القصر وحامل المفاتيح ورئيس السقاة والمشرف على الحظائر وكبير الأطباء يعاونه طبيب مساعد والطبيب الخاص للملك وكاتب القصر وكاتب الحرملك وكاتب الخطابات

الارامية وكاتب الخطابات المصرية ومفتش القصر وقائد القصر ورئيس الحرس وبستانى القصر ومفتش الحرملك والمشرف على القطعان ورئيس الخبازين وكبير الخصيان وحامل السيف وحامل الصولج ورئيس الصياغ ومدير الموسيقى ورئيس القصارين ورئيس النساجين ورئيس بوابى البوابة الرئيسية الخ ·

وكان للملكة الوالدة وللملكة هيئة موظفين من الكتاب وحامل الختم ورئيس الرسل والنساجات الخ · أما ولى العهد فكان لديه ـ شأنه فى ذلك شأن الملك ـ بيت حربى وبيت مدنى · وكان يشرف عليه حاكم ويحوطه عدد من الكهنة ورجال الأعمال والمفتشين ·

وكان الشعب ينقسم الى طبقتين : الأمراء والعبيد ·

وكما هى الحال فى بابل كان للأسرة مكانتها فى أشور فكان من المعتاد أن تعامل أسرة العبيد كوحدة كاملة لا فردا فردا ، فاذا بيع فانه لا ينتقل وحده بل ان الصفقة تتضمن فى الوقت نفسه زوجته وأولاده وبناته وأمه الارملة وأخاه الأصغر ان كان لايزال قاصرا فى حكم القانون ·

ولقد اشترى « أولولاى » من « نابواريبا » فى عام ٦٨٤ ق·م · بمبلغ ٦ مينا من الفضة العبد « كائد الانو وأبناءه الثلاثة وزوجته وابنتيه وأخاه وأولاد الأخ الذكور الثلاثة » كما باع « كيكينانو » رجلاو وأمه الى « شوقا ايلانى » · وكما سلم « ياكارا احى » مع ابنته · واننا لنجد فى عقد واحد معا : رجلا وزجته وابنته ، ورجلا ومعه زوجته وأبناؤهما الثلاثة وزوجان وعبد بمفرده (١) ·

ورغم أنه كان يشار فى معظم الأحوال الى رفيق العبد بالاصطلاح المبهم «امرأة» فانه كان يطلق عليها كذلك كلمة «زوجة» وكلا الاصطلاحين يترددان على التبادل فى العقد المذكور · وكان السيد يختار بنفسه فى معظم الأحوال العبيد الذين يريد أن يزاوجهم : اشترى كاكولانو بنصف مينا من الفضة الفتاة « أبى دلالى » وزوجها من عبده « أولولاى » · وفى مناسبة أخرى نرى نفس الشخص يقوم بعملية مشابهة لمصلحة عبده « تارهو نازى » · وكان الزواج من امرأة واحدة هو القاعدة فى مثل هذه الزيجات كما هى الحال بين الأحرار · ومع ذلك فانه حدثت زيجات بأكثر من امرأة : فنحن نجد فى عقد من ٦٨٠ ق·م· خاص ببيع سبعة أشخاص أن عبدا بيع مع زوجتيه واطفاله (٢) ولم يكن العبد يستطيع أن يمنح اطفاله اسمه فكان العبد يعرف باسمه وحده دون ذكر اسم أبيه ·

(١) XIV No 230, 235, 245, 246.

(٢) Ibid No 309, 308, 229.

وكما هي الحال في بابل كان العبـد يستطيع أن تكون له أملاك خاصة منقولة وثابتة فكان يملك الحقول وحديقة وبيتا وعبيدا . وكان يستطيع كذلك أن يقوم بعض العمليات من بيع وشراء قرض وشهادة شأنه في هذا شـأن الرجل الحر . وكان له كذلك ختم يصـدق به على الوثائق . وفي خلال تكنية « مردوك شاراوتسور » نرى عبدا ل « دادا ريماني » يبيع امرأة يمتلكها فينقلها الى « عبدونو » بن « كاكو لانو » رجل الأعمال المشهور الذى كثيرا ما يظهر اسمه فى العقود التى ترجع الى عهد أشور بانيبال ولا تختلف محتويات اللوحة فى شيء من العقود المتداولة المعتادة بين طرفين من الأحرار. وهناك عبد آخر باع حديقة فى٦٦٩ق.م. واعترف « نابو تارينس » فى عام ٦٧٩ . ق.م. وهو عبد ل « تسابانو » أنه تسلم ٢١٠ مينا من البرونز من « شانجو عشتار » بوضع ختمه (١) .

والعقود التي وردت فيها أسماء العبيد كشهود كثيرة . فهناك عبد مع اثنين من أتباعه كان حاضرا وقت تحرير عقد مؤرخ فى ٧٠٩ ق.م . وهناك وثيقة سبقت الاشارة اليها بسبب النصوص الجزائية الواردة فيها والتى تطبق على من يحاول الغاء الاتفاق . وقد ورد فيها من بين الشهود أحد عشر شاهدا من عبيد كبار رجال الدولة : وقد تم تحرير العقد : امام باجاجى ، بيلاى ، أو ردو ، أشور كاشوم ... والأربعة جميعا من عبيد محافظ القصر وأمام لوكيماما ، شـارو اقبى ، حلوسو ... والثـلاثة جميعا من عبيد رئيس ماموري الاقوات . وامام ايلى بالانسو اقبى ، وكناني عشتار وهما عبدان لحامل الختم . وأمام « تسيل اداداد » عبد « راب كرماني » . وأمام « اكرو » جابى مكوس نينوى واشور احى أوتسور ، أشوراى ، اردى عشتار عبيد ... و « أمام شوما ايلانى » (٢) .

وكانت هناك طبقة هامة من العبيد تتكون من موالي الأرض . وحين كانت الأملاك التى يعملون بها يتغير أصحابها كانوا يضمنون فى عقد البيع وكان فى معظم الأحيان يشار اليهم عائلة عائلة . ولقد اشترى « ملكى نورى » فى عام ٦٦٨ ق.م. مزرعة من « نابو شزيب » بحالتها بحقولها وحدائقها وعمالها » واشترى « شومو ايلانى » خمسين ايمر من الأرض بها ١٠٠٠٠ شجرة فواكه وبيتا و « حشانا » وابنـاءه الأربعة وزوجته والمرأة دانجى وابنها وابنتها ... اى ٩ أشخاص فى المجموع » .

وأحيانـا كان النـاس يؤخذون دون ضمانة : وهكذا فعل « ملكى نورى » على ما يظهر الا أن المشترى كان يحتفظ احيانا اخرى بحقوقه : فقد ورد فى عقد بيع من دوجاوا وأبيه فقرة خاصة بالصرع والمطالبة .

---

(١) Ibid Nos 311, 300, 161.

(٢) CIX, 113, XXIV, 464.

واذا رهنت احـدى الممتلكات فان العبيد كانوا يسلمون فى نفس الوقت ثم يسترجعون عند السداد : ولقد تسلمت السيدة « أداتى » فى عام ٦١٤ ضمانة عن ٢ مينا من الفضة ... لا قطعة أرض مساحتها ١٢ ايمر فحسب بل وكذلك العائلتين اللتين كانتا تزرعانها واحداهما مكونة من خمسة أشخاص والأخرى من زوج وزوجة لا عقب لهما (١) .

وكان من المستطاع أحيانا أن يصل العبد الى وظيفة عالية : ففى عام ٦٨٣ ق.م. نجد عبدا من عبيد بيت الملكة يصبح مفتشا للمدن .

٢ — الجيش

كان ملك أشور يقود حملة فى كل عام تقريبا فى شهر تموز « الذى كتب سيد العلم الاله « نن ايجى أزاج » فى اللوحة القديمة أنه فصل تجمع الجيوش وانشاء المعسكرات » (٢) ومع ذلك فانه لم يكن ليفعل ذلك أبدا دون استشارة الآلهة بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة أمعاء الذبائح ويتقبلون الأمر الالهى فى الأحلام . أو المتضلعين منهم فى فن معرفة النجوم . وبعد أن يكون ولاة مدن الحدود قد أرسلوا عيونا الى المقاطعات المزمع مهاجمتها وتكون تقاريرهم دالة على أن من المقدر نجاح الحملة .

وكان الجيش مستعدا للسير تحت قيادة الـ « تورتان » وهو أكبر موظفى البلاط وذلك حين لا يكون الملك على رأس جيوشه بنفسه. ويصف سرجون بالتفصيل تكوين جيشه فى عـام ٧١٤ وذلك فى الخطاب الذى يقدم فيه للاله أشور تقريره عن الحملة الثامنة (٣) : فلقد استعرضه ثم وصل أمام سيميريا التى يصفها وصفا شعريا : « انها قمة عظيمة ترتفع مثل سن الرمح وتسمو فوق الجبال . هى مسكن « بعليت ايلى » الرأس الذى تعتمد عليه السماء من أعلى ومن أسفل تمتد جذورها حتى تصل الى وسط الجحيم . هى من الخارج كالسلسلة الفقرية للسمكة لا تدع مجالا للمرور من ناحيـة الى أخرى ... الصعـود عليها عسير من أمام أو من خلف . تنشق على جانبيها خوانق ووهاد حتى ليوحى منظرها بالرعب . وليس من الممكن أن ترقى اليها العربات أو الجياد الصافنات ... هذا الى مسالكها الوعرة التى يصعب على المشاة اختراقها ... ولكن بفضل سعة أفقى وما أوحى به الى أيا وبعليت ايلى اللذان مدا فى ساقى لأذل البلاد المعادية زودت مشاتى بمعاول برونزية حتى استطاعوا أن يجعلوا

---

(١) XCIV No 472, 422, 429, 58, 447.

(٢) NE I, III, p. 3 (Traduction Thureau-Dangin)

(٣) Ibid, p. 7.

صخور الجبال العالية تتطاير شظايا كأحجار البناء ومهدوا الطريق ورحت على رأس جيوشي : وكانت العربات والخيالة والمحاربون على جانبي جعلتهم كنسور شجعان يطيرون فوق هذا (الجبل) وأمرت العمال من الجند أن يتبعونا وأما الجمال ودواب الحمـل فكانت تقفز فوق قمته كماعز برى ربيت في الجبال • وجعلت جيوش أشور الثقيلة تتسلق منحدراته الخطرة فى سلام ثم أقمت معسكرى على قمة هذا الجبل » •

واننا لنرى وفقا لما جاء بالتقرير بعد ذلك أن المشاة كانوا مسلحين بالأقواس والبعض بالرماح والدروع • وأما العمال من الجند ممن يقومون بالهدم والكشافون فقد حملوا البلطة والمعول • ولم تكن هنـاك أدوات حصار ولكننا سوف نجدها في ظروف أخرى •

وطبقا للنقوش التي كانت تزين الجزء الأسفل من حوائط القصور نستطيع أن ندرك أن المشاة الأشورية الثقيلة في الألف الأولى كان يضع أفرادها فوق رءوسهم خوذات مخروطيـة مزودة بقطـع جانبية لحمايـة الأذنين أما الصدر والجزء العلوى من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محارية مروحية الشكل تلبس فوق الدثـار • وكان يكمل الزى سراويل وأحذية طويلة • وكانت المشاة الثقيلة تتكون من مجموعتين : حملة الأقواس وحملة الرماح ومع كل منهم سيف قصير للحرب من قرب • وكان رجال المجموعة الثانيـة يحملون رمحا طويلا ودرعا اما من المعدن مستديرا ومحدبا أو من الخيزران المجدول مستديرا عند القمة ومستقيما فيما دونها • وأما حملة الأقواس فكان لديهم القوس والجعبة المعلقة على الظهر • أما المشـاة الخفيفة فكانت تضـم كذلك حملة الأقواس وحملة الرماح • ولكن حملة الأقواس لم يكونوا يلبسـون الزرد • وكان حملة الرماح يضـعون الخوذات التي تنحنى من أعلى الى الخلف كما يحملون درعا صغيرا من الخيزران المجدول •

ومن النادر أن نجد الفرسان قبل حكم سرجون • وكانت معداتهم تشابه معدات المشاة وكان تسليحهم طبق الأصـل تقريبا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح اطول ولم يكن للدرع وجود • وكان الفرسان الأوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كلا منهم خادم يركب مثله ليقود الجياد أثناء المعركة • ولقد غطيت الحيوانات فيما بعد في زمن أشور بانيبـال بسروج وحلى واختفى الخادم نتيجـة لتقدم فن الفروسية •

وكانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور (الدنجـل) مباشرة وكان جسمها مكونـا من لوحات مزينـة بالنقوش والتطعيم • وكان العمود ثقيـلا وينتهى بطرف

معقوف تزينه زهرة أو رأس حيوان . وكانت تتصل به أربطة من القماش أو الحبال لتربطه بصندوق العربة ولتخفف من الثقل على النير . أما استخدام العريش فلم يكن معروفا ولذا فانه كان من الضرورى استخدام العريش فلم يكن معروفا ، ولذا فانه كان من الضرورى استخدام حصانين لجر كل عربة . وكان يحتاج الى واحد أو اثنين آخرين احتياطيين . وكانت عدة الخيل خفيفة وكان يضاف اليها أحيانا بعض السروج او الزينة . وكان يركب العربة ثلاثة رجال : ويركب السائق الى اليسار لقيادتها والمحارب المسلح بالحربة أو القوس والخادم الذى يحميهما بدروع (١) وكان لواء المجموعة يربط الى واحدة من هذه العربات : وكان عبارة عن عصا طويلة تعلوها عجلة توضع بداخلها حيوانات مقدسة او صورة الاله (٢) .

وكانت المراحل الهامة فى كل حرب تمثل فى نقوش القصر الملكى . وهناك مثلا قصة حصار مدينة محصنة فى بلاد جبلية على ضفة نهر ، فان هذه المدينة تمثل — حسب أهميتها — بباب سرى بين برجين أو خط مزدوج من التحصينات أو أحيانا ثلاثة صفوف من الأسوار .

أما الجبل فيرمز له — كما هى الحال فى الفن السومرى — برسم هندسى على شكل قشور وان كان بالاقليم غابات فان بضع أشجار توضع فى المنظر — وكان المجرى المائى طبقا لنفس التقاليد — يمثل بتموجات وحلزونات تسبح فيها الأسماك . أما المحاصرون فيمثلون بصورة شخص أو أكثر تبرز من كل برج (٣) .



(شكل ٤٣) حصار مدينة محصنة (قصر سرجون : نقلا عن بوتا : آثار نينوى) .

---

(١) XCVIII I, pl. 28.

(٢) Ibid I, pl 14.

(٣) أنظر شكل ٤٣ .

وانـنا لنرى « أشـور ابلا » أمام مدينـة راكبا عربته التى تجرها جياد مدرعة يدرك بها العدو كما نرى عربة الخصم المقهور مقلوبة يهتز أحد جيادها يسقط • أما السائق الذى اخترق جسـده سهم فانه ينهار سـاقطا الى الأمام • ويسـقط المحارب الى الخلف تحت عجلات العربـة الملكية (١) ، ونرى الاله أشور من فوق الملك يشترك فى العراك كما نرى على الأرض النباتات تطؤها حوافر الخيل وهى ترمز الى المحصولات والكلأ الذى أتلف ، ويشاهد كذلك فى غابة صغيرة نزال فردى ينتهى بانتصار الأشورى وفى رسـم آخر نرى محاربـا مسـلحا بسيف يحميه درع من الخيزران يطعن عدوه طعنة نافذة فيسقط ويدركه زميل لاسعافه •



(الشكل ٤٤) « اشور نتيرابلا » امام مدينة محصنة
(نقلا عن لايار • آثار نينوى الجزء الاول لوحة ١٣)

ومع ذلك فان الملك ينزل من مركبته (٢) ويحارب مع المشاة وينقسم المحاصرون الى فريقين احـدهما يشـد القوس والآخر يحرسه بدرعه • أما الجند العمال الذين يأتزرون بالزرد فيهاجمون أسفل الحائط بمعاولهم ويحاولون هـدمه • وفى ناحية أخرى نرى آلة هـدم الأسوار المغطـاة بما يشبه سـقفا على شـكل شبكة من الأغصان تهز الحائط وتدعو الى تساقط كتل ضخمة منه • ويحاول المدافعون امساكها بسلسلة ضخمة وذلك بهزها محاولة فصلها من سقفها • اما المحاصرون من ناحيتهم فتراهم يمسكون بالآلة بواسطة خطاطيف ليستطيعوا الاحتفاظ بها وهناك برج على عجلات استحضر قريبـا من الأسوار ومن فمته يفوق حملة السهام

(١) انظر شكل ٤٤ •
(٢) XCVII. I. pl. 67, 19.

سهامهم ويجيب العدو بمشاقة متأججة محاولا اشعال النار فى الآلة • ويسقط بعض المدافعين من قمة الأسوار الى الهوة •• أما السكان المدنيون فيمثلهم امرأتان فى أعلى أحد الأبراج يبدو عليهما اليأس الواحدة تمزق شعرها والأخرى تمد يديها ملتمسة الرحمة •

ثم يصدر أمر الهجوم الأخير (١) فقد أحضر الأشوريون المراقى ولم يبق لدى الحامية بعد أن نفدت سهامها سوى بضع قطع من الأحجار • ويستمر الملك فى التصويب متسترا بدرعه على حين ينجح أحد الجنـد العمال فى صدع الحائط وعمل نقب فيه وينفذ منه ليكون من أوائل من يدخلون الى المدينة المستولى عليها •

وهكذا انتهت المعركة وانتصر الأشورى فما هذا الذى سيفعله بعد ذلك ؟ لقد اضطر تجلات فلاسر الأول الموسكيين فيما مضى الى التماس الصلح وهم قوم كان قد أخضعهم توكولتى اينورتا من قبـل واستردوا استقلالهم منذ ستين عاما •• اننا نراه يقطع الرءوس ليتوج بها أعلى الأسوار المهدمة لمدنهم ويحطم القصور ويحرق القرى ويأسر النسـاء والأطفال ويستولى على المعبودات ويأخذ من الممتلكات كل ما يستطيع أن يضع يده عليه ويخصص جانبا منها لآلهة اشور ويحتفظ بجانب آخر لنفسه ثم يترك الباقى لجنده • فان سأل العدو الرحمة فرض عليه جزية سنوية تزداد قيمتها حسب مبلغ اجتياح أراضيه •

ولقـد احرق توكولتى اينورتـا المدن واضرم النـار فى المحصولات والبساتين • وقطع اشور نتسير ابلا ، رءوس القتلى وجعل منها أهراما ، ولم تأخذه شفقة بمن شقوا عصا الطاعة على حكمه فسلخهم أحياء وألصق جلودهم على حوائط المدينة كما دفن آخرين أحياء فى البناء ووضع غيرهم فوق الخوازيـق على طول المتـاريس ويمثل نقش فى قصره (٢) العودة المظفرة من حملة ناجحة : تدخل عربات الأشوريين فى مشية هادئة ويعد الكتاب رءوس العدو • أما الموسيقيون فيحتفلون بالنصر على القيثار ويسهم فى الغنيمة النسر الذى صـحب الجيش المنتصر فى مطـاردة العدو (٣) فيحمل فى مخالبه رأس واحد من المهزومين وفى عام ٨٧٩ ق•م• يفخر الملك بقطع ايدى ٢٠٠ اسير سقطوا أحياء فى يده ويقول : « لقد تهلل وجهى فوق الخرائب ••• وانى لأجد راحة فى اشباع غضبى » وقد حمل

---

(١) Ibid, pl. 20.

(٢) Ibid. pl. 22.

(٣) Ibid pl. 14.

هو كذلك الى آشور المعبودات المنهزمة . واننا لنرى على بعض النقوش أربع مجاميع من الحمالين يحملون تماثيـــل اله الرعـد والهات ثلاث أخريات (١) : واحدة فى مزارها وأخرى جالسة متوجة بالتاج ذى القرون ممسكة بحلقة فى كل من يديها والثالثة جالسة على عرشها ويميزها رأس حربة وحلقة . وفى مكان آخر نرى الأسرى والغنائم (٢) : حيث يتقدم ضباط الملك أزواجا وأيديهم معقودة علامة الاحترام طبقا لعادة سارية منذ أمد طويل كان قد استنها السومريوآكاديون . وخلفهم قائد شاب يسوق الأسرى : وفى المقدمة قائد موثق بحبل يقوده محارب يمسك به من شعره بيده اليمنى ويدفعه . وهناك ثلاثة من الأسرى وأذرعهم مقيدة من خلف ومربوطين الى بعضهم بواسطة حبال ويقودهم جندى مسلح بقوس ويمسك عصا كأنه يهم بضربهم . أما الغنائم فموزعة فى الميدان من أوان وصحاف وقدور وأبواق وسبائك من المعدن وقطع من القماش .

ولم يكن شلمنصر الثانى بن « أشور نتسير ابلا » بأقل قسوة . فقد وطىء « أورارتو » « كشور برى » وحول مدنها الى أكوام من الخرائب ، كما كوم أهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق وأحرق القرى واقتلع المزروعات واجتث أشجار الفواكه فى البساتين وأطلق نفسه على سجيتها فى مســاكن العدو فاغتصب الكنوز وانتهبها ولم يرحـل حتى أضرم النيران فى كل ما لم يستطع أخذه معه . وفى نقوش برونزية من « بلاوات » نرى الأسرى الذين سقطوا فى ســوجونيا ــ احـدى مدن أورارتو ــ يسيرون فى صف عرايـــا وايديهم مقيـدة خلف ظهورهــم وأعناقهم مربوطة الى أطواق خشبية . وبالقرب من مدينة أخرى من نفس الاقليم نجد المدافعين على الخازوق ونجد رءوس المهزومين مكومة وجنـد الأشوريين يعملون جاهدين فى قطع الأشجار . ولكن ربما كان شمشى أداد أقل قسوة ، فانه وان اشعل النيران فى المدن بعد أن نهبها الا أننا لا نراه يفخر بذبح الشعوب التى سقطت بين يديه بل كان يقنع بنفيهم الى اشور وانزالهم الى مرتبة العبودية وتوزيعهم على جنوده .

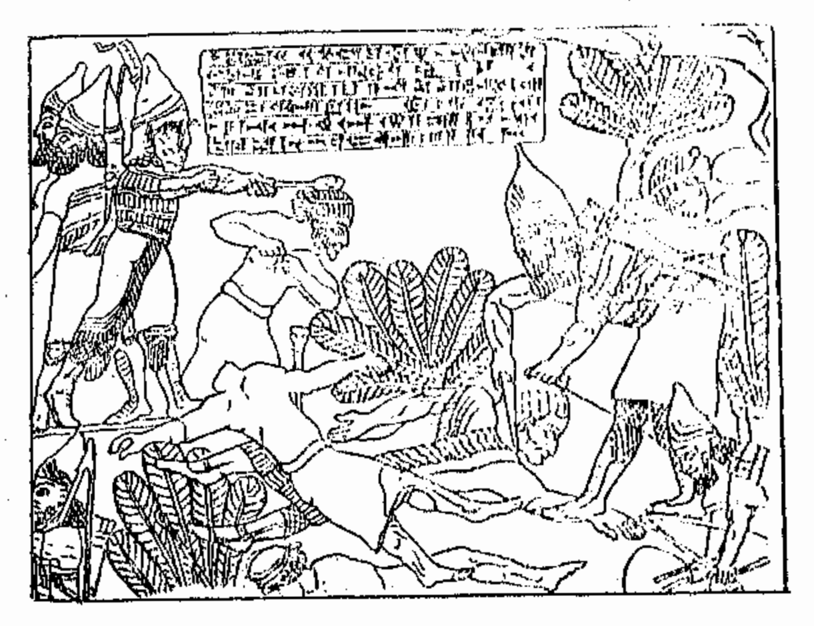
أما تجلات فلاسر الثالث الذى اعتلى العرش عام ٧٤٥ ق.م . فانه يجب أن يشير الى التدمير الكامل للمدن المهزومة حتى انها أصبحت فى مستوى الأرض المحيطة بها . وقد أمر كذلك بقطع الأشجار وبوضع زعماء الثوار على الخوازيـق . ومع ذلك فاننـا نراه قد استن خطة جديـدة للاستعمار : اذ نفى سكان الاقاليم المهزومة الى أقطار أخرى من الامبراطورية وحاول بهذه الطريقة أن يخلق شعبا واحدا بمزج جميع الأجناس بعضها

(١) Ibid. pl. 65.

(٢) Ibid. pl. 91.

مع البعض الآخر وعين حكاما فى المدن التى أخضعت حديثا ولم يدمرها وأقر بها سكانا جددا تحت حكمهم ٠

وهكذا فعل سرجون : فقد استولى فى بداية حكمه على ساماريا عاصمة مملكة اسرائيل التى ظل يحاصرها الجيش الأشورى مدى ثلاث سنوات وقد طرد أغلب سكانها الى حدود ميديا وحل محلهم سكان جدد استحضروا من شمال سوريا وقد دعمت جموعهم فيما بعد بالعيلاميين والعرب والبابليين ٠ وكان يتصرف فى كل حالة على حدة كسياسى حاذق ويستغل الموقف أروع استغلال اما بابقاء أحد هؤلاء الأمراء المحليين للاقليم المهزوم مولى له فيه أو بتعيين أحد ضباطه حاكما ولكنه كان ــ اذا تبين له أن ليس من الممكن تثبيت حكمه بوسائل أخرى ــ لا يتردد فى أن يبذر بذور الارهاب ويدمر كل شىء فكان يجتث المحصولات ويقطع الأشجار ويحرق القرى ٠ وقصة حملته الثامنة تقدم دليلا على الخرائب التى أحدثها فى طريقه : ها هو ذا قد وصل الى أرض أرماريلى (١) « غزوت سبع مدن محصنة مع ثلاثين قرية مجاورة لها عند سفح جبال أوبانديا خربتها وقوضتها جميعا وسويتها بالأرض ، أما أخشاب سقوفها فقد أضرمت فيها النيران وحولتها الى شعلة وفتحت المخازن التى كانت الحبوب



(شكل ٤٥) موت تيومان ملك عيلام (نقلا عن لايار : آثار نينوى ـ الجزء الأول)
Layard-The Monuments of Nineveh, ...

(١) XX, I. III, p. 43 - 45.

أكواما بداخلها وأعطيت لجنودى الغلال التى كانت مخزونة فيها ليأكلوا وأشعلت النار في المحصول الذى كانت عليه حياة النـــاس واليابس من الأعشاب الذى كان مخصصا لطعام الحيوانات ... وخربت الاقليم فقطعت مزروعاته ومحوت غاباته وكومت جذوع الأشجار ثم أضرمت فيها النيران. « وبعد أن استولى على قلعة يوياييس وقتل المحاربين أمام البوابة الكبيرة كالحملان » (١) وحين فكر في العودة الى أشور اعتزم الاغارة على مدينة « موتساتسير » واستطاع الملك « أورزانا » أن يهرب ، ولكن زوجته وبناته وأولاده وقعوا بين الأشوريين مع غنائم ضخمة .

وهناك نقش في قصر دور شاروكين (٢) ، يبين معبد الاله هالديا والجنـد يحملون الغنائم منه . ومن بين الأشياء التى وصفتها قائمـة الغازى (٣) دروع مزنيـة برأس كلب بكشر عن نابه وأحواض للسكائب (للاهراق) وتمثال بقرة ترضع صغيرها منحوتة من الحجر .

أما سناخريب فلم يتردد فى وضع القواد المهزومين فوق الخازوق وأن يحيل المدن المدحورة الى رماد . وكان يدخل الفرح الى نفسه أن يجعل دخان الحرائق يصعد الى السماء كتضحية ترضى الآلهة . ولما تمت له هزيمة اتحاد « شوزوبو » مع العيلاميين قطع أيدى الجند الذين سقطوا بين يديه حتى ينتزع من معاصمهم الأساور التى يلبسونها .

وقطع « أسارحدون » رأسى « عبدى ملكوتى » ملك صيدا وحليفه « ســانده وارى » ولكن لم يظهر فرحه كما فعــل غيره من الملوك بوصف المذابح والنهب والحرائق فى حولياته . ذلك لانه كان ابن امرأة بابلية ويظهر انه كان لهذا السبب أكثر إنسانية ورحمة فى كل المناسبات .

أما ابنه أشور بانيبال فلم يكن هناك ــ على نقيض أبيه ــ أشد منه قسوة فكان يقطع رءوس المهزومين ويشق شفاههم ثم يرسلهم على صورتهم المشوهة هذه الى اشور كى يرضوا فضول شعبه السقيم ، ولقد أشرف فى بابل على مذبحة بشـــعة هدفها « ارضاء قلوب الآلهة » وقد قطعت السنة بعض الأسرى ومزقت أوصــــال آخرين لتلقى طعـاما للكلاب والذئاب والخنازير وجوارح الطير فى السماء والأسماك فى القنوات وقد اطلقت يد الجيش بعد الاستيلاء على سوسه مدى أكثر من شهر ينهب الاقليم المحيط بها . وقد وزعت كل الثروة التى جمعها ملوك عيلام بين المعابد والجنود . وقد أمر الحاكم بنهب قبور الملوك الاقدمـين وحمل عظـامهم حتى تحرم

---

(١) Ibid, p. 47.

(٢) XXXVII. I. III, p. 148.

(٣) XX I. III, p. 59,63.

أرواحهم من الراحة الى الأبد وكان ينظم عقب كل حملةدخول موكب النصر الى العاصمة مصحوبا بالتراتيل والموسيقى • وفى نهاية الحملة الثامنة نرى « دوناتو » الجمبولى يظهر فى الموكب وهو يحمل على رقبتـه رأس « تيومان » ملك عيـلام التى كان مقدرا لها أن تعرض على احدى بوابـات نينوى كبرهان على قوة أشور • وهى تظهر مرسومة مرة أخرى على أحد النقوش معلقة على شجرة فى حديقة يستريح فيها الملك مع ملكته ، وقد اقتيد « دوناتو » نفسه الى اربيـلا وقطع لسانه وسلخ جلده وأحضر على هذه الصورة الى نينوى عريان متجردا واقتيد الى مكان الذبح وقدم ذبيحة كـ « حمل » •

٣ ـ الأسرة

كان شأن الزواج بين الأحرار فى أشور شأنه فى بابل يقتصر فى العادة على زوجة واحدة ولكن الأسرة فيه كانت تكون خلية أقل تماسكا • وكانت الفتاة تحت السلطة المطلقة لأبيها ولم تكن لتسـتطيع أن تتزوج دون موافقته حتى ولو كانت فى خدمة شخص آخر رهنا لدين • وكان من الواجب على اخوتها عند موت أبيها أن يحرروها وان يحضروا لها بائنة فان لم يفعلوا لفترة معينة فقدوا كل حق لهم عليها واستطاع الدائن أن يحررها ويتزوج منها • وكان حـق الوالد يصل الى حد تزويج الفتـاة من رجـل انتهك عرضها قسرا ان شاء الأب ذلك (١) •

وكانت الخطبة تتضمن احتفالا يصب فيه الخطيب عطورا على رأس الفتاة ويقدم هدايا من الحلى وأشـياء اخرى ومواد غذائية • ومنذ هذه الحفلة تصبح الخطيبة مرتبطـة ببيت حميها • واذا مات الخطيب قبل الزواج أو اختفى فـانها لا تسترد حريتها بل تسـلم الى من يريدهـا من اخوته البالغين ، أما اذا مات حموها ولم يكن لخطيبها اخـوة فعليهـا أن تتزوج من أحد الأحفاد اللائقين للزواج فان لم يوجـد من بينهم واحد وصـل الى السـن الشرعية ـ التى كانت عشر سـنوات ـ فان والدها يستطيع فى هذه الحالة فقط أن يزوجها من أسرة أخرى بشرط اعـادة جميع هدايا الخطبة ما عدا المواد الغذائية • واذا حدث أن ماتت الخطيبة فليس من حق الخطيب أن يلزم بالزواج من احدى اخواتها فان لم يطلبها او يعطى احداهن فله أن يسترد لهدايا فيما عدا المواد الغذائية • ومن المستطاع أيضا فسخ الخطبة على ان يؤدى ذلك الى نفس النتائج السابقة ان مات أحد اخوة الخطيب تاركا زوجة يجبره أبوه على الزواج منها (٢) •

(١) LXXIII lois 49, 56.
(٢) Ibid 23, 24, 44, 32, 31.

والعقد التالى المحرر كعقد بيع عبد يكشف عن أن الزواج بالشراء أحيانا كان عادة متبعة فى الحكم السرجونى (١) :

« ختم » نابورهتو أوتسور » بن « اهارتيش » ال « حاسا » فى أيدى « اردى عشتار » من قرية الغسالين • وختم « تبتاى » ابنه وختم « سليم اداد » ابنه أصحاب الحق على أختهم التى يسلمونها • « تنليل هاتسينا » أخت « نابورهتو أوتسور »اشترتها السيدة « نهتشاراو » بثمن قدره ١٦ شاقلا من الفضة لابنها « تسيها » لتصبح زوجتــه • وقد تسلمتها فهى زوجة ل « تسيها » وقد دفع المبلغ بالكامل • وان حدث مستقبلا فى أى وقت أن عــارض او طــالب سواء كان « نــابورهتو أوتسور » أو أولاده أو أحفاده أو قاربه الأبعدون أو أولادهم أو وصيه أو أى واحد من رجاله أو رفع قضية أو قدم تظلما ضد السيدة « نهتشاروا » أو أطفالها أو احفادها فان ذلك الرجل يدفــع ١٠ مينــا من الفضــة • وان باشر القضية فــانه لا يحكم له •

« ساهبيامو المراكبى وبل شوم ادين بن « ايلى أودان نينســانى » ، اشدى نتيل ابن اتى الغسال ••• الثلاثة « اتباع » المرأة • وأى ادعاء للخدمة أو الحجز أو الديون يكون الضامن كارميونى ـ بحضرة اهارتيش ، نابنينو ، اردى ناناى ، بوتــــوم هيشى ، ماشـــــبابنوشى وبعل شـــار أوتسور •••

الأول من ايلول فى العام المسمى باسم « اشور ماتو توقين » •

« بحضرة نور شماش ، بوتو بايتى ، نابو نادين اهى الكاتب » (٢)
وكانت المرأة المتزوجة تسكن أحيانــا تحت سقف بيت أبيها وفى احيان أخرى كانت تعيش فى بيت زوجها • وكان الزوج فى الحالــــة الأولى « يدفع لها « دوماكى » وهو حصة فى النفقات العادية للمنزل • كما كان أحيانا يحتفظ لها ب « نودونو » أو (صداق) وتصبح هى فى هذه الحالة متضامنة معه فى ديونه والتزاماته • وهو أخيرا قد يعطيها « ترمــاتو » يصبح ملكا خاصا بها فى حالة الطلاق • وحمو مثل هذه المرأة قد يضيف الى ذلك «زوبوللو» وهى هدية من الرصاص والفضة والذهب والماكولات• أما حين تذهب الزوجــة لتعيش مع زوجها فــان بائنتها « شركو » وكل

---

(١) XCIV Nos 324, 307, 67, 137, 100, 232, 242, 248, CIX No 655.
(٢) XCIV No 307.

ما أحضرته من بيت أبيها وكل ما قدمه لها حموها كل ذلك كان مضمونا أن يصبح من حق أولادها وليس لاخوة زوجها أي حق فيه (١) ٠

ولم يكن يسمح للمرأة المتزوجة الحرة أن تخرج الى الشوارع دون أن تغطي رأسها وكان ذلك متبعا على الأقل في فترة معينة في الألف الثانية، وكانت بناتها يضعن كذلك غطاء رأس طبقا للعادة المتبعة، وبهذه الوسيلة كان يمكن تمييزهن من عاهرات المعابد والمومسات والاماء ولم يكن يسمح للمحظية « ايسرتو » أن تضع غطاء الرأس فان رغب زوجها في أن يرفعها الى مرتبة الزوجة فانه كان عليه أن يحجبها أمام خمسة أو ستة شهود قائلا « هذه هي زوجتي » (٢) ٠

وقبيل نهاية الألف الثانيـــة لم يكن من حق المرأة المتزوجة أن تباشر أي عمل لا يديره زوجها أو أولادها أو أحد اخوة زوجها ٠ كما أنه لم يكن يجوز لها أن تأخذ شيئا على ســبيل الاعارة من شخص خارج عن دائرة الأسرة ٠ وكان الرجل الذي يتعامل معها يعد مجرما حتى لو أقسم انه لم يكن يدري أنها متزوجة : وكان عليه أن يدفــع للزوج في الحالة الاولى ٢ مينا من الرصاص وفي الحالة الثانية كان المتهم يلقى في الماء دون قيد يقيده فان نجا من الغرق كان الزوج يوقع عليه نفس العقــوبة التي يفرضها على زوجته (٣) ٠ وكان للزوجة في العهد السرجوني شخصية مدنية أكثر اتساعا ومع ذلك ، فان ورود ذكرها في العقود أقل بكثير من زميلتها المرأة البــابلية ٠ وفي ٦٩٢ ق٠م٠ كانت « امات سولا » زوجة « بعل دوري » تمتلك بالاشتراك مع رجلين بيتــا غير مقسم في مدينــة بنوي ـ وقد باعته دون تدخل من زوجها ٠ وقد اشترت أم فتاة لتجعل منها زوجــة لابنها كما باعت أخرى ابنتها للسيدة « أمي تــللي » ٠ وقد اقرضت امرأة مالا أو شعيرا واستردت أخرى حقــلا كان مرهونا وكانت المرأة تستطيع أن تشتري أو تبيع العبيد وأن تظهر بين المتقاضين ٠

وكانت عقوبــة الزوجة الزانية شديدة ٠ ولم تكن زوجة الرجــل الحر تعد مجرمة ان اغتصبها ذكر كرها في مكان عام ٠ أما المعتدي عليها فكان يحــكم عليه بــالموت ان ثبتت عليه الجريمة ٠ اما أن خانت امرأة زوجها وزارت مسكن عشيقها فقد كان يحكم على كليهما بالاعدام ٠ وان كانت لها علاقات محرمة برجل في ماخور أو مكان عام فان زوجها كان يوقع القصاص عليها ويلقى العشيق نفس العقوبة ان كان يعلم أن المرأة

(١) LXXIII Lois 28, 33, 31, 32.

(٢) Ibid, 41, 42.

(٣) Ibid, 22, 23.

متزوجة ولكنه لم يكن يمسه شيء ان كان يعتقد أنها غير متزوجة • أما ان ضبط الاثنان فى حالة تلبس ، فانه يصفح عن غضب الزوج ان هو قتلهما معا للتو • أما ان استدعاهما أمام القضاء فانهما يقادان الى القصر وعلى الزوج أن يثبت الجريمة وان هو حكم على زوجته بالاعدام فان الرجل كان يلقى نفس المصير • وان قطع انفها فان شريكها يخصى ويشوه وجهه • وكان من حق الزوج أن يعفو عن الاثنين • وكانت مغازلة المرأة المتزوجة تعود عليها وحدها بالتكدير فان انحطت الى الزنا فان الاثنين يلقيان نفس العقوبة (١) •

واذا ارتكبت جريمة الزنا فى مسكن امرأة أخرى متزوجة فان القانون ميز ما بين أمرين : الأمر الأول أن يكون ذلك برضى الزوجة والأمر الثانى أن يكون ذلك بالاكراه • وفى الحالة الأولى كان للزوج أن يوقع نفس العقوبة على الزوجة وشريكها وصاحبة البيت • وفى الحالة الثانية كان يحكم بالاعدام على الرجل وصاحبة البيت • أما الزوجة فلم تكن توقع عليها عقوبة ما ان كانت قد أخبرت الزوج بما حدث (٢) •

وعلاوة على ذلك يظهر أن المادة الآتية خاصة أيضا بالزنا (٣) حيث تتناول حالة زوجة رجل حر تترك منزل الزوجية واعتادت زيارة مسكن امرأة أخرى متزوجة فاذا كان رب البيت الذى تتردد عليه لا يعرف أنها متزوجة فان صاحبة البيت التى آوت الزوجة تصلم اذناها بعد أن تستعاد الزوجة • أما زوج صاحبة البيت فقد يستطيع افتداءهما ان دفع ثلاث وزنات ، و ٣٠ شاقلا من الرصاص • ويضاعف هذا التعويض ثلاث مرات ان كان يعرف أنها متزوجة • وان عارض الزوجان أو احدهما فانه يلجأ الى التعذيب بأن يلقيا فى النهر • فان عاد صاحب المسكن يدفع ثلاثة امثال التعويض أما اذا كان العائد هو الزوج ، فانه يستطيع أن يوقع العقوبة على زوجته •

وان قال رجل لآخر فى هدوء ان زوجته ليست بعفيفة ثم لا يستطيع أن يثبت ذلك عن طريق الشهود فانه يعرض نفسه لأن يقيد ويلقى به فى دجلة • أما ان كان ذلك قد حدث أثناء مشاجرة وعلنا فان ذلك يعد ظرفا مخففا اذ يعاقب القاذف بخمسين ضربة عصا ويؤدى عملا شاقا لمدة شهر فى السخرة الملكية ويدفع وزنه رصاصا ويشوه تشويها واحدا • وكانت

---

(١) LXXII fols 12 à 15,
(٢) Ibid, fol 24.
(٣) Ibid, fol 25.

نفس العقوبة من نصيب من يتهم آخر بعادات شاذة دون أن يستطيع أن يقدم الدليل على ذلك (١) ٠

وكان الاجهاض جريمة يعاقب عليها فى كل الحالات طبقا للقانون الأشورى ٠ وكانت المرأة التى تتهم بأنها اجهضت نفسها يحكم عليها بأن توضع على الخازوق وان ماتت قبل تنفيذ الحكم فيها تحرم من الدفن ٠ وان اتهم رجل بانه ضرب ابنة رجل حر ضربا أفضى الى اجهاضها ، فانه يدفع وزنتين من الرصاص ويضرب خمسين ضربة بالعصا ويؤدى عملا شاقا لمدة شهر فى السخرة الملكية ٠ وفى حالة زوجة الرجل الحر فى حملها الأول يدفع المعتدى وزنتين من الرصاص ٠ واذا لم يكن لزوج المرأة المضروبة طفل آخر أو ان هى ماتت فان المعتدى يقتل وفى كل الحالات عليه أن « يحل محل الكائن الحى » مهما كانت مدة الحمل ٠ وفى حالة العاهر يضرب المعتدى ضربة بضربة وعليه كذلك أن « يحل محل الكائن الحى » (٢) ٠

والى جانب الزوجة الشرعية كان القانون يسمح بمحظية أو أكثر يطلق عليها اسم « ايسرتو » وكانت تغطى رأسها حين تصحب سيدتها فى الشارع ٠ وفى كل الظروف الأخرى عليها أن تلبس مثل الخادم ما لم ترتفع الى مرتبة الزوجة حين يغطى رأسها سيدها فى حضرة خمسة أو ستة شهود ٠ وليس لأبناء المحظية حق فى تركة الأب اذا كان للزوجة المحجبة أطفال (٣) ٠

وكانت المرأة المتزوجة تسترد حريتها ان طلقها زوجها أو ان غاب أو اختفى لأكثر من خمس سنوات ٠٠٠ وتقريبا ــ دائما ــ ان مات ٠

ويظهر ان الطلاق لم يكن خاضعا لأى قيد قانونى بل لم يكن الزوج ملزما باعطاء أى شيء للزوجة التى طلقها اذا كانت قد عاشت عنده ٠ ويظهر أن المقتنيات التى كانت قد أتت بها الى المنزل تظل فى هذه الحالة تحت تصرف أبنائها ٠ أما اذا كانت قد ظلت فى بيت أبيها فان الزوج يسترجع الـ « دوماكى » ولكنه يترك لها الـ « ترهاتو » (٤) ٠

---

(١) Ibid lois 17 à 19.
(٢) Ibid lois 21, 52 à 54.
(٣) Ibid lois 41 et 42.
(٤) Ibid, lois 30, 39.

وكان الغياب الذى يمتد اكثر من خمس سنوات سببا من أسباب الغاء الزواج وخاصة حين لا يكون لدى المرأة ايراد خاص أو أولاد يستطيعون أن يكفوها حاجتها • وكانت تعطى لها « لوحة ترمل » وابتداء من السنة السادسة تذهب لتعيش مع الزوج الذى تختاره فان عاد الزوج الأول واستطاع أن يبرر غيابه بظروف قهرية فانه يستطيع أن يستعيد حياته الزوجية بشرط أن يقدم بديلة عن زوجته للزوج الثانى (١) •

وكان الأمر كذلك بالنسبة لمن يرسله الملك لخدمته فى الخارج فان كانت زوجته لم تنتظر مدى خمس سنوات كاملة قبل أن تتزوج مرة أخرى فان الزواج الثانى يعد لاغيا والأطفال الذين يولدون من مثل هذا الزواج يصبحون بحكم القانون أبنـــاء وورثة الزوج الأول عند عـــودته الى اشـــور (٢) •

وحين يسقط رجل فى أيدى العدو فان على زوجته أن تنتظره عامين حتى ولو لم يكن لها ابن أو حمو يسد حاجاتها • أما من كانت من موظفات القصر فانه يقدم لها الطعام مقابل خدمتها • أما ان كانت امرأة من الشعب فان عليها أن تتقدم الى المحكمة لتلتمس منها أن يخصص لها رؤساء المدينة كوخا على قطعة من الأرض تزرعها مدى عامين وتحدد حقوقها كتابة • وفى نهاية العامين تعطى « لوحة الترمل » ، التى تسمح لها بعقد زيجة جديدة • فان عاد الزوج المختفى الى بلده فانه يستعيد زوجته ولكن لا حق له فى الأطفال الذين أتوا نتيجة الزواج الثانى • اما بالنسبة لقطعة الأرض الممنوحة لزوجته لمساعدتها ، فان الرجل يدفع ثمنها بالشروط المنصوص عليها ويصبح مالكها وذلك فى حالة عدم عودته للخدمة العاملة بجيش الملك وحين لا يرجع الزوج فان العقار يرد الى المدينة ولا يحق للزوج الثانى ان يحتفظ به •

ولم يكن موت الزوج ليعطى المراة الحرية دائما ففى بعض الحالات كان عليها أن تتزوج من حميها أو أحد اخوة زوجها ممن كان قد عقد خطوبة ولكن لم يتزوج أو أحد أبناء زوجها الذى كان ثمرة زيجة أخرى • وكانت الأرملة تستطيع بعد موت زوجها أن تعيش مع أولادها فان لم يكن زوجها قد ترك لها شيئا بموجب صك مكتوب فانه كان عليهم اعالتها • وان كانت زوجة لزيجة ثانية ولم يكن لها اطفـال ، فان ابناءها من الزواج الأول هم

---

(١) Ibid, lois 30, 30.

(٢) Ibid, Lois 37.

الذين يعولونها ولكن ان كان لها اطفال ولم يرد أولاد زوجها من الزواج الأول التكفل بها فانها تقوم بخدمة أبنائها مقابل طعامها (١) ٠

وحين تتزوج الأرملة من زوج ثان فان كل ما يأتي به يصبح ملكا لها ان أتى ليعيش في بيتها ٠ أما ان كانت الأرملة هي التي تنتقل لبيت زوجها الثانى فانها تفقد حقوقها على كل ما تملك مما أتت به الى بيته لصلحته وان لم تحدد التزاماتها بمقتضى لوحة اذ ذاك فانه لا يستطيع طردها بعد مرور عامين من الحياة الزوجية ٠ أما أبناء الزوج الأول الذين يربون فى بيت الزوج الثانى فانهم يعتبرون من أسرة أبيهم ويحتفظ لهم بنصيبهم فى تركته ما لم تكن لديهم لوحة تبين تفصلهم عن أسرتهم السابقة وتضمهم الى ذرية زوج أمهم (٢) ٠

وقد يفقد الرجل زوجته تطبيقا لقانون الأخذ بالثأر فان كان مثلا قد اغتصب فتاة فان والد مثل هذه الفتاة يستطيع أن يأخذ زوجة المغتصب ويجعلها تمارس الدعارة ولا يعيدها الى زوجها (٣) ٠

وكانت الأسرة ــ كما هي الحال في بابل ــ تحت ولاية وسلطة رئيس واحد هو الأب أو أكبر الأبناء ــ فى حالة عدم وجوده ــ واذا كان الأطفال صغارا ومات والدهم فان الأم تعتبر وصية عليهم ٠ ومع ذلك فانه توجد اختلافات جوهرية : فان قانون حمورابى فى بابل فى القرن العشرين قبل الميلاد يقوم دليلا على وجود حقوق شخصية واسعة المدى ، بينما نرى أن العادات المتبعة خلال الفترة السرجونية ترجع بنا الى مرحلة اجتماعية أقل تقدما من ذلك مثلا السلطة المطلقة المخولة لرئيس الأسرة لبيع أطفاله وربما أيضا لقتلهم ٠

وقد اشترى « أبالايا » فى عام ٦٩٤ ابن « زونبو » بمبلغ ٢ مينا من الفضة بضمانة ضد الصرع ٠ كما دفعت السيدة « أهى تاللى » فى سنة ٦٨٧ نصف مينا للسيدة داليا ثمنا لابنتها « أنا أبى دالاتى » ٠ وفى عام ٦٦٨ باع « مانوكى اربايلو » اخته « بيليكوتو » الى السيدة « زاربى » وأدرج فى وثيقة البيع النص الخاص بالصرع والمعارضة وكذا النص الجزائى الخاص بالعقوبات ضد من يعارض فى الصفقة باسم البائع والذى يقضى بدفع عشرة أمثال المبلغ المنصرف وأن يقدم عشر مينات من الفضة

---

(١) Ibid. lois 31, 34, 47.

(٢) Ibid. lois 36, 35, 20.

(٣) Ibid. lois 56.

ومينا من الذهب للاله « اينورتا » وفي مختلف هذه العقود نجد أن رأس الأسرة يتصرف كـ « سيد للطفل المباع » · ولا تختلف صيغة هذه العقود عن الصيغة المستعملة في كل عقود البيع الأخرى ولم يكن يذكر فيها سبب نقل الملكية ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحالة التي سلم فيها « ايشدى أشور » أخته « اهات ابيشا » الى « زابدى » في السنة المسماه باسم « اشور دورو أوتسور » سدادا لدين (١) ·

وقد كان من نتائج تخويل حق بيع الطفل تقرير حق تسليمه كرهن وكان من حق الوالد أيضا ان يكرسه لخدمة أحد المعابد · وقد قدم « مانودق » سايس اسطبل الملك ابنه « نابوشارق نابشستى » الى الاله « اينورتا » اله كلح « لحياة أشور بانيبال ملك أشور » (٢) · وفي هذه الأحوال توضع صيغة الشرط الجزائي في شكل لعنات : يلتمس المانح من المعبود أن يضرب بذراعه التي لا ترحم كل من يحول الطفل عن خدمته وأن ينزله اداد الى مرتبة السؤال وان يجره الآلهة الآخرون الى الهلاك · وهناك مثال أجدر بالسرد هو الخاص بابن عامر المعبد الذى كرسته أسرة امه لخدمة نفس المعبود · ويظهر ـ كما هي الحال في بابل ـ أن النساء المتصلات بخدمة المعبد لم يكن في استطاعتهن ان تكون لهن ذرية شرعية · وفي الحالة التي نحن بصددها لا يعتبر الطفل ملكا لامه « رايمتو » بل لعميه ولرجلين آخرين صلته بهما غير واضحة · وهؤلاء الأشخاص الاربعة « سادة الطفل المنذور لـ « اينورتا » معبود كلح » قد تولوا أمر تربيته وهم يقدمونه للاله « للخدمة والسخرة » ويلتمسون من الاله أن يصغى بعناية الى صلوات كل من يحترم رغباتهم هذه وأن يرفض صلوات من يحاولون عرقلة تنفيذها ·

ويستدعى التبنى تحرير عقد يستطيع الطفل المتبنى بواسطته ـ كما هي الحال في بابل ـ ان يحصل في أسرته الجديدة على كل حقوق الابن الشرعي حتى ولو أنجب المتبنى اطفالا فيما بعد · ففي العام الذى سمى باسم « شانابوشو » نرى « سنقى عشتار » وزوجته « رايمتو » يأخذان طفلا صغيرا هو « أشور تساباتسو اقبى » من نابونايد « ليجعلا منه طفلا لهما » وقد نصا على أنه لو قدر رزقا بعد ذلك حتى بسبعة اطفال شرعيين ، فان « أشور تساباتسو اقبى » يظل يعتبر ولدهم البكر (٣) · ولم يكن الأمر

---

(١) XCIV No 201, 687, 208, 80.

(٢) Ibid. No 641.

(٣) **XV t. VI col. 198.**

أمر شراء صبي بل أمر نقله الى والديه المتبنيين • ومن بين الشروط الجزائية المقرر توقيعها على نابونايد أو أى فرد من أفراد أسرته يرجع فى الصفقة ـ بالاضافة الى تقدمات الآلهة ـ مينا من الذهب ومينا من الفضة الى انليل وحصانان ابيضان لـ « أشور » فلقد نص على أن الوريث الأكبر للطرف المطالب يحرق تكريما لاداد وهذا الأمر يحل محل التعويض بقدر عشرة الأمثال الذى يرد عادة في عقود البيع •

وكان من الممكن ان تقسم ثروة الأب عند وفاته ولكنها كانت أحيانا تظل على المشاع بين أبنائه • ولم يكن لأبناء المحظية الحق فى شيء منها ان كان للزوجة ابن أو أكثر • وأغلب الظن انه لم يكن من الممكن تبنيهم • أما ان كانوا هم وحدهم الذرية فان الميراث كله يقسم فيما بينهم •

وقد يمنح الوالد أثناء حياته الى واحد أو أكثر من أبنائه من يرغبون في تاسيس بيت خاص الميراث ـ سواء كله أو جانب منه ـ كمقدم • وعلى ذلك نجد في القرن السابع في العام الذى أطلق عليه اســـم « اوباق انا ارباپلو » • • • نجد « تبتاى » يعطى ابنه « اداد أوباللیت » بعض العبيد والماشية والأرض ويقدر نصيبه في التركة بثمنها ($\frac{1}{8}$) (١) وفى ظروف مشابهة نرى البابلي يفقد كل حق فى اى نصيب من تركة والده •

وعند موت الرجل الذى تعيش امرأته فى بيت أبيهـــا يصـــبح الـ « دوماكى » ملكا للأبناء • فاذا لم يكن له أطفال ولم تقسم التركة بين اخوته ، فان الـ «دوماكى» تكون من نصيب هؤلاء دون أن يطلب اليهم أن يقسموا اليمين أو يمروا بتجربة الماء : كان يكفى أن يثبتوا حقهم • أما ان لم يكن له أطفال وكان المتوفى قد حصل من قبل على نصيبه من تـركة والده فان الـ « دوماكى » يصبح ملكا للزوجة (٢) •

أما الممتلكات التى تأتى بها الزوجة التى تنتقل الى بيت زوجها وكذا كل ما اعطاه اياها حموها فانه يئول الى أبنائها • وليس هناك فى أية حال من الأحوال ما يسمح لاخوة زوجها أن يطالبوا بشيء منه (٣) •

---

(١) H. 1898, p, 202.
(٢) LXXIII, lois 26, 27.
(٣) Ibid, loi 30.

الفصـــل الثـــانى

التشريـــع

لم يعثر فى أشور على مجموعة من القوانين يمكن مقارنتها بقانون حمورابى من ناحية اتساع مدى أحكامه • ولقد كانت توجد ـ كما هى الحال فى بابل ـ لوحات دونت على كل منها شريعة تتصل بموضوع معين ولقد عثر على وثيقة من هذه الوثائق سليمة تقريبا وذلك فى خرائب أشور وقد كتبت فى النصف الأخير من الألف الثانية وهى تتناول فى حوالى ٥٠ مادة العقوبات التى توقع على بعض الآثمة وخاصة حالات ضرب أو هتك زوجة رجل حر • وهناك لوحة أخرى من نفس العصر ولكنها مكسورة لســـوء الحظ تتعلق بالقانون الريفى • وهناك ثالثة من نفس العهد فى حالة سيئة تحوى قرارات خاصـــة بالسرقة وتدخل بينها المعـــاملات التجارية غير الشريفة (١) • أما فيما يختص بالأعوام الأخيرة من عهد الملكية فان مكتبة أشور بانيبال تقدم لنا عددا من الوثائق التى يعطينا بحثها فكرة عما كان التشريع اذ ذاك • فحوالى نهاية الألف الثانية كان يصدر الأحكام قاضى واحد يقيم فى المحكمة على حين كان هناك عدد من القضاة يحققون عادة كل قضية فى بابل • وكان لا يلجأ الى القاضى فى بعض الجرائم والجنح وكان ـ على الأقل ـ الرجل الذى وقع عليه الضرر مختصا أحيانا بتطبيق القانون بنفسه أو التخفيف من شدة أحكامه : فزوج الزانية له فى كثير من الأحوال أن يعين بنفسه العقوبة المناسبة أو مراعاة الظروف المخففة •

وكان القانون الجنائى يتطلب عادة اثبات الذنب ويحدد العقوبات التى توقع على الجانى وهى الاعدام والتشويه والغرامة والجلد والعمل الاجبارى فى السخرة الملكية لفترة طويلة أو قصيرة • وكان اللص يعاقب بغرامة وخمسين ضربة من عصا وعدد معين من أيام الشغل الاجبارى فى السخرة الملكية • وفى عهد السرجونيين سرق من يدعى « امو لاماشى » ثورا (٢) ، فحكم عليه بالسجن الى أن اصبح قادرا على رد ما سرق • وكان العبد الذى

---

(١) LXXIII.

(٢) XCIV No 1601.

يسرق عبيدا آخرين يسام الى مولاهم حتى يستطيع أن يخلص ذمته . وقد حكم فى ٦٨٠ على « هانى » الذى أخذ ٣٠٠ نعجة من متعلقات ولى العهد (١) وقتل الرعاة ... حكم عليه باعادة القطيع ودفع ٢٠ وزنة من البرونز عن كل رجل . وأخذ مع كل عبيده وكل ما يملكه كرهينة حتى يتم الارجاع والرد .

وكان كل من يتقبل وديعة فى الريف يعتبر لصا ان فقد منها شيء نتيجة اهماله . وكانت نفس المعاملة من نصيب التاجر ان هو غالى فى تقدير ثمن البضائع التى يعرضها للبيع فان كانت الصفقة تمت بالكتابة ، فان الكاتب نفسه كان يعاقب . وكانت المرأة المتزوجة التى تنتسب الى طبقة الأحرار اذا دخلت معبدا وثبت عليها أنها أخذت منه شيئا فانها تعاقب بعقوبات مشينة .

وكانت الزوجة التى تأخذ متاعا خاصا ببيت الزوجية وتنقله الى الغير تعاقب عقوبة شديدة جدا فان كان الزوج ميتا أو على وشك الموت فانها تقتل هى وشريكها أما ان كان الزوج يتمتع بصحة جيدة فانه يترك له اختيار العقوبة التى توقع عليها . وحين يتم البيع لمصلحة عبد أو أمة فان الزوج قد يصلم آذان الزوجة والمشترى . وعلى أية حال فانه كان يجب أن يعاملهما نفس المعاملة .

وان سرقت امرأة متزوجة سرقة تقدر بأكثر من ٥ مينا من الرصاص من شخص آخر فان زوجها قد يصل الى اتفاق مع الضحية ويعيد له المسروقات ويصلم أذنى زوجته . وان فشل فى الاتفاق مع من وقع عليه الضرر فان هذا الأخير فى هذه الحالة يمسك المرأة لجدع أنفها . واذا سلمت امرأة فى الريف وديعة خلسة فان المشترى يعد سارقا .

وكان القانون الأشورى يعاقب بقسوة الضرب والجرح وخاصة اذا كانت المعتدية او المعتدى عليها امرأة متزوجة فكانت تلك التى تضرب رجلا تعاقب بدفع ٣٠ مينا من الرصاص وتضرب ٢٠ ضربة بالعصا — وان هى اصابت خصية رجل فى معركة ، فان احدى أصابعها تبتر ، وان أصيبت الخصيتان او أصاب الجراح الأخرى أثناء مباشرته لعلاج الخصية المصابة فان المرأة تتحمل المسئولية كلها ويحكم عليها بقطع ثدييها . وكان المعتدى

---

(١) Ibid, No 161.

عرضه لفقد احدى اصابعه ان هو اعتدى بالضرب على امرأة متزوجة وكان قانون العين بالعين والسن بالسن يطبق على القاتل ولكن ربما لم يكن ذلك في كل الأحوال · والمادة الخاصة بهذا الموضوع أصابها التلف لسوء الحظ · واننا لنجد في زمن السرجونيين أن القاتل يستطيع تفادى عقوبة الاعدام بأن يمحو جريمة الدم بمنح ابن المقتول عبدا وأسرته « والا فانه يضحى به على قبر القتيل » وحين وجد أن « سيليم ايلى » ارتكب جريمة القتل عدة مرات ختم الأحد عشر شخصا المستحقين للتعويض لوحة أمام الشهود قرروا فيها أن « تسيرى هو سيد القتلى الذين ذبحهم « سيليم ايلى » وأنه يحل محل القتلى قبلهم زوجه وأخوه وابنه ومن يقوم غيرهم (١) » ·

وليست لدينا أحكام قضائية بل وثائق خاصة فقط تتصل بالقضايا · واننا لنرى في احداها مقترضا يمنح مهلة لاستحضار شهود يثبتون بشهادتهم أنه سدد الدين والا فانه يكون عليه أن يدفع راس المال والارباح · ونجد في وثيقة أخرى أمة مسئولة عن موت خادمة ويضيع ضمانها ان تعذر عليها تعويض الضرر في وقت محدد (٢) · وقد اختصم شخصان بسبب بيت ثم وصلا الى اتفاق ولذا لم يعد هناك مجال للنزاع وهما لذلك يقرران هذا في عقد أمام الشهود كما يقدران تعويضا قدره ١٠ مينا من الفضة يدفعه أيهما اذا خاصم الآخر (٣) · وقد أنزل « شماش نستير » زوجة وابنها الى طبقة العبيد بسبب الديون ثم استولى على أملاكهما : ٥٠ ايمر من الشعير وآلة رى وثور و ½١٢ مينا من الفضة · وعمل المدينون اتفاقا معه لاعطائه علاوة على ذلك ثلاثة من العبيد (٤) ·

---

(١) XCIV, Nos 321, 618.

(٢) Ibid Nos 101, 166.

(٣) CIX No 650, f.

(٤) Ibid, No. 655.

الفصـــل الثـــالث

النظام الاقتصادى

١ ـ الملكية العقـــارية

تنقسم الملكية العقارية فى أشور ـ كما هى الحال فى بابل ـ الى حقول ومزارع وحدائق وبساتين وأراضى بناء • ولم تكن المزارع الكبيرة الحجم أحيانا لتقوم (بتشديد وفتح الواو) بالمساحة بل بكمية الشعير اللازمة لبذرها • وكانت جودة التربة تقدر حسب ما تستلزمه هذه البذور ٨ او ٩ أو ١٠ قا من الحبوب لكل وحدة مساحية • ولم تكن المزرعة تحوى أرضا صالحة للزراعة ومراعى فحسب بل حدائق ومبانى كذلك • وكان عبيد الأرض يكونون جزءا من الملكية العقارية وينتقلون معها من مالك الى آخر أو كانوا يقدمون من وقت الى آخر كرهون لضمان قرض •

وكان يملك المزرعة أحيانا عدة أشخاص على المشاع • وقد أقرض ريبانى فى عام ٩٨٧ ق•م • ثلاثة أشخاص ٢٥ شاقلا وتسلم مقابل ذلك حقلين وعينا بصفة رهن • وفى العام الذى أطلق عليه اسم « شارو نادين » اقترض « موتاقين أشور » و « أشور رش اشى » متضامنين ١٧ شاقلا مقابل اعطاء المقرض حق استغلال قطعة من الأرض • وفى العام الذى أطلق عليه اسم « اوباقو انا ارمايلو » نجد شخصين آخرين يظهر أنه لم تكن تربطهما رابطة عائلية يملكان معا ضيعة مشتركة (١) •

ويظهر أن مدة الايجارة كانت سنتين • وكانت المناوبة الزراعية مرة كل سنتين فكانت الأرض تسمى فى سنة « مريشو » (الزرع) وفى السنة التالية « كارابهو » (وكانت الأرض تستأجر لمدة « ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو » وكانت تقدر للرهن الفترة نفسها وهى ما يوازى ست سنوات متتالية) : « وكان من الممكن أن يعطى حق الانتفاع بالحقل لمدة ثلاثة مريشو وثلاثة كارابهو أى ست سنوات » ففى سنة ٦٧٩ عملت لمدة ٨ سنوات وهى خاصة بمدة ايجارة أطول من ذلك وهذا بالنسبة لحقل مساحته ٦ ايمر لضمانه مينامن الفضة • ويمكن استعادته مقابل دفع المبلغ المقترض ولكن بعد انتهاء الـ « مريشو » لأن المريشو هى السنوات التى تنتج أفضل

---

(١) XCIV Nos 624, 88, 628.

محصول مما يلحق بالدائن ضررا ان هو فقد فائدة هذه السنوات ومع ذلك فاعتمادا على هذا النص نفسه ندرك أن المزرعة لم تكن كلها تزرع بنفس الطريقة فى وقت تنفيذ العقد فان ثلثيها كان مريشو والثلث كارابهو ٠ وهذا الاجراء يختلف هنا عنه فى بابل حيث كانت ترتب زراعة الأرض عادة على فترات مداها ثلاث سنوات (١) ٠

وكانت الأموال الريفية تسمى أحيانا باسم صاحبها الحالى (الفعلى) وأحيانا أخرى باسم معين هو غالبا « ام المكان الفلانى » فى القرن السابع وربما كان ذلك يعنى أول منشأة فى المكان المذكور مثل : أم الكودورو ، أم قرية دونى ، أم المزرعة الأرامية ، أم الكلدانيين ٠ وكانت الحدود فى عقود البيع وفى كثير من الأحيان فى عقود الرهن تبين بأسماء الجيران والطرق المتاخمة والأنهر او القنوات ٠ وكان البائع يطبع ختمه أو ظفره كما كانت تبين المبانى المختلفة وعدد العبيد المختصين بأعمال الأرض مع ذكر أسماء اهمهم ٠ وكان الشارى يستطيع فى مدى مائة يوم أن يقيم الدعوى ان أصيب أحد الخدم بالصرع (٢) وكان القانون الريفى فى النصف الأخير من الألف الثانية تنظمه مجموعة من القرارات الملكية عثر على بعضها فى خرائب أشـــور ٠

ولم يكن تقسيم الأرض بين الورثة فى أنصبة متساوية دائما ٠ واننا لنرى فى حالات معينة أن الابن الأكبر كان له الحق فى ان يستولى على الثلثين : ثلث منهما يختاره والآخر بالقرعة أما الجزء الذى كان من نصيب رجل قتل « كائنا حيا » فانه من حق « صاحب هذا الكائن الحى » أن يطالب به ان كان الأخير يعتبر التعويض مناسبا ولا يصر على موت المجرم ٠ ويظهر ان كلمة « كائن حى » فى هذه المادة من القانون تعنى اى مخلوق بشرى سواء ولد أم مازال فى الرحم ، لأن نفس العبارة واردة فى النصوص الخاصة بمنع الاجهاض (٣) ٠

وكانت لمدينة اشور أملاك ريفية كانت تقرض لظروف معينة او تنتقل ملكيتها الى الأفراد ٠ وكانت كشـــوف الملكية محل مراجعة من وقت لآخـــر ٠

وكان هناك موظف هو الـ « كاشى » يعلن النداء الآتى فى المدينة ثلاث مرات فى الشهر : كل من يرغب فى تقديم مطالبة فى مصلحة او ضد حيازة فلان بن فلان لملكية العقار الفلانى مدعو للحضور فى نفس اليوم مزودا

---

(١) XCIV Nos 70, 622, 623, 8384.

(٢) Ibid 373. 622, 391, 443.

(٣) LXXIII Iols I, II.

بلوحاته أمام هيئة احتكام مكونة من ممثل الملك يعـــاونه كاتب المدينة وال « ناشى » نفسه وبعض الحكام وشيخ البلد وثلاثة من الأعيان • وحين كان ينادى على القضية كان كل فريق يدلى بحججه ويقــدم لوحـــاته للفحص • وكان القرار الذى يسجل فورا يعلن للمتقاضين أثناء الجلسة فان لم يحضر أحد المدعين فى احدى الجلسات الثلاث الخاصة بقطعة معينة من الأرض فان مســتأجرها يفقد كل حقوقه ويعرضـها منادى المدينة للمزاد (١) •

وكان توسيع اقطاعية على حساب مزارع مجاورة لها يعرض الفاعل لعقوبات صارمة : فكان يحكم عليه فى حالة ثبوت تعديل الناحية الكبيرة من حدود أرضه بأن يرد ثلاثة أمثال الارض المسروقة ويضرب مائة عصا ويؤدى عملا شاقا فى السخرة الملكية مدى شهر • وغالبـا ما كانت تبتر أحدى أصابعه الى جانب ذلك •

وكانت العقوبة مماثلة فى حالة تعديل الحدود الصغيرة من الحقل وان كان عدد الضربات يخفض الى النصف كما يستعاض عن بتر الأصبع بغرامة وزنة من الرصاص • وكان حفر جدول فى أرض الغير يعاقب عليه بثلاثين ضربة عصا وعشرين يوما من السخرة الملكية وكان تسوير قطعة أرض يملكها جار وبدء البناء عليها يعاقب عليه بخمسين ضربة من العصا وشهر من السخرة الملكية ومصادرة الطوب ودفع ثلاثة أمثال قيمة الأرض • وان زرع بســـتان على أرض الغير فان الأمر يحتمل شيئين : فان كان المالك يعيش فى مكان قريب فانه يفترض فيه أنه أعطى موافقته على ذلك وفى هذه الحالة تسلم قطعة أرض مساوية بصفة تعويض • أما ان كان بعيدا فان المفروض أن العمل تم ضد رغبته وله عند عودته أن يضع يده على البســـتان (٢) •

ولما كانت حقوق الرى بالماء فى كل البلاد وفى كل العصور سببا المنازعات بين الجيران فى الريف ، يفترض القانون الأشورى وجوب اتفاق الجيران على طريقة استعمال ماء الرى وماء المطر فان تعذر الاتفاق فانه ترك للزارع الأكثر نشاطا أن يتقدم للمحكمة لتقرر حقوقه وتثبتها فى لوحـــة (٣) •

وكانت هناك ضرائب (رسوم) تختلف من ناحية النوع سواء عن طريق السخرة أو الخدمات العامة تثقل كاهل الأملاك الريفية •

---

(١) Ibid loi VI.X

(٢) Ibid lois VIII, IX, XII, XIII .

(٣) Ibid, lol VI.

فاذا أراد الملك أن يكافيء خادما مخلصا للامبراطورية عن حميته وان يمنحه مزرعة فانه كان يحدد الاعفاءات التي تتمتع بها مثل هذه الاقطاعية . ولقد منح « أداد نيراري » كلا من قانوني « اهولامو » ، « مانوكي ابي » بعض الأراضي في قرية ماجا نوبا · وحدد العشور المستحقة للاله أشور والالهة باو بمقدار ١٠ ايمر من الحبوب · وحين قرر سرجون أن يأخذ هذه القرية ويبني مدينة دورشاروكين في مكانها استبدل هذه الأملاك بغيرها مع « مانوكي ابي » الذي كان لايزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد أعفاهم من ضريبة الشعير ومن الاجبار على تقديم العلف ، بل انه « مانوكي ابي » الذي كان لا يزال حيا ومع أولاد الرجلين الآخرين : وقد سار الى أبعد من ذلك فأعفاهم من التزاماتهم قبل الاله أشور · ولكي لا يلحق ضررا بالمعبود ولا يمس الأوقاف (المؤسسات) التي أقامها أسلافه فاننا نراه يمنحه حقلا ذا ١٥ ايمر بصفة تعويض ·

وحين أراد أشور بانيبال أن يظهر تقديره لـ « بولشا » الطبيب الشجاع منحه لوحة اعفاء لحقوله وحدائقه : « لا تفرض عليها ضريبة شعير ولا استيلاء على العلف ولا يؤخذ أي حيوان كبيرا كان أو صغيرا · أما حقوله وحدائقه هذه فلا تخضع لأية ضريبة او التزام أو سخرة أو جمع رجال وهم معفون من كل حقوق عوائد الرصيف والمرور » ·

وتظهر هذه الالتزامات المختلفة في الوثائق الخاصة ولكن ليس من الممكن الوقوف على النظام الذي كان مقررا للضرائب بالضبط أو ظروف وطريقة تطبيقه · وفي العام الذي كان يسمى باسم « سنشار أوتسور » دفعت أملاك ابن « ابو اريبا » العشور من محصولات الحبوب وكان عليها أن تورد ¼ العلف (الكلأ) الذي تنتجه للفرسان الملكية · وفي كلمات مبهمة نجد ضيعة اردي عشتار ، واردي أشور خاضعة «لالتزام تقديم العلف وضريبة الشعير » وعلى العكس من ذلك نجد أن بستان « قورديني عشتار لامور » أعفي من ضريبة الشعير والضريبة المخصصة لمصالح القرية وذلك في ٦٨٢ · وهذا النص الأخير يبين أن « ضريبة الشعير » يجب أن تفهم في معنى عام يتضمن كل الالتزامات العينية المستحقة حسب مختلف أنواع الزراعة ·

واننا لنجد في عقد يخصص فيه أحد الآباء ملكا خاصا لابنته يتضمن بيتا وبعض العبيد ــ نراه يصب لعنة الآلهة على من « يفرض جزية الملك » على هذه الممتلكات التي كانت تتمتع في أغلب الظن باعفاء مقرر في وثيقة سابقة (١) ·

---

(١) ZCIV Nos : 652, 660, 809, 647, 623-622, 370 : 619.

٢ ـ الاتفاقيـــات

ان معظم الوثائق الأشورية التى تكشف عن الحياة الخاصة المعروفة حتى اليوم يرجع معظمها الى محفوظات قصر أشور بانيبال وهى محفوظة فى المتحف البريطانى ومعظمها يرجع الى عصر السرجونيين وتتفاوت لمدى مائة عام وقد استخلصت منها معلومات عن الأسرة والرق ونظـــام الملكية والقرض بفائدة وحقوق الرهن وعمليات البيع والتبادل واستئجار الخدمات وقوانين العقوبات وذلك عندما بلغت الحضارة الأشورية القمة ٠

وتبدأ الاتفاقيات الخاصـــة عادة ببيان أختام الأشـــخاص الذين يتعاقدون ٠ وهذه الأختام اما أسطوانات أو أختام مسطحة كان يطبعها على اللوحة صاحبها بنفسه فان استحال ذلك فوكيل له يذكر اسمه وصفته نصا تلافيا لقيام أية صعوبة مستقبلا ولم يكن من المعتاد أن توضع أختام الشهود كما كان يحدث فى اللوحات البابلية أو الكابادوكية فى الألف الثالثـــة ٠

وحين لم يكن لدى المتعاقد أسطوانة أو ختم كان يضع ابهامه ويغرس ظفره فى الطمى ٠ ولم تكن التعهدات المتبادلة شائعة على ما يظهر وحتى فى التبادل كان أحد الفريقين فقط يثبت خاتمه ٠ وكان يعتبر البائع ٠ على حين كان الآخر يلعب دور المشترى ٠ وفى كثير من الأحيان أشير فى اللوحة الى هدية من الفضة أعطيت مقابل وضع الختم أو الظفر : من ذلك أننا نجد فى عقد من ٧١٣ ق٠م ٠ خاص ببيع عبيد سلموا مقابل ١٨٠ مينـــا من البرونز وقد أضيفت « أربعة مينا من البرونز مقابل الظفر (١) » ٠

وكان نص الوثيقة يحرر فى أسلوب غير شخصى يتبع بقائمة الشهود وتاريخ السنة المسماه باسم الشخص ٠ ولم يكن الكاتب يكتب دائما باسمه فان فعل فاننا نجده فى نهاية قائمة الشهود مع العبارة التالية : « الكاتب الذى يمسك اللوحة » أو « الكاتب الذى يمسك الوثيقة (٢) » ٠

٣ ـ البيـــع

كان البيع فى أشور دائما مقابل فضة أو رصاص أو برونز ٠ وكان الثمن يدفع فورا فان لم يتسلم البائع الثمن الكلى للشىء فانه يقدم مع ذلك ايصالا ويأخذ مقابل الرصيد صكا يعترف فيه بالدين ٠ وكان العقد

(١) Ibid Nos 307. 318 393, 400, 452, 248.

(٢) Ibid Nos 412, 1141.

يبدأ ببيان بصمة ختم البائع أو الظفر مع الاشارة الى الشيء موضـوع التعاقد · وكان هذا الشيء يوصف تفصيلاً مع الثمن واسم المشترى وشهادة الحيازة · ويقرر الكاتب أن الدفع قد تم وأن الشيء المعروض للبيع قد اشترى وأخذ · وهكذا تنتهى العملية ولا يعود هناك مجال للمناقشة · وكانت تحدد العقوبات التى توقع على من يقيم أى نزاع بشأنه كما كان العقد ينتهى بقائمة الشهود والتاريخ ·

« ختم دايان كوربان » صاحب البيت المبيع · ثلاثة مخازن بحوش بما فيها باب فى نينوى بجوار « ناهاراو ، نابوا ، كدوما ، ديرا ··· » اشتراها من « دايان كوربان » مقابل ٣٠ شاقلا من الفضة وتسلمها · وأعطيت النقود بالكامل · واشتريت هذه البيوت وأخذت · وليس هناك رجوع فى ذلك أو تقاض أو مطالبة · ومن ينازع يدفع ١٠ مينـا من الفضـة ·

ولم يكن العقد يشتمل على مساحة الأرض فى حالة البيوت كما هى الحال فى بابل · ومع ذلك فانه كان يثبت فى بعض الأحيـان مقاييس الجوانب · وعلى ذلك فمن الصعب تقدير قيمة أرض البناء : فبعض البيوت كانت تباع بنصف مينا ، على حين يبلغ ثمن البعض الآخر ١٢ مينا· وبفرض وجود هذه المعلومات كقاعدة فانه كانت تقوم الى جانب ذلك صعوبات أخرى لأن الكاتب كان يفرق بين أنواع متعددة من المنشآت : بيت اكوللى ، بيت قطاطى ، بيت ربيتو ، أترو ، بوتسى ، قاقير ، تابريو ··· مما لسنا نعرف حقيقتها (وربما كانت دكاكين ومخازن ··· وهكذا) ولم تكن قيمتها تحدد فقط على أساس المساحة المشغولة · كان يذكر وجود الآبار وصهاريج الماء والشرفات والأبواب ·وكما هى الحال فى بابل يظهر أن الأبواب لم تكن ملكا ثابتا بل يمكن أن تكون ملك المستأجر أو المالك على السواء · وكان البيع يتفق عليه بالفضة أحيانا وأحيانا أخرى بالبرونز · وهناك عقد ذكر فيه أن المبلغ الأصلى للبيع ٣٢ شاقلا من الفضة وذكر فيه أن « شاقلا من الفضة حدد مقابل الختم » · أما العقوبات المنصوص عليها فى العقد ليقع البائع تحت طائلتها هو أو أى واحد من أفراد أسرته يرفع قضية ضد المشترى أو ورثته فانها كانت عادة عبارة عن تعويض يبلغ أحيانا عشرة أمثال قيمة البيت ومنحة تدفع الى معبد عشتار فى نينوى أو الى أى معبود آخر فى حالات نادرة وقد تصـل هذه الهبة الى ١٠ مينا من الفضـة أو الذهب (١) ·

---

(١) Ibid 8Nos : 356, 354, 325, 330, 349(357.

وكانت حدائق الفاكهة أو الخضر تباع كأرض البناء · وكانت صيغه العقد متماثلة : فلان الفلانى يشترى بستانا صغيرا به ٣٥ شجرة · وآخر يشترى زراعة ٦٠٠٠ مقابل ٢ مينا من الفضة · ولا يذكر فى غالب الأحيان أى بيان عن مساحة الأرض وكانت تكفى الاشارة الى أنها فى حالة جيدة أو أنها تسلم بحالتها · وفى العام المسمى باسم « تساللو شارو اقبى » نجد أن « كولكولانو » يشترى بستان فاكهة به عبدان ويدفع ٣ مينا من الفضة مقابل ذلك · ولابد أن الصفقة كانت مهمة فلقد كان هناك خمسة شهود من القرية التى كانت بها الممتلكات وعشرة من القرية المجاورة · ولم يتعهد البائع بأن يدفع عشرة أمثال المبلغ ان هو رجع عن كلمته فحسب بل يدفع كذلك وزنة من الفضة و ٥ مينا من الذهب الى معبد عشتار فى اربيلا · ولقد ورد فى العقد بيان عن المنشآت والعبيد وعيون الماء والنافورات فى وصف قطعة الأرض المبيعة (١) ·

ولم تكن قيمة الأرض الزراعية تقدر حسب مســـاحتها بل بكمية الحبوب اللازمة لزرعها كما كانت الحال فى نفس العصر فى بابل · وقد عنى بالاشارة الى علاقتها بالمقاييس الجارية وهى ١٠ ، ٩ ، ٨ قا · وكانت الصفقة تتضمن عبيد الأرض كما كانت تتضمن أحيانا الطيور · وكان يثبت وجود المبانى والحدائق · وقد اشترى « شومو ايلانى » حقلا مساحته ٥٠ ايمر به ١٠٠٠٠ شجرة فواكة ومبان و ٩ من العبيد فى قرية « تى اى » مقابل ٦ مينا من الفضة · وكانت بعض الضياع متسعة جدا فقد اشترى « عشتار دورى » أحد ضباط الملكة الوالدة فى حكم أشور بانيبال ضيعة لم يكن بها أقل من ٣١ عبدا وقد دفع ثمنا لها ٥٨½ مينا · وقد اشترى أحد ضباط الملك كل قرية « موسينا » فى ناحية « ارباد » ودفع ١٧½ مينا ولكن لم يكن بها أكثر من ١٥٠٠ شجرة فاكهة وستة أشخاص · ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا العقد الشروط الجزائية الواردة فيه فقد نص على أن كل من ينازع فى الصفقة باسم البائع يقدم حصانين أبيضين للاله أشور وأربعة من الجحوش الى نرجال ووزنتين من الفضة ووزنة من الذهب الى عشتار نينوى الى جانب التعويض الواجب دفعه للمشترى وهو مقدر بعشرة أمثال قيمة العقار (٢) ·

وكان بيع العبد يتم بنفس الاجراءات المتبعة فى بيع الأملاك العقارية ولكنه كان يتضمن مع ذلك فقرة مزدوجة لامكان الفسخ مماثلة للفقرة

---

(١) Ibid Nos 446, 468.

(٢) Ibid Nos : 621, 622, 473, 431, 422, 428, 471, 464, 420.

الواردة في قانون حمورابي . وكان الصرع عيبا يلغي البيع كما هي الحال في بابل . وكان على المشترى الأشورى ان يتبين وجوده خلال ١٠٠ يوم ليتسنى له الغاء عقد الشراء على حين كان البابلي من عصر حمورابي يعطي شهرا فقط لهذا الغرض : أما بعد هذه الفترة فكان يفترض أن الاصابة بهذا المرض حديثة . أما فيما يختص بالمطالبة فانه لم تكن لها حدود . واننا لنجد الصيغة تبين على الأقل في شكل بالغ الغموض أن على البائع أن ينفذ المطالب الحقة « في كل الأيام وكل الاعوام » وفي عام ٧١٢ ق.م. نجد أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أطفال انتقلت ملكيتهم مقابل ١٨٠ مينا من البرونز . وقد نص على أن من يبدأ اجراءات النزاع عليه أن يدفع ١٠ مينا من الفضة الى « اينورتا » اله كلح كما يدفع وزنة من الرصاص الى حاكم مدينته بخلاف التعويض المقدر بعشرة الاضعاف للمشترى . وكنا قد لفتنا النظر الى اشارة في عقد سابق عن منحة عن الختم الا أننا نجد في هذا العقد أن البائع ليس لديه ختم ولكنه تسلم مقابل بصمة اظفره ٤ مينا من الرصاص أى أكثر بقليل من ٢٪ من ثمن الشراء الفعلي . ولقد بيع نساج مهر في صناعة الأقمشة المتعددة الألوان بمبلغ ١½ مينا لخدمة معبد « اينورتا » في كلح . وفي حالة قيام بعض المصاعب حول هذا الأمر فان من ينازع في عقد البيع يدفع ١٠ مينا من الفضة وكمية معينة من الذهب للمعبد بخلاف التعويض المعتاد . وكان الرجل يساوى ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٢ شاقلا من الفضة و ٥٠ أو ١٠٠ مينا من البرونز ولكنه كان يساوى احيانا ١ مينا و ٧ شاقل من الفضة . وكان ثمن حمار (بتشديد وفتح الميم) يبلغ ½١ مينا من الفضة وهو ما يعدل ثمن النساج . كما كان ثمن الأمة ٩ شواقل أو ٣٢ وقد يصل الى ٢ مينا (١) .

ولقد تبينا وجود عقوبات توقع على البائع أو أحد أفراد عائلته أن هو رجع عن الصفقة ، واننا نجد أن الاطالة في هذا الموضوع قد تكون ذات فائدة : ان العقد الذى يلزم البائع بمقتضاه انما هو اتفاق علني لا يربطه بالشارى فحسب بل بالمعبود كذلك وكان يتضمن نوعا من القسم ــ ضمنيا على الأقل ــ مما يجعل نقض الاتفاق حنثا يعد ذنبا وخطيئة . وقد عبر عن هذه الفكرة صراحة في عدد كبير من النصوص بفقرة « الآلهة هم اصحاب قضيته » التى خصصت حتى أصبحت « أشور هو صاحب قضيته » و « أشور وشماش هما صاحبا قضيته » ولعل هذا هو السبب في أن المخطىء أو المذنب كان عليه أن يتطلب رضاهم اما في شخصه أو في أطفاله أو في أملاكه . وكان الأمر كذلك بالنسبة للملك لأن الملك كان يتمتع

(١) Ibid Nos 248, 254, 642, 177, 180, 186, 196-199, 315, CIX Nos 505, 506.

بنفس امتيازات المعبود : « ان القسم بالملك هو في الواقع صاحب قضيته » وحين اشترى « ابلا » مزرعة وأربعة من العبيد في ٦٩٨ نرى أن كل من ينازعه أو ينازع أطفاله يجب أن يأكل قدرا معينا من احشاء ثور مع روثه ويشرب « دم الأرز » (١) . وليس هذا مثلا مفردا فاننا نجد نفس الصيغة في عقد بيع العبيد أو عقد بيع أرض . وهناك عقد آخر يضيف الى ذلك التزام تناول قدر معين من نبات شوكي حتى يصبح اللسان مســحوبا (مجلوطا) ومثقوبا . وكان الآلهة القساة يغالون في المطالب فيتطلبون احيانا تقديم ضحايا بشرية . ولقد ذكر ذلك ابلا نفسه في عقد اذ ذكر أن الابنة الكبرى للمنازع ستحرق بـ ٢٠ قا من خشب الارز تمجيدا للالهة « بعليت تسيرى » . وقد تطلبت نفس الضمانة السيدة « مانوكى اللا » في عقد بيع ثلاثة من العبيد « سيحرق ابنه الأكبر أو ابنته الكبرى تمجيداً لبعليت تسيرى مع ايمر من أفضل الطيوب » ولم يكن الاله اداد بأقل قسوة : وكان التماس رضائه يستلزم حرق الابن الأكبر لورثة « نابونابيد » او وريثه الشرعى ممن يرفع دعوى استرداد طفل تبناه « سنكى عشتار » وزوجته « رايمتو » .

وكانت تقدمة الخيول البيضاء كذلك عقوبة توقع على المتنازع لمصلحة الآلهة . وكان عليه أن ينذر اثنين أو اربعة لأشور ، وسن وعشتار وغالبا كان يضيف اربعة مهور (جحوش) الى نرجال اله العــالم السـفلى (الجحيم) . وهناك اشارة الى قوس لاينورتا اله كالح في عقد بيع عبيد . واننا لنجد فقرة تتردد كثيرا تلزم المنازع بدفع مبلغ معين من المال الى خزانة الآلهة : أشور وعشتار في نينوى واينورتا في كلح و « ابيل أدو » في « كانــو » و « اداد » في « دور ايلبــل » وسن في حران : مينا من الفضة ومينا من الذهب لانليل في عقد ثمن ، و ١٠ مينا من الفضة ومثلها من الذهب لنفس الآلهة في ٦٧٩ و ٢٠ مينا من الفضــة في بيع عبيد مقدرين بـ ٢٢ مينا ووزنة من الفضة وعشر مينات من الذهب . وفي عقد آخر وزنة من الرصاص فقط . وهناك شخص آخر يعطى نفس المبلغ (وزنة من الرصاص) لمندوب الحكومة بخلاف ما يجب أن يدفعه الى الآلهة بالاضافة الى ذلك (٢) .

---

(١) خلاصة (زيت) مستخرجة من خشب الأرز .

(٢) Ibid, Nos 315, 163, 161, 318, 476, 473, 474, 244, 430, 461, 474 310, 215, 350, 471, 326, 263, 262, 316, 161, 282, 283, 247, 523, 498, 326, 417, 248, 554.

CIX, Nos 505, 506, 41.

وكان هناك كذلك مجال للتعويض ضد الطرف الثانى مقدرا فى أغلب الأحيان بعشرة أمثال قيمة الشيء المتنازع عليه . وفى حالة خاصة قدرت فيها قيمة أرض بـ ٨٠ مينا من البرونز نرى أن التعويض قد قدر بمائة ضعف لهذا الثمن (١) . وكان يعمل حساب لاحتمال قيام نزاع حول الشيء المبيع مستقبلا وتقرير امكان اعتبار الصفقة ملغاة ولكن هذا لا يكون بدون نفقات يتحملها من يرجع فى الصفقة فيسمح له باستعادة بيته أو حقله أو حديقته أو عبده كأنما كان قد سلمها بصفة رهن ولكن على شريطة دفع تعويض للطرف الثانى وكذلك الى المعبود أحيانا . وفى عام ٦٨٧ ق.م. نجد امرأة قد اشتريت بوزنة من البرونز « لا قضايا ولا منازعات ... ان من ينازع فى المستقبل فى أى وقت (ويقول) : « اننى أعتق المرأة » عليه أن يدفع مينا من الفضة ويأخذ المرأة » . وقد وضعت بعد ٦ سنوات شروط مماثلة وردت ٢ مينا لاستعادة امرأة قدرت بـ ٩٠ شاقلا . ولكن ــ كقاعدة عامة ــ كان كل عقد بيع يعتبر نهائيا وكانت تنص الصيغة العادية جدا على أنه اذا احتكم البائع أو أى عضو من أسرته الى المحكمة فانه لا يأخذ شيئا . واننا لنجد فى صيغة أخـرى أنه نص على أنه ليس للقاضى أن يستمع الى التظلم كما نرى فى صيغة ثالثة أن التظلم لن يعتبر قضية وأن المتظلم لا يجاب الى طلبه (٢) .

٤ ــ التبـــادل

لم يكن التبادل ــ كما هى الحال فى بابل ــ نوعا خاصا من التعاقد بل كان يتم بموجب عقد مماثل لعقد البيع . وفى العام المســـمى باسم « سن شار أوتسور » كان هنـاك ثلاثة أشـخاص يمتلكون معا العبـد « عشتار دورقالى » استبدلوه بأمة كان يملكها « كاكولانو » . وكنا نتوقع أن نجد فى بداية العقد ذكرا لأختام الطرفين المتعاقدين ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل أثبت ســادة « عشتار دورقالى » وحـدهم أختامهم كما لو كانوا هم وحدهم الملتزمين .

« ختم نابو اهو اوتسور ، ختم اهونى وهما ابنان لـ « نارجى »
ختم اهو اورى بن سيلى ... جملة عددهم ثلاثة رجال .
يمتلكون رجلا سلم على سبيل التبادل مقابل امرأة » .

ويستمر النص ــ كما هى الحال فى عقد البيع ــ على الوجه التالى :

(١) Ibid No 360.
(٢) Ibid, 453, 216, 213.

« عشتار دورقالى عبد هؤلاء الرجال قد اشتراه كاكولانو

ال « راب كتسير » من هؤلاء الرجال بالتبادل مع أمته « توليها »

لقد اشتراه وتسلمه · ولا رجعة فى ذلك ولا قضية أو مطالبة ·

ومن يقوم مستقبلا ويرتكب عنفا سواء أكان نابو أهو أوتسور

أم اهونى أم اهونورى أم أولادهم أم أحفادهم أم أقرباؤهم

الأبعدون أم أبناء أقربائهم الأبعدين أم من يمت لهم بصلة

· · · اى من هؤلاء ان نازع مستقبلا أو أقام دعوى ضد كاكولانو

أو أطفاله أو أحفاده فان « أشور وشماش وبعل ونابو » هم

سادة قضيته : سيدفع ١٠ مينا من الفضة » ·

ويلى ذلك أسماء أحد عشر شاهدا والتاريخ ·

وهناك لوحة أخرى ليست أقل فائدة رغم تشويهها تشويها كبيرا وهى تخص عبيدا ثلاثة استبدلوا بحصان فى حالة طيبة : « انهم اشتروا وتسلموا» ويضيف الكاتب الصيغة المعتادة لعقود البيع : « دفع المبلغ بالتمام » ولكن لم يكن هناك مجال لذكر شيء عن فرق الثمن بين الشيئين المتبادلين ولم يكن هذا التعبير هنا سوى نص تقليدى بحت (١) ·

٥ ــ القروض

من النادر ان كان القرض يمنح فى اشور دون أن يحدد المقرض الضمانات الحقيقية والمباشرة وهى رهن ذو أهمية ينتفع به فى الحال ويحتفظ به غالبا دون اجراءات أخري ان لم ترد اليه أمواله · ذلك بينما كان المتبع فى بابل بصفة عامة ألا يتخذ الدائن اجراءات اثبات حقوقه على الأشياء المرهونة الا عند حلول تاريخ السداد · وفى أشور أيضا كانت القروض فى أساسها هى الشعير · وفى الاقليم المحيط بنينوى كانت القروض بالفضة والبرونز وهى العملة السائدة ، الا أنها كانت أحيانا خاصة بالحبوب والزيت والماشية ·

وقد وجدت القروض من غير فائدة لآجال قصيرة فى القرن السابع · وفى عام ٦٩٣ ق·م· تسلم « أربا » مبلغا قدره ١٧ مينا من « انديبى » فى التاسع من آب وتعهد « ان يعيد المال فى تيشرى على أساس رأس المال · وفى حالة عدم السداد تكون الفائدة الشهرية ٢ شاقل لكل مينا » أى ٤٠٪

(١) Ibid, Nos 318, 252.

فى السنة وهذا السعر المرتفع جدا ربما كان يعتبر كعقوبه على الدائن الذى لا يستطيع المحافظة على تعهده • وكانت الفائدة المعتادة فى بابل ٢٠٪ ولكن من المستحيل ان نعرف السعر المعتاد فى أشور لأن العقود نادرا ما تتناول الفائدة بالذكر ؟ واننا لنجد الفائدة فى واحد منها مقدرة على أساس ٣٠٪ وفى آخر قدرت ارباح المبلغ الخاص بمعبد اربيلا ب ٢٥٪ وكانت الفائدة تقدر على أساس الشهر أو السنة • وفى سنة ٦٦٧ ق٠م٠ اقرض « نرجال شار اوتسور » ٥ مينا ، وهذا المبلغ « يتزايد بمقدار ٥ شواقل من الفضة كل شهر » أى بفائدة ٢٠٪ وفى ٦٨٦ اقترض سوكا ٣ مينا من الفضة « تزيد ٦ شواقل شهريا » اى بفائدة ٤٠٪ •

أما اذا كان القرض بدون فوائد فانه فى حالة عدم سداد الدين فى التاريخ المحدد للسداد فانه يقدر على رأس المال من هذا التاريخ فائدة بسعر ٤٠٪ أو ١٠٠٪ أو أحيانا ١٤١٪ • وبالنسبة للفائدة المقدرة على أساس ٥٠٪ كان الاصلاح المعتاد هو « يزيد بمقدار نصف شواقله » وعلى أساس ٢٣٪ و ٢٥٪ يعبر عنها بنفس الاصطلاح « يزيد بمقدار ثلثه أو ربعه » وليس هناك من شك فى أن سعر الفائدة المعتادة كان معروفا ، واننا لنجد فى بعض الحالات اشارات مبهمة مثل « المال يزيد » ان لم يدفع رأس مال فانه يدفع أكثر منه (١) •

أما بالنسبة لسلف الحبوب فان الفائدة كانت عادة ٥٠٪ ومرة ٣٠٪ ولقد كانت فى بابل سابقا ٣٣٪ ثم أخذت تنحط الى مستوى فائدة الفضة حتى بلغت ٢٠٪ « ٥ ايمر من الشعير تخص ولى العهد ، فى يد تاقونى الثانى ، توضع تحت تصرف « هاماثوثو » من قرية « هاندوات • يزيد الشعير بمقدار ٥٠ قا للايمر » •

وكان نفس السعر يستعمل بالنسبة للقروض بغير فائدة حين لا يتم السداد فى التاريخ المتفق عليه (٢) •

وقد أقرض « كتسير أشور » ١٠ شواقل من الفضة وهى الثمن المقدر لكمية معينة من العلف يجب أن يسلم فان لم يسلم هذا الدريس طبقا للشروط المقررة فانه تسرى على المبلغ فائدة بواقع ١٠٠٪ وكذلك وضع « شوما ايلانى » فى ٢١ آب ٦ ايمر من الزيت الطيب تحت تصرف « أشور بعل أوتسور » وكان يجب ان تســـتعاد فى الشهر التالى والا احتسبت

(١) Ibid. Nos 78, 87, 27, 28, 271, 18, 258.

(٢) Ibid, Nos 131 120 148.

الفائدة ـ كما هي الحال في الأمر السابق ـ مساوية لرأس المال أي قدرت الفائدة بواقع ١٠٠٪ . وفي هذين المثلين وأحدهما خاص ببيع تم الدفع فيه مقدما والآخر خاص بقرض بغير فائدة نجد ان الشرط الخاص بالفائدة هو في الوقت نفسه شرط جزائي ولا يمكن الاعتماد عليه باعتباره السعر المعمول به بصفة عامة (١) .

وحين يجد المدين نفسه في حالة لا تسمح له باعادة الشيء المعار عينا او ما يعادله ، فانه كان ينص عادة على ما يفرض عليه دفعه . وفي شهر تبت ٦٨٣ ق.م. وضع « مانوكي ننوا » ٢٥٠ قا من النبيذ تحت تصرف « اوتاما » على أن يردها في شهر ايارو . ان لم يرده فانه يلزم بأن يدفع الثمن على أساس سعر السوق في نينوى » وهكذا تصرف سيليم أشور في موقف مماثل في ٦٧٥ . وفي ٦٧٤ اعطى « دانا » الى « ايلي موكين اهي » و « اداد ابال ادين » حق استعمال هجينين وكان عليهما أن يرداهما في الأول من « مارشيشوان » أو يدفعا ٦ مينا من الفضة فان لم يكونا في وضع يسمح لهما بذلك فانهما يدفعان الفائدة . وفي ظروف أخرى كان ينص على دفع « قيمة المنازعة » أي عشرة أمثال قيمة الشيء الذي لم يرد .

وقد يتم اتفاق كذلك على مكان التسليم وفي حالة التأخير يحدد مكان آخر . وقد اقرض نابودوري ٣٠ ايمر من الشعير الى تيتاي سائق « عجلة ماجانيسي » بشرط اعادتها في مارشيشوان فان قام بتسليمها بعد ذلك فعليه أن يحضرها الى نينوى (٢) .

٦ ـ الرهـون

كان الرهن الذي يطلبه الدائن عبارة عن ملك عقاري أو منقول . وغالبا ما كان عبارة عن مزرعة بعبيد الأرض الذين عليها . وكانت الصيغة المعتادة هي الواردة في العقد التالي :

« ٢ مينا من الفضة على نظام مينا قرقميش خاصة بـ « اداتي » زوجة الحاكم تحت تصرف ... يا ، مساعد مفتش المدن . وقد أخذت بدلا من الـ ٢ مينا عقارا مساحته ١٢ ايمر وهو حقل موجود بـ « مزارع » مدينة اشورو « كوردي اداد » وزوجته وثلاثة أبناء و « كاندلانو » وزوجته وعددهم

(١) Ibid, 151.

(٢) Ibid, Nos 127, 122 à 124.

جميعا سبعة أشخاص و١٢ ايمر أخذت بصفة رهن تحت تصرف اداتي وبمجرد سداد المبلغ يرد اليه الحقل والمذكورون » ٠

ثم يلي ذلك أسماء الشهود والتاريخ ٠

وفي هذه الحالة الخاصة ، وفي حالات أخرى ، كان يصبح للدائن حق الانتفاع بالحقل المرهون ويعتبر هذا مقابلا للفائدة ٠ وقد نص على ذلك صراحة في عقود أخرى وهكذا نرى أن « مارشاري بعل احي » يستلم ويأخذ في مقابل ١٢ شاقلا ارضا مساحتها ٢ ايمر و ٢٠ قا بمكيال سعة ٩ قا (أي أنه يلزم ٩ قا من الشعير لزراعة وحدة المساحة) » وسيأخذ محصولها كل سنة » وحين يسدد المدين « سن كوتسوراني » المال فانه يسترد حقله ٠ وكان في مثل هذا النص مخاطرة من جانب المقرض ، اذ لم يكن دائما موضع تنفيذ ٠ فقد اقرض معبد اربيلا رجلين مبلغ ١٧ شاقلا من الفضة بفائدة ٢٥٪ ، وكان على مدير المعبد أن يستغل قطعة من الأرض مقدمة كرهن وأن يجمع المحصول : فان زادت الغلة عن الفائدة فان المدينين يستمتعان بالفائض ٠ أما اذا قلت عنها فعليهما أن يعوضا العجز ٠ وحين يكون الرهن بيتا وكان المقرض يعيش فيه فان الايجار يمكن اعتباره معادلا لفائدة المال المقرض ٠ أما اذا لم يكن يعيش فيه فان المدين يكون ملزما بدفع الفائدة المتفق عليها ٠ وكان العبد المسلم كرهن يؤدي خدماته للدائن وكانت قيمة هذه الخدمات تخصم من الفائدة وقد تعادلها ٠ وهكذا نرى في ٦٦٨ ق٠م٠ قرضا قيمته ٣ مينا اتفق على أنه بدون فائدة مادام هناك عبدان قد وضعا تحت تصرف الدائن حتى تاريخ السداد ٠

أما عن التبعات من هرب أو موت فانها تقع على كاهل المالك لا على الدائن ٠ وقد ذكر ذلك صراحة « موشكينوبا » الذي أقرض ٣٠ شاقلا من الفضة الى « نابونادين اهي » في العام المسمي باسم « نابوشار اهيشو » ٠ وهذا هو المتبع بعينه فيما يخص الضمانة ضد الصرع ٠ وكان يمكن أن ينص على أن المال المقرض يصبح واجب السداد فورا في حالة اختفاء الرهن (١) ٠

٧ ـ الكفالة

كان الأشوري يستطيع أن يفعل ما يفعله البابلي من ناحية رهن زوجته وأبنائه أو بناته ٠ ولم يكن من حق الدائن أن يحلق أو يشوه هؤلاء

---

(١) Ibid, Nos 65, 67, 68.

الأشخاص والا فانه يعاقب بشق اذنيه فكان لا يستطيع تزويج الفتاة الحرة الموضوعة تحت خدمته دون موافقة أبيها فان كان الآخير ميتا ، فان على اخوتها واجب عتقها في مدة قصيرة والا فانه يصبح من حق الدائن نفسه أن يحررها ويزوجها (١) ٠

وكان من المحظور بيع الأشخاص أو الحيوانات المعطاة كرهون وكان جزاء ذلك عقابا شديدا (٢) ٠

وكما هي الحال في بابل – ولكن ربما كان ذلك في نطاق أضيق – كان يمكن اختيار الكفالة في أشور ٠ وقد فعل ذلك «كتسير اشور» لا في صفقة قرض ولكن بمناسبة سلفة مالية أعطاها لثلاثة أشخاص كان عليهم أن يوردوا له كمية من الدريس (العلف) ٠ وقد أخذ أحدهم على عاتقه مسئولية تسليمها بالكامل ٠ وتحمل التعويضات في حالة عدم مراعاة التنفيذ في الأجل المحدد ٠ وفي ٦٨٠ ق٠م٠ طلب « دانا » كفالة لضمان ارجاع ٧٢ نعجة معارة لفترة تبدأ من شهر « سمانو » الى شهر « آب » ٠ ومن الجائز أن يشترك في عقد القرض طرف ثالث يصبح المدين الحقيقي ويوقع العقد بخاتمه ٠ وفي سنة ٦٧٠ وضعت ١٠ شواقل تحت تصرف « مينو اهتى انا ايلي » لمدة عشرين يوما وقد استعارها ليقدم خدمة « بودوبياتي » الذى لا يطمئن اليه « سيليم أشور » « أن أعطي بودوبياتي المال الى « مينو اهتى انا ايلي » ليسلمه سيليم اشور (هذا حسن) وان لم يعط بودوبياتي المال فان على مينو اهتى انا ايلي نفسه أن يدفعه (٣) » ٠

---

(١) LXXIII. loi 45.

(٢) Ibid. lois B.C.D.

(٣) XCIV. Nos. 151, 119, 99.

المعتقــدات والحــرف

الفصل الأول
الديانة

لم يكن الدين الأشورى يختلف عن البابلى فى روحه فكانت العبادة من وحى التقاليد العتيقة لسيبار وأوروك وبابل . أما العقيدة فقد تناولها التعديل لتلائم العبقرية الخاصة لجنس حربى . وعلى أية حال ، فان الدين لم يكن له أثر مطلق على هذه الحضارة الحربية . ويلاحظ ذلك بصفة خاصة فى زخرفة القصور حيث كان يقوم تصميم كل شىء بقصد عرضه لا عن وحى شعور دينى بل تمجيدا للأمير الحاكم .

وقد منح الاله الأعظم أشور (المعلوف) اسمه الى أول عاصمة والى البلاد جميعا . وكان يعبده الكثيرون منذ القرن الخامس والعشرين وكان له المقام الاول بين الآلهة المجدين فى ناحية قيصرية فى كبادوكيا . وقد وحد بأنشار الذى كان طبقا لقصيدة الخليقة البابلية أسبق من أنو اله السماء . وكان ملكا للآلهة جميعا وخالقا لسماء انو والأقاليم السفلية . وكان — مثل مردوك — فى نظر البابليين خالق البشرية كذلك وقد صنعت نظرية خلق العالم تمجيدا له . وكاله حربى ادعى اخضاع الناس جميعا لنيره لأن مردوك « منحه منذ الأبد آلهة الأقاليم الاربعة لتمجده حتى لا يتهرب من ذلك أحد » (١) وكان يمثل مسلحا بقوس ممدود مستعد لرمى سهم فى وسط قرص مجنح مستعار من الرمز الحيثى . وكانت زوجته عشتار الأشورية التى تسمى فى معظم الاحيان بعليت (الملكة) .

وتحتل عشتار بعد أشور أهم مكانة فى مجمع الآلهة الأشورية على الأقل فيما يتصل بالحملات الحربية لأنها كانت هى كذلك محاربة . ويسميها اشور ريش ايشى « بطلة المعارك تلك التى لا تبقى على واحد من أعداء أشور » ويحكى أشــور بانيبال أنها رئيت فى الحلم بجعبتين احداهما على الكتف اليمنى والأخرى على الكتف اليسرى وهى تمسك

(١) XX, 1, II, fig. 315.

بقوس فى يدها وتستل سيفا حادا كما هى مصورة على الأختام الأسطوانية. وهناك ثلاث الهات عبدت تحت هذا الاسم كانت لهن معابد فى كلح ونينوى واربيلا .

والآلهة سن ، شمماش ، أداد ، بعل مردوك ، نابو ، اينورتا ، نرجال ، نوسكو هم الآلهة الذين يتردد ذكرهم كثيرا فى النصوص التاريخية وهم الذين يلتمسهم الملوك بطيبة خاطر مع أشور وعشتار .

وكانت المعابد الاشورية تبنى على نمط الهياكل السوميروآكادية ، ولكن بها نفس الاختلافات التى لاحظناها فى العمارة المدنية .

وفى احواش هذه المعابد ــ كما هى الحال فى بابل وبورسيبا ــ كان الأشوريون يبنون « زيجورات » أوبرج مدرج وهو آخر مراحل التطور لما كان من قبــل رمزا للاله . وقد عثر على أطلالهــا فى دور شــاروكين وأشور .

وكان الكهنوت يشمل نفس الترتيب والتقسيم الى ثلاث طبقات من الكهنة تبعا للوظائف المقدسة التى كانوا يؤدونها هناك وهى الخاصة بمن يطهرون الناس والأشياء (الأدوات) عن طريق الطقوس الســحرية والصلوات ثم أولئك الذين يقرءون رغبة الاله فى كتاب الطبيعة ثم أولئك الذين يقومون بالدور الثانوى للمغنين والخدم . ويظهر أن الكاهنات كن أقل عددا منهن فى أكاد اذ أن النصوص لا تذكرهن كثيرا .

وكان الأمير ــ وهو ممثل الآلهة على الأرض ــ الذى اختاروه ليتولى الملك ... كانت له مهمة ثلاثية يباشرها : أن يحفظ العدالة ويتمسك بالحق فيمنع ظلم القوى للضعيف وأن يخضع لأشور الشعوب التى لم تخضع له بعد ويعاقب أولئك الذين يحنثون بايمانهم والاخلاص له وأخيرا أن يعمل ككاهن بنفسه وذلك سواء فى عودته من الصيد أو فى احتفالات العبادة العامة وتحوى نقوش القصور مناظر يباشر الملك فيها سكب السوائل القربانية تمجيدا لعشتار على أجساد السباع المرشوقة بسهامه .

وكان الدور الذى يلعبه الكهنة الذين يستطلعون الغيب بالغ الأهمية فكانت لديهم فى مكتباتهم الطقوس البابلية وكانوا يضيفون اليها باستمرار نتائج ملاحظاتهم وكان يلجأ اليهم عند كل حادث فى الحياة العامة أو الخاصة · وفى المناسبات الخطيرة الشأن كانت الاستشارات تتزايد · وقد تبين لسرجون فى لحظة الانطلاق ضد « موتسا تسير » أن نجوم نابو ومردوك تشير الى بيت فى السماء، مما كان فالا يدعوه الى حمل السلاح وكان سن قد أشار فى اليوم السابق الى علامات مرضية تنبىء بالاستيلاء على السلطة كما خط شماش على الأحشاء نذرا يعتمد عليها تعنى أنه سيسير الى جانب الملك · وقد كان الآلهة يكشفون عن أنفسهم بأبسط الوسائل · فلقد استشار آشور بانيبال الاله نابو فأجابته نسمة عن الاله قائلة : « لا تخش شيئا فسأمنحك عمرا طويلا » ·



(شكل ٤٦)

تمثال الاله نابو حوالى عام ٨٠٠ ق٠م٠

(المتحف البريطانى)

وكان المعبود يظهر رضاءه نحو البشر عن طريق الأحلام فى معظم الأحيان · وكانت عشتار تسلك هذا السبيل لتدخل السكينة الى نفس اشور بانيبال فى أحرج اللحظات ـ ولقد كان الحلم فى احدى الليالى واضحا حتى انه لم يكن يحتاج الى كهنة يفسرونه · ولقد وصل الجيش الأشورى عند مطاردته للعيلاميين حتى ضفاف ايديد حيث خندق العدو وراءها وكان التيار سريعا وجارفا ولم تكن هناك مخاضة وخشى أشجع المحاربين أن يعبر النهر فظهرت عشتار اربيلا للجنود أثناء نومهم وشددت من عزائمهم بهذه الكلمات « سأتقدم أمام أشور بانيبال الملك الذى خلقته يدى » فعادت الثقة الى نفوسهم وعبروا النهر فى اليوم التالى دون حدوث حادث ما ·

وكانت العبادة الالهية ـ كما هى الحال فى بابل ـ تتكون من أدعية وصلوات عامة أو خاصة ثم تقدمات وتضحيات • وكان العيد الرئيسى لكل معبود يشتمل على « اكيتو » أى « موكب » يحمل فيه تمثال المعبود حتى يصل الى معبد يسمى أيضا « اكيتو » ويقع خارج المدينة • وقد كشف عن اكيتو اشـور المسمى « أكيت تسيرى » على مبعدة ٢٠٠ متر وراء سور المدينة •

وكان يحتفل باكيتو عشتار نينوى فى شهر تبت وبسميتها عشتار فى اربيلا فى شهر آب : وقد حضر اشور بانيبال الاحتفال بعيدها فى عام ٦٥٥ ق•م • وكان يقود بنفسه فى رحلة العودة العربة الموضوع عليها تمثال الالهة ودخل المدينة دخول الظافرين وسط هتاف الجماهير وكان يسبقه بعض الأسرى المثقلين بالأغلال وهم دونانو ، وسامجونو امراء جامبولو كما عرضت رأس « تويمان » ملك عيلام على الشعب •

والنقوش الملكية مليئة بالدعوات فهناك تجلات فلاسر الأول يلتمس من انو وأداد ان يلتفتا اليه دائما « الا فليرضـيا عنى عندما أرفع يدى ويسمعا دعواتى • الا فليمنحا حكمى امطارا غزيرة وأعواما من الثروة والرخاء • الا فليعاونانى على الخروج من الحروب وطنين المعارك سالما آمنا • الا فليخضعا تحت قدمى كل الأقاليم المعادية لى وكل الأقاليم والأمراء والملوك الذين يخاصموننى • الا فليسـبغا بركاتهما على وعلى نسـلى الكهنوتى • الا فليثبتا كالجبال الى الأبد كهنوتى أمام أشور وآلهتها » •

ولم يبدأ سرجون الحرب ضد اورسا ملك أورارتو قبل أن يرفع يديه الى أشور ملتمسا « ان يتم هزيمة (عدوه) فى وسط المعركة : وأن يرد عليه سلاطة لسانه حتى يحل به العقاب » •

والتمس اسارحدون ان اجابته الى هذه الرغبة الآتية : « الا فليراع الآلهة الذين يساعدوننى أعمالى بفرح • الا فلتبارك قلوبهم الثابتة ملكى • الا فليخلد نسلى الكهنوتى حتى اليـوم الأخير مثـل أساس الايساجيل وبابل • الا فلترحب الجماهير بالملكيـة مثـل نبات الحياة • الا فلأرعهم وأربهم على العدالة والحق » •

وقد دعا نفس اسارحدون الى القصر اشور وعشتار نينوى وكل آلهة اشور ليقدم لهم تضحيات وهدايا ، كما أنه كذلك فى يوم مناسب من شهر ذى فال طيب دعا سرجون أشـور ومعبودات أخرى وقدم لهم هدايا من الذهب والفضة « حتى أسعد نفوسهم » •

وكانت التقدمات للآلهة متنوعة جدا وكان الملك عند عودته من كل حملة يضع جانبا من الغنائم لصيانة وترميم هياكلهم ولتنمية خزائنهم •

وقد قدم تجلات فلاسر الأول آلهة البلاد التي فتحها الى أداد • وكرس سناخريب مباني دينية تخليدا لذكرى انتصاره على بابل • وعند عودة آشور بانيبال من عيلام بعد نهب سوسة أرسل خيرة العبيد وأحسن ما في (الغنائم) الى آلهة آشور وكان المواطنون يمنحونهم الأراضي وأحسن الأشياء ويكرسون لهم العبيد بل ـ وكذلك ـ اطفالهم لخدمتهم •

وكان حلف اليمين يصحب أحيانا بتضحية • وكانت الضحية تقرن بمن يسال الآلهة أن تشهد على صدق ما يقول • وكما كان الأمر في بابل لم يكن هناك فاصل بين الدين والسحر • وحين عقد آشور نيراري اتفاقية مع « ماتي ايلو » أمير ارباد قدم كبشا مخصيا كذبيحة وقال المضحي : « هذا الرأس ليس راس كبش مخصي • انه رأس ماتي ايلو ورأس اطفاله ورأس عظماء قومه وشعب أرضه ••• هذه الخاصرة اليمنى ليست خاصرة الكبش • انها خاصرة ماتي ايلو وخاصرة أطفاله وخاصرة عظماء قومه وخاصرة شعب أرضه » ثم تمنوا أن يكون مصير ايلو مصير هذا الكبش المخصي ان هو حنث بيمينه •

وكانت التضحية مصحوبة ببعض الطقوس السحرية تستخدم في مناسبات كثيرة في الحياة الخاصة • وعلى هذا كان « تطهير المرأة التي لم تكن تحظى بحب زوجها تتطلب الى جانب الذبيحة رقية توجه الى عشتار • وفي خلال الاحتفال كانت عقيصة ذات ١٤ عقدة من القنب والصوف « وقطعة من متن غزال » توضع فوق حجرها (١) •

وكما كانت الحال في بابل كان الخوف من الآلهة أساس الدين • وقد كتب « أداد شوم أوتسور » في وصفه البداية السعيدة لحكم اشور بانيبال قائلا : « ان الآلهة على استعداد طيب والخوف من الاله عظيم والمعابد غنية » والملك نفسه يقول : « أنا في خشية في حضرة هياكل الآلهة العظام » •

وكانت العقوبة جزاء نقض ناموس الواجبات الدينية بل ان الموت كان أحيانا عقاب المجرم • وقد عاقب آشور بانيبال من قصروا علنا في

(١) I, l. XVIII.

اداء هذا الواجب فقطع السنة جنود أكاد الذين تمردوا على أشور ·
ويقرر سناخريب « أنه بأمر الهى اشور لم يكمل كودور ناهونتى ملك
عيلام ثلاثة شهور بل مات فجأة بموت قبل الأوان » ·

وكانت التقوى الدينية من ناحية اخرى تكافأ بالعمر الطويل فى هذا
العالم · أما الحياة فيما وراء القبر فلم تمنح الأشوريين أكثر مما منحت
البابليين أى نوع من الجزاء عن أعمال الخير أو الشر ، مع أن العدالة كانت
تتطلب جزاء مناسبا · ويؤكد تجلات فلاسر الأول مثل هذه المكافأة فى
حالة « أشور دان » أحد أسلافه « كان سلوكه وقربان التضحية مرضيا
لكبار الآلهة وهو لهذا السبب قد وصل الى شيخوخة وقور وتقادم » ·

ويقدم « أشور نتسير ابلا » مذبحا « كى تطول حياة روحه وحتى
تكون أيامه عديدة » ويقول اشور بانيبال للمعبودات التى رمم معابدها :
« امنحونى ــ أنا الذى أخشى معبوداتى العظيمة ــ حياة تمتد أياما طويلة
وسرور القلب وليجعل السير فى معبدك أقدامى مسنة » ·

الفصـل الثـانى

الفنـــــون

١ ـ البناء والتشييد

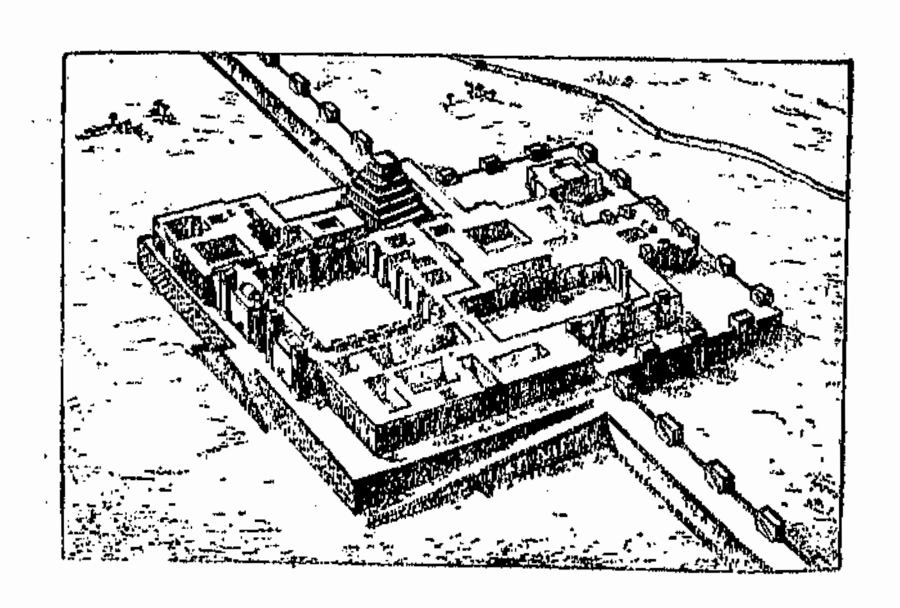
لا يكاد أحد ملوك أشور يعتلى العرش حتى تتملكه نزعة هجر قصر تملأ حوائط غرف الاحتفالات به نقوش وكتابات تشيد بشجاعة سلفه وتخلد ذكرى الأعمال العظيمة التى قام بها • وذلك رغبة منه فى أن يقوم هو أيضا بتشييد أثر تمجيدا له تصور فيه وتوصف أهم أحداث عهده • وقد أنقذت عادة ترتيب هذه النقوش فى أسـفل الحائط جانبا كبيرا من التهشيم اذ أنه حين انهارت الحوائـط سد الجزء العلوى منها الغرف والأبهاء ، دون أن يحطم التصميم وترتيب العناصر المختلفة •

والقصور الأشورية كلها متشابهة ان لم يكن فى تفصيلاتها فعلى الأقل فى التخطيط العـام لترتيبها • ولعل أشـهر قصر نعرفه هو قصر دور شاروكين الذى بنى فى الأعوام الأخيرة من القرن الثامن • ولقد وصف بوتا وبلاس الكشف عنه وزيناه بلوحات معتنى بها تظهر فيها تبـاعا مراحل الحفر المتعددة • وقد خصص بيرو وشبييه وصفا رائعا له مصحوبا بمنظر يختلف عما تخيله توماس • ولقد بنيت مدينة دور شاروكين والقصر فى نفس الوقت ولكنهما لم يعمرا طويلا ولم يتناول المبانى الرئيسية أى تعديل • وقـد اختـار سرجون مكانا لهما قرية « ماجانوبا » على « الخاسار » على مبعدة نحو ١٥ كيلو متـرا الى شمال شرق نينوى • وقد أحاط المدينة بسور تحصين مستطيل وبنى مسكنه فوق مسطح فى مستوى الحوائط على جانبى الجدار الشمالى الشرقى حيث يوجد بروز تحيط به أبراج تشبه أبراج السور وبروزها الى ناحية الريف • وهناك بروز آخر الى داخل المدينة وتبلغ المساحة التى يشغلها هذا المسطح حوالى ١٠ هكتارات ، وهى تتكون من مستطيلين يرتبطان عند جوانبهما الطويلة أما المستطيل الصغير من الخارج فمساحته ٣٥٥٥٠ مترا مربعا والآخر ٦٠٩١٦ وكان بالقصر أكثر من ٢٠٠ غرفة كشف منها بوتا عن ٤٠ وبلاس عن ١٨٦ وكانت تتجمع فى ثلاثة أجنحة متميزة منها ما كان مخصصا كقاعات استقبال ومنها ما كان مشتركا من غرف السكنى ومنها المعبد •

وفى الجانب المواجه للمدينة كانت توجد واجهة فسيحة تتخللها ثلاث بوابات فخمة تحيط بهـا أبراج مربعة • وكان يحرس المدخل الأوسط الرئيسى ثلاثة أزواج من الثيران المجنحة صــور كبيرة الحجم لجلجامش وهو يخنق أسدا كما أن ما حول العقد كان مزينـا بطوب خزفى متعدد الألوان • أما المدخلان الآخران فكان لكل منهما زوج من الثيران المجنحة كحراس • هذه البوابة تؤدى الى المساكن الخاصـة مرتبة حول جوانب ثلاثة من بهو مربع تقارب مساحته مساحة بهو اللوفر • ومن داخل هذا البهو يستطيع المرء أن يمر الى جناحين آخرين هما المعبد وقاعات الاستقبال التى لم يكن يوجد اتصــال داخلى مباشر بينها • أما كيف كان يمكن الوصول الى الشرفة التى ترتفع ١٤ مترا فوق مستوى السهل ، فان هذا سؤال لم تستطع أعمال الحفائر أن تسمح بالاجابة عليه حتى الآن ، اذ أنه لم يعثر على أثر لسلم أو منحدر فى اتجاه الريف أو المدينة • والمنظر المجدد الذى أعده توماس وشيبييه يصور مجرد افتراضات لما كان عليه القصر ولكن مهما يكن من أمر من حيث المكان الذى أقيم فيه هذا السلم أو المنحدر ، فانه مما لا شك فيه أنه كان هنـاك طريق للدخول للسماح للعربات والماشية السمينة بالوصــول الى مخازن التموين والتجهيز ولتسهيل دخول وخروج الحاشية الضخمة الملحقة بالقصر •

وكان يواجه الزائر بمجرد وصوله الى البهو الكبير الخاص بالجناح المشترك حائط مرتفع به باب واحد يؤدى الى قاعات الاستقبال • والى اليمين توجد غرف متعددة متجمعة حـول أبهاء صغيرة تستخدم كمطابخ ومخابز وحظائر ••• الخ وفى هذا الحى عثر كذلك على المراحيض (دورات المياه) والى اليسـار كانت مخازن المئونة والأدوات والطوب والمعـادن ومختلف أنواع الغنائم مستقلا بعضها عن بعض ولكل منها مسكن خاص للحارس • وفى وسط هذه المبانى ممر يؤدى الى المعبد ويتفرع ليمر بين حائطين عاليين الى البرج المدرج والأجزاء الخلفية من المبنى • ويمتد أمام مجموعة قاعات الاستقبال بهو كبير كانت مساحته حوالى ثلثى بهو الجناح المشترك • ومن المحتمل أنه كان يمكن الوصول اليه من الخارج من جهة الشمال الشرقى من جانب حائط السور • ولكن هذا الجزء من البناء مخرب تماما وليس هناك أثر باق للبوابات •

وكانت المبانى المخصصة للاســتقبال تشتمل على حـوالى ٦٠ غرفة موزعة حول أبهاء مختلفة ومقسمة الى مجموعتين متميزتين تماما الواحدة عن الأخرى وتكون الاولى ما سماه بلاس بالقسم المنقوش وهو مجموعة قاعات الاحتفالات • اما الآخر فأقل زخرفة وكان حى الكاتب والديوان •

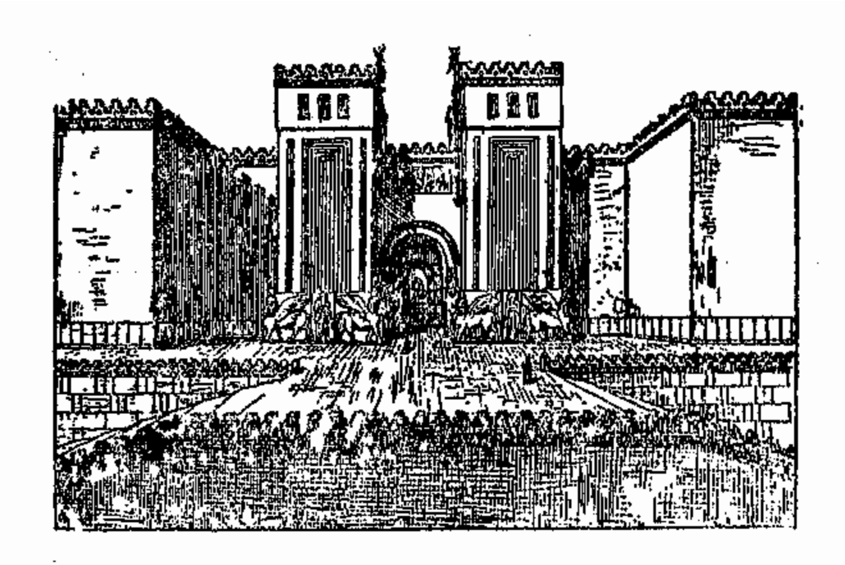


(شكل ٤٧)

قصر دور شاروكين (منظر من اعلى) (نقلا عن بيروه وشيبيه)

وقد وضع المدخل بحيث يحجب اية رؤية مباشرة من الخارج . وكان المرء يدخل أولا الى بهو صغير يخرج منه دهليز ضيق طوله ٤٥ مترا يؤدى الى البهو الرئيسى وهو افخم بقعه فى القصر كله . وعند الدخول الى هذا البهو ومساحته ٩٧٦ مترا مربعا كان الزائر يجد أمامه ثلاث بوابات جميلة مقببة واثنتين أخريين على كل جانب تؤدى الى غرف الاستقبال الرئيسية السبع وكلها مزينة ببلاط منقوش وطوب زخرفى . وكان البهو نفسه مزينا بنفس الطراز وتحرس الأبواب الرئيسية ثيران مجنحة . وكان أسفل الأفاريز العالية مقسما بانتظام قسمين : فالجزء العلوى مغطى بكتابات طويلة تكرر فى عدة قاعات بينما نجــد فى أحد الأجزاء أحداث الحكم تذكر فى ترتيب تاريخى وهى الحوليات اذ نجد فى آخر الأعمال البارزة للخمس عشرة حملة الأولى تتجمع فى ترتيب جغرافى وهى تكون « فخــر » الملك وتقاويمه وفى الجزء الاسفل نحتت ونقشت بارزة ملونة تروى بالصور ما تقصه لنا النصوص المكتوبة فوقها .

ولم تكن المواد المستعملة لتســمح للمعمارى بأن يبنى القــاعات بالأحجام التى يريدها وقد جعلها كلهــا على نمط واحد بطول ٣٢ مترا عرض ٨ أمتــار .



(شكل ٤٨)

قصر سرجون ـ تفصيلات الواجهة من ناحية المدينة

أما مكاتب الدولة فكانت أضيق و ·
خمسة أبهاء وقلما كانت جدرانها
طبقة ملونة من الملاط او مصورة ·
الى الشمال الغربى من بهو الدخول ،
الأخص ثمانى قاعات استقبال كبيرة ·

والى الجنوب الغربى من البهو الكبير للحى المشترك يقوم المعبد وتشق طريقك اليه اما بالدخول الى بهو عن طريق مدخل ينفتح مباشرة على المبانى المشتركة ثم ينحنى فى محاذاة الحائط الخلفى لقاعات الاستقبال او عن طريق مدخل آخر على الواجهة المقابلة للمدينة بممر ينحنى فجأة فى زاوية قائمة · وكانت المبانى مكونة من ثلاثة أجزاء متشابهة من ناحية التصميم ومنفصل بعضها عن بعض تماما وكانت زخرفتها بسيطة تقتصر عادة على ملاط أبيض مع افريز سفلى عريض أسود · ومن بين ثلاثة الأبهاء التى تقوم حولها المبانى نجد واحدا جديرا بالملاحظة بالنسبة لفخامة زخرفته : فلقد كان مزينا بطوب خزفى يكون افريزا سفليا عريضا تقوم فوقه أنصاف أعمدة · وبالقرب من الأبواب ذات العقود توجد تماثيل وأشجار نخيل من البرونز المذهب وكان يخترق الأرضية من الطوب

رباطان من البلاط المتقاطع المرتفع كانا يربطان الأركان ويؤديان الى أربع غرف ثلاث منها كانت غرف احتفالات بمشكاة في الحائط الخلفي يسبقها مسطح يرتفع ٦٠ سنتيمترا فوق الأرضية ٠

وكان مسطح القصر يشمل الى جانب ذلك مبنيين آخرين على الجانب الجنوبي الغربي فهناك أولا ال « زيجـورات » بقيت منه أربعة طوابق تدل آثارها على أن لكل منها لونا خاصا ثم مبنى منعزل ومخرب كان مبنيا من كتل الحجر الجيري بنقوش من البازلت : لمنـاظر الصـيد والحرب والجزية ٠

وكانت المشــكلة القائمة أمام المعماري هي هذه : أن يجمع ثلاث مجاميع من المباني كان يجب أن يكون بينها وبين العالم الخارجي أقل ما يمكن من صلات ثم ــ بعد ذلك ــ أن يكون في كل منها مجاميع فرعية بنفس الظروف على أن تراعي حاجات العمل للحاشية الضخمة الملحقة بالقصر ٠ ولقد استطاع حلها بطريقة تنطوي على الحذق وذلك عن طريق عمل أبهاء لا ترتبط الا بواسطة ممرات ضرورية وتتجمع حول كل مجموعة منها الغرف العديدة اللازمة لخدمة معينة ٠ وكان المحور هو البهو الكبير للحي المشترك الذي كان يتصل مباشرة بالخارج من ناحية وبالمجموعتين الأخريين من ناحية أخرى (١) ٠

اما طراز زخرفة الحوائط والبوابات فقد فرض عليه عن طريق التقاليد منذ القرون الأخيرة للملكية ٠ ومثال ذلك في قصر سرجون وقصر « أشور نتسير ابلا » في كلح الذي رممه بنفسه وزينه بنقوش يشيد فيها بأعماله وكذا في قصر « أشور أتيل ايلاني » خلف أشور بانيبال ذلك القصر الذي لم يتم العمل فيه والذي نرى حجراته وهي من حجم صغير مزينة بصور غير معتنى بها ٠

والتقاليد التي نحن بصددها لم تأت من بابل بل أخذها الأشوريون عن الحيثيين الذين توجد في قصورهم المبنية في الألف الثانية زخارف منحوتة في أفاريز (أســفل الحوائط) التي نجدها عند الحيثيين أقل ارتفاعا ٠ بل وأكثر من ذلك أن الملك نفسه ــ مثل ما فعل « تجلات فلاسر » من قبل ــ يشير في هذه النقوش الى هذا التأثير ويقرر أنه هو كذلك أقام مبنى على الطراز الحيثي يسمى « هيلاني » بلغة العاموريين ٠

وكان قد جرى تساؤل لم كانت المباني الهامة تبنى من الطوب في بلاد ليس بها الجص نادرا ولم يكن الأمر أمر تقاليد فقط ما دام الحجر

(١) LXIV, I, II, p. 121.

كان يستعمل الى مدى لا نظير له في بابل حتى حين خضعت الأخيرة بدورها للتأثير الأشورى أليس من الممكن أن نقرر ـ كما اقترح بروه أن السبب في ذلك يرجع الى أن الأعمال الثقيلة يمكن أن تؤدى بسرعة بواسطة أسرى الحرب حتى يستطيع المعماريون بذلك أن يجدوا أنفسهم في وضع يسمح لهم بارضاء طلبات الملك التى لا تحتمل الارجاء ؟ ٠

وكانت المبانى الرئيسية ـ كما هى الحال فى بابل ـ تقوم فوق ربوة لم تكن ضرورية فى أشور للوقاية ضد الفيضان ولكنها كانت تضفى على المبنى كله منظرا رائعا ٠

وكان اللبن يستعمل فى الجدران قبل أن يتم تجفيفه حتى ترتبط طبقاته المتتالية بعضها ببعض دون استعمال المونة ٠ أما بالنسبة للقباب فان الطوب التام التجفيف كان يستعمل وكانت الفجوات تملأ بالطين ٠

ولقد استعمل سرجون الأحجار ليسند شرفة قصره ٠ وكانت الحوائط بارتفاع ١٤ مترا تقوم على أساس من ½٢ مترا ويتوجها حاجز ارتفاعه ½١ من الأمتار أما مقاس الكتل الطولية فى القاعدة فكان ٢٫٧٠ طولا × ٢ عرضا × ٢ سمكا من الأمتار وزنتها أكثر من ٢٠٠ طن أما أحجار الرباط فنصف ذلك فى الطول بسمك قدره ٣ أمتار ٠ وكان السمك يتناقص كلما ارتفعنا نحو القمة بحيث تصبح أحجار الرباط والكتل الطولية أقل مترا منها عند القاعدة وكان الميل أو الانكسار من الداخل ليوازن ضغط التراب بينما كانت الحائط من الخارج عمودية تماما ٠ ولم يكن هناك ملاط لربط الكتل التى كانت تهذب الا حيث تتصل بالطوب الذى لم يتم تجفيفه : وهنا كانت تترك خشنة لتسهيل الالتئام ٠

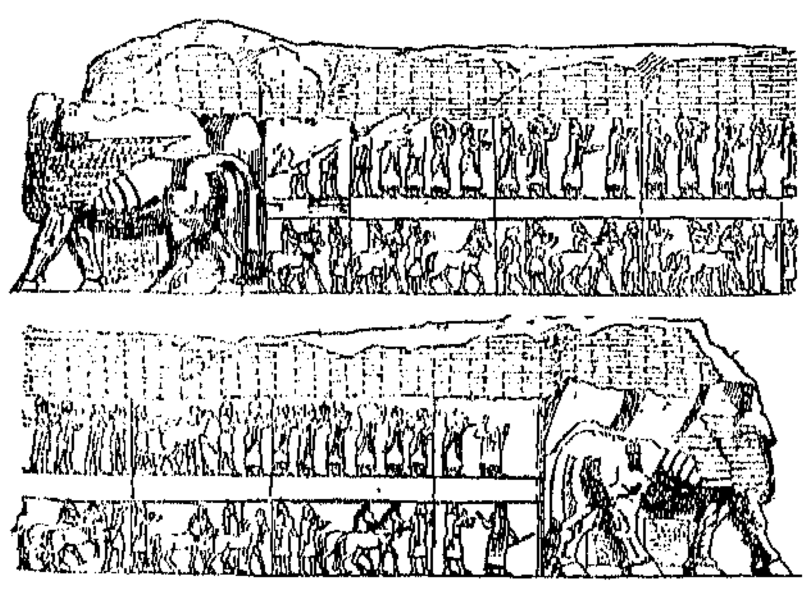
ولم تكن الأحجار تستعمل فى حوائط الأسوار للمدينة بنفس الطريقة ، بل كانت عبارة عن أساس ارتفاعه ١٫١٠ من الأمتار وكانت فيه أوجه الأحجار ـ وهى تبعد احداها عن الأخرى ٢٤ مترا تتكون من كتل مصقولة بعناية ولا يربطها بعضها ببعض الملاط (المونة) ٠ وكان الفراغ بينها يملأ بواسطة كتل غير منحوته مستوية من أعلى كى توضع فوقها الطبقة الأولى من اللبن (الطوب المجفف فى الشمس) ٠

وحتى فى القصر نفسه كان الحجر يستعمل تكسية لواجهات الحوائط وللأرضية ولتيجان الأعمدة ٠ واننا لنجد الأسفلت تحت البلاط وعند قاع المجارى ٠ وفى الحالتين كان هدف المعمارى ان يمنع رشح الماء ٠ وكان البلاط ينحدر نحو مكان تجميع المصارف المقطوعة من الحجر حيث تفيض منها المياه فى ماسورة من الفخار الى بالوعات من الطوب ترتكز على قاعدة من الأسفلت ٠

ولم توجد قبوة واحدة في مكانها ولكن عثر في أنقاض وسط الغرف على قطع من كتل مقببة هي أحيـانا كبيرة ومغطـاة بملاط من الداخل • ويظهر أن قباب الغرف كانت تعلوها شرفات ان نحن اعتمدنا على كميـة الأنقاض •

وكانت القبوة تستعمل كذلك للمجارى الرئيسية اما على شــكل العقد المدبب المكون فى كل ناحية من أربع قطع من الطوب على شكل المعين من أشكال مختلفة مربوطة على التوالى بين كل زوج من الصفوف بالطين أو الطوب • واما من المدبب بالتبادل مع القبو شبه الدائرى • وكانت نفس عملية البناء بالعقد المدبب تستعمل فى كلح جنبا الى جنب مع قنوات ذات قطاع مستطيل مسقوفة ببلاط بسيط مستو •

هذا والقصور مخربة لدرجة لا تسمح بأن تجعلنا نعرف على وجه التحقيق طريقة اضاءة الغرف • وحتى حين نجد حائط الغرفة يصـــل بطريق الصدفة الى ارتفاع ٧ أمتار (وهو أمر نادر) فاننا لا نجد أثرا للشبابيك • وكانت فتحات الأبواب واسعة وهى لا تقل فى خور ساباد عن مترين اتساعا وهى غالبا ثلاثة أمتار ويتراوح ارتفاعها بين أربعة وستة أمتار : ولكن هذا لم يكن كافيا لجعل الاضاءة كافية فى القاعات • ومع ذلك ، فان المناظر القليلة للبيوت ليس بها أية فتحة بالجدران ماخلا بعض فتحات التهوية أحيانا قرب السقف •



(شكل (٤٩) الزخرفة فى اسفل الحائط لمر فى قصر دور شاروكين

(نقلا عن بوتا : اثار نينوى)

((Botta, Monuments de Ninive)

وربما كانت تستعمل أنابيب فخارية قطرها قدم على وجه التقريب ما دام وجود مثل هذه الأشياء فى آكوام الأطلال قد يدل على أنها سقطت مع القباب أو ربما كان هناك سرداب يترك تحت السقف كما هى الحال اليوم فى بيوت كردستان ·

وتدل النقوش البارزة على ان الأبواب كانت ذات عقود أو فى القليل من الحالات مستطيلة وفى الحالة الأخيرة كان يستخدم عتب للباب من الخشب أو الحجارة أو المعدن · وقد قدم لنا قصر سرجون مثالا من الحجر الجيرى بعتبة زخرفة على شكل تنانين مجنحة تزحف نحو اناء موضوع بينها ·

وكان العتب السفلى يصنع عادة من الحجارة فى القاعات الخاصة بالاحتفالات · وباللوفر نموذج رائع جىء به من نينوى (١) نحت على شكل سجادة تنتشر فوقها ورود ذات ست ورقات وتحدها من ثلاثة جوانب حافة من أزهار اللوتس والبراعم على التوالى ، وهناك ركنان مجوفان لعارضتى الباب وفى الوسط فجوة مربعة للمتراس السفلى · وهناك ٣٩٦ عتبة سفلية أخرى صنعت لأشور بانيبال مشابهة من حيث الرسم للعتبة السابقة وفيما عدا ذلك ـ وخاصة ما بين الغرف ذات الأرضية الترابية كانت العتبات فى أسفل الأبواب تصنع من الطوب · وكثير من الغرف لم تكن لها أبواب وكان يعلق على مدخلها ستار بسيط وحيث كان هناك باب كان من الطبيعى أن يصنع من مصراع واحد وأحيانا من مصراعين وكلها تنفتح الى الداخل · وكانت القائمة تعتمد أحيانا على كعب (جلبة) من البرونز تدور فى أوقاب منحوتة فى الحجارة فى أغلب الأحيان كما هى الحال فى المبانى القديمة السومرية ولكنها كانت فى بعض الأحيان من الطوب أو البرونز ·

وكانت البوابات الرئيسية للقصر تغطى بالمعادن الثمينة كما كانت التماثيل والنقوش الخارجية توضع عادة بالقرب من الأبواب والممرات ·

وكانت تعترض الحوائط أحيانا بعض الأعمدة أو القنوات مثال ذلك فى أحد أبواب معبد خور ساباد وكذا على الزيجورات حيث تكون الزخرفة الوحيدة · وكان يعلو الجدران غالبا شرفات مكون كل منها من فتحتين أو ثلاث الواحدة فوق الأخرى وكانت الزخرفة تتم باستعمال الطوب الخزفى أو الملاط أو الواح الحجارة ·

---

(١) LXVIII. No. 74.

وكانت الأحجار المستعملة للأجزاء السفلى تحمى هذه الأجزاء من الجدران المبنية من اللبن . وكانت الألواح تطرق من الناحية الخلفية لتسهل الالتحام وكانت توضـــع جنبا الى جنب وتربط ببعضها البعض أحيانا من أعلى بواسطة رباط معدنى كما تمسك من أركانها بقطع من الحجارة الأخرى المنحوتة على شكل الكوع (الزاوية) . وفى قاعات الاحتفالات كانت هذه الأجزاء السفلى مزخرفة بنقش يلتمع بالالوان . وكان قصر خور ساباد وحده يحوى من الأفاريز المنحوتة على هذه الصورة ما يمتد الى أكثر من ٢٠٠٠ متر . والنقوش عند البوابات أعلى والصور على حجم أكبر . وكمثل لذلك نستطيع أن نذكر الثيران المجنحة التى يستطيع القصر أن يفخر بوجود ٢٦ زوجا منها على الأقل .

أما سطوح الجدران كلها التى لم تكن تحميها مثل هذه الأجزاء السفلية من الحجارة فانها كانت مغطاة بطبقة من الجير والجص لا يزيد سمكها عن ٤ ملليميترات عثر بها على آثار نقوش تصويرية .

وقد قدم لنا الطوب الخزفى وخاصة بالقرب من البوابات زخارف متعددة الألوان وكان يستخدم فى الأفاريز السفلية كما فى بهو المعبد او شمبران العقد (حلية معمارية) ، ويظهر أن ملوك البابلية الجديدة تعلموا من أشور استخدام هذا اللون من الزخارف الذى مر بتطور مماثل عندئذ فى قصور الأكمينيين .

وفى نينوى ودور شاروكين كانت المبانى توجه فى أركانها بالجهات الأصلية كما فى بابل . أما فى كلح فان الاتجاه يقابل أواسط الجدران .

ولقد انتقلت الطقوس المتعلقة بأساس المبانى من شعب لآخر . فلقد دفنت تماثيل صغيرة لجان ذات أربع فى الرمال تحت قصر أسار حدون فى كلح . كما وضعت فى نينوى لوحات من المرمر منقوشة على وجهيها وذلك خلف الأسدين اللذين كانا يزينان المدخل . وأما فى دور شاروكين فقد كان هناك صندوق حجرى يحوى اللوحات (١) من مختلف المواد . وكان الأماون قد القوا عند مدخل المدينة بالأسطوانات والمخاريط والتماثيل الصغيرة المختلفة فى طبقة الرمال بين الثيران المجنحة . وكما هى الحال فى بابـل نـرى أسطوانات كبيرة من الطين تثبت أحيانا فى فجوات الحوائط لترد الأرواح الشريرة ولتستجلب بركات الآلهة .

---

(١) LXVIII p. 122.

وكان سمك جدران خور ساباد ٢٤ مترا ٠ وكانت مصنوعة من اللبن الذى لم يتم تجفيفه على أساس من الحجارة ٠ وفى بعض المواضع نراها لا تزال قائمة على ارتفاع ٢٣ مترا فوق مستوى الأرض المحيطة بها ٠ وهى تكون جسما متوازى السطوح (١٦٨٥ × ١٧٦٠ مترا مربعا) به ١٦٧ برجا مستطيلا واجهة كل منها ١٣½ مترا تخرج بمسافة أربعة أمتار خارج الجدران ٠ وطبقا لبعض النقوش فان هذه الأبراج البالغ ارتفاعها ½ ٣ مترا تنتهى بقبو مرفرف تتوجه فجوات ٠ وكانت هنـاك بوابتان فى ثلاثة جوانب الواحدة بسيطة والأخرى مزخرفة أما الجانب الرابع فى الشمال الشرقى فكانت به بوابة بسيطة وشرفة القصر ٠

وكانت البوابات البسيطة تستخدم لدخـول وخروج العربات ومن جهة الوادى (السهل) كان يوجد مكان أمامى يبرز خمسة وعشرين مترا ببرج منخفض عند كل ركن ٠ وكان هناك بهو ضخم يمتد أمام برجى الحائط الذى كان سمكه هنا ٨٥ مترا ٠ وكان هناك سردابان جانبيان توجد أمام كل منهما ، فى وسط كتلة البناء ، فتحات الباب ٠ وفى الحائط نفسه تجويف الباب ٠ وكانت الأرضية تتكون من بلاط كبير من الحجر الجيرى ٠

وكانت البوابات المزينة مخصصة للمشاة ٠ وفى الاستحكامات الخارجية كان يوجد سلم به ٢٠ درجة من الطوب ٠ وعند البوابة نفسها كان هناك ثوران مجنحان كانما يسندان القبو المقنطر والمزخرف لشمبران العقد ٠ وهناك فى نينوى بوابة بناها سناخريب بها آثار العجلات على أحجار بلاط الأرضية وقد زينت بثيران مجنحة من ناحيتى المدينة والحقول على السواء ٠

وكانت شوارع دور شاروكين مثل شوارع بابل مستقيمة واتساعها ١٢ مترا ٠ وكانت مرصوفة من حجارة غير منتظمة من حجم متوسط ٠ وقد وضعت على الأرض بدون أساس سفلى ٠ ولم تجر حفائر فى المدينة ولكن بعض المجسات أدى الى كشف غرف عليها بلاط وقطع من الفخار وبعض الأدوات المنزلية ٠

٣ ـ النحت

ينبثق النحت الأشورى للألف الأولى مباشرة من الفن البابلى للفترة الكاسية ، ومن الفن الحيثى للألف الثانية ولقد بلغ الكمال فيما يتصل بتمثيل الحيوانات بيد انه لم يكن يستهدف فى معالجة الصور الانسانية تبيان الأشكال التى تحت الملابس كما كان يفعل الفن السوميروأكادى ، بل كان على العكس يتركز على تفصيلات الزى والزينة • ولقد كان الفن فى بابل فوق كل شىء فنا دينيا • أما فى أشور فكان حربيا قبل كل شىء • وان النقوش العديدة التى تملأ حوائط القصر تمثل فى أغلبها مناظر الحرب والصيد وأقدم نحت عثر عليه فى أشور وجد فى خرائب مدينة أشور وهو عبارة عن تماثيل صغيرة من الحجر (١) أسلوبها الفنى هو نفس الأسلوب فى الفن السوميرى فى عصور ما قبل السرجونية • وهناك مذبح من القرن الثالث عشر حفر عليه الملك بين صورتين لجلجامش الأمر الذى يعيد للذكرى الطراز القديم •

وهناك نقشـــان يمثلان تجـلات فلاسر الأول من طرازين مختلفين يظهران أن أصول الفن فى القرن الثـــانى عشر لم تكن قد تحـــددت أو استقرت بعد • فاما الأول فهو من « سوبنات » ويمثل الفن الأشورى • وأما الثانى فهو على مسلة ويقارب الطراز الميزوبوتامى كمـــا هى الحال بالنسبة للتمثال البرونزى الصغير لأشور دان الثانى (القرن العاشر) •

وتزداد الآثار كثرة ابتداء من عهد « أشـــور نتمـــير ابلا الثانى » (٨٨٤ ــ ٨٥٩) ولكن ليس هناك تمثال يبلغ من الجودة الفنية ما بلغته صناعة جوديا • فتمثال شلمنصر الثالث فى أشور يدل على فن بسيط ، وتمثال « أشور نتسير ابلا » فى كلح الذى صمم بفكرة أن يرى من الامام ويوضـــــع بالقـــرب من الحائــط يمزج ما بين الطرازين الميزوبوتامى والسوميرى : والمظهر مظهر التجبر والصلف والزى لا انحناء فيه • وتماثيل « نابو » من عصر « أداد نيرارى الثانى » (٨١٠ ــ ٧٨٢) بها نفس العيب فى نصفها الأسفل ولكن الرأس نحت بطريقة أفضل (٢) • ومما هو جدير بالملاحظة بين التماثيل الصغيرة العفريت « بازوزو » بمتحف جيميه وكذا رءوس هذه الروح الشريرة (٣) •

---

(١) شكل (٣٩) صفحة ٢٤٤ •

(٢) شكل ٤٦ صفحة ٣٢١ •

(٣) LXVIII No 102 et suiv.

وقد تكاثرت النقوش البارزة في القصور الأشورية لتزيين الواح الجص والمرمر الموضوعة في أسفل الحوائط تسجيلا لمفاخر كل حكم . وقد استخدم البابليون النقش البارز غالبا لتمجيد آلهتهم وأعطى الحيثيون المثال في استخدام أسفل الحوائط المنقوشة أما الأشوريون فقد جعلوا منها فنا تاريخيا وزخرفيا في الوقت نفسه فعنوا خاصة بتفصيلات الزى والحركات والخواص وقد عولجت المناظر الطبيعية بدقة بطرائق بدائية غالبا كما مثلت الحيوانات بمهارة فائقة · وكانت هذه المناظر تمثل الحرب وصيد الملك وأهم أعمال عصره وأحيانا حياته الخاصة · ولقد كان عدد هذه النقوش والوقت القصير المحدد للانتهاء من صنعها مما لا يسمح بان يتولاها الفنانون المشهورون اذ تغطى هذه النقوش أكثر من ٦٠٠٠ متر مربع في قصر دور شاروكين ·

وفي عهد « أشور نتسير ابلا الثانى » كان النقش ضعيفا · ولم يكن الرسم المنظور قد عرف بعد فطغت الكتابات على النحت نفسه وكانت تغطى عادة الجزء الأسفل من الأشخاص · وقد ظلت كذلك في عصر « أداد نيرارى الثالث » ولكن سرجون خرج على هذه العادة وآمر بأن تحفر حوليته ومفاخره خارج الأشخاص أو الأشياء المصورة · ومع ذلك فان الطريقة القديمة لم تهجر تماما فاننا نراها مثلا على لوحة « اسارخدون » في « سنجرلى » ·

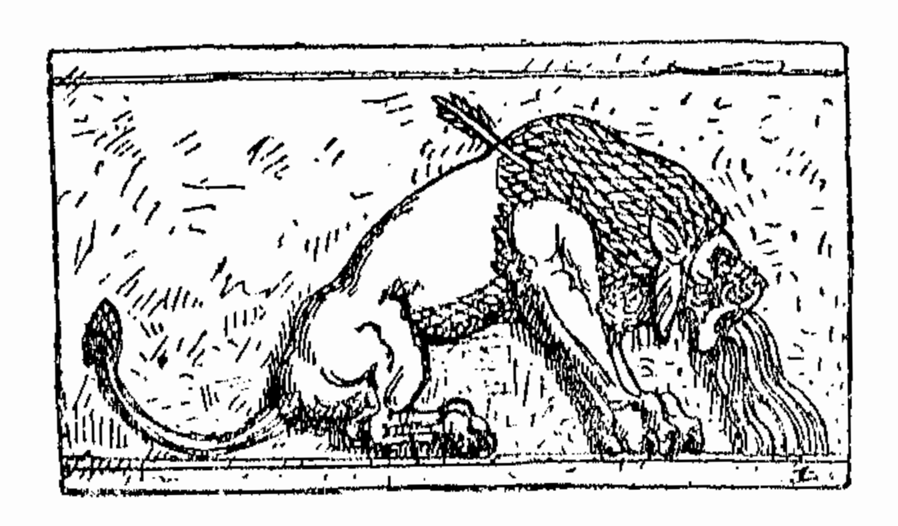
وكان تكوين المناظر في القرن الثامن تحت حكم سرجون هو بعينه كما كان في عصر « أشور نتسير ابلا » ولكن يلاحظ وجود ميل قوى الى عزل الصور عما وراءها وتكبير أحجامها وعدم تمثيل الأشياء الثانوية · وفي المناظر الحربية نجد أن المنظر العام قد مثل بدقة · أما في النقش الخاص بالصيد فانه ليست هناك أقل محاولة لتبيان طبيعة الأرض · وفي خلال الحكم التالى حدث تطور فظهر طراز جديد ظل دون أن يعتوره تغيير تقريبا حتى سقوط نينوى وكانت المناظر تسجل في صفوف تعلو بعضها · وكان من أثر ذلك أن ضاق المكان مما دفع الى النقش على مقاس أصغر وازدادت المناظر الثانوية وحاول النحات التزام الدقة في تمثيل المنظر وبلغ التنفيذ درجة عالية من الكمال وعنى بالحفر والنقش عناية أكثر ·

وقد اتفق الفنانون الاشوريون على بعض اصطلاحات : فالصورة الانسانية مثلا قلما تبين الملامح المميزة للجنس أو الشخصية ولا يمكن التعرف على الأعداء أو الحيثيين أو العيلاميين الذين يقدمون الخضوع ويأتون بالجزية أو يؤخذون أسرى الا بواسطة زيهم الذى يختلف عن زى الأشوريين الذين يمكن تمييز نوعين منهما : الأول ملتح وهو قاصر على

تمييز الرجـل البالغ أو الموظف والآخر بغير لحية وهو يمثل الشـبان والخدم ٠

ولم يستطع الفنان تمثيل شخصياته ما لم يرها من ناحية جانبية تماما ٠ فحين يدور أشور نتسير ابلا ليفوق سهما ضد أسد يحاول أن يعتلى العربة الملكية نرى الصورة العامة جيدة ولكن احترام عظمة الملك والبحث وراء التفصيلات جعلا الفنان يمثل الصدر من أمام بينما كان يجب أن يظهر من الخلف وأن يجعل الذراعين ظاهرتين ، بينما لم يكن يجب أن يبين غير اليسرى ، ولقد كان هذا الخطأ على كل حال ميراثا تناقلوه عن الفن السوميروآكادى الذى تظهر فيه حركات الشخصيات خاضعة للترتيب الهندسي للموضوع فى المناظر المتماثلة ٠ وتمثل الأقدام دائما منظورة من الجانب (بروفيل) أما العين فتظهر كأنما ترى من الأمام حتى لو كان منظر الرأس من الجانب ٠

أما فى تمثيل الحيوانات وهو عمل بلغ فيه الأشوريون حد الكمال فاننا نجد الاصطلاح موجودا وخاصة فى القرن التاسع ٠ فمثلا نرى فى منظر للصيد خيول العربة الملكية الثلاثة ليس لها فيما بينها جميعا سوى ست سيقان وفى نحت آخر نرى للثيران قرنا واحدا ٠ أما معارف الخيل



(شكل ٥٠) أسد مطعون بسهم (قصر آشور بانيبال ــ المتحف البريطانى)

فتعامل معاملة أهداب أجهزة (عدد) الخيل (١) والرسم هندسى جدا وخير نتاج هذا العصر وهو الأسود يبين المبالغة فى تمثيل الجهاز العضلى والنسبة البالغة التضخيم (٢) ٠

ويمثل صيد الأسود من عصر أشور بانيبال أحسن مجموعة فى الفن الأشورى : فالقطعة التى تمثل الأسد والسهم يخترقه تعتبر قطعة فريدة (٣) وليست اللبؤة الجريحة بأقل تعبيرا (٤) ٠ وقد أخذ منها نموذج معروض فى Parc Moncea « بارك مونسو » ٠

وقد استعمل الفن الأشورى كذلك عملية فى النحت تتوسط بين النقش البارز والمجسم ٠ ولقد لجأ الى هذا الطراز فى أسفل الحوائط فى الأماكن الواجب أن تكون أكبر سمكا لتعرضها أكثر من غيرها للتصادم ٠ أى لوجودها عند مدخل القاعات والممرات ٠ وفيها نرى أن مقدم العفاريت التى لها أجسام السباع والثيران ذات الأحجام الضخمة أحيانا نراها منفصلة تبرز عن الحائط بروزا شديدا كما لو كانت تماثيل ٠

ويظهر أن الثور برأس الرجل الذى أصبح فى أشور روحا خيرة وحارسا لبوابة دخول المدينة أو القصر ٠٠٠ يظهر أنه ــ شأنه فى ذلك شأن جلجامش وهو يخنق أسدا يصحبه أحيانا ــ أخذ مباشرة عن العقيدة السوميرواكادية ٠ ومن ناحية أخرى نجد أن الكائنات المركبة التى تتكون من جسم انسانى يرتبط بأعضاء أو رأس حيوان معينة يظهر أنها منقولة عن مصر عن طريق الحيثيين ، لأن البابليين ظلوا يجهلون تقريبا مثل هذه المخلوقات الخلاسية التى يندر جدا ظهورها فى آثارهم ٠ ولقد كان الأشوريون يربطون أحيانا الجسم الانسانى برأس الحيوان وأحيانا يلحقون ذيل الحيوان ومخالبه بصدر انسانى كما مثل السوميريون انكيدو ٠ وقد اخترعوا كذلك طبقات من الجان تتميز عادة بزوج أو اثنين من الأجنحة تمثل سرعتها فى انفاذ أعمال الخير أو الشر ٠ أما الجان الآخرون الذين يظهر فيهم التمثيل البشرى كاملا فانها تميز من الآلهة حين لا تكون مجنحة وهى تلبس على رأسها التاج ذا القرون الذى يكون أحيانا بيضى الشكل تعلوه سوسنة وأحيانا أسطوانيا تزينه قرون وريش ٠

---

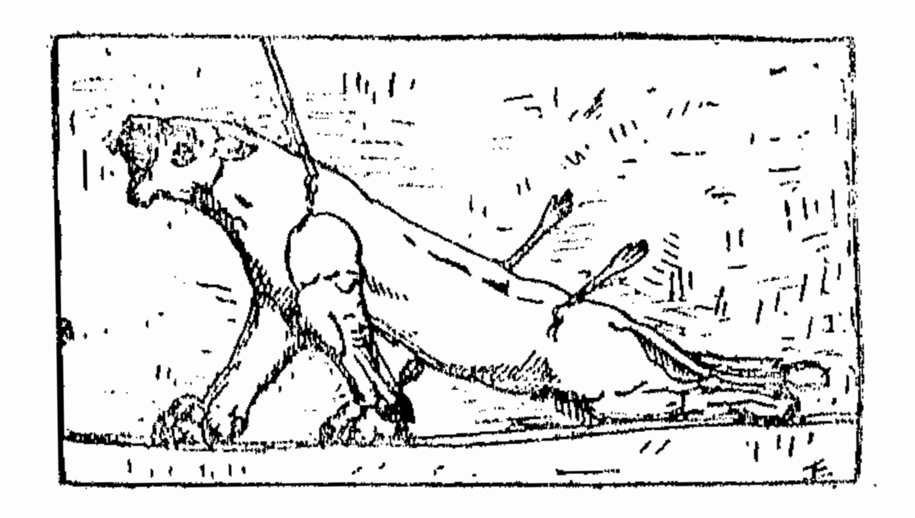
(١) XC VIII b. pl, 10.

(٢) Ibid, pl. 31.

(٣) شكل ٥٠ ٠

(٤) شكل ٥١ ص ٢٣٩ ٠

وكان الآلهة والجان ـ شأنهم فى ذلك شأن الناس ـ يلبسون قميصا قصيرا فى العادة وملفعة طويلة لا تغطى الساقين تماما ٠ وهناك استثناء واحد من ذلك فان أشور نفسه يصور عادة فى شكل نصفى مزودا بقوس يخرج من قرص مجنح وهذا الرمز حيثى فى أصله ٠ وأحيانا يختفى الشكل النصفى للاله ولا يبقى من الرمز سوى القرص المجنح كما هى الحال فى أرض الفراعنة ٠



(شكل (٥١) لبؤة جريحة (قصر آشور بانيبال ـ المتحف البريطانى)

ويتميز الملك الأشورى بلباس رأسه وهو تاج فى صورة مخروط ناقص تعلوه شوكة ويربطه شريط أو برطل تتدلى أطرافه على كتفيه



(شكل ٥٢) الملك والحاشية والجان (نقلا عن لايار ـ آثار نينوى)
Layard The Monuments of Nineveh

وأحيانا تصل حتى حزامه • ولقد كان فى الأصل بسيطا وقليل الارتفاع ثم أخذ يزداد ارتفاعه شيئا فشيئا • ومنذ عهد سرجون غطى بالتطريز • وكان للقميص الملكى حاشية وله اهداب • وكانت قدما الأمير تنتعلان نعلا لا يغطى سوى العقبين • وفى الأذنين حلقان كبيرة وعلى العنق عقود من التمائم وعلى المعاصم دمالج وفوق الساعد أساور وأحيانا يكمل مظهره بخناجر وسيف •

وكانت الحاشية تلبس مثل الملك ولكن دون لباس رأس أو بعصابة فحسب • وأقمشة هذه الملابس أقل ثراء • أما الفخامة فتظهر فى الحلى خاصة وكان البعض ــ مثل الجند ــ يلبسون قميصا قصيرا لا تغطيه دائما ملفعة •

وكان الاجانب يعرفون عادة من المميزات التى تكون فى زيهم • أما الملوك الأسرى الذين خزم تجلات فلاسر الأول انوفهم ووضع فيها الحلقات فيتميزون بلباس الرأس شأنهم فى هذا شأن بعض القواد الذين هزمهم « أشور نتسسير ابلا » (١) ويظن أن كليهما يمت لنفس جنس الأشوريين ومع ذلك فانهم حيثيون ان نحن اعتمدنا على مظهر لباس الرأس المخروطى والاحذية ذات المقدم المرتفع الى أعلى • وبالمثل كانت الشعوب التى تدفع الجزية تتميز بأزيائها كما هو ممثل على المسلة السوداء لشلمنصر الثالث •

وكانت الحياة تدب فى النقوش عن طريق الألوان ذات الظلال القاتمة التى كانت تستعمل لتأكيد التفصيلات • وقد استعملت نفس الألوان فى صناعة الطوب الخزفى وفى الصور المرسومة • أما لوحة الألوان فلم تعرف تنويعا كثيرا : فقد كان هناك الأسود والأبيض والأحمر والازرق وفى النادر جدا الأخضر • واللون المذكور أخيرا لا نجده غير مرتين فى خرائب دور شاروكين لأرضية صورة والأوراق شجرة • ولم يكن يعنى باللون الحقيقى : فاننا نجد على النقوش الأفواه والشعر والحواجب للرجال سوداء اللون غالبا • كما نجد اهداب الثياب وحمالات الخيل حمراء أو زرقاء • وكانت الأرضية فى الطوب الخزفى زرقاء عادة وكانت الأشكال صفراء أو بيضاء • وهكذا نرى على شمبران عقد جنيا أصفر ممسكا بـ « السنتيل » وتفاح أرز بين حزمتين من الورد الأبيض • وعلى نقش فى أسفل الحائط نجد أسدا وثورا وشجرة وقاربا وطائرا تبرز باللون الأصفر على أرضية زرقاء •

---

(١) XCVIII b, pl. 40, 41.

وقد حللت الألوان المعدنية المستعملة فى الطوب الخزفى وثبت أن أزرق كلح هو أكسيد النحاس المختلط ببعض الرصاص وأن أزرق دور شاروكين عبارة عن مسحوق اللازورد المستورد من باكتريان · وأن الأحمر هو أكسيد الحديد المسمى حجر الدم وأن الأبيض هو أكسيد الصفيح · وأن الأصفر خليط من أثمد الرصاص والصفيح المعروف اليوم « بأصفر نابولى » ·

ولم يكن النحت فى الحجر مخصصا فقط لزخرفة القصور فقد كانت اللوحات تغطى بمناظر دينية وتستخدم كتمائم لتبعد الشياطين · وباللوفر قطعتان من هذه الآثار الهدف من صنعهما طرد غارات الـ «لابارتو» (١) ·

٣ ـ الأشكال المعدنية

استخدم الأشوريون المعادن لتزيين القصور وصناعة التماثيل وأدوات الأثاث · ويرجع تمثال صغير نذرى (٢) يمثل امرأة بيدين مضمومتين الى عهد السيادة السومرية وهناك تمثال صغير (٣) صب على جزءين كان مكرسا لعشتار اربيلا من أجل حياة أحد ملوك « أشور دان ».



(شكل ٥٣) أسد من البرونز · قصر دور شاروكين (متحف اللوفر)

ويظهر أنه يمكن نسبته الى ثانى ملك يحمل هذا الاسم حوالى نهاية القرن العاشر · وفى قطعة من القرن السابع نرى الهـا واقفا فوق حيوان خرافى (٤) وقميص المعبود مزخرف بوريدات منقوشة فى مربعات صغيرة

---

(١) LXVIII No 403, 105, 106, I, t. XVIII. No 4. 1921.

(٢) XVI No 54 p. 10.

(٣) IXVIII No 138.

(٤) Ibid, No 144.

نقشا غائرا ولون شعر الحيوان مثل كذلك بخطوط محفورة ٠ أما العيون المجوفة فلابد أن انسانها كان من مادة أخرى طبقا للطراز الذى يمكن تتبعه فى سومير وأكاد من أقدم العصور ٠ وهناك من نفس العصر أسد رابض (شكل ٥٣) مدفون فى الأرض وربما كان مقيدا بسلسلة الى الحائط عند احدى بوابات قصر سرجون كحارس ٠ وقد اكتشفت سباع برونزية أخرى فى نمرود ٠

اما العفريت بازوزو الذى كان ينحت أحيانا على الأحجار فكانت تصنع له كذلك تماثيل برونزية صغيرة (١) واننا لنجده يعامل كذلك طبقا للعملية التى تربط فى النحت ما بين استعمال النقش البارز والمجسم على لوحة برونزية فى مجموعة Declercq (٢) وعلى لوحة مشابهة فى المتحف الامبراطورى العثمانى (٣) ٠

ولعل أهم النقوش البـارزة المعدنية هى الواجهات البرونزية من القصر الذى بناه شلمنصر الثالث فى امجور ايلليل (بلاوات) فى القرن التاسع فلقد مثل هذا الملك أهم أحـداث حـكمه هناك فى مجموعة من الأفاريز ٠ وقد استعملت صفائح من النوع نفسه فى قصور أشور ودور شاروكين وقد ثبت سرجون لوحات برونزية رقيقة من نفس النوع حول الأعمدة الخشبية التى تقلد جذوع النخل وغطاها بطبقة رقيقة من الذهب على الطراز المبين بنماذج ترجع الى أقدم العصور السومرية ٠

٤ ـ الحفر على الاحجار

لم يصلنا من الأختام الأسطوانية الأشورية بمقدار ما وصلنا من البابلية ٠ كما ان ترتيبها طبقا للعصور اصعب وينـدر وجود تلك التى

---

(١) Ibid, No 146-147.

(٢) XLIX, t. II pl. 34.

(٣) II., t. XX, p. 69.

تقدم اسم شخص من الأسماء التاريخية التي يحتفظ بها التاريخ ولم يكن من عادة الشهود أن يثبتوا أختامهم على الوثائق وهكذا كان عدد الأختام المؤرخة قليلا٠



(شكل ٥٤)

اسطوانة الملك « اريبا اداد » (متحف برلين - حفائر اشور)

نقلا عن O. Weber في كتابه

All orientalische Siegel bilder No 316 A.

ولعل أقدم الاسطوانات المؤرخة هي أختام الملك اريبا أداد (شكل ٥٤) وأشور اوبالليت (شكل ٥٥) المعاصرين للملكين المصريين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع حوالى ١٤٠٠ ق٠م٠ وتثبت بصمات الأختام التي جمعت من اللوحات التي عثر عليها في خرائب أشور انه في العصر الذي كانت الكتابة المسمارية واجبة الاستعمال في المراسلات الدبلوماسية في كل الشرق القديم كان الفن الأشوري قد نبذ الصيغة السومرية ليستوحي الفن الحيثي الذي ظهر تأثيره واضحا فيما بعد بقليل في وثائق خاصة باقليم كركوك (١) ٠ وباللوفر أسطوانة من العقيق قدمها احد ضباط « أداد نيراري » الثالث الى واحد من رفاقه في السنوات الأخيرة من القرن التاسع وفي خيمة دعائمها حراب تمسك بكل منها صورة ل « أنكيدو » نرى أشوريا يتعبد الى معبود حربي وعلى الوجه الآخر صورة أخرى لأنكيدو يرفع ذراعيه كأنما يسند رمز الاله : وهو هنا الجزء الأعلى من

---

(١) XLII, b. pl. 119.



(شكل ٥٥)

اسطوانة الملك اشور او باللبت (متحف برلين - حفائر اشور)



(شكل ٥٦)

اسطوانة اشورية (المكتبة الأهلية)



(شكل ٥٧)

اسطوانة اشورية (متحف اللوفر)

شخص داخل دائرة مكونة من كرات صغيرة. ومنظر التعبد هذا يظهر مرة ثانية بدون الخيمة والأشخاص الثانوية على عدد من الأسطوانات مع معبودين فى الغالب (١) ويظهر أن ايماءة المتعبد وهو يمد احدى يديه أفقيا يرفع الأخرى وراحتها الى الخارج كان أمرا خاصا بأشور (شكل ٥٦) ذلك لأن البابلى من هذه الفترة حتى نهاية الامبراطورية كان يرفع كلتا يديه ويقلب راحة اليد الى ناحية وجهه .

وتكون الحيوانات الحقيقية أو الوهمية التى تحفر أحيانا بالمحتات وأحيانا أخرى بالمثقاب موضوعات بعض المناظر التى يكشف فيها الفن بصور الحيوانات عن كمال يعد كأحسن فنون النحت (٢) .

(١) XLII. b, a, 678.

(٢) XLI, b. No 307.

ورغم أن حفار الأسطوانات كان يقصر فنه عادة في نطاق الدين الاأن مجموعة النقوش البارزة قد أثرت عليه بعض التأثير ·



(شكل ٥٨)
أسطوانة اشورية (متحف اللوفر)

ففي خورساباد نجد بعض المناظر للصيد الملكي أو الحروب (١) ·

وفي المناظر المأخوذة عن الأساطير نجد أن مناظر الصراع شائعة : فالجان وهم تقريبا دائما في صورة انسانية وأحيانا مجنحين ··· نجدهم يفوقون السهام ضد حيوانات حقيقية أو خرافية (شكل ٥٨) أو نراهم مسلحين ببلطة أو سلاح مقوس بحد محدب يشبه البالات اليونانية harpe وهم يتغلبون على حيوان ذى أربع أو نعامة (شكل ٥٩) · وفي مكان آخر تصور هذه الجان بين حيوانين أو وحشين مركبين يقفان ويواجهان بعضهما البعض ويمسكانها عادة من الفحذ الأمامي · وهم يظهرون كذلك ـ كما في النقوش البارزة ـ في مجموعات من أزواج عادة · وفي احدى اليدين الـ « ستيلْ » واليد الأخرى ممدودة نحو مخروط من الأرز على شجرة مقدسة يظللها قرص مجنح ·

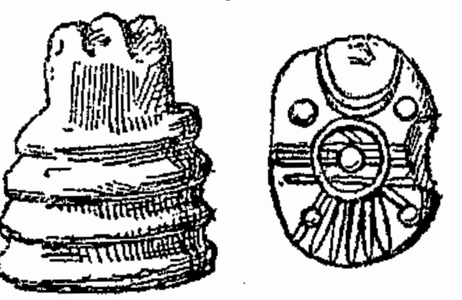
وقد عاد الختم المسطح الذى عرفه السومريون من أقدم العصور ولكنهم نبذوه منذ عصر لوجالاندا وظل مستعملا في آسيا الصغرى على «اللوحات الكابادوكية »في القرن الرابع



(شكل ٥٩) اسطوانة اشورية (المكتبة الأهلية)

(١) XLII b. K 5, 7 cf. XL b, Nos 115 à 117.

والعشرين ثم بعد ذلك فى الامبراطورية الحيثية ... عاد هذا الختم الى الظهور فى أشور فى الألف الأولى (شكل ٦٠) . وقد أوجب استعماله



(شكل ٦٠) ختم اشورى (متحف اللوفر)

فى بابل حتى استطاع فى عهد السلوقيين أن يطرد الأختـام الأسـطوانية من الشرق كله وكان يصنع عادة على شـكل مخـروط نـاقص بقـاعدة اهليليجية واسـتدارة عنـد القمة . ولقد كان المجال على مثل هذه القاعدة أكثر تحديدا من سـطح الأسطوانة . ورغم أنه كان يتسـع لمنظـر صراع الا أن الفنان فى نقش الأحجار كان يفضل أن يحفر عليها جنا خيرا أو رموزا الهية .

٥ ـ الزى والأثاث

ان النقش البارز فى القصور هو المصدر الرئيسى لمعلوماتنا عن الزى الأشورى . ولقد رأينا كيف أن النحاتين جهدوا فى التمييز بين الآلهة والجان والملك والحاشية والأجانب وذلك بواسطة تفصيلات ملابسهم .

وكان الزى فى أيام السيادة السومرية ملفعة مستطيلة تلتف حول العجز كما هى الحال عند ضفاف الفرات . وفى الألف الأولى كانت تتكون من جزءين : قميص بغير أكمام قصير أحيانا وطويل أحيانا أخرى ثم ملفعة مستطيلة تلبس فى أشكال مختلفة تبعا لمرتبة لابسها وتثبت بواسـطة حزام أو خيوط مجدولة وحمالة . وكان للملفعة أهداب من جوانبهـا الأربعة وكانت تزين غالبا برسومات دينية أو أزهار أو حواش .

وكان يحمى الأقدام فى الحرب حذاء يغطى الساق . وأما فى الحياة المدنية فكانت النعال ذوات الكعوب تربـط بأربطة جلدية تلتف حـول الاصبع الكبيرة وتدور حول الاخمص مرتين أو ثلاث مرات .

وكانت حلاقة الرأس والاحتفاظ باللحية أمرا مقررا منذ فجر التاريخ كما تشهد بذلك بعض الآثار التى عثر عليها فى خرائب أشور . ولكن سرعان ما اختفت هذه العادة كما يثبت ذلك تمثال عتيق عثر عليه فى نفس المكان . وفى القرن التاسع كان الشعر مجعدا ويسقط على الكتفين وكانت اللحية الطويلة يقص شعرها على شكل مربع ولم يكن يحلقها تماما سوى كبار الموظفين وصغار الجنود .

وكان التاج ذو القرون من مخصصات الآلهة • وكان الملك يرتدى غطاء الرأس على شكل قمع مخروطي يعلوه سن مدبب ويحيط به اكليل • وكان عامة الناس يسيرون عادة عراة الرءوس فى الحياة العادية وكان شعرهم يربط أحيانا بعصابة •

وكان الرجال والنساء على السواء يتحلون بحلى من الذهب والفضة والنحاس المذهب وفى عصر سرجون كان الخرز على شكل الزيتون والخرز القنوى يصنع من رقائق الذهب بزخارف مضغوطة للعقود والخواتم والحلقان • وكان الخرز البلورى يزود فى الوسط بحلقات ذهبية • وكانت الأحجار الثمينة المستعملة فى العقود تحاط بالذهب وأزهار اللازورد تحلى بذهب نقى فى وسطها وكانت تلبس حول المعصم وفى أعلى الساعد أساور مفتوحة ثقيلة من البرونز مزينة عند طرفيهما برءوس حيوانات وكانت تكمل الزينة أقراط ضخمة ورموز دينية تعلق حول الرقبة • أما عامة الشعب فكانوا يقنعون بعقود وأساور مكونة من براميل صغيرة وأسطوانات ولوحات وزيتونات وعجلات أو خرز منحوت من أحجار غالية أو مصنوع من عجائن صناعية تقلد الحجر •

وكان الأشوريون – كالبابليين – يستعملون يوميا زيوتا عطرية ودهونا ومراهم وربما مركبات لازالة الشعر •

كان الأثاث فى القصور فخما جدا فى الألف الأولى وأصبح بمرور القرون أكثر فخامة وزخرفة • وكان عرش سناخريب يرتكز على أربعة أرجل على شكل أقماع الأرز ويعتمد الذراعان فى كل من الجانبين على ثلاثة صفوف متعاقبة بكل منها أربعة تماثيل لأشخاص الواحد منها فوق الآخر • أما المقعد والظهر فتغطيهما ملفعة من قماش نفيس •

وعرش « أشور نتسير ابلا » كانت به نقوش برونزية تمثل حيوانات مركبة ترتفع نحو شجرة مقدسة • وهناك متكأ من نفس العصر كان مزينا برءوس حيوانات من المعدن ومغطى بوسادة ذات أهداب • وكانت هناك مقاعدة كثيرة فى دور شاروكين مزينة بنفس الطريقة وكانت تصنع الكراسى والكراسى ذوات الأذرع والأسرة والموائد والمقاعد من الأخشاب الثمينة التى عنى بحفرها مع تكسية وتطعيم بالذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة •

وكانت الأوانى المعدنية المزخرفة تستورد من فينيقيا كما تستورد المصنوعات العاجية من مصر • وقد سرى كذلك استعمال أوانى الزجاج والحجارة ولكن استعمال الفخار كان سائدا • وقد عثر على أوان منقوشة منه فى أعداد قليلة •

الفصل الثالث

الآداب والعلوم

١ ـ الأدب التاريخى

استخدم الأشوريون الخط المسمارى الذى اخترعه السوميريون واستعمله الأكاديون • ورغم أنهم بسطوا الحروف أكثر مما فعل البابليون الا أن طريقة الكتابة لم ترتق رغم أنه كان يوجد بمكاتب الدولة المثل الذى ضربه الكتاب المصريون الذين تخلصوا من هيروغليفيتهم القديمة والكتاب الأراميون الذين كانوا يستعملون حروفا هجائية • لذلك ظل فن الكاتب وعلمه كما كان فى بابل تقريبا فى نفس العصر •

وتحوى الآداب الأشورية عددا ضخما من النسخ أو المطابقات للنصوص البابلية وهناك نوعان من الأدب فقط يستوقفان النظر : هما الأدب التاريخى والمراسلات الكتابية •

وأهم النصوص التاريخية التى وضعت طبقا لترتيب الملوك الأشوريين تختلف اختلافا بينا من ناحية انشائها عن الوثائق المماثلة فى سومير وأكاد • فلقد كان الملك البابلى فوق كل شىء راعى شعبه وهو فى النصوص يعنى عناية خاصة بذكر ما قام به من أعمال ليقر النظام فى دولته وليدفعها الى التقدم والازدهار وليحميها من أعدائها حين تدعو الضرورة الى ذلك • أما الملك الأشورى فقد كان على العكس من ذلك محاربا وكان مثله الأعلى أن يوسع الأقاليم الخاضعة للاله أشور وأن يعتبر هو غازيا • ولم تكن للنقوش المنتشرة فى قاعات قصره أهداف سوى تمجيده شخصيا • وكانت النصوص التى تصحب النقوش تشيد بمجده وقلما كان يذكر شىء عن الكوارث التى تنتاب الحكم فان ذكرت مثل هذه الأحداث فانما كان ذلك على أساس أنها أمور لا قيمة لها حين لا يستطاع تحويلها الى نجاح باهر •

وكانت صيغة الكتابات الملكية تخضع لنظام ثابت من عصر ممعن فى القدم • وحتى نهاية القرن الثامن قل أن أدخل عليها أى تعديل وكان يسر الكتاب أن ينسخوا الصيغ التى كانت تستعمل فى العهود السابقة •

وفى حكم السرجونيين أخذت تصطبغ نصوص الروايات بصبغة شخصية ولعل هذا يتضح جليا فى نصوص أشور بانيبال ٠

ويمكن تمييز أربعة أنواع من الوثائق : « الحوليات » التى كانت تذكر فيها الحوادث فى ترتيب تاريخى ، و « تاريخ الحروب » الذى يسمح لنا أن نتابع تقدم الحملات ، و « التقاويم » التى تجمع فيها الوقائع حسب الأقاليم التى حدثت فيها ، وأخيرا « التقارير » فى صورة خطابات موجهة الى الاله أشور عند العودة من كل حملة لابلاغه النجاح الذى تم على العدو ٠

وكانت هذه الكتابات ــ ماعدا النوع الأخــير ــ تحفر على جدران القصر أو على أسطوانات الأساس ٠ وكانت تتكون عادة من ثلاثة أقسام رئيسية ٠٠ أما القسم الأول فهو تقريظ للملك يقدم ملخصا لأعماله وغالبا سلسلة نسبة ٠ وأما القسم الثانى فيقص أحداث الحـكم من حروب ومنشآت ٠ وأما القسم الثالث ، فهو عبارة عن لعنات تصب على من يحطم هذه الكتابة وأحيانا دعوات لمن يعاملها باحترام ٠

وهناك بداية اسطوانة تجلات فلاسر الأول :

« **البدء :** أشور السيد العظيم الذى يحكم مجموعة الآلهة الذى يمنح الصولج والتاج الذى يدعم الملكية ، ايلليل ملك كل الـ « أنوناكى » أب الآلهة سيد الأقطار ، سن العاقل سيد التاج المجد فى فخاره ، شماش قاضى السماء والأرض الذى ينهى بالعدم محاولات العدو ويساعد العدالة ، اداد القوى الذى يحطم الأقاليم المعادية والأراضى والبيوت ، اينورتا البطل الذى يحطم الأشرار والمعادين ويشبع رغبة القلب ، عشتار الأولى بين الآلهة سيدة الصراع التى تفض المعارك العنيفة ــ الآلهة العظام الذين يحكمون السماء والأرض والذين يعنى هجومهم المعارك والهلاك والذين عظموا ملكية تجلات فلاسر الأمير المحبوب المفضل فى قلوبكم البطل الرائع الذى اختارته قلوبكم العطوفة ٠ ذلك الذى توجتموه بالتــاج العظيم ٠ ذلك الذى عينتموه فى وقار ملكا على أرض ايلليل وأعطيتموه الحكم والمجد والقوة ورسمتم له الى الأبد مصيره الملكى لتمام القوة ولذريته الكهنوتية مكانا فى « اى هارساج كوركورا » ــ تجـلات فلاسر الملك القوى ملك (العالم) كله الذى لا منافس له ٠ ملك الأقاليم الأربعة ٠ ملك الأمراء جميعا ٠ سيد السادة ملك الملوك القوى الكاهن الأعظم الذى أعطى له بأمر شماش صولجان باهر ٠ ذلك الذى حـكم الأمم رعايا ايلليل فى جموعهم ٠ الراعى الشرعى الذى مجد اسمه فوق أسماء كل الأمراء ٠ القاضى العظيم الذى قاد أشور ذراعيه والذى أعلن اسمه الى الأبد ليكون راعيا للأقاليم الأربعة ، غازى الأقاليم البعيدة على حدود مملكته فى الأقاليم

العليا والسفلى ، اليوم الساطع الذين يعشى بهاؤه الأقاليم الأربعة • الشعلة القوية التى تسقط على الأرض المعادية مثل العاصفة الراعدة ••• ذلك الذى بأمر ايلليل ليس له منافس والذى جندل وصرع أعداء أشور •

ان أشور والآلهة العظام الذين جعلوا ملكى عظيما قد منحونى القوة والنفوذ وأمرونى أن أمد حدود أراضيهم • لقد وضعوا فى يدى أسلحتهم القوية « اعصار المعارك » •

الأراضى والجبال والمدن والأمراء أعداء أشور قد هزمتهم وأخضعت بلادهم • لقد حاربت بشجاعة ضد ستين ملكا وكسبت النصر عليهم فى الصراع • لم يكن هناك ضدى ند فى حرب أو منافس فى معركة • لقد أضفت الى بلاد أشور أراضى أخرى ولأهلها أهلين آخرين • لقد وسعت حدود بلادى وغزوت كل بلادهم (أى الستين ملكا) •

ويروى « أشور نتسير ابلا الثانى » فى حولياته أحداث عام ٨٨٤ ق•م• على الصورة التالية : « فى العام المسمى باسمى تبعا لكلمة أشور مولاى وأينورتا الذى يحب كهنوتى لم يحدث فى عصر الملوك آبائى أن حاكما لأرض « سوهى » أتى الى أشور • ولكن حدث أن « ايلو ابنى » حاكم سوهى أتى مع اخوته وأبنائه ليحضروا فضة وذهبا كجزية فى نينوى أمامى من أجل خلاص أنفسهم •

وفى نفس العام المسمى باسمى بينما كنت لا أزال فى نينوى جاءتنى الأنباء بأن الأشوريين وحاكمهم هولائى الذى كان شلمنصر ملك أشور الأمير الذى حكم قبلى قد أقرهم فى هالزيديفا (اننى أقول ان هؤلاء الأشوريين) تمردوا بالعصيان وتقدموا نحو « دامداموسا » مدينتى الملكية بقصد الاستيلاء عليها •

وتبعا لكلمة أشور وعشتار وأداد الآلهة العظام الذين يعاوننونى جمعت عرباتى وجيوشى وفى المكان الذى كانت به صور تجلات فلاسر وتوكولتى اينورتا ملك أشور ••• آبائى ••• عند منبع السوبنات ••• صنعت صورة لشخصى الملكى وأقمتها هناك • فى ذلك الوقت تسلمت جزية من أرض « اتسالا » قطعانا وماشية ونبيذا وعبرت جبال « كاشيارى » وتقدمت نحو « كينابو » قلعة « هولائى » وانقضضت على المدينة بجموع جيوشى فى هجوم شديد كالعاصفة واستوليت عليها وقتلت بالسيف ٦٠٠ من محاربيهم وأسلمت للنار ٣٠٠٠ أسير ولم أترك من بينهم واحدا حيا ليكون رهينة • وأخذت حاكمهم « هولائى » حيا بيدى وجمعت من جثثهم أكواما وأسلمت للنار شبانهم وبناتهم وسلخت حاكمهم هولائى وعلقت

جنده على سور « دامدامو سا » ثم حطمت المدينة وخربتها وأشعلت فيها النـار ·

واستوليت على مدينة « ماريرو » فى نفس الاقليم وقتلت بالسيف ٥٠ من محاربيها وأسلمت للنار ٢٠٠ أسير وذبحت ٣٢٢ جنديـا من بلاد « نيربو » فى معركة فى الأرض الخلاء واستوليت على أسلابهم (جثثهم) وماشيتهم الكبيرة منها والصغيرة · أما شعب نيربو التى تقع عند سـفح جبل أوهيرا فقد حاصرتهم فى قلعتهم « تيلا » وخرجت من « كينابو » مقتربا نحو « تيلا » وكانت المدينة محصنة تحصينـا قويا وتطوقها أسوار ثلاثة وكان لشعبها ثقة فى حوائطها المنيعة وجيوشهم العديدة فلم يأتو ليمسكوا قدمى · وعصفت بالمدينة فى معـركة ومذبحة واستوليت عليها وقتلت ٣٠٠٠ من محاربيها واستوليت على جثثهم (أسلابهم) وأملاكهم وقطعانهم وماشيتهم وأخذتها كغنيمة وأسلمت الكثيرين الى النار وأخذت الكثيرين أحياء : قطعت أيـدى البعض منهم وأصـابعهم وجـدعت أنوف آخرين أشور كغنيمة الفضة والذهب والأموال والثروات من سومير وأكاد وكذا وصلمت آذانهم ثم حرمت غيرهم من نعمة البصر وجعلت من الأحياء كومة ومن الرءوس كومة أخرى · وربطت رءوسهم الى دعائم من الكرم حـول المدينة أما فتيتهم وفتياتهم فقد ألقيت بهم الى النار ··· لقد حطمت المدينة وخربتها ثم أشعلت فيها النار » ·

وليس هناك من منظر نهب أشهر من نهب سوسة بواسطة جيوش أشور بانيبال · وهاك الرواية الرسمية :

« لقد استوليت على سوسة العاصمة مقر آلهتهم ومكان عرافتهم · ودخلت بناء على أمر أشور وعشتار الى مخابىء قصورهم ومكثت هناك فى ابتهاج وفتحت خزائنهم المكدس فيها الذهب والفضة والأموال والثروات التى جمعها وكومها ملوك عيلام من أقدمهم حتى معاصرى والتى لم يضع عدو من قبلى يده عليها · لقد استخرجتها وعددتها غنيمة · وأخذت الى من « كاردونياش » وكل ما كان قد أخذه ملوك عيلام الأقدمون فى سبع(١) حملات وحملوه معهم الى عيلام من « تساريرو » براق و « اشمارو » لامع وأحجار كريمة وأشياء ذات قيمة وحلى ملكية كان قد أعطاها ملوك أكاد الأقـدمون و « شماش شوم أوكين » كحلفاء الى عيـلام والملابس القيمة والحلى الملكية والأسـلحة الخاصة بالاحتفـالات والحروب وحلى أيـدى المحاربين وكل أثاث قصورهم التى كانوا يجلسون أو يضطجعون عليها

(١) رقم ٧ هنا معناه عديدة ·

والأوانى التى كانوا يستعملونها للطعام والشراب والغسيل والتضميخ والعربات والمركبات وال « تسومبى » (١) المزين بال « تســــاريرو » وال « زاهالو » والخيل والبغـال الكبيرة بأطقمهـا الذهبية والفضية أخذتها كغنيمة وحملتها الى أشور • وقد حطمت زيجورات سوسة الذى كانت واجهته من اللازورد وكسرت قيمته المحـلاة بالبرونز اللامع • أما شوشيناك اله عرافتهم الذى كان يسكن مكانا خفيا والذى لم يشهد عمله الالهى أى واحد وكذا شومودو ، لاجامارو ، بارتكيرا ، أمان كاسيبار ، اودوران ، سباك الذى كان ملوك عيلام يحترمون ألوهيتـــه ، راجيبا ، سونجور سارا ، كارسا ، كيرساماس ، شودانو ، ايباكسينا ، بيلالا ، بانينمرى ، نابيرتو ، كندا كاربو ، سيلاجارا ، نابسا••• كل هؤلاء الالهة والالهات بكل ما يملكون من ثمين وغال وثرواتهم وأثاثهم ••• وحتى – كهنتهم وال « بوهـلالى » ••• حملتها جميعـا الى أشور كغنيمـة كما حملت الى أشور كذلك ٣٢ تمثالا من الذهب والفضة والبرونز والحجر الجيرى لملوك مدن سوسة ، ماداكتو ، هورادى وتمثال « أوما نيجاش » ابن « أمبادارا » وتمثال عشتار ناهونتى وتمثال هلوسى وتمثال تماريتو الثـــانى الذى أخضـــعته بنـــاء على أمر أشور وعشـــتار • وقد حطمت ال « شيدو » وال « لاماســـو » (٢) حراس المعابد بقدر ما يوجد منها والقيت الثيران المتوحشة زينة البوابات • وجعلت معابد عيلام تختفى تماما وذهب مع الريح كل اله والهة • وقد دخلت جيوشى الصاعقـة الى الأحراش المقدسة حيث لم يكن يسمح لغريب أن يدخلها أو يعبر حدودها وكشفوا عن سرها وأسلموها للنار • وفتحت توابيت ملوكهم الأقدمين والمحدثين الذين لم يعبدوا أشور والذين كان الملوك آبائى قد تركوهم فى سلام وحطمتها وأخرجتها وأخذت عظامهم الى أشور وأقررت القلق عن أرواحهم (ال « اديمه ») وحرمتهم من التقدمات الجنازية وسكب الماء •

ولمسيرة شهر وخمسة وعشرين يوما اجتحت أقاليم عيلام ونثرت الملح وأشجار الشوك هناك وحملت معى كغنيمة الى أشور أبنـاء الملوك واخواتهم وأعضاء الأسرة المالكة فى عيلام صغارا وكبارا والحكام ورؤساء هذه المدن ورؤساء حملة الأقواس والقادة وراكبى العربات والفرســـان وحملة الأقواس وحملة الدروع والفنانين على كثرتهم والســـكان ذكورا واناثا كبارا وصغارا والخيل والبغال والحمير والقطعان والماشية أكثر من أسراب الجراد •

(١) نوع من العربات العيلامية •

(٢) الجنيات الحارسة (الحافظة) وثيران وسباع مجنحة ذات رؤوس بشرية •

وحملت تراب سوسة . ومادا كتووهلتيماش ومدنهم الأخرى ...
التراب الذى كنت أريده حملته الى أشور . وفى خلال شهر أخضعت عيلام بكل اتساعها وأسكت صوت الانسان وخطى الماشية والقطعان وصرخة الفرح وتركت حقولها للخمير والغزلان وكل الحيوانـات البريـة » .
وسنستعير من نفس أسطوانة أشور بانيبال التى كتبت فى ٦٣٩ ق.م . النص الختامى : فبعد أن أشار الى اصلاح القصر المسمى بيت ريدونى ينهى الملك قصته قائلا :

« وفى الأيام القادمة بين الملوك الذين سيخلفوننى فليرفع من يضع اسمه أشور وعشتار على عرش البلاد وسكانها ... فليرفع ثانية من الخرائب هذا الـ « بيت ريدوتى » ان شاخ وسقط الى أنقاض . أما الكتابة التى فيها اسمى واسـم أبى واسـم أب أبى الجنس الملكى الوطيد .. ليقرأه وليضمخه بالزيت وليقدم التضحيات ويضعها بجانب النص الذى يحمل اسمه . ألا فلتمنحه الآلهة بقدر كثرتهم المذكورة فى هذا النص .. لتمنحه كما تمنحنى القوة والسلطان .

أما من يحطم الكتابة التى تحمل اسمى واسم أبى واسم أب أبى ولا يضعها بجانب الكتابة التى تحمل اسمه ... ألا فلينتقم أشور وسن وشماش واداد وبعل ونابو وعشتار نينوى ملكة كدمورى وعشتار اربيلا واينورتا ونرجال ونوسكو لينتقموا منه جميعا لعدم ذكر اسمى » .

٢ ـ أدب الرسائل

ويتضمن أدب الرسائل فى أشور كما فى بابل الوثائق الرسمية والمراسلات الخاصة . وقد وجدت معظم اللوحات فى مكتبة أشور بانيبال وهى تبعا لذلك تتصل بالشئون العـامة . وبعضها مكتوب بالأشورية والبعض الآخر بالبابلية . وهى تسمح لنا باعادة تكوين فصول معينة فى التاريخ أهملتها الكتابات الملكية وتبين كيف كانت الحكومة المركزية تطلع أولا بأول على ما يجرى من أحداث على الحدود وفى الدول المجاورة .

وكان سرجون فى بابل فى سنة من السنوات (سنة ٧١٣ على أكثر تقدير) واننا لنرى ابنه سناخريب يرسل له التقارير الواردة من مختلف الموظفين عن سير الأمور فى أورارتو ، وتبدأ خطاباته بفقرات التحية « الى الملك سيدى من سناخريب خادمك . السلام للملك مولاى . السلام سائد فى أشور . السلام سائد فى المعابد وسائد فى كل قلاع الملك . ليفرح

قلب الملك مولاى تمـــاما » (١) ثم يلي ذلك تقـــارير منسـوخة دون تغيير في الأســلوب الذي استعمله مرســلوها فهنــاك تقرير من بلاد « الأوكيين » بأن ملك أورارتو هزم حين توجه الى بــلاد السيميريين . ويشير « أشور رتسوا » من ناحيتــه الى مذبحــة ضخمة فى جيوش هذا الأمير : فمات النبلاء وأسر القائد العام أما الملك نفسه ففى بلاد « وازاون (بتليس ؟) » . وأرسل والى « هالتسو » من يتحرى الأمر على الحدود : فأنبيء بانتصار السيميريين وبأن ثلاثة نبلاء أورارتيين مزقوا اربا مع جيوشهم واستطاع الملك أن يجد طريقة للهرب والعودة لمقاطعته . وحتى لحظة كتابة التقرير لم يكن معسكره قد تعرض للهجوم وأرسلت حاميات قلاع الحدود أنباء مماثلة وذهب ملك « موتسساتسير » وأخوه مع إبنـه لتحية ملك أورارتو كما أرسل ملك « هوبوشكيا » رسولا له : وينتهى الخطاب بالاشارة الى ارسال لوحة مباشرة الى الملك من « نابولى » رئيس خدم السيدة « اهات ابيشا » . ويظهر أن هذه السيدة هي ابنة لسرجون تزوجت من ملك « تابال » المدعو « امباريدى » الذى اقتيد أسيرا هو وكل أسرته في عام ٧١٣ ق.م .

وهناك مجموعة أخرى من التقارير بنفس الصورة (٢) تشير أولا الى محاولة ملك أورارتو القبض على الولاة الأشوريين المجتمعين فى « كوماى » ويشير المرسل الى خطاب من « أشور رتسوا » يتضح منه أن ملك أرمينيا مع فرق صغيرة من جيوشه قد دخل الى مدينــة « واسى » . أما « أشور رتسوا » من ناحيته فيكتب مباشرة بأنه أرسل حرسه الى أرض الأوكيين الذين ثاروا ضد « أرزابيا » .

وقد كشف عن تسعة تقارير من نفس « أشور رتسوا » تتصل بسير الأمور فى أورارتو وهو يخطر فى أحدها بتحرك الجيوش (٣) : « فى بدء نيسان خرج ملك أورارتو من « ثوروشبيا » وذهب الى « اليتسادا » . وشق « كاكادانو » قائده العام طريقه الى مدينة واسى كما تركزت جيوش أورارتو فى التيسادا » .

وفي تقرير آخر (٤) يؤيد خبر وجــود الملك في واسى ويعلن بان « ٣٠٠٠ من الأورارتيين المشاه في طريقهم الى « موتسساتسير » تحت قيادة « ستينى » الذى أخذ معه جمالا وانهم عبروا النهر ليلا » . وبان هناك مجموعة أخرى من الجيش تحت قيـــادة « شـــونا » تسير كذلك نحو

(١) LXXXII b, No 197 Cf. xx t. III, p. xv.
(٢) LXXXII b, No 198.
(٣) LXXXII b. No 492.
(٤) LXXXII b. 380.

« موتساتسير » عبر مقاطعة الأوكين . وليس من شك في أن هاتين الرسالتين لاحقتان للتقرير الثاني لسناخريب الذي يتضمن دخول ملك أورارتو الى « واسي » وللتقرير الأول الذي يتحدث كله عن هزيمة انسيميريين له وعلى ذلك فان الأخير من تاريخ لاحق .

ولم تكن حركات الجيوش هذه التي يشير اليها الموظفون الملكيون مما يروق لملك أشور فكان يستاء ويخشى النتائج فيأمر عمدة القصر أن يطلب الى ملك موتساتسير ألا يسمح للأمراء الذين يزورون مدينته بقصد التعبد أن يصطحبوا جنودهم معهم . وقد ورد الرد ينطوي على وقاحة تدل على أن مرسلها كان يعتقد أن في امكانه مقاومة الجار القوي :

« لوحة أورزانا الى عمدة القصر (١) سلام عليك . بالاشارة الى ما كتبت لي تقول :

(ملك أورارتو بجيوشه ... أهو يزورك ؟ أين هو ؟) هاك اجابتي ز ان والي « واسي » ووالي مقاطعة الأوكين أتوا وقاموا بالعبادة في المعبد وهم يقولون : « سيأتي الملك ، وهو في « واسي » . ان الولاة (الآخرين) متأخرون سيأتون » وقد قاموا بعبادتهم في موتساتسير . أما فيما يتصل بما كتبته لي فيما يختص « دون موافقة الملك ليس لأحدهم أن يأتي للعبادة مصحوبا بجيوشه فهل حين أتى ملك أشور منعته ؟ ان ما فعله هو يفعله الآخر فكيف اذن أمنع هذا الآخر ؟) » .

وهناك فترة أخرى يزودنا فيها أدب الرسائل بمعلومات شائقة هي نهاية عهد « شماش شوم أوكين » ملك بابل وهي الفترة التي قامت فيها محاولة تمرد ضد النفوذ الأشوري والصراع مع عيلام .

واننا لنجد « نابو بعل شوماتي » الذي ربما كان ملك أرض البحر يكتب (٢) : « يتضح مما نمي الى أن ملك عيلام خلع وثارت ضده بضع مدن قائلة : « لا نريد أن نلقى بأنفسنا بين يديك » وانني أنقل ذلك الى مولاي الملك كما علمت به . لقد سكنت في أرض البحر منذ أيام « نابيد مردوك» . حين قبض « سن بالاتسو اقبي » على ٥٠٠ من قطاع الطرق واللاجئين الذين أتوا عند الجور ونامين وقيدهم بالحديد وسلمهم الى مولاهم ناتانو ملك الأوتيين وهم الذين كان ملك (أشور) قد أعطاه اياهم » .

ولقد أصبح « نابو بعل شوماتي » حفيد « مروداخ بالادان » ملكا على ارض البحر عند موت عمه « نابيد مردوك » . فلما ثار « شاماش شوم أوكين » أرسل له ملك أشور جيوشا لمهاجمته من الجنوب ولكن « نابو

(١) LXXXII b. No 400 cf. xx t. III, p. XII, XIII (traduction).

(٢) LXXXII b. No. 839.

بعل شوماتى » الذى كان يريد كذلك أن يستعيد استقلاله حاول أن يضم اليه الجنود الأشوريين وقد نجح فى ضمان ولاء عدد منهم ٠ ولما أدرك أن الكارثة لا يستطاع تجنبها هرب معهم الى عيلام وفى ٦٥٠ ق٠م ٠ أحل « أشور بانيبال » محله من يدعى « بعل ابنى » ووجـه النداء التالى الى الأهلين : « أمر الملك الى أهالى أرض البحـــر صـــغارا وكبارا ٠٠٠ أى خدمى ! (١) السلام لكم ٠ لتكن قلوبكم راضية ٠ انظروا كم يمتد تقديرى اليكم ٠ قبـل خطيئة « نابو بعـل شوماتى » أقمت عليـكم عاهرات معبد منانو والآن أرسل لكم « بعل ابنى » الدوباشو الخاص بى ليتقدمكم » ٠ وبقية النص مكسور الى عدة قطع وفيه يطلب الملك اطاعة أوامره والا اضطر الى ارسال الجيوش هذا ما أن « اندا بيجاش » كان قد استضاف « نابو بعل شوماتى » وأنصاره فى عيلام فأرسل أشور بانيبال سفيرا يطلب اليه تسليمهم وكتب يقول « ان لم تسلم لى هؤلاء الرجال فاننى سآتى لأحطم مدنك وسآخذ أهل سوسة وماداكتو ووهايدالو وسأنزلك عن عرشـك وأضع آخر فى مكانك ٠ وكما سـحقت فيما مضى تويمان فاننى سأقضى عليك » وفى خلال المفاوضات استطاع قائد سوسى يدعى « أومانا لداش » أن يغتال أندا بيجاش وأن يستولى على العرش ٠ وفى عام ٦٤٥ ق٠م٠ كتب الى ملك أشور عن « نابو بعل شوماتى » قائلا : « لوحة أومانا لداش ملك عيلام إلى أشور بانيبال ملك أشور (٢) : السلام لأخى لقد أخطأت ضدك منذ البداية شعوب ارض البحر فقد قدم « نابو بعل شوماتى » من هنـاك وأرسلت الى تطلب : « أرســل نابو بعل شوماتى » اننى ذاهب للقبض على نابو بعل شوماتى وسأرسله لك ٠ ان أهالى أرض البحر الذين أحضرهم الينا معه من البدء نابو بعل شوماتى ٠٠٠ هؤلاء الناس أتوا عن طريق مياه ٠٠٠ انهم دخلوا بالقوة الى « لاهيرو » وهم هناك اننى سأرسل ضدهم فى حدودهم خدمى وسأرسل لك بأيديهم أولئك الذين أثموا ضدنا فان كانوا فى مقاطعتى فسأرسلهم اليك بأيديهم بواسطة خدمى أما ان كانوا قد عبروا النهر فخذهم بنفسك » ٠ ولما رأى نابو بعل شوماتى انه هالك لا محالة لم يرض بأن يستسلم حيا بل أمر حامل سـلاحه أن يقتله وقد سلم جسده الى ملك أشور الذى أمر أن يقطع رأسه ومنع دفنه ٠

وبعد أن استقر « بعــل ابنى » كملك على أرض البحر بعــد هرب « نابو بعل شوماتى » كتب تقريرا مطولا عن سير الأمور فى عيلام (٣) :

(١) Ibid, No 289.

(٢) XCV, p. 350.

(٣) LXXXII, b, No 280.

فقد أرسل ٥٠٠ جندى الى « تسابداتو » آمرا اياهم أن يحصنوا أنفسهم فى هذه المدينة وأن يغيروا على عيلام وأن يذبحوا أهلها وأن يعودوا بأسرى . وتقدمت هذه الجيوش حتى « إيرزيتق » على مسافة قصيرة من سوسة وذبحوا الحاكم المدعو « أمالادين » وأخويه وثلاثة من أعمامه واثنين من أبناء أبناء اخوته ومائتين من النبلاء وأخذ ١٥٠ أسيرا وسرعان ما تقدم سكان لاهيرو ، ولوجو الى « موشزيب مردوك » ابن أخ «بعل وابنى» وقائد الجيوش فى « تسابدينو » وأقسموا بالولاء للملك أشور وعبئوا رماتهم ووضعوهم تحت تصرف الحاكم . وقد أعلن « بعل ابنى » أنه سيرسل كل الغنائم الى الملك وأنهى خطابه بأنباء عن بلاط عيلام : يقال ان « أومانيجاش » قد ثار ضد « أومانا لداش » . وان كلا من الجيشين يعسكر أمام الآخر على ضفتى الهدهد وان « ايقيشا ابلو » الذى أوفد الى القصر يعرف خططهم . فليسأل عنها » . ولقد حظى موشزيب مردوك ابن أخ بعل بالرضا الملكى فاستدعى مرتين أو ثلاثا ليجتمع بالملك وقد كتب أشور بانيبال ذات مرة الى عمه قائلا (١) : « رسالة من الملك الى بعل ابنى . اننى بخير . ليكن قلبك مطمئنا . سيسمح لـ « موشزيب مردوك » الذى كتبت لى عنه له بالمثول فى حضرتى فى أقرب وقت وساحدد الطريق الذى تسلكه قدماه » .

وكان « كودور » حاكم أوروك الذى كان الملك قد أرسل له طبيبا ليعالجه أثناء مرض خطير قد سافر ليمثل بين يدى الملك ويشكره ولكنه استدعى الى مقر عمله حيث كان قد وصل خطاب من الملك . ورغبة منه فى عدم تأجيل التعبير عن عرفانه بالجميل كتب ما يلى : (٢) : « الى ملك الأراضى مولاى . من خادمه كودور . ألا فلتكن أوروك وأيانا ملائمة لملك البلاد مولاى . ان « ايقيشا ابلو » الطبيب الذى أرسله الملك مولاى لمعالجتى قد أعاد الى الحياة . ألا فلترض الآلهة العظام للسماء والأرض عن الملك مولاى وليثبتوا عرش الملك مولاى فى وسط السموات الى الأبد ... لقد كنت ميتا وأعاد الى مولاى الملك الحياة . ان أفضال الملك مولاى على عديدة . اننى أريد أن أذهب وأشهد الملك مولاى لقد قلت لنفسى : سأذهب وأرى وجه الملك مولاى ثم أعود وأحيا » . ولكن حامل المفتاح دعانى للعودة الى أوروك حين أرسل الى يقول : « لقد أحضر رسول فوق العادة خطابا مختوما من القصر لك فيجب أن تعود معى الى أوروك » لقد أرسل الى هذا الأمر وأعادنى الى أوروك ألا فليعلم ذلك الملك مولاى » .

---

(١) Ibid, No 398.

(٢) Ibid, No. 274.

وهنـاك خطـاب يبين مـدى عنـاية بعض ملوك أشور بالبحث عن النصوص القديمة وخاصة ما يتصل منها بالسحر وذلك بقصد زيادة ثروة مكتباتهم (١) ٠

ولقد كان للسحر قيمته الملحوظة فى البلاط وبين العامة على السواء. ولم يكن الملك ليقدم على القيـام بأى مشروع هـام دون استشـارة الآلهة والحصول على فأل ملائم ٠ وكانت أدنى الحوادث تستدعى قيام تبوءات تقوم على أساس المعلومات التى جمعت منذ أقدم عصور الحضارة السومبرو أكادية وهاك مثلا هو خطاب من المدعو « نابوا » المقيم فى أشور ـ ولدينا منه عدد من التقارير الفلكية (٢) « الى الملك مولاى من خادمه نابوا ٠ فليكن الملك مولاى موضع عطف نابو ومردوك ٠ فى السابع من كسليمو دخل ثعلب الى المدينة وسقط فى بئر فى الغابة المقدسة بأشور وقد أمسك به وقتـل » ٠

وحين أراد « أشور موكين باليا » أحد اخوة أشور بانيبال الصغار ـ وهو رجل معتل الصحة ـ أن يذهب فى رحلة سأل الملك النصيحة فتلقى هذه الاجابة ٠ « الى الملك مولانا » ٠ من خادميك « بالاسى » و « نابواحى أريبا » السلام للملك مولانا ٠ ليكن الملك مولانا موضع عطف نابو ومردوك ٠ بالنسبة ل « أشور موكين باليـا » الذى كتب عنه لنـا مولانا الملك ... ليكن موضع رعاية أشور وبعل وسن وشماش واداد ... ألا ليره الملك مولانا فى صحة جيدة ٠ ان الفال طيب للرحلة : الثانى مناسب والرابع مناسب جدا » ٠

ولقد كان « بالاسى » و « نابواحى اريبا » من بين أهم مراسلى الملك فيما يختص بالملاحظات الفليكة ٠ وقد كان « اداد شوم أو تسور » كذلك فلكيـا وكان يعطى استشـارات فيما يتصـل بالمرض والأيام المناسبة والخسوف ... ولكن لم يهمل مصـالح أسرته ٠ وأراد أن ينهى خطابـا طويلا مليئا بالمداهنة بالتوصية على واحد من أولاده (٣) « الى الملك مولاى من خادمه اداد شوم أو تسور ٠ ليكن الملك مولاى موضع العطف الشديد من نابو ومردوك لقد رسـم ملك الآلهة اسم الملك مولاى لمملـكة أشور ٠ أما شماش واداد اللذان لا تحيـد نظرتهما عن الملك مولاى فقـد ثبتـاه امبراطورا على كل البـلاد ٠ حكم سعيد وأيام وطيدة وسنو عدالة وأمطار غزيرة وفيضانات وفيرة وأسعار مرتفعة ٠ الآلهة يمجدونه والخوف من المعبود

(١) انظر صفحة ٢٢٦ ٠

(٢) LXXXIII b. No 142.

(٣) Ibir, No 2

يزداد والمعابد مزدهرة والآلهة العظام للسماء والأرض يتهللون تحت حكم الملك مولاى الشيوخ يرقصون والشباب يغنون والنساء والعذارى تزوجن والأرامل تزوجن مرة ثانية. والمعاشرة الزوجية تتم والنساء يحملن ويلدن ذكورا واناثا . أولئك الذين أثموا وينتظرون الموت أعطاهم مولاى الملك حياة جديدة . لقد أطلقت سراح أولئك الذين ظلوا فى السجن سنوات عديدة لقد شفيت أولئك الذين ظلوا مرضى أياما طويلة أشبعت الجياع وسمن الضعاف . البساتين ملأى بالفاكهة ولم يبق سوى « أراد جولا » وسواى مجهدى الروح قلقي القلب . لقد أظهر الملك أخيرا حبه لنينوى وشعبها ورؤسائها عندما قال : [«أحضروا أبناءكم الى هنا وليقفوا أمامى »] الا فليقف ابنى « أرادجولا » معهم أمام الملك مولاى . حقا سنسعد مع الشعب كله ونرقص من الفرح . اننى أنظر بعينى مثبتة على مولاى . ولكن جميع الذين يترددون على القصر بغير استثناء لا يحبوننى . ليس لى صديق من بينهم أستطيع أن أقدم له هدية يتقبلها ويهتم بقضيتى . ليشفق الملك مولاى على خدمه . اننى أتضرع ألا يكون بين هؤلاء الناس واحد ممن يغتابوننى يرى نتيجة تدبيراتهم ضدى » .

وهناك بعض الخطابات تشير الى العلاج الطبى ومن العسير أن نتناول بالترجمة أغلبها لأنه رغم تعدد اللوحات الطبية المحفوظة فى المتحف البريطانى فاننا نجهل غالبا المعنى الدقيق للاصطلاحات المستعملة لبيان الأمراض وعلاجها . وهناك « شماش ميتو أوبا لليت » أصغر اخوة أشور بانيبال يسأل الملك أن يرسل طبيبا يعالج امرأة من نساء القصر (١) .

« الى مولاى الملك من خادمه شماش ميتو أوبا لليت . السلام للملك مولاى : ليكن الملك مولاى موضع الرضى الكثير من نابو ومردوك ان « باو جميلات » خادمة الملك مريضة جدا ولا تستطيع أن تأكل شيئا ليأمر الملك مولاى بارسال طبيب ليراها » .

وتبين الكتب الطبية طرائق علاج الأمراض المختلفة التى تنتاب كافة أجزاء الجسم : وهى جذور وزيوت ومساحيق وهى تتضمن غالبا بالاضافة الى ذلك رقى تطرد تأثير الأرواح الشريرة التى هى سبب الأمراض والاضطرابات . ولقد عالج « اراد ناناى » رجلا كان يهم الملك أسارحدون أمره شخصيا وقد قدم له تقريرا عن حالة المريض الذى يقاسى ألما من جراء مرض فى العينين أو ربما كان مرض الجمرة « ان حالة الرجل المسكين الذى بعينيه مرض طيبة . لقد عملت له مكمدات على الوجه كله . وفى الليلة الماضية حللت الرباط الذى يربط المكمدات ثم رفعتها وكان هناك

---

(١) LXXX b. No 341.

صديد على المكمدات على شكل بقعة كبيرة بحجم طرف اصبعى الصغيرة . ان كان أحد من آلهتك قد تولى الأمر بنفسه فانه وضع الأمور فى نصابها لأن كل شىء على ما يرام . ليفرح قلب مولاى الملك . انه سيشفى فى مدى سبعة أو ثمانية أيام » . ولقد كان نفس « أراد ناناى » هذا يعالج الأمير الصغير « أشور موكين باليا » الذى كان ـ كما رأينا ـ معتل الصحة جدا . ولقد كتب يوما إلى الملك أبيه أنه لا داعى لأن يقلق (١) وفى مرة أخرى يعطى نصائح للملك نفسه (٢) وحين شكا الأخير من طبيعة المرض لم تشخص أجاب الطبيب (٣) : « لقد قلت لمولاى الملك من قبل (« أن القرحة غير قابلة للشفاء ولا أستطيع وصف علاج لهذه الحالة ») . ومع ذلك فقد ختمت الآن خطابا أرسله . ألا فليقرأ فى حضرة مولاى الملك . سأقدم وصفة للملك مولاى : فان وافق الملك مولاى ليدع ساحرا يباشر عليه عمله . ليستخدم الملك غسولا وسيختفى الألم حالا . ليستعمل الملك غسول الزيت (؟) مرتين أو ثلاث مرات » .

وكان بدء الشهر يتوقف على ظهور الهلال فى السماء . وكان فلكيو أشور يرقبون السماء منذ التاسع والعشرين ويقدمون تقريرهم فورا ان كان الوقت قد جاء للانتقال الى الشهر التالى : وهناك نموذجا أصليا لتقاريرهم (٤) : « لقد قمنا بالملاحظات فى التاسع والعشرين ولم نشهد القمر . ليكن الملك مولاى حائزا لرضى نابو ومردوك . من نابوا من أشور » .

وتثبت مجموعات الرسائل وتبرز ماهية تأثير بعض النساء فى المجتمع الأشورى . فقد كانت « زاكوتو » زوجة « سناخريب » تلعب دورا هاما فى البلاط وفى الدولة . وعند موت ابنها « أسار حدون » وقفت فى صف « أشور بانيبال » . وقد اعتبرها « نابيد مردوك » ملك أرض البحر ومولى أشور وصية على العرش حين كان ابنها يحارب فى الغرب . فكان يوجه اليها التقارير « الى أم الملك مولاى من خادمها نابيد مردوك . السلام لأم الملك مولاى . ليمنح أشور وشماش ومردوك الصحة للملك مولاى وليدخلوا السرور فى قلب أم الملك مولاى . جاء رسول من عيلام ليخطرنى أن « القنطرة قد رفعت من مكانها » وحالما علمت بذلك أرسلت الى أم الملك مولاى لتصلح القنطرة وتقوى المتاريس (المسامير) » وهناك

---

(١) Ibid No 109.

(٢) Ibid. No 110.

(٣) Ibid, No 391.

(٤) LXXXII b. No 825.

خطاب آخر من المدعو « ابليا » يأتيها بأنباء عن ابنها (١) ٠ « الى أم الملك مولاتي من خادمها ابليا ، ليكن بعل ونابو راضيين عن أم الملك مولاتي ٠ انني أتضرع كل يوم الى نابو ، نانــاى من أجل حياة وصحة وطول عمر مولاى ملك كل البلاد ولأم الملك مولاتي ٠ لتفرح أم الملك مولاتي ، لقــد أتت رسالة تحمل أنباء طيبة من بعل ونابو من ملك البلاد مولاى » :

ولقد كتب الملك الى أمه مســتعملا المقدمة المعتادة المستخدمة في كل خطاباته (٢) : « رسالة من الملك الى أم الملك ٠ أنــا بخير ٠ السـلام لأم الملك ٠ فيما يختص بخادمة « أموشي » التي أرسلتها الى فانني سأعطى الأوامر فورا طبقا لما أخبرتني به أم الملك ان ما ذكرته حسن جدا ٠ لم سترحل « حاموباي » ؟

٣ ــ العـــلوم

استخدم الأشوريون الموازين المقاييس البابليــة ولكنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات : وكانت وحدة الأحجام لا تزال الـ « قا » أو «سيلا» ولكن لم تعد مضاعفاتها الـ « جور » ذو ٣٠٠ أو ١٨٠ قا بل الـ « امرو » أو حمل الحمار ذو الـ ١٠٠ قا (٢ر٨٤ لترا) وكان هذا المقياس يستخدم كذلك مقيــاس أرض مثــل جور بابل منذ الاحتلال الكاسى فكانت قطعــة الأرض تقدر طبقا لكمية الحبوب اللازمة لبذر وحدة المساحة ٠

ولقد استعمل السوميريون القدماء النحاس كنقود قبل استخدام الفضة واستعمله الأشوريون كذلك حتي في فترة السرجونيين ، ولكنهــم استخدموا الرصاص قبل ذلك بكثير جـــدا : وأننا لنري فى الشروط الجزائية الواردة فى القوانين الأشورية من الألف الثانية أن الرصاص كان هو المعدن السائد الاستعمال ٠ وكانت الفضة تستعمل كذلك في الصفقات وهى تظهر فى شكل سبائك أو حلقات أو صفائح يبين وزنها ونوعها بواســطة بصــمات ٠ وقد اسـتعمل الذهب كذلك فى عصر السرجونيين وان كان أكثر ندرة ٠

وكانت السنة الأشورية تتكون من ١٢ أو ١٣ شهرا قمريا كما هى الحال فى بابل ٠ ويظهر أنه لم تكن هناك قواعد علمية تعين النظام الذى تحدد به السنة العادية والسنة الكبيسة ٠ ومنذ أقدم العصور حتى نهاية

(١) Ibid, No 303.

(٢) Ibid, No 324.

الامبراطورية كانت تحمل كل سنة اسم شخصية هامة تسمى « لمو » وهذه العادة التي شهدناها في الوثائق الكبادوكية للقرن الرابع والعشرين تعاود الظهور في اللوحات التي ترجع للألف الثانية والتي كشف عنها في أشور. وفي عصر السرجونيين كان الملك هو « لمو » أول سنة كاملة لحكمه . وكان دوره للتمتع بهذا الامتياز يأتي مرة أخرى بعد ثلاثين سنة . وكان اللقب من بعـده من نصيب الوزير الأكبر ثم ال « ترتـان » ثم كبـار الموظفـين الآخرين .

كان للطب الأشوري نفس الأساس والطرائق المتبعة في بابل . ويظهر أن علم الفلك لم يتقدم . وقد فاقوا أهل بابل في أنهم لم يكونوا يدرسون النجوم الا لمعرفة الفال بالنسبة لأحداث الحياة العامة أو الأمور الشخصية . أما من حيث الجغرافيا فان الأشوريين لم يهتموا الا بتسجيل أسماء المقاطعات والمسافات بين نقطتين والأراضي التي يمر بها المسافر من مكان الى آخر وذلك بقصد استخدامها في الحملات الحربيـة وقوافل التجار أو المبالغة الكتاب المنوط بهم كتابة الحوليات الملكية . وغالبا ما كانت الوثائق الجغرافية نسخا من اللوحات البابلية .

ويظهر أن الأشوريين لم يحاولوا أن يحرزوا تقدما يستحق الذكر في العلوم من أية ناحية أو لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا . ولكننا ندين لهـم بأنهم احتفظوا لنـا في محفوظاتهم ومكتباتهم بعدد كبير من النصوص البابلية الأصل ، لا سيما وأن بعضها لا يعرف من مصادر أخرى والبعض الآخر يقدم لنـا منوعات أو تعليقـات أو اضـافات تجعلها عظيمة القيمة بالنسبة لنـا .

خاتمــــة

لسنا نعرف من أين قدم الساميون الذين استقروا في سهل الفرات الأدنى ومع ذلك فانه من الأهمية القصوى أن نستطيع أن نحدد ان كان موطنهم السابق هو بلاد العرب ـ وفقا لنظرية ظلت سائدة فترة طويلة ـ أو هو اقليم العاموريين في سوريا وفلسطين طبقا لنظرية أحدث (١) وهذه المسألة لها أهمية كبرى بصفة خاصة لتقدير مدى تأثير الحضارة البابلية على مختلف الشعوب التي احتلت آسيا الصغرى والشاطىء السوري للبحر الأبيض المتوسط ٠

ولئن ثبتت النظرية القائلة بأن الساميين الأول الذين استقروا بين السومريين كانوا فرعا انبثق من مجموعة الساميين الغربيين ولئن أمكن بصفة نهائية اثبات الأصـل العاموري لأقدم ملوك كيش واوروك ٠ واذا لاحظنا أن أســاس القصص التي لدينـا عن هؤلاء الملوك حوادث تمت في سوريا في عصر سابق لأقدم الوقائع التي لدينا عنها وثائق معاصرة ٠٠٠ اذا كان الأمر كذلك ، فان نظرية القائلين بالمجموعة البابلية تنهار تماما ٠ ومن ثم فان حضارة اسرائيل لا تعتبر كلها انعكاسا لحضارة بابل ٠ واذن فان التقاليد التي خلدها سفر التكوين لم تكن قد وردت من كلديا بل على العكس يكون الساميون هـم الذين أتوا بها الى السومريين في المرحـلة الأخيرة من هجرتهم نحو الشرق ٠ وان هؤلاء قد ساروا عليها ٠ وعلى أية حال فنظرا لأن السومريوأكاديين قد تقدموا في ثقافتهم في سرعة تفوق سرعـة الساميين الذين ظلوا في عامور ٠ فانهم لهذا قد أثروا تأثيرا عميقا في ذلك الاقليم الذي كانوا مضطرين للحضور اليـه لاسـتجلاب الأحجار والأخشاب ٠ فمارسوا التجارة على نطاق واسع ٠

وانه ليلاحظ أن هذا التأثير لا يزال واضحا في القرن الخامس عشر في عهد خطابات العمارنة ٠ ولقد زاد الأشوريون من هذا التأثير بواسطة طريقتهم في الغزو وتـأسيس مسـتعمرات في الأقـاليم التي يلحقونها بامبراطوريتهم ٠

وقد خطا النيوبابليون الخطوة الأخيرة في هذا السبيل وبصفة خاصة بالنسبة لليهود الذين صبغوهم بصبغتهم الواضحة خلال سنى النفي ٠

---

(١) XXIX t. VI, t, V. 3.

ولقد وافق جمهرة من المستشرقين على الرأى القائل بالتأثير المتبادل بين المدنيتين المصرية والبابالية فى عصور ممعنة فى القدم • ومع ذلك فهناك اختلاف بين وجهات النظر فى تحديد حالات معينة ولكنه يسهل تحديد هذه التأثيرات ان نحن وافقنا على النظرية القائلة بأن الأكاديين من أصل عامورى وأن مواضع الربط بين المجموعتين هى المدن الواقعة على الشاطىء السورى فهناك عند بدء الفترة التاريخية كانت مصر قد أسست مستعمرات تجارية غنية استخدمت كقواعد لاستغلال غابات لبنان فى عهد الأسرة الثالثة التى تعاصر لوجال راجيسي فى أوروك •

أما فى الاقليم الكابادوكى فانه كان فى أول الأمر مستعمرة تجار أعطى لمن يعبدون أشور فى الألف الثالثة ثم فيما بعد الحيثيون الذين نشروا الثقافة البابلية وقد استخدم كلاهما الكتابة المسمارية وكانا يستوحيان الفن السومرى الأكادى ولكنهما خلقا نماذج أخرى مغايرة نجدها أيضا على ضفاف دجلة ومهدا لنمو وتقدم الفن الأشورى الكلاسيكى •

ولقد أثرت الحضارة الأشورية بصفة خاصة على شعوب الجبال فى الوديان العليا لدجلة والفرات ـ على « موتساتسير » « وأورارتو » مثلا فى أيام سرجون • ومن جهة أخرى لقد أبرزت البعثة الموفدة الى فارس مدى النشاط الذى بذلته كل من سومر وأكاد فى عيلام : ولقد فرض ملوك أجاده وملوك أور لغتهم كما فرضوا كتابتهم على العيلاميين دون أن يتسببوا على أية حال فى اختفاء اللغة الانزانية أو يمنعوا بقاء الكتابة المحلية • ولقد صمد فن عيلام كذلك للتأثيرات الأجنبية الى حد ما : وتبين المجموعة الضخمة للأسطوانات والبصمات التى عثر عليها فى سوسة فيما يختص بالنقش على الأحجار مجموعات من الرسوم التى لا نجد لها مثيلا فى وادى الفرات • ويمكن تتبع التأثير البابلى مرة أخرى فى نقوش « مالامير » حوالى ١٠٠٠ ق•م • بل وفيما بعد فى الكتابة والفن والعمارة فى عصر الفرس الأكمينيين •

ولقد أثرت بابل على العالم اليونانى وخاصة بعد أن اختفت تلك المدينة كقوة سياسية وقد كان هذا التأثير عميقا أحيانا وضعيفا أحيانا أخرى من طريق الشاطىء السورى وآسيا الصغرى فى عهود مختلفة • ولقد وصل هذا الأثر الى قبرص قبل عصر حمورابى • وربما الى كريت كذلك • ولكن الاغريق الحقيقيين لم يعرفوا هذا الأثر الا عند اضمحلاله فى عهد سيادة الفرس بل خاصة تحت سيادة السلوقيين وعندئذ نشر الكهنة الكلدانيون ورثة التراث القديم لسومر وأكاد وهم الذين لم يحسوا كلالا فى نقل اللوحات الخاصة بالطقوس ••• نشروا علومهم فى كافة بلاد حوض البحر المتوسط ولعل أشهرهم كان يدعى بيروس •

من هذه التأثيرات على هذه الشعوب المتباينة يبقى شيء لا يزال حيا حتى اليوم وهاك مثلين واضحين هما : التقويم الاسرائيلي الحالي وهو مشتق مباشرة من التقويم البابلي وكذا تقسيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة وتقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة وهما لا يتفقان مع مبادىء الطريقة المترية ويمكن ارجاعهما الى السومريين ٠

ومنذ أقل من قرن من الزمان قامت حفائر منظمة أو خلسة استطاعت أن تكشف عن آلاف الوثائق ٠ ولا زالت هناك مئات من التلال التى لم يتم كشفها يردمها تراب بلاد ما بين النهرين وتحوى الاجابة عن العديد من الأسئلة التى لم تحل بعد ٠

ولقد استطاعت مصلحة الآثار فى مصر والمنظمات المشابهة لها فى سوريا وفلسطين الوصول الى نتائج مرضية جدا فى أقاليمها الخاصة بها وأن تثبط من همم الحفارين الذين يقومون بالحفر خلسة والذين يجعلون الأشياء التى يستخرجونها من بطن الأرض تفقد الكثير من قيمتها ، وانه ان الواجب أن يتابع الكشف فى خرائب ميزوبوتاميا على نفس الطريقة على أن يراعى فى أعمال الكشف الظروف المحلية ٠

ولقد اقتصرت أعمال الحفر فى خورساباد تقريبا على خرائب قصر سرجون وعلى بوابات المدينة ، أما فى المدينة نفسها فلم تعمل سوى مجسات ٠ ولكن هذه المدينة ترجع فقط الى القرن السابع ومن المحتمل أنها لا تقدم وثائق ذات قيمة أثرية يمكن مقارنتها بما ينتظر أن يستخرج من مواقع أخرى ٠ أما القصور فى نينوى فمعروفة ولكن المدينة لم يتم حفرها حتى مستوى الأرض البكر ٠ أما أشور فقد أماطت اللثام عن سر أصولها البعيدة وعن التأثير السومرى على سكانها فى النصف الأول من الألف الثالثة ٠ وفى أماكن أخرى من أشور شرع فى بعض أعمال الحفر ٠ أما فى منطقة كركوك حيث ظهر تأثير الفن الحيثى حوالى القرن الخامس عشر أو فى اربيلا حيث شيد معبد من أشهر المعابد أو فى أماكن أخرى متعددة تبشر بنتائج طيبة فلم تقم بحوث علمية منتظمة ٠

ولم تستطع البعثة الألمانية فى بابل أن تنفذ الى الطبقات العميقة من موقع بابل وقد عاقها عن العمل وجود المياه التى تصل اليوم فى الفصول العادية الى مستوى أعلى من مستوى المدينة حوالى نهاية الألف الثانية ٠ وفى « نفر » لا تزال جامعة بنسلفانيا الأمريكية تباشر عملياتها المهمة المنتجة التى ستظل سنوات عديدة قبل اتمام الكشف عن هذه العاصمة الدينية القديمة لسمير ٠ أما العمل الذى قام به Colonel Cros Ernest de Sarzec

في تللو فهو عمل هام بالنسبة لتاريخ وآثار الألف الثالثة ولكن ظل دون اتمام لأن المكتشف الأول مات أثناء العمل وسقط الثاني مستشهدا في ساحة المجد ولا يزال الأمر متروكا لفرنسي يتناول معولهما ويتابع الكشف عن مدينة جوديا ... فكم من مدينة أخرى ندرك أهميتها البالغة لا تزال خرائبها تنتظر من يكشف عنها ! هناك « واركا » مثلا وهي تقع في مكان أوروك القديمة التي كانت مركزا للثقافة العلمية في العصر السلوكي حيث استطاع الحفارون الذين يحفرون خلسة ن يستخرجوا عددا من اللوحات . لقد كانت هذه مدينة جلجامش ذلك الملك القديم الذي يسبق الفترة التاريخية . ولابد أن الطبقات السفلى للتل تحوى بقايا أسوار التحصين القديمة التي تتناولها القصص المتوارثة . وربما نجد هناك عناصر تكون صفحة جديدة في التاريخ... لا التاريخ المحلي فحسب ـ رغم أن في هذا وحده ما يكفي من حيث أهميته ـ بل كذلك في تاريخ العلاقات بين السومريين وشعوب شمال سوريا التي خلدت ملحمة هذا البطل ذكرها .

وكم من خرائب لا تظهر أهميتها لأول وهلة قد يسفر كشفها عن نتائج مثمرة ولعل مثل Tapé Moussian في سوسيانا حين تحمل M. J. - E. Gautier شخصيا كل نفقات أبحاثه دليل على ذلك . ان متابعة العمل في خرائب سوسه ليس أمرا غير متصل بموضوعنا لانه وجدت فيها عناصر للمقارنة تفيد في اعادة احياء التاريخ البابلي كما وجدت أحيانا بعض الوثائق التي لها صلة بموضوعنا وقد سبق أن كشف « دي مورجان » هناك عن قانون حمورابي ولوحة « نارام سن » وأسلابا أخرى من بابل المهزومة جنبا الى جنب مع وثائق تشير الى احتلال ملوك أور الفعلي لأرض عيلام . وقد كشف هناك عن الجبانة الأركية التي ترجع أهميتها الى مجموعتين للأواني الملونة التي وجدت فيها . ويكشف فيها اليوم M. de Maequeneme عن جبانة أخرى ترجع أقدم آثارها الى عصر ملوك أور بينما أحدثها ليست أقدم بكثير من الاحتلال الأكيميني .

وهناك أقاليم أخرى قد تنهض دليلا على نمو وتوسع المدينة البابلية أو الأشورية فنحن نعرف مثلا موقع « ماري » تلك المدينة الواقعة على الفرات الأوسط التي بسطت نفوذها على سومير وأكاد حوالى عصر أول ملك في لجش ـ أورنينا ـ والتي خرج منها بعد عدة قرون « ايشي ايرا » مؤسس أسرة ايسين . ونحن نعرف كذلك موقع « ترقا » عاصمة دولة « هانا » التي ازدهرت حوالى ٢٠٠٠ ق.م ... ان حفائر منظمة في أطلال هاتين المدينتين لكفيلة بأن تكشف عن نتائج خطيرة .

ولو أن الحكومات اليوم في الظروف الحالية أقل قدرة على منح

الاعانات المالية الكبيرة اللازمة لمتابعة الحفائر الأثرية وهى العمل الحقيقى لتاريخ الشرق فانه من واجب الأفراد أن يتولوا هذا الأمر وأن يشتركوا فى تلك الجمعيات العظيمة فى كل دولة ممن تعد هذا العمل موضع فخار ٠٠ وذلك بالاتفاق مع المعاهد العلمية أن تزود الحفارين بالوسائل المادية اللازمة للكشف عن وثائق هذه المدنيات القديمة التى هى التراث المشترك للجنس البشرى ٠

المراجـــــع

BIBLIOGRAPHIE

I. Periodiques

Revue d'Assyriologie et d'Archèologie orientale	i
Recueil de travaux relatifs a le philologie et a l'archéologie égyptiennes	ii
Babyloniaca	iii
Journal asiatique	iv
Syria	v
Revue archéologique	vi
Revue biblique	vii
Revue de l'histoire des religions	viii
Rivista degli studi orientali	ix
Proceedings of the Society of Biblical Archaeology	x
Journal of the Royel Asiatic Society	xi
American Journal of Semitic Languages and Literature	xii
Journal of the American Oriental Society	xiii
Journel of the Society of Oriental Research	xiiii
Zeitschrift für Assyriologie	
Orientalische Lifereaturzeitung	vx
Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft zu Berlin	xvi
Mitteilungen der Vorderasiastischen Gesellschaft	xvii

II. OUVRAGES COLLECTIFS

Délégation en Perse. Mémoires publiés sous la direction de M. J. de Morgan. xviii

Mission de Chaldée Inventaire des tablettes de Tello conservées au Musée impérial ottoman xix

Musée du Louvre. Département des antiquités orientales xx

Babylonian Inscriptions in the collection of James B. Niss, 1917 et suiv. xxi

Babylonian Rocords in the Library of J. Pierpont Morgan, 1912 et suiv. xxii

Cuneiform Texts from Babylonian tablets. etc., in he British Museum, 1896 et Suiv. xxiii

Hilprecht Anniversary Volume, 1909 xxiv

The Eothan Series xxiv

The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania :

Series A : Cuneiform Texts xxv

Series D : Researches and treatises xxvi

University of Pennyslvanie. The Museum. Publications of the Babylonian Section xxvii

Yale Oriental Series :

Babylonian Texts, 1915 et suiv. xxviii

Researches xxix

Assyriologische Bibliothek xxx

Keilinschriftliche Bibliothek, 1889 et suiv. xxxl

Boghazkoi-Studien xxxi

Konigliche Museen zu Berlin, Mitheilungen aus den Orientalischen Summlungen, 1889 et suiv. xxxii

Vorderasiatische Bibliothek xxxii

III. ·OUVERGES PARTICULIERS

— Les pierres de bornage babyloniennes du British Museum, 1920. xlviii

De Clereq et Joachim Menant, Collection de Clerq, Catalogue méthodique et raisonné, 1888. xlix

Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux du Musée Guimet, 1906. xl

Louis Delaporte. Catalogue des cylindres orientaux de la Bibliothéque nationale, 1910. xli

Louis Delaporte et Fr. Thureau-Dangin. Catalogue des cylindres orientaux du musée du Louvre, 1920-1922 xlii

Paul Dhorme, Choix de textes religieux assyro-babyloniens, 1907. xliii

— La religion assyro-babylonienne, 1910 xliv

Marcel Dieulafoy. L'acropole de Suse, 1893 xlv

J. E. Gautier, Archives d'une famille de Dilbat xlvi

Léon Heuzzey, Les origines orientales de l'art xlvii

— Musée du Louvre catalogue des antiquités chaldéennes, 1902 xlviii

Charles Fossey, Manuol d'assyriologie, 1904 xlix

— La magie assyrienne, 1909 l

— Textes assyriens et babyloniens relatifs à la divination, 1905. li

Henri De Genouillac, Tablettes sumériennes archaiques, 1909. lii

— La trouveille de dréhem, 1911 liii

M. J. Lagrange, Etudes sur les religions semitiques, 2 edit, 1905. liv

Stephen Langdon. Le poeme sumérien du Paradis, du déluge et de la chute de l'homme. lv

Léon Legrain, Le temps des rois d'Ur, 1912. lvi

— Catalogue des cylindres orientaux de la collection Louis cugnin, 1911. lvii

Francois Martin, Lettres néo-babyloniennes lviii

— Textes Religieux Assyriens et babyloniens, 1990. lix

Gaston Maspero-Historie Ancienne des Peuples del' orient classique, 1895. lx

Gaston Maspero-Histoire Ancienne des Peuples del' orient 8. Edit 1909. lxi

Jaochim Menant-Les Écritures cuneiformes, 1864. lxii

— catalogues des cylindres orientaux du cabinet royal des Médailles de La Haye, 1878. lxxiii

Jules Oppert, Expédition scientifiques en Mésopotamie 1869. lxiv

Victor Place, Ninive et l'assyrie, 1867. lxv

G. Perrot et ch. chipiez. Histoire de l'art dans l'antique, t. ii, 1884. lxvi

L. Pillet, Le Palais de Darius l'à Suse, 1914. lxvii

J. Plessis, Etudes sur les textes concernant Ishtar-astarté, 1921. lxvii

Edmond Pottier, Musèe du Louvre. Les antiquités assyriennes, 1917. lxviii

Max Ringelmann, Essei sur l'histoire du génie rural, t. ii, 1907. lxix

Ernest de Sarzec et Léon Heuzey, découvertes en chaldée, 1884. lxx

Vincent Scheil, Une saison de fouilles à sippar lxxi

— La loi de Hammurabi, 1904 (cf. XVIII, t. IV.) lxxii

— Recueil de lois assyriennes, 1921. lxxiii

— Babylonian Boundary Stones and Memorial Tablets in the British Museum, 1912 xc

— Bronze Reliefs from gates of Shalmaneser King of Assyria. xci

Leonard W. King' The seven tablets of Creation, 1902. xcii

— Babylonian magic and Sorcery, 1896. xciii

C. H. W. Johns, Assyrian deeds and document, 1898 xciv

— Babylonien and Assyrian Laws, Contracts Tablets, 1904. xcv

Stephen Langdon, Tablets from the Archives of drehem, xcvi

— Sumerian and Babylonian Psalms, 1909 xcvii

— Babylonian Liturgies, xcvili

Layard, The monuments of Nineveh, 1853. xcviii

Archibald Paterson, Assyrian Sculptures xcix

— Assyrian Sculptures, Palace of Sinacherib xcx

Théophilus G. Pinches' The amherst Tablets, 1908 ci

Thompson, The Devils and Evil Sprits of Babylonia cii

William Hayes Ward, Cylinders and other oriental Seals in the Library of J. Pierpont morgan, 1909. ciii

William hays Ward, The Seal cylinders of Western Asia, 1910. civ

E. G. Ulauber, Politisch-religiose Texte aus der Sargonidenzeit, 1913. cv

J. Kohler et F. R. Peiser, Aus dem babylonischen Rechtsleben 1890. cvi

J. Kohler to F. E. Peiser Hammurabis Gesetz, 1904 cvii

— Urkunden aus der Zeit der dritten babylonischen dynestie, 1905. cviii

A. T. Olmstead history of assyrie, 1923. cviii

J. Kohler et F. E. Peiser, Babylonische Vertage des Berliner museums, 1920. cviii

J. Kohler ot A. Ungnad, Assyrische Rechtsurkunden. cix

— hundert ausgewahlte Rechtsurkunden. aus der Spatzeit des babylonischen Schrifttums von Xerxes bis mithridates II (485-93 v. chr.) cx

Koldeway, das neuerscheinende Babylon, 1913 sxb

F. X. Kugler, die babylonische Mondrechnung 1900. cxi

— Sternkunde und Sterndienst in Babel, 1907 et suiv. cxii

Edouard Meyer, Geschichte der altertums cxiii

J. N. Strassmaier, Babylonische Texte cxiv

K. L. Tallquist. die assyrische Beschworungsserie maqlu, 1894. cxv

M. V. Nikolski, documents economiques de l'ancinne époque de chaldée (en russe). cxvi

اقرأ فى هــذه الســلسلة

احلام الاعلام وقصص اخرى	برتراند راســـل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ى ٠ رادونسكايا
نقطــة مقــابل نقطــة	الدس هكســـلى
الجغرافيــا فى مائة عام	ت ٠ و ٠ فريمــان
الثقـــافة والمجتمـــع	رايموند وليــامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ جـ)	ر٠ ج ٠ فوربس
الأرض الغـــامضة	ليســـترديل راى
الرواية الانجليـــزية	والتـــرألن
المرشد الى فن المسرح	لويس فارجـــاس
آلهـــة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشــاشة	د٠ قدرى حفنى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	اولج فولـــكف
الهوية القومية فى السينما العربية	هاشــم النحـــاس
مجمـــوعات النقـــود	ديفيــد وليــام ماكدوال
الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عــــزيز الشــوان
عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د٠ محسن جاسم الموســوى
ديــلان توماس	اشراف س ٠ بى ٠ كوكس
الانســـان ذلك الكائن الفــريد	جــون لويس
الرواية الحـــديثة	جـــول ويست
المسرح المصرى المعـــاصر	د٠ عبد المعطى شعراوى
على محمــود طــه	انــور المعـــداوى
القــوة النفســية للاهــرام	بيــل شــول وادبنيت
فن الترجمـــة	د٠ صــفاء خلوصى
تولســـتوى	رالف ئى ماتلــو
ســـتندال	فيكتـــور برومبير

افريقيا الطريق الآخر	بادى أونيمود
السحر والعلم والدين	فيليب عطية
الكون ذلك المجهول	جلال عبد الفتاح
تكنولوجيا فن الزجاج	محمد زينهم
حرب المستقبل	مارتن فان كريفله
الفلسفة الجوهرية	سونداري
الاعلام التطبيقى	فرانسيس ج · برجين
تبسيط المفاهيم الهندسية	ج · كارفيل
فن المايم والبانتومايم	توماس ليبهارت
تحول السلطة (٢ جـ)	الفين توفلر
التفكير المتجدد	ادوارد وبونو
السيناريو فى السينما الفرنسية	كريستيان سالين
فن الفرجة على الأفلام	جوزيف · م · بوجز
خفايا نظام النجم الأمريكى	بول وارن
بين تولستوى ودستويفسكى (٢ جـ)	جورج ستاين
ما هى الجيولوجيا	ويليام هـ · ماثيون
الحمر والبيض والسود	جارى ب · ناش
انواع الفيلم الأميركى	ستالين جين · سولومون
رحلة الأمير رودلف ٣جـ ·	عبد الرحمن الشيخ
رحلات ماركوبولو ٣ جـ	عبد العزيز جاويد
الفيلم التسجيلى	محمود سامى عطا الله
الرومانتيكية والواقعية	يالكو لافرين
نظرية التصوير	ليوناردو دافنشى
تاريخ العلم والحضارة فى الصين	جوزيف نيدهام
الحب	د · ليوبوسكاليا
كنوز الفراعنة	ت · ج · هـ · جيمس
اطلالات على الزمن الآتى	د · السيد نصر الدين
الرواية اليوم	مالكولم براد برى
مشكلات القرن الحادى والعشرين	يوسف شرارة

السينما العربية	اعداد / مونى براح وآخرون
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص اخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هبنر
التاريخ من شتى جوانبه (٣ جـ)	ستيفن أوزمنت
الحملة الصليبية الأولى	جوناثان ريلى سميث
التمثيل للسينما والتليفزيون	تونى بار
العثمانيون فى أوربا	بول كولنز
صناع الخلود	موريس بيير برايو
الكنائس القبطية القديمة فى مصر (٢ جـ)	الفريد ج . بتلر
رحلات فارتيما	رودريجو فارتيما
الهم يصنعون البشر (٢ جـ)	فانس بكارد
فى النقد السينمائى الفرنسى	اختيار/ د. رفيق الصبان
السينما الخيالية	بيتر نيكولز
السلطة والفرد	برتراند راسل
الأزهر فى الف عام	بيارد دودج
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخت
سفر نامة	ناصر خسرو علوى
مصر الرومانية	نفتالى لويس
كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر	جاك كرابس جونيور
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلر
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار / صبرى الفضل
كتب غيرت الفكر الانسانى (٥ جـ)	أحمد محمد الشنوانى
الشموس المتفجرة	اسحق عظيموف
مدخل الى علم اللغة	لوريتو توده
حديث النهر	اعداد / سوريال عبد الملك
من هم التتار	د. ابرار كريم الله
ماستريخت	اعداد / جابر محمد الجزار
معالم تاريخ الانسانية (٤ جـ)	هـ . ج . ولز
الحملات الصليبية	ستيفن رانسيمان
حضارة الاسلام	جوستاف جرونيباوم
رحلة بيرتون (٣ جـ)	ريتشارد ف . بيرتون

الحضـــارة الاســلامية	آدمـز متـــز
الطفـــل (٢ ج)	ارنولـد جـــزل
رسائل واحاديث من المنفى	فيكتـــور هـــوجو
الجـزء والكل (محـــاورات فى مضـمار الفيزياء الذرية)	فيرنر هيزنبـرج
التراث الغامض ماركس والماركسيون	ســـدنى هـــوك
فن الأدب الروائى عنـد تولستوى	ف . ع ادنيـــكوف
ادب الأطفـــال	هادى نعمـــان الهيتى
احمـد حســن الزيات	د. نعمـــة رحيم العـزاوى
اعـلام العـرب فى الكيمياء	د. فاضل احمـد الطـائى
فكرة المسرح	جـــلال العشرى
الجحيـــم	هنـرى باربوس
صـنع القـرار السـياسى	السـيد عليـــوة
التطـور الحضارى للانسان	جاكوب برونوفسـكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال	د. روجـر سـتروجان
تربيـــة الدواجن	كـاتى ثيـــر
الموتى وعالمهم فى مصر القـديمة	ا . ســـبنسر
النحـــل والطب	د. ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهمـــوس
سياسة الولايات المتحـدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د. لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى الســـنة	د. جـــون شـــندلر
الصحـــافة	بييـــر البيـــر
اثر الكوميـــديا الالهية لدانتى فى الفـن التشــكيلى	د. غبـريال وهبـــة
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعـــدها	د. رمسيس عـــوض
حركة عدم الانحياز فى عـالم متغير	د. محمد نعمان جـلال
الفكر الأوربى الحديث (٤ ج)	فرانكلين ل . باومـر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شـــوكت الربيعى

عن النقد السينمائي الأمريكي	ادوارد ميـــرى
تراتيم زرادشــت	اختيار / د. فيليب عطيـــة
نظـريات الفيلم الكبرى	ج. داندلى انـدرو
مختارات من الأدب القصصي	جـوزيف كونراد
الحياة في الكون كيف نشات واين توجد	د. جوهان دورشنر
حــرب الفضــاء	طائفـة من العلماء الأمريكيين
ادارة الصراعات الدولية	د. الســـيد عليـــوة
الميـــكروكمبيـــوتر	د. مصــطفى عنــانى
مختارات من الأدب الياباني	صـبرى الفضـل
الفكر الأوربى الحديث ٤ ج	فرانكلين ل . باومر
تاريخ ملكية الأراضى في مصر الحديثة	جـــابريل بايـر
اعلام الفلسفة السياسية المعـاصرة	انطـونى دى كرسـبنى
كتـــابة الســيناريو للســينما	دوايت ســـوين
الزمن وقياســـه	زافيلسـكى ف . س
اجهـزة تكييف الهـــواء	ابراهيم القرضــاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتـــر ردای
سبعة مؤرخين في العصور الوسطى	جـوزيف داهموس
التجــــربة اليـــونانية	س . م بـــورا
مراكز الصناعة في مصر الاسلامية	د. عاصم محمــد رزق
العـــلم والطــلاب والمــدارس	رونالد د. سمبســون
الشارع المصرى والفـكر	د. انور عبـد الملك
حوار حول التنمية الاقتصادية	والت وتيمان روســتو
تبسيط الكيميــاء	فـريد س هيس
العـادات والتقاليد المصرية	جـون بوركهـــارت
التـذوق الســينمائى	آلان كاســـبيار
التخطيط السياحى	ســامى عبـد المعطى
البـــذور الكونيـة	فــريد هـــويل
	شـــاندرا ويكـراما ماســـينج
دراما الشاشة (٢ جـ)	حســين حلمى المهندس

المــرأة الفــرعونية	كريســتيان دديروش
نظــرية التصــوير	ليوناردو دافنشى
التربيــة عن طــريق الفــن	هربرت ريــد
معجـم التكنــولوجيا الحيــوية	وليــم بينــز
البرمجــة بلغــة السى	روبرت لافــو
الكيميــاء فى خدمة الانســان	رولاند جاكســون
مجمــل تاريخ الأدب المعــاصر	ايفــور ايفــانس
نظــرية الأدب المعــاصر	ديفيــد بوشنبدر
مشكلات القرن الحادى والعشرين	يوســف شــــارة
كنـــوز الفـــراعنة	ت · ج · هـ · جميــز
البرنامج النــووى الاسرائيــلى	د · ممــدوح حــامد عطيــة
بحثــا عن عــالم افضــل	كارل بــوبر
العـلم وآفاق المسـتقبل	اســحق عظيمــوف
كونتــا المتمــدد	ايفــرى شــاتزمان
الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا	نومان كــلارك

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٢٩٣٥

ISBN — 977 — 01 — 5110 — 6



تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثانى أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربى فى شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتاليف فضلاً عن إعادة طبع اهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التى أسهمت فى تكوين الثقافة المصرية والعربية فى العصر الحديث والتى بات الاطلاع عليها اليوم متعذراً لشباب هذا الجيل لقدم طباعتها.

وفى هذا الإطار يسعى المشروع إلى إلقاء الضوء على الحضارات العالمية المختلفة ومن بين الكتب التى صدرت فى هذا الميدان:

الحضارة الفينيقية
الحيثيون
موجزتاريخ العلم والحضارة فى الصين
التجربة اليونانية
حضارة الإسلام

(انظر قائمة الإصدارات في آخر الكتاب)

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ يقدم صورة متكاملة للحضارتين البابلية والآشورية اللتين إزدهرتا على ضفاف نهرى دجلة والفرات قبل خمسة آلاف عام وظلتا على مدار ثلاثة آلاف عام تسهمان فى إثراء التراث الإنسانى بإبداعاتهما فى مجالات الآداب والعلوم والفنون.

مع تحيات الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٧٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب